

جامعة الجزائـــر-2-
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم التاريخ

دور المغاربة و الأندلسيين في الحروب الصليبية ما بين القرنين الخامس و التاسع الهجريين.

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط.

تخصص المغرب و حضارته

إعـداد الطالـب :
بن خيرة أحمد .

إشـراف الأستـاذ الدكتـور :
شريفي أحمد .

السنة الجامعية :
1431 - 1432 هـ / 2010 - 2011 .

جامعة الجزائر -2-
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم التاريخ

دور المغاربة و الأندلسيين في الحروب الصليبية ما بين القرنين الخامس و التاسع الهجريين.

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط.

تخصص المغرب و حضارته

أعضاء لجنة المناقشة

قويدر بشار .... رئيسا
أحمد شريفي .... مقررا
عبد العزيز بوكنة........................عضوا
سامية بوعمران ....عضوا

السنة الجامعية :
1431 - 1432 هـ / 2010 - 2011 .

- الرموز و المختصرات

الرمز	المختصر
ت	تاريخ الوفاة
ج	جزء
ط	طبعة
ص	صفحة
ق	قسم
ع	عدد
هـ	هجري
م	ميلادي
تح	تحقيق
مج	مجلد
د.ت	دون تاريخ
د.ط	دون طبعة
د.م	دون مكان النشر
د.ن	دون ناشر
p	Page
Vol	Volume
T	tome

شكر وتقدير

الحمد لله الذي تتم به الصالحات ، الحمد لله الذي أعانني فبلغت ، ووفقني فأنجزت ،و الصلاة والسلام على رسوله المبعوث معلما و هاديا و مبشرا و نذيرا .

امتثالا لقول سيد الخلق محمد رسول الله ﷺ ﴿من صنع إليكم معروفا فكافئوه ، فان لم تجدوا ما تكافئونه فأدعو له حتى تروا أنكم قد كافأتموه ﴾ .

فإنني أتوجه بالشكر و التقدير و عظيم الامتنان إلى الأستاذ الدكتور :

- شريفي أحمد الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة ،و على ما أولاني به من تشجيع و اهتمام ، وما غمرني به من فيض علمه ، وكثير نصحه ،و تسامحه و تواضعه ، وحسن معاملته ،و جميل صبره .

كما أتقدم إلى أساتذتي الأفاضل لجنة المناقشة .

- لتفضلهما بقبول مناقشة الرسالة و مراجعتها وتدقيقها و تكرمهما بإرشادي إلى مواطن الخلل و النقص ، كما و أسجل شكري و امتناني للأصدقاء الذين ساعدوني و شجعوني في إتمام هذه الرسالة .

الإهداء

إلى المؤمنين في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس،الظاهرين على الحق، القاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم ، أو خذلهم حتى يأتي أمر الله.

إلى روح فقيد الجامعة الأستاذ الدكتور لقبال موسى، تغمد الله روحه بواسع رحمته.

إلى من رعاني بحسن التربية و كفل لي أفضل تعليم أبي الفاضل ، والى القلب الحنون الذي احتضنني في الصغر ، وقاس الحياة صبرا وتجلدا ليزرع الابتسامة على وجهي ، أمي .أداما الله في عمركما .

إلى من وقفت إلى جنبي محفزة ، تحملت مشاق رحلتي في هذا البحث، زوجتي.

إلى أبناء الاعزاء على قلبي إشراق وهبة وعلاء حفظهم الله.

إلى أفراد عائلتي إخوتي و أخواتي و جميع الأصدقاء و الزملاء .

اهدي لكم ثمرة جهد متواضع .


مقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وإمام المتقين، محمد صلى الله عليه وسلم ، وبعد.....

لقد شهدت البلاد الإسلامية حملات وحروباً شنّها الغرب الأوربي المسيحي عرفت في التاريخ العام باسم «الحروب الصليبية»، وقد استمرت هذه الحملات على مدى قرون من الزمن، مكنت أوربا من توطيد سيطرتها في العديد من المناطق الإسلامية المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط، وخاصة سواحل بلاد الشام والمناطق المجاورة لها،والأندلس من الناحية الأخرى للعالم الإسلامي ، حيث تمكن الفرنجة من تأسيس ثلاث إمارات ومملكة بيت المقدس، بالإضافة لسيطرتهم على أرجاء واسعة في الأندلس ،فضلا عن هجماتهم المتكررة على بلاد المغرب ، وكان لهذه الأحداث أصداء في كل أنحاء العالم الإسلامي، أفرزت ردود فعل عبر عنها بأشكال مختلفة ومتفاوتة الأهمية.

إن موضوع المذكرة لا يتناول رصد حركة الصليبيين إلى المشرق أو إلى المغرب الإسلاميين ، وضبط إيقاع ردود فعل المسلمين تجاهها، وإنما الغرض منها، على وجه التحديد، مقاربة مناخ التضامن والتكافل بين المسلمين في مشرقهم وفي مغربهم، على غير ما صعيد، وذلك محصلة لاستشعارهم مدى خطورة «الحرب الصليبية» التي استهدفت الإسلام، ديناً ودنيا، تارة بذريعة استعادة قبر السيد المسيح في فلسطين، وطوراً بذريعة ما سمي بـ«حرب الاسترداد» التي جنَّد لها الغرب الأوربي ما تيسر له من قوة ، مستفيداً من حالة التهافت و التشظّي التي كان يعاني منها المسلمون في المشرق وفي المغرب على حدٍّ سواء.

1)الإشكالية:

نظرا لخصوصية الدراسة وجب طرح إشكالية البحث في شكل تساؤلات مرتبطة بأهداف الدراسة ، وستقوم الدراسة على تساؤل رئيسي مؤداه :

تفسير الحروب الصليبية ، ودور المغاربة على أكثر من صعيد ، و جبهة .

تتفرع منه عدة تساؤلات.

- ما هي الأهداف والبواعث و الظروف التي كانت وراء هذه الهجمة الصليبية الشرسة ؟
- ما طبيعة الجهد الذي بذل لتحرير بلاد الإسلام ، هل هو جهد أمة ، أم جهد أفراد.
- ما هي طبيعة العلاقات الإسلامية الإسلامية ؟
- الدوافع الحقيقية للحملات الصليبية.
- هل كان للمغاربة إسهام في الحروب الصليبية ؟
- العوامل التي كانت وراء امتداد الصراع الإسلامي المسيحي إلى بلاد المغرب.
- درجة الارتباط بين المغرب و المشرق العربيين من خلال الحروب الصليبية.
- أهمية توحيد الجهود الإسلامية في مواجهة التحديات الغربية.

2)أسباب اختيار الموضوع :

تشكل الحروب الصليبية مجـالا تاريخيا ثريا يفسر قدر الإمكان طبيـعة العلاقات بين المسلمين و المسيحيين قديما و حديثا ، ومن هذا المنطلق ارتأيت أن أبحث في فكرة الحروب الصليبية و أبعادها الحقيقية ، و دوافع انضمام المغاربة لهذه المواجهة رغم توزعهم على دول متباينة مذهبيا ، و سياسيا ، ومن جهة أخرى تشكل الحروب الصليبية بالنسبة لي كطالب اهتماما خاصا لأنها تمثل حلقة تاريخية يرتبط فيها المغرب بالمشرق و أوربا معا (الوطن العربي حاليا و أوربا) لمدة كبيرة في العصر الوسيط، فالدراسة المنصبة على الحروب الصليبية تجعلنا مضطرا إلى التمعن في تقاطعات تاريخية و هذا الأمر ليس بالهين كما تحدونا رغبة الإسهام في تاريخ بلاد المغرب من خلال إلقاء الضوء على هذا الموضوع نظرا لقلة الدراسات حوله ، لذا ارتأيت البحث في دور أبناء المغرب العربي في الحروب الصليبية ، لعلي و عسى الإسهام في هذا الموضوع.

3) عرض خطة المذكرة :

قسمت موضوعي إلى مقدمة و فصل تمهيدي وأربعة فصول وخاتمة ؛ أما المقدمة فقدمت من خلالها الموضوع وأسباب اختياره و إشكاليته و الصعوبات التي واجهتني و خطته ،و تلخيصا وجيزا لأهم مصادر و مراجع البحث ، وفي الفصل التمهيدي الذي عنونته بتبلور الحروب الصليبية و صلتها ببلاد المغرب ،و فيه ركزت على تعريف مفاهيم الدراسة و نظرة المسلمين للمسيحيين و العكس ،أهمية بلاد المغرب قبل و بعد الفتوحات و مكانة الأمازيغ قبل و بعد الفتوحات ،ثم تحدثت في الفصل الأول الأوضاع العامة في العالمين الإسلامي و المسيحي و دوافع الحروب الصليبية ،ثم انتقلنا إلى الفصل الثاني وفيه تناولت الحروب الصليبية التي قامت في افريقية و المغرب و الأندلس، و تطرقت في الفصل الثالث إلى دور المغاربة في الحروب الصليبية في بلاد المشرق أي مشاركتهم في مختلف الجبهات و التخصصات ، و في الفصل الرابع عقدت مقارنة بين شخصيتي يوسف ابن تاشفين وصلاح الدين الأيوبي ،وبين الإستراتيجية الحربية المتبعة من خلال معركتي الأرك وحطين ،وفي الخاتمة التي هي عبارة عن خلاصة عامة لأهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي هذا الذي أرفقت به كذلك مصادر ومراجع و فهارس الأعلام و الأماكن و الموضوعات.

4)الصعوبات التي اعترضت سبيل الباحث :

من بين الصعوبات التي واجهتني في بحثي ضيق الوقت و قصر المدة ،و صعوبة الحصول على المادة العلمية لتناثرها بين ثنايا المصادر و المراجع لان موضوع اشتراك المغاربة في الحرب ضد الصليبيين ، من المواضيع الصعبة ولا سيما أنهم كانوا في حروب مستمرة ،و كل ما كتبوه المؤرخون حول هذا الموضوع، اقتصر على ذكر حوادث فردية ثم أن الفترة الزمنية التي يتناولها الباحث تزيد أربعة قرون مما حتم علينا التنويع في منابع الدراسة

(مصادر و مراجع و مجلات و دوريات ....)، وتجنبنا التعريف بكل ما صادفته من مصطلحات حتى نتفادى الحشو و الإطناب ،و إلى جانب تلك الصعوبات صعوبة ضبط تراجم بعض الأعلام و الشخصيات.

5)تقييم المصادر والمراجع :

من المصادر التي اعتمدت عليها لإنجاز هذه المذكرة نذكر :

"**كتاب الاعتبار**" لأسامة بن منقذ (ت 1188 م)، و"**الرحلة**" لابن جبير الأندلسي (ت 614 هـ/ 1217 م)، وكتاب "**الكامل في التاريخ**" لابن الأثير (ت 630 هـ/ 1232 م) للمؤرخ ابن الأثير الجزري ت 630هـ/1232م، هذه من المصادر التاريخية المهمة لما أشتملت على م ذكر أحداث الغزو الصليبي، فقد تضمنت أحداث المشرق الإسلامي بالتفصيل لكنها لم تنس الغرب الإسلامي، فأوردنا معلومات قيّمة عن الفترة التي هي قيد الدراسة، ومما جعل البحث لا يستغني عنها كونها ذكرنا حجم القوات العسكرية وأعدادها، وعدد الخسائر التي تنجم عن المعارك بين المسلمين والصليبيين،كما اعتمدنا على ابن كثير"**البداية و النهاية** " فيما يتعلق بأحداث المشرق قبل و أثناء الحروب الصليبية ،و"**الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**" لأبي شامة الدمشقي (ت 665 هـ/ 1268 م)، و ابن واصل" **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب** "يعتبر هذان الكتابان من المصادر الهامة في تاريخ الدولة الأيوبية، وترجع أهميتها لما فيهما من تفاصيل عن تلك الدولة، لم تذكرها مصادر أخرى واتبع المؤرخان في سردهما للأحداث على المنهج الحولي، حيث أرخا للحوادث المرتبطة بحروب صلاح الدين ، وكتاب" **نهاية الأرب في فنون الأدب** "للنويري ت 732 هـ/ 1331م وكتاب " صبح الأعشى في صناعة الإنشاء "للقلقشندى ت 821 هـ/ 1418 م ،ثم كتاب " **الإلمام بالإعلام لما جرت به الأحكام المقضية في وقعة الإسكندرية** " لمحمد بن القاسم النويري السكندري المالكي (عاش في القرن الثامن الهجري) (1)، وكتابا "**السلوك لمعرفة دول الملوك**" و"**المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار**" لتقي الدين أحمد المقريزي (ت 845 هـ/ 1442 م)، حيث استفدنا منهم في ذكر بعض أحداث الحملات الصليبية ، وأنباء عن بعض المغاربة المشاركين في تلك الحروب.

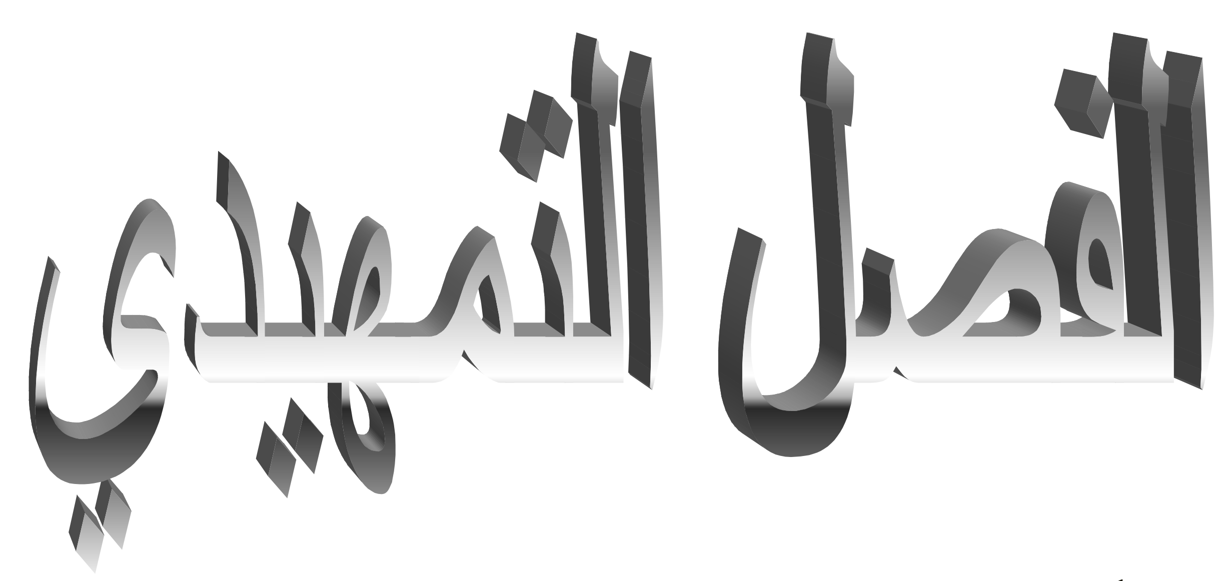
واعتمدنا على مصادر أخرى... و يعد كتاب"**العبر و تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**"لابن خلدون الذي هو مصدر من مصادر الهامة للدراسة حيث أفادنا في الكثير من حروب الصليبية على افريقية على وجه الخصوص ، أما كتاب "**صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**" لمحمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري سنة 710هـ/1310م، الذي هو معجم جغرافي

(1) هو غير شهاب الدين النويري صاحب كتاب "**نهاية الأرب في فنون الأدب**" المتوفى سنة 732 هـ/ 1332 م. وكتاب "**الإلمام**" هو مخطوط بدار الكتب المصرية. وقد أورد السيد عبد العزيز سالم بعض الصفحات والفقرات منه في كتابه المفيد: "**تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي**"، الإسكندرية، ط 2، 1969 م. واعتمد عليه أحمد مختار العبادي في كتاب "**تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام**"، القسم الثاني، دار النهضة العربية، بيروت، 1981. وقد اعتمدنا بدورنا في اقتباس بعض نصوص "**الإلمام**" على المرجع الأخير.

وتاريخي من المصادر المهمة مكنتنا من تحديد موقع العديد من الأماكن و المدن الأندلسية ،أما كتاب "**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**" لابن عذاري المراكشي ت 712هـ/1312م، فيعدّ من المصادر التي تعنى بالتاريخ السياسي والعسكري للأندلس، فقد كان شاملاً واسعاً لتنظيمه سير الحوادث، وشغل الحقبة الزمنية من الفتح الإسلامي للأندلس إلى نهاية الدولة العامرية و الكتاب ذو أهمية كبيرة كتاب "**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**" لمؤلفه أحمد بن محمد التلمساني ت1041هـ/1631م، من المصادر المهمة، فقد تناول تاريخ الأندلس ورجال الحكم والإدارة والعلم، بالإضافة إلى التراجم التي قدمها عن الشخصيات الإسلامية في الأندلس،وقد تناول أيضاً دراسة تاريخية وجغرافية للجزيرة الأندلسية والعلاقات السياسية، والتبادل التجاري،أما المراجع الحديثة التي تناولت فترة البحث، فمن أهمها كتاب "**تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**" للمستشرق الألماني يوسف أشباخ ،وكتاب "**دول الإسلام في الأندلس** " للمؤلف محمد عبد الله عنان ،"**كتاب الحروب الصليبية في شمال افريقية و أثرها الحضاري** " لممدوح حسين و مصطفى شاكر من بين أهم المراجع الحديثة لاحتواه على مادة علمية كبيرة تتناول النشاط التنصيري و الحروب الصليبية في افريقية.

كما اعتمدنا إضافة إلى المصادر و المراجع التي ذكرنا بعضها مراجع أخرى متنوعة كالرسائل الجامعية وكتب باللغة العربية وأخرى باللغة الإنكليزية مثل A History of the crusades (Setton (Kenneth M.) الذي يتناول الحروب الصليبية ،و قد استفدنا منه في استخلاص أوضاع الصليبيين،كما اعتمدنا على كتاب Histoire des croisades et du royaum franc de Jerusalem في نفس النقطة و عن كتاب Runciman (Steven), A. History of the Crusades جمعت معلومات أخرى عن الأوضاع في أوربا قبيل الحروب الصليبية الدوافع التي حركت الصليبيين ،والى جانب ذلك الدوريات و جرائد،فهذه المصادر و المراجع وأخرى أظهرت البحث في صورته النهائية، وقدمت معلومات تكميلية، أثبتناها في قائمة المصادر آخر المذكرة .

وفي الأخير أتمنى أن نكون قد وفقنا في الإلمام بالموضوع ،و أعطيناه حقه من البحث و الإجابة عن التساؤلات ، وحسبنا أننا بذلنا ما تيسر من الجهد ،و ما التوفيق إلا من عند الله



تبلور فكرة الحرب الصليبية

المبحث الأول:تحديد و ضبط مفاهيم الدراسة: الدور،المغاربة،الأندلسيون،الحروب الصليبية

المبحث الثاني: النظرة المتبادلة بين المسلمين و المسيحيين خلال القرون الأولى للهجرة.

المبحث الثالث: بلاد المغرب في ظل الصراع المسيحي المسيحي وموقف الامازيغ منه،و أهميتها الإسلامية

المبحث الأول:تحديد و ضبط مفاهيم الدراسة: الدور ،المغاربة،الأندلسيون،الحروب الصليبية

أولا- مفهوم الدور:

1- الدور في اللغة : « دار يدور دوراً ، والدور هو النوبة أو المناوبة التي يقوم بها الفرد ».[1]

2- الدور في الاصطلاح:هو« سلوك الفاعل في علاقته مع آخرين إذا ما نظرنا إلى هذا السلوك في سياق أهميته الوظيفية للنسق الاجتماعي»[2]،ويمكن تعريفه من الناحية الإجرائية بأنه المهمة ،والوظيفة التي يؤديها المغاربة و الأندلسيون من خلال الحروب الصليبية.

ثانيا- معنى لفظ المغرب ، ومن هم المغاربة؟

1- لفظ المغرب :

في اللغة المغرب هو خلاف المشرق ،والغرب و المغرب عند اللغويين مفهوم أي مدلول واحد[3]، ولقد جاء في كتاب عز وجل ما يوضح المعنى اللغوي قال تعالى﴿رب المشرقين و المغربين﴾[4].

أما المدلول التاريخي و الجغرافي للفظة المغرب ،فيرى سعد زغلول عبد الحميد أن تسمية المغرب تشير إلى الاتجاه الذي تغرب منه الشمس[5]،ومن هنا يتفق المؤرخ مع المدلول اللغوي للكلمة ،إذ أن المغرب هو البلـدان ،و الفياف ،و البحار ،و الجبال الواقعة تجاه مغرب الشمس كما هو الحال للبلدان الواقعة تجاه مشرق الشمس ،وعلى هذا يصبح معنى المغرب يدل على كل ما يقابل المشرق من أمصار[6].

و تذهب معظم الآراء على مصطلح افريقية الذي شاع استعماله قبل لفظ المغرب و يذكر أن البيزنطيين تداولوا لفظ افريقية لكن العرب حددوا معناه فأرادوا كل ما يلي مصر غربا حتى ساحل المحيط الأطلسي[7] ،و أطلق كل من عبد الحكم و البلاذري لفظ افريقية على كل ما يلي مصر غربا من شمال هذه القارة[8] ،ولا

---

(1) مصطفى إبراهيم , وآخرون ، **المعجم الوسيط** ، المكتبة الإسلامية,دط، إستانبول, 1960 , ص. 303 .

(2) أحمد سمير نعيم , **النظرية في علم الاجتماع** ، دار المعارف, ط .2, القاهرة, 1979,ص. 204 .

(3) ابن منظور ، **لسان العرب** ،تحقيق عبد الله علي الكبير و آخرون ،دار المعارف ، القاهرة ، ج.2 ، د.ت ،ص.129.

(4) سورة الرحمن، الآية17 .

(5) سعد زغلول عبد الحميد ، **تاريخ المغرب العربي** ، دار المعارف ، الإسكندرية ، ج.1 ،ص ص.61،62، حاشية رقم 20.

(6) الحموي(أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله) ، **معجم البلدان** ، دار صادر،دط، بيروت ،1398هـ/ 1977م ، المجلد الأول، ص.54.

(7) محمد محمد زيتون ، **المسلمون في المغرب و الأندلس** ،دار الوفاء ،دط،القاهرة، 1984 ، ص.5 .

(8)ابن عبد الحكم(أبو القاسم عبد الرحمن بع عبد الله القرشي)،**فتوح مصر و المغرب**،تحقيق عبد المنعم عامر ،الهيئة العامة لقصور الثقافة،دط، القاهرة، د.ت ،ج.1، ص.229؛ص.315؛البلاذري (أبي العباس أحمد بن يحي بن جابر)،**فتوح البلدان** ،تح عبد الله أنيس الطباع ،مؤسسة المعارف،دط،بيروت،1407هـ/1987،حسين مؤنس ، **فتح العرب للمغرب** ، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،دت، ص.3.

يقسمونها أقساما،و لكنهم استثنوا من ذلك برقة [1]،و بامتداد حركة الفتح الإسلامي إلى ساحل المحيط الأطلسي و منها إلى بلاد الأندلس أصبح لفظ افريقية غير ملم بالمعنى لتحديد هذا المجال العظيم، الذي انطلق فيه المسلمون[2]،ويعود أول ظهور لمصطلح المغرب بعصر الفتنة بين علي و معاوية قبل المنتصف القرن الأول الهجري[3]، و الملاحظ أن هناك تباين في تحديد المجال الجغرافي للمغرب، فنجد ابن عذارى المراكشي يفصل بين افريقية و المغرب و الأندلس [4] ، أما الاصطخري فيعتبر المغرب نصفين نصف شرقي ،و هو شمال افريقية ،و نصف غربي هو الأندلس [5]، أما الشريف الإدريسي فيحدد المغرب بالإشارة إلى أقسامه الثلاثة[6].
الثلاثة[6].

و من خلال هذه الإشارات نستنتج المدلول الجغرافي للفظ المغرب انتهى عند المؤرخين و الجغرافيين إلى المجال الذي يمتد من مصر غربا من المحيط ،ثم يجزئونه إلى برقة و طرابلس ثم افريقية حتى نهر ملوية، ثم المغرب الأوسط ثم المغرب الأقصى،وهناك من يجعل الغرب الإسلامي في المنطقة التي تضم المغرب و الأندلس.[7]

2- **من هم المغاربة؟** :يعد عنصرا الأمازيغ و الأفارقة أولى سكان المغرب المعروف كما سبق بافريقية[8]، ثم وطأته عناصر أخرى هم العرب و العجم مع مطلع القرن الثاني للهجرة[9].

أ-**الأمازيغ** : ورد اسمهم بالبربر[10] في كتب المؤرخين الرومان و الروم العرب والأوربيين لكنها لا تعني

---

(1) ياقوت الحموي ،المصدر السابق ، ص.161 .

(2) حسين مؤنس، المرجع السابق ، ص.2.

(3) موسى لقبال ، **المغرب الإسلامي** ، الشركة الوطنية للكتاب، ط.2 ،الجزائر، 1981 ، ص.14.

(4)ابن عذارى المراكشي،**البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**،تح، ج.س كولان وليفي بروفنسال،دار الثقافة ،ط.3،بيروت،1983،ج.1،ص.43.

(5) الاصطخري ، **المسالك و الممالك** ، مطبعة إبريل، ليدن، 1937م ،ص.33.

(6) الشريف الإدريسي،**نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**،ط.2،مطبعة بريل،ليدن،1906،ص ص.56 ،57؛حسين مؤنس،المرجع السابق، ص.5.

(7) حسين مؤنس، نفسه ، ص.3.

(8) لقبال ، نفسه ، ص.16.

(9) محمد عيسى الحريري،**الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي**،حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس،دار القلم ط.3،الكويت،1987، ص.24.

(10) البربر اسم أطلقه الرومان على سكان المغرب لأنهم كانوا ينظرون للبربر على أنهم ليسوا من حضارتهم و لذلك سموهم (البرابرة)وجاء العرب فاستخدموا هذه التسمية بعد أن عربوها إلى بربر أو برابرة؛السيد عبد العزيز سالم،المغرب الكبير(العصر الإسلامي)،دار النهضة العربية ،بيروت،1981،ص.133؛وفي توضيح أخر يقول حسين مؤنس أن البربر من أولاد عربي من حمير يسمى بر بن قيس ويقال أن هذا الرجل عندما جاء إلى المغرب لم يفهم لهجتهم فسماها بربرة أي اختلاط الأصوات غير مفهومة؛ =

الهمجية ،أو الوحشية إنما تعني أنهم في بداية التنظيم الاجتماعي ،إلا أنهم يفضلون أن يتسموا أمازيغ ، و يذكر أن نسابتهم أنهم ينحدرون من جد أول يسمى مازيغ بن كنعان بن ....سام ، ومع حلول القرن الرابع عشر ميز نسابة الأمازيغ قبائلهم إلى مجموعتين كبيرتين هما البتر و البرانس، و إن اختلفوا فيما بينهم حول انتماء المجموعتين إلى جد واحد،ويختلف المؤرخون في ربط علاقتهم ببلاد المغرب اغلبهم اعتبروهم عناصر طارئة هجرت من اليمن ،أو مصر ،أو الشام رمت بهم الظروف السياسية في هذا القطر [1] ،بينما يرى ابن خلدون ارتباطهم القديم بها وأصالتهم فيها و قال" إن البربر يجمعهم جذمان عظيمان و هما برنس و مادغيس ،و يلقب بالابتر فلذلك يقال لشعوبه البتر و يقال لشعوبه برنس البرانس "[2].

و قبائل البرانس هي : مصمودة ، و أزداجة ، و أوربة ، و عجيسة ، و كتامة ، و صنهاجة ، و أوريغة ، و لمطة ، و هسكورة ، و كزولة (جزولة) ، قبائل البتر المشهورة : أداسة ، و نفوسة ،و ضريسة ،و لواتة.[3]

ب-**الأفارقة** : يذكر ابن عبد الحكم أنهم تناسلوا من فارق بن بيصر الذي بسط نفوذه على الإقليم الجغرافي الذي يمتد من برقة إلى طنجة ، و إليهم نسبت كلمة افريقية [4] ، لكن معظم الكتابات تقر بأن الأفارقة خليط جنسي منهم من تجري في عروقه الدماء السامية القرطاجية ، و منهم من انتسب إلى السلالة الآرية أي من بقايا الروم و الرومان أو من الايطاليين خدامهم ، و كان ولاؤهم غالبا لمن يسيطر على المنطقة إلا أن بعضهم دان بعد ذلك بالإسلام[5].

ج- **العرب** : و هم الجند الذين وفدوا إلى بلاد المغرب في أثناء الفتح الإسلامي لهذه البلاد ، و أقاموا فيه ، و اتخذوه موطنا و يضاف إليهم كذلك فئة أخرى التي بعثت من قبل الخلفاء لبث تعاليم الإسلام ، و نشره بين سكان المغرب ، و منهم كذلك الذين جاءوا لبلاد المغرب لنشر آرائهم و أفكارهم لكونه بعيد عن مركز الخلافة مما يصعب ملاحقة المناوئين لهم[6]، و كانت نتيجة ذلك قيام مجتمعات عربية صغيرة معظمهم في المدن و

=

ابن خلدون(عبد الرحمن) ، **العبر و تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ،تحقيق ومراجعة سهيل زكار، دار الفكر ،دط،بيروت، 2001، ج.6،ص.114؛ ابن عبد الحكم،المصدر السابق، ص.230؛ حسين مؤنس،**معالم تاريخ المغرب والأندلس**،دار رشاد ، د.م، 2004،ص.28.

(1) لقبال ، المرجع السابق، ص.16.

(2) يذكر ابن خلدون البرانس باسم البربر الحضر أما البتر البربر الرحل ،للمزيد انظر ابن خلدون،المصدر السابق،ج.6، ص ص 175، 176؛ لقبال ، نفسه،ص.17.

(3)ابن خلدون ،نفسه ،ج.6 ، ص ص.89،90 ؛ لقبال ، نفسه ، ص.17.

(4)ابن عبد الحكم،المصدر السابق ،ج.1، ص.229؛ لقبال،نفسه، ص.16.

(5)نفسه ، ص.17.

(6) ابن عبد الحكم ،نفسه ،ج.1، ص.12؛محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص.18.

المعسكرات و هؤلاء عرفوا بالعرب البلديين أي عرب افريقية الذين استقروا فيها ،و اعتبروها وطنا لهم دون أن يتخلوا عن عروبتهم[1].

د- **العجم** :و هم الفرس الذين جاءوا إلى بلاد المغرب مع الجيوش الرسمية للخلافة لإخماد ثورات البربر في نهاية العصر الأموي و بداية العصر العباسي[2]، فيذكر النويري أن جيش محمد بن الأشعث الذي أوفده أبو جعفر المنصور تضمن ثلاثين ألف فارس من أهل خرسان [3] ، وكان لهؤلاء العجم دور كبير في أحداث الدولة الرستمية في عهد عبد الرحمان بن رستم و دولة واسول المدرارية الصفرية و قد أطلق عليهم المؤرخون الذين عاصروهم اسم العجم[4].

ثالثا-**الأندلس والأندلسيون** :

1-**الأندلس:** كلمة عجمية لم يستعملها العرب قبل الإسلام ، ولكنهم عرفوها بمدلول جغرافي بأنها جزيرة كبيرة فيها من المظاهر الخلابة ، والإمكانيات ما يجعلها تهوى الأنفس[5] ، فالعرب لا يستعملون لفظ اسبانية للإشارة إلى شبه جزيرة ايبيريا [6]المعروفة بهذا الاسم منذ عهد اليونان ، و أن الرومان أطلقوا عليها اسم Hispania[7] Hispania[7]، و قيل أن هذه التسمية مأخوذة من اسم رجل ملكها قديما كان اسمه أشبان ابن طبطش ، ثم حرفها العرب إلى اسبانيا [8]،و قيل اسمه أصبهان فحرف إلى أشبان،وانه هو الذي بنى مدينة أشبيلية التي نزلها أشبان هذا وقد غلب هذا الاسم من بعده على اسبانيا[9]،وقيل أن اسمها القديم كان الأندلش نسبة إلى قبائل

---

(1) ابن وردان ، **تاريخ مملكة الأغالبة** ،تحقيق محمد زينهم محمد عزت، ط.1 ، مكتبة مدبولي ،القاهرة، 1988،ص ص.25-29.

(2) محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق، ص.19.

(3) النويري(شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب) ، **نهاية الأرب في فنون الأدب** ،تحقيق مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، ط.1،بيروت، 1424هـ/2004، ج.24،ص.39.

(4) اشبيلية مدينة قديمة البنيان جليلة القدر بينها و بين قرطبة (160كم) تشرف على نهر الوادي وهو في غربها واصل تسميتها إسبالي أي المدينة المنبسطة نزلها جند حمص عند الفتح سقطت بيد النصارىسنة646هـ؛ انظر: الحميري ،**الروض المعطار في خبر الأقطار** ،تحقيق إحسان عباس ،دار العلم، بيروت ،1975 ، ص.58.

(5) ياقوت الحموي ، المصدر السابق،ج. 1 ،ص.262.

(6) أطلق على شبه الجزيرة اسم أيبيرية نسبة إلى امة قديمة يقال لها (IBER)و هي أقدم امة عمرت بلاد اسبانيا و البرتغال .انظر .انظر الحميري،نفسه، ص.32.

(7) ج س كولان ،**الأندلس**،ترجمة إبراهيم خورشيد و آخرون ، كتب دائرة المعارف الإسلامية (الأندلس) ، دار الكتاب اللبناني اللبناني و دار الكتاب المصري، ط.1 ،بيروت و القاهرة، 1980 ، ص.17.

(8) النويري ، نفسه ، ج.24، ص.22.

(9)أحمد بن محمد المقري التلمساني ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،تحقيق إحسان عباس، دار صادر ،دط،بيروت ،1988، ج.1 ،ص.124.

الوندال [1] ، وهناك من يربط الاسم بالعرف إذ يقال إن البلاد سميت نسبة إلى الأندلس بن طوبال بن يافث ، وقد تكون هناك صلة بين هذا الاسم ، و بين اسم القبيلة الجرمانية الوندال ، وحينما دخل العرب اسبانيا أطلقوا عليها اسم الأندلس لكن وجدوا برير المغرب الأقصى ينطقون اسم اندالوس على الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة الأيبيرية فقال البربر للعرب أن هذا هو الوندالوس و سقطت الواو لأنها تعريف في لهجة أمازيغ إقليم طنجة ،و حلت محلها الألف ،و اللام أداة التعريف لدى العرب ،ويذكر المسعودي أن عدد المدن الأندلسية في فترة الحكم الإسلامي بلغ حوالي أربعين مدينة عربية [2]، وكانت تضم ما يقرب من خمسة عشر مليون نسمة من السكان في عهد عبد الرحمان الناصر (الثالث)[3] ،و كانت قرطبة لوحدها تضم حوالي مليوني نسمة[4].

و بعد أيام العرب ظل لفظ الأندلس في صورة أندلوفيا يطلق على ثمان محافظات تقع في الثلث الجنوبي لشبه الجزيرة و هي المرية و غرناطة و جيان و قرطبة ،و مالقة ،و قادس و ولية و اشبيلية [5]

2- مكونات المجتمع الأندلسي :

1- العرب : شكل القيسييون والكلبييون الموجة الأولى من العرب الذين وصلوا إلى الأندلس ، ممن وفد مع موسى بن نصير، ثم جاءت بعدهم دفعة أخرى مع الحر ابن عبد الرحمن الثقفي سنة 94 هـ. ومنذ ذلك تدفقت الهجرات، وجلب عبد الرحمن الأول أجنادا سوريين، استقروا فيما بعد في جنوب وغرب الأندلس، وسمي أولئك الوافدون مع ابن نصير البلديين، في حين سمي الوافدون مع بلج بن بشير الشاميين ، استقر العرب بشكل عام في مدن السهول الخصبة، قرب مرسيا، واستقر العدنانيون القيسيون حول طليطلة و الهذليون

---

(1) ابن الأثير(أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني) ، **الكامل في التاريخ** ، تحقيق يوسف الدقاق ،دار الكتب العلمية ،ط.1،بيروت ، 1987، ج.4، ص ص. 265،264 ؛الحميري ،نفسه ، ص.32 ؛ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق، ج.2،ص.1.

(2) المسعودي(أبي الحسن علي بن الحسين بن علي) ، **مروج الذهب و معادن الجوهر** ،تحقيق يوسف البقاعي ،دار إحياء التراث التراث العربي ، ط.1، بيروت ، د.ت ، ج.1 ص ص.110 ،111.؛ حسين مؤنس ، **موسوعة تاريخ الأندلس**، مكتبة الثقافية الدينية ، ط.1 ،القاهرة، 1996، ج.1،ص.10 ؛المقري ، المصدر السابق ،ج.1، ص.127.

(3) بدأ عهده أميرا سنة 912/300 و كان قد مضى على ظهور الفاطميين في المغرب ،و اتخاذهم لقب الخليفة ثلاث سنوات ولأول مرة يظهر فيها خليفتان في الإسلام و استمر عبد الرحمان على لقب الامارة حتى اواخر سنة 316هـ/629 م ثم أمر بان يخطب له بلقب الخليفة الناصر لدين الله بإمرة المؤمنين، و قد وجه عبد الرحمان اهتمامه لبناء جيش قوي حتى يمكنه من إخماد التمردات الداخلية ،ومن الانجازات التي ترتبط بعهده ارتفاع موارد الدولة التي وصلت إلى نحو ستة ملايين و مائتين و خمسين ألف دينار تقريبا وهو دخل لم تعرفه دولة الأندلس من قبل ؛ للمزيد انظر: مصطفى شاكر ، **الأندلس في التاريخ** ، منشورات وزارة الثقافة ،دط،دمشق ،1990،ص.43.

(4) علي الحسين الشطشاط ، **تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة** ،دار قباء،دط، القاهرة،2001 ،ص.17.

(5) حسين مؤنس ، نفسه،ج.1، ص.10.

في منطقة أريولة وأكثر التميمين والقيسيين في منطقة اشبيلية و بلنسيه، وتوزع القحطانيون اليمنيون في عدة أماكن ، واستقرت الأرستقراطية الحميرية في قرطبة وبطليوس وإشبيلية و ألبيره ومرسيا،وتوزعت منازل العرب الشاميين في أماكن متعددة، فنزل جند دمشق كورة (ضاحية) ألبيره وجند الأردن كورة جيان وجند مصر كورة باجة ،وبعضهم بكورة تدمير فهذه منازل العرب الشاميين.[1]

2- **الأمازيغ** :تدفقت جموع الأمازيغ على الأندلس، مع الطلائع الأولى للفتح، وكان أكثرها من زناتة، ثم تبعتها صنهاجة في نهاية عهد الدولة الأموية، وازداد هذا العنصر سلطة في عهد المرابطين، حيث احتلت قبائلهم كثيرا من المدن، وخصوصا الثغور منها : "ولما فتح الموحدون الأندلس واستولى يوسف على شرقها، أنزل زناتة في بلنسيا وصنهاجة و هسكورة في شاطبة ومرسيا، وأهل تمل في لورقة، و كوميا في المرية و برشلونة، وعندما استرجع باجة سنة 570ه أرسل مع أهلها قبيلا من الموحدين بأولادهم وعيالهم ليسكنوا معهم فيها، وفي سنة 616ه أرسلت مجموعة من كوميا إلى الأندلس"[2]،ومن قبائلهم التي ذكرها ابن حزم في جمهرة الأنساب : و زداجة و ملزوزة و امغيلة و مكناسة و زناتة و مديونة و هوارة و مصمودة و أوربة و زواوة و صنهاجة.[3]

3-**السقالبة (الصقالبة) أو الموالي**:وهم الخدم المستجلبون من الشمال،وأصلهم من أسارى الجيوش الجرمانية في حروبها مع السلافيين،ثم نقلوا إلى الأندلس حيث بيعوا بأسواقها، ومنهم كان من أسرى قراصنة البحر الأبيض المتوسط،وجلب اليهود[4]،من كان منهم خاصا بخدمة الحريم، من فرنسا،خصوصا من Verdun[5]،ويقول ابن حوقل : "ومن مشهور جهازهم الرقيق من الجواري والغلمان الروقة من سبي أفرنجة و جليقة وخدم الصقالبة...والصقالبة قبيل من ولد يافث...فنصف بلدهم بالطول يسبيه الخراسانيون...والنصف الشمالي يسببه الأندلسيون من جهة جليقة و أفرنجة و انكبردة و قلورية، وبهذه الديار من سبيهم الكثير،باق على حاله ..."[6]،وكثر عدد الصقالبة الموالي أيام الخلافة،وصار لهم ذكر وصيت،يقول ابن عذاري المراكشي:"...وكانوا أبهى حلل المملكة وأخص عددها،عني الخلفاء بجمعهم والاستكثار منهم"وبلغوا حظوة عند الحكم ما بعدها

---

(1) أحمد شحلان ، "**مكونات المجتمع الأندلسي و مكانة أهل الذمة فيه**" ، مجلة التاريخ العربي ،ع.1 ،المغرب ،نوفمبر2006، ص.267؛لسان الدين بن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح محمد بن عبد عنان، مكتبة الخانجي،ط.2، القاهرة، 1973،ج.1،ص. 115؛ وأنظر أيضا : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف ،دط،مصر ، د.ت ،ص.496؛فهو يذكر فيها القبائل العربية ،و المنازل التي استقرت بها.

(2) ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج. 4، ص.69؛ أحمد شحلان،المرجع السابق ،ص.268.

(3) ابن حزم الأندلسي، المصدر السابق، ص.498-502؛ أحمد شحلان،نفسه ،ص.269.

(4) المقري ، المصدر السابق،ج.1، ص.145.

(5) E. Lévi- Provençal, L'Espagne musulmane aux xéme siécle, Maisonneuve et Larose, Paris, 1996, P.29.

(6) أبو القاسم بن حوقل النصيبي، **كتاب صورة الأرض** ، ط.2، منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت، 1996، ص.105، 106.

حظوة،فعلى الرغم مما ظهر منهم من أمور قبيحة فإنه كان يقول:"هم أمناؤنا وثقاتنا على الحرم، فينبغي للرعية أن تلين لهم وترفق في معاملتهم فتسلم من معرتهم،إذ ليس يمكننا في كل وقت الإنكار عليهم"،وازدادت سطوتهم بعد موت الحكم حتى ظنوا أن "لا غالب لهم وأن الملك بأيديهم"كما يقول ابن عذاري[1] ، وجاء في "النفح" : " إن عدد الفتيان الصقالبة بالزهراء، بلغ ثلاثة عشرة آلاف وسبع مائة وخمسين فتى...وعدة النساء...الصغار والكبار وخدم الخدمة ستة آلاف وثلاث مائة وأربعة عشرة امرأة"[2]

4- النصارى المعاهدون أو الأعاجم (Los Mozarabes) : وهم النصارى الذين بقوا بعد فتح الأندلس في المدن والبقاع المفتوحة ، في ظل الدولة الإسلامية ، وظلوا يكونون مجموعات كبيرة في القواعد الرئيسية مثل قرطبة و اشبيلية و طليطلة [3]، وكان من الطبيعي أن يكون عددهم كبيرا في كل أرجاء الأندلس ، باثني عشر ألف مقاتل ، وكانوا في منطقة جد محدودة [4] ، وكان هؤلاء النصارى أو الأعاجم يكونون طبقتين داخل المجتمع الأندلسي ، طبقة عليا ، جماعها كبار النصارى ووجوههم ، وطبقة من العامة ، وقد غير الفاتحون من وضع هؤلاء الاجتماعي ، حيث مكّنوهم من خدمة الأرض مقابل جزء يسير من منتوجها يؤدونه للدولة ، ويحتفظون هم بجله ، وكانوا قبلا أقنانا مملوكين.[5]

5-المولودون:وهم سكان الأندلس الأصليون الذين اعتنقوا الإسلام ، أي النصارى المعاهدة ، في الجنس الرابع قال : " الجنس الرابع من أهلها الذين دخل عليهم المسلمون ، منهم من أسلم واستقر بموضعه ، ومنهم من سبي عند الفتح واستقر بها ، و بها بقي عقبه ، ومنهم من أسلم بعد الفتح أو سبي بعد الفتح واستقر بها عقبها ، وهذا الصنف على أجناس ، منهم الروم و الجلالقة و قشتالة ، و راغون البرمدي ، و العريقيين واليبنير و الطوطيين من الأمم القديمة ، ومنهم أهل البريس مدينة مستقر طاغية فرانسيس ،ومنهم عجم رومية ...ومنهم من كان اليهود مستقرا بها قبل الفتح ، وأسلم عند الفتح أو بعده،أو دخل إليها بعد الفتح وأسلم".[6]

6-اليهود :وكان هؤلاء اليهود الذين استوطنوا الأندلس قبل الفتح عونا للفاتحين ، يقول المقري عن فتح طارق : " ... ثم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجه إلى البيرة ، فحاصروا مدينتها وفتحوها عنوة ، وألفوا بها يهودا ضموهم إلى قصبة غرناطة ، وصار ذلك سنة متبعة متى وجدوا بمدينة فتحوها يهودا ، ويضمونهم إلى قصبتها ويجعلون معهم طائفة من المسلمين يسدونها ".[7]

---

(1) ابن عذارى ، المصدر السابق ،ج.2،ص.259؛ أحمد شحلان،المرجع السابق ،ص.270.

(2) المقري ، المصدر السابق ،ج.1، ص.567.

(3) لسان الدين بن الخطيب،المصدر السابق،ج.1، ص ص.106،107.

(4) ابن عذارى،نفسه،ج. 4،ص. 69؛بن الخطيب،نفسه،ج .1،ص.109؛

(5) E . Lévi - provençal , Op.Cit, P . 160 .

(6)للمزيد أنظر: أحمد شحلان، نفسه ،ص.271.

(7) المقري ، نفسه ،ج.1 ،ص . 10 ؛ابن عذارى، نفسه،ج.2 ،ص.12 .

رابعا- معنى الحروب الصليبية :

1- لغة: فكلمة الصليب مشتقة من الفعل صلب[1]، وجاء في القرآن الكريم ما نصه قوله تعالى ((قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى))[2] ، فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف، بمعنى مختلفة أي الأيدي اليمنى والأرجل اليسرى (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) أي عليها[3].

ويشير الصليب إلى معنى ديني لدى النصارى[4]، مرتبط بالنبي عيسى بن مريم ، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم قال تعالى : ((وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً))[5] ، ومن

(1) ابن منظور ، المصدر السابق ، ج.1 ،ص.2477.

(2) سورة طه، الآية 71.

(3)ابن منظور، نفسه.

(4) النصارى هم أمة المسيح، عيسى ابن مريم عليه السلام ويفهم من النصوص التي وجدت في الأناجيل المعتمدة لدى القوم أن النصارى سموا بهذا الاسم نسبة إلى قرية الناصرة لتي بعث فيها المسيح عليه السلام وجاءهم منها، وفيها ابتدأ دعوته إذ من المعلوم أن المسيح عليه السلام ولد في بيت لحم بفلسطين كما تقول النصوص الإنجيلية في زمن هيرودوس – الحاكم الروماني ولما كان الوقت وقت اضطهاد، هاجرت به أمه – كما أخبر القرآن الكريم – إلى ربوة ذات قرار وَمَعِين، ومكث المسيح عليه السلام مع أمه في هذا المكان مدة من الزمن، ثم رجعت به إلى فلسطين واستقر بها المقام مع ولدها في قرية الناصرة بالجليل بفلسطين. يقول متّى في "إنجيلــــه: «انصرف إلى نواحي الجليل وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة لكي يتم ما قيل بالأنبياء سيدعى ناصرياً»، لما بعث المسيح عليه السلام في هذه القرية، أطلق القوم عليه يسوع الناصري ومن ثم أطلقوا على أنفسهم «النصارى»، نسبة إلى قرية الناصرة أما النصرانية فالنسب إليها نصراني؛ قال عز وجل ((ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين))،السورة آل عمران ،الآية 67؛ ويُجمع «النصرانيّ» على «نصارى»، ونبه على ذلك صاحب "لسان العرب" حيث قا ويراد بالنصرانية الدين الذي أوحى الله به إلى عيسى عليه السلام وأمره بتبليغه والذي هو مضمون الكتاب الذي أنزله الله عليه وهو الإنجيل. ولكن أتباع هذا الدين نسوا حظاً مما ذكروا به، فلم يحافظوا على كتابهم المترل، وتناولوه بالتحريف والتبديل. فلم تعد كتبهم المقدسة لديهم معبرة عن الدين السماوي الذي أوحى الله به إلى عيسى عليه السلام ما ورد لفظ «النصارى» في الحديث الشريف في ما روى عن الرسول ﷺ قوله: «كل مولود يولد على الفطرة. فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» ونصري وناصرة، ونصورية قرية بالشام، والنصارى ينسبون إليها، والتنصر الدخول في النصرانية، ونصره جعله نصرانياً؛ ابن منظور، المصدر السابق ، و الصفحة نفسها ؛ بولس الفغالي و أنطوان عوكر ،**العهد الجديد** ،مؤسسة الدكاش للطباعة ،ط.1،الدكوانة،2003،ص.9؛ انظر عبد الرحمن عُطْبَة ،"**العلاقات المسيحية اليهودية والعلاقات المسيحية الإسلامية تاريخياً ولاهوتياً**"،مجلة التاريخ العربي ،ع. 39،المغرب، 2007 ، ص. 249.

(5) سورة النساء، الآية 157.

معاني الصليب لدى المسلمين أيضاً إشارة إلى قبلة النصارى.[1]

2 ـ **اصطلاحاً**:استخدم مصطلح الحملة الصليبية في أواخر القرن الثاني عشر ميلادي حيث ظهرت الكلمة اللاتينية crusesignati ، و معناها الموسوم بالصليب المشتقة من كلمة"كروس"cross ، ومعناها "صليب"لأنهم كانوا يخيطون صلبان القماش على ستراتهم ، ومنها اشتقت إلى اللغات الأوربية الأخرى خلال القرن الثامن عشر[2] .

ربما لم يعرف التاريخُ الإنساني ظاهرة تاريخية حملت مصطلحًا مناقضًا لحقيقتها مثل" الحركة الصليبية"، هذا المصطلح المُربِك المضلل كان نتاجَ عدد من التطورات التاريخية، والمفارقات المدهشة في التاريخ الأوروبي ،والتاريخ العربي على حدٍّ سواء، وكانت الدعوة التي وجهها البابا بشنِّ حملة تحت راية الصليب ضد المسلمين... إذْنَ الدُّخول إلى رحاب التاريخ[3] ،ومِنْ ثَمَّ يفضل الدكتور عبدالوهاب المسيري استخدامَ مصطلح" فرنجة "بَدَلاً من" الصَّليبيين"، ويستعمل مصطلح" صليبيين "أحيانًا للإشارة إلى" الحملات الصليبية "التي جرَّدتها الكنيسة ضد ما يُسمَّى في الخطاب الكنسي" الهرطقات"، وهي كل ما خالف تعاليم الكنيسة، وقد شاعت الهرطقات المختلفة داخل أوروبا النصرانية قُبَيْلَ الحملات العسكرية على الشرق الإسلامي، وهذه الحملات كانت الأَوْلَى بالتسمية؛ لأنها قامت للكنيسة والسُّلطة النصرانية ضد من يُخالفها دينيًّا[4] ، ومَن كتبوا عنها كابن القلانسي، و ابن الأثير، و ابن النديم، و ابن واصل، و ابن شداد، و العماد الأصفهاني، و المقريزي، و القلقشندي... وغيرهم خلق كثير[5] .

وهذا المصطلح" حملات الفرنجة "متداولٌ في المصادر الإسلامية القديمة التي وثَّقت تاريخ الشام و مصر فهي تعني مراحل عدة من التنافس والصراع بين المسلمين و النصارى، أو صراع بين حضارتين مختلفتين في أصولها وأعرافها وشعوبها، أي بين الشرق والغرب[6] .

وقد تعددت الآراء بشأن تحديد مفهوم مضبوط ودقيق، ويبدو أن ذلك كان راجعاً إلى طبيعة المعالجات البحثية لهذا الحدث التاريخي، فأصحاب الرأي القائل بأنه صراع حضاري بين الشرق والغرب، استندوا على التنافس بين الفرس و الروم، ولكن البعد الزمني بين الحقبة التاريخية والحقبة التي قامت فيها الحروب

---

(1) ابن منظور، المصدر السابق .

(2) محمد قاسم محمد ، **ماهية الحروب الصليبية** ،سلسلة عالم المعرفة ،ع. 149، الكويت،ماي 1990، ص.9 ؛محمود سعيد عمران ، **تاريخ الحروب الصليبية** ، دار المعرفة الجامعية ،مصر، 2000 ، ص.17 ؛ Alan.V.Murray,The Crusade an Encyclopedia, ABC-CLIO ,2006,Volume 1,pp.31,31.

(3) محمد قاسم محمد ، نفسه، ص.7.

(4) ورد تسمية الحملات الصليبية بالفرنجية، والغزاة بالفرنج في المصادر العربية المعاصرة لها ؛ عبدالوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ج.16، دار الشروق ،د ط ،بيروت، د.ت، ص.319؛ محمد قاسم محمد، نفسه ، ص.8 .

(5) عبدالوهاب المسيري، نفسه، ص.321 .

(6) جوزيف نسيم يوسف ، **الإسلام و المسيحية** ، دار الفكر الجامعي ، ط.1، الازاريطة،1986 ، ص.96 .

الصليبية، ولاختلاف المبادئ والأهداف التي قامت من اجلها، أضف إلى ذلك أن الديانة الوثنية كانت تسود العالم القديم، الذي سبق ظهور الديانة المسيحية، يضعف هذا الرأي، في حين فسر بعضهم الحروب الصليبية، على أنها واحدة من الهجرات البشرية الكبيرة، التي نجمت عن سقوط الإمبراطورية الرومانية في عام476 م [(1)].

وكان من نتائج هذا الحدث، فقدان السلطة المركزية القوية القادرة على كبح جماح الصراعات القبلية والعشائرية ،والصمود أمام الغزوات الخارجية من القبائل الجرمانية[(2)] الأمر الذي أدى إلى فوضى كبيرة ،وبخاصة لمواطني الإمبراطورية الذين أصبحوا تحت تسلط القبائل الغازية، فأسهم ذلك في قيام مجتمع بديل امتزجت فيه العناصر الجرمانية بالرومانية، وكانت السلطة قد تحولت إلى أيدي الجرمان بدلاً من الرومان [(3)]،والذي يمعن في تاريخ هذه الفترة يجد بروز قوى جديدة أمثال الوندال الذين استحوذوا على شمال أفريقيا،وصاروا قوى بحرية كبيرة، حتى أنهم كانوا قد استباحوا روما نفسها عام455 م، وذلك دليل على فقدان النفوذ السياسي ،والحربي لهذه الإمبراطورية،وأصبحت إيطاليا ذات دور ملموس بفعل القوى العسكرية الجرمانية،التي تحكمت بمصير الأباطرة،ومن هنا يمكن القول أن الإيطاليين وجدوا في البابوية الزعامة الوحيدة لقيادتهم،وصار الإمبراطور الغربي مجرداً من السلطة،وذلك بفعل تنامي دور البابوية وسيطرت القوى الجرمانية في شمال أفريقيا،وصقلية،وجنوب إيطاليا،واسبانيا، ونجح الوندال ،و القوط الغربيون [(4)] من إقامة دولة قوية استحوذت على اسبانيا وشمال أفريقيا، ومن ثم دولة الفرنجة[(5)].

كل ذلك أدى إلى قيام قوى حاكمة أدت دوراً في التصدي لعملية التوسع الإسلامي فيما بعد، بخاصة بعد أن اعتنق الجرمان المسيحية ،وصاروا من الأدوات المهمة التي اعتمدت عليها البابوية في مجابهة المسلمين، أما الرأي الثالث، فقد ربط بين عملية الإصلاح الديني " حركة الإصلاح الكلونية[(6)]، ومحاولة الكنيسة العودة

---

(1) محمد سعيد عمران ، المرجع السابق ، ص .18.

(2) اسم الجرمان نسبة إلى المنطقة التي يقطنها و تعني الأراضي الموجودة فيما وراء الراين أطلقها الرومان على سكانها لإثارة الرعب و الفزع لأنه أول عنصر عبر النهر و وداهم الغاليين للمزيد؛ انظر: إبراهيم علي الطرخان، **دولة القوط الغربيين** ، دط، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1958 ،ص.13.

(3) سعيد عبد الفتاح عاشور ، **الحركة الصليبية** ، مكتبة الانجلو المصرية، ط.2 ، القاهرة،1981،ج.1 ،ص.16 .

(4) إن الموطن الأصلي لقبائل الجرمان الشرقيين هو شبة الجزيرة الاسكندناوة جنوب السيد ،ثم عبروا إلى الساحل الأوربي، وفي مطلع القرن الثالث الميلادي انقسم القوط إلى فرعين شرقي و غربي حيث استقر القوط الغربيون في غرب نهر دنيسة ،و هناك من يربط الاسم بأبعاد معنوية مثل اللامعين و العقلاء و الراشدين شكل القوط إمبراطورية واسعة الأرجاء خلال القرن الرابع الميلادي ،و انتشرت المسيحية بين القوط الغربيين خلال نقس القرن ؛ انظر : إبراهيم علي الطرخان، نفسه ، ص.33 و ما بعدها .

(5) سعيد عبد الفتاح عاشور ، نفسه ، ج.1، ص.22.

(6) وهي حركة إحياء دينية بدأت عام 910م في مدينة كلوني بفرنسا، وأكّدت إلى تَفوُّق سلطة الكنيسة على السلطة الدُّنيوية، وكان تهدف في أول الأمر إلى نشر العفة و التقوى و النظام في الأديرة ،ثم اتسعت الحركة الإصلاحية ،وذلك أن لويس التاسع (1048-1054)نظر إلى البابوية على أنها هيئة عالمية ذات سلطان مطلق و تفويض الهي بالرقابة الروحية ،ورأى البابا جريجوري

=

إلى هيمنتها على كل الكنائس الغربية، ووضع السلطة الدنيوية السياسية،التي كانت بيد الملوك تحت تصرفها،وهذا لاّ يتم إلا بتوحيد كلمة النصارى في مشروع كبير تقوده الكنيسة، وتبنت الأخيرة على هذا الأساس الدعوة إلى الحروب الصليبية[1] .

وعمد النصارى المتعصبون إلى الربط بين فكرة الحج الجماعي والسيطرة على الأماكن المقدسة،بذريعة القهر الذي مارسه السلاجقة [2] (من وجهة نظرهم) ضد الحجاج النصارى،بعد سيطرتهم على بيت المقدس في عام 464هـ/1071م،ومن بعدها على إنطاكية سنة 478هـ/1085م،وطردهم البيزنطيين منها،مما حفزهم على استعمال القوة لتحجيم القوة السلجوقية الإسلامية التي هددتهم[3] .

وأخيراً رأى قسم آخر في الحروب الصليبية، محاولة من لدن الغربيين في أوربا، للتخلص من قيود الكنيسة، وتحسين أوضاعهم الاقتصادية، ووجدوا في حرب تعدها البابوية، وسيلة مناسبة ووحيدة، كانت تحقق لهم غاياتهم[4] ، و هناك تعريف آخر حيث هي حروبٌ كانت تُساندها حركةٌ سياسية واجتماعية ضخمة قادتها النُّخبة الحاكمة(الكنيسة والنبلاء)،ووجدت صدًى عميقًا لدى الجماهير الشعبية التي انضمَّت إليها بأعداد ضخمة، لم تضعها النخبة الحاكمة نفسُها في الحسبان[5] .

لكن الحروب الصليبية في حقيقتها ابعد من مجرد الآراء التي ذكرت سابقاً، إذ هي مشاريع استعمارية واسعة ضد العالم الإسلامي، جمعت النصارى فيها دوافع عدة، ودخلت البابوية بتأثيرها الكبير على الحكام الأوربيين عاملاً مهماً في إعطائها تأثيراً اكبر، وقوة اندفاع اشد، إذ بدأت الحروب في الغرب الإسلامي – الأندلس وصقلية وشمال أفريقيا – بشكل مبكر، قبل تحولها إلى الشرق الإسلامي في الشام و مصر،

=

السابع الذي ولى البابوية سنة 1073م أن العالم بأسره دولة مسيحية واحدة يسيطر عليها البابا له العصمة وهو الذي يخلع المسيئين من الحكام و نادى إلى انشاء قوة حربية خاضعة لسلطان الكنيسة الكاثوليكية ؛و هذا البابا هو الذي رأى ضرورة امتداد الحرب ضد المسلمين في الشرق؛ انظر: ارنست باركر ،**الحروب الصليبية** ،ترجمة السيد الباز العريني ، ،ط.2، دار النهضة العربية ،بيروت ،دت،ص.9 ؛سعيد عبد الفتاح عاشور، نفسه،ج.1، ص. 20.

(1) محمد مؤنس عوض،**الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق و الغرب**، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ،ط.1 ،عين شمس، 1999،ص.21؛سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق،ص.24.

(2) أن الادِّعاء بتخريب الكنائس وهدم الأديرة أو مُصادرتها لم يقم عليه دليلٌ، وإنَّما هي شائعات ربَّما أدى إليه تصرف بعينه في قرية بعينها، لا يمكن بحال من الأحوال أنْ يُعَدَّ هو الأصل في معاملة المسلمين للمسيحيين وكنائسهم في البلاد الإسلامية، ويقرر أكثر من مؤرخ أن النصارى الذين خضعوا لحكم السلاجقة، كانوا أسعدَ حالاً من إخوانهم الذين عاشوا في قلب الإمبراطورية البيزنطية ذاتها، وما وجد أي دليل على اضطهاد السلاجقة للنصارى في المشرق ؛نفسه ، ص.29 ؛و للمزيد ايضا: أحمد شلبي، **التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، ط.1 ،القاهرة ، 1963، ج.5، ص.438.

(3)سعيد عبد الفتاح عاشور،المرجع السابق، ص.30.

(4) محمد سعيد عمران ، المرجع السابق، ص.14 .

(5) عبدالوهاب المسيري، المرجع السابق ، ج.16، ص. 320.

واستطاعت إحراز تقدم مهم على حساب المسلمين، وهدفت إلى طردهم من الأماكن التي فتحوها هناك[1]،حيث أدى التوسع الإسلامي دوراً مهماً في الدعوة إلى وحدة النصارى، من اجل التصدي للمسلمين، وأسهمت العلاقات الدولية، وبخاصة أبان حركة الفتوح الإسلامية في تبلور الدعوة إلى ما عرف فيما بعد بـ " الحروب الصليبية "

3-الإطار التاريخي للحروب الصليبية :

درج معظم المؤرخين على اعتبار أول العقد الأخير من القرن الخامس الهجري أو آخر القرن الحادي عشر الميلادي هو بداية تاريخ الحروب الصليبية في المشرق العربي في حين أنها في حقيقة الأمر قد ابتدأت في المغرب العربي (في الأندلس) قبل ذلك في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة(478هـ /1086م) ".. بظهور دولة الفرنج واشتداد أمرهم وخروجهم إلى بلاد الإسلام ، واستيلائهم على بعضها ، فملكوا مدينة طليطلة وغيرها .."كما يذكر ابن الأثير [2]،وذلك على يد الفونسو السادس AL Fonso VI ملك قشتالة ، وقد استمرت الحروب حتى سقوط غرناطة آخر معقل للعرب في اسبانيا سنة 898 هـ / 1492م في يد فرديناند ملك أرغون و إيزابيلا ملكة قشتالة [3].

اشتهر من الحملات الصليبية (ثمان حملات) اتجهت أربع منها نحو بلاد الشام وهي (الأولى : 1095 – 1099م ، الثانية : 1146 – 1148م ، الثالثة : 1189 – 1192م موقعة حطين بقيادة صلاح الدين ، والسادسة) واثنتان إلى مصر (الخامسة : 1217 – 1221م والسابعة :647هـ/ 1248 –1254م) والرابعة إلى القسطنطينية : 1202 – 1204م والثامنة نزلت شمالي أفريقيا بتونس [4].

المبحث الثاني: النظرة المتبادلة بين المسلمين و المسيحيين

أولا- نظرة الغرب المسيحي للإسلام و المسلمين:

بعد اعتناق الدولة الرومانية للمسيحية [5]في أوائل القرن الرابع الميلادي في عهد الإمبراطور قسطنطين قسطنطين الكبير (305-337)[6] سمع المسيحيون بالسراسنة [7] المقصود بهم العرب،وذلك قبل الإسلام

(1) سعيد عبد الفتاح عاشور، **أضواء جديدة على الحروب الصليبية** ،دار القلم ،دط،القاهرة،أكتوبر، 1964 ،ص.22.

(2) ابن الأثير ،المصدر السابق ، ج.10 ، ص.142 - 172 هنا و هناك .

(3) حسين عبدالله العمري،" **الحروب الصليبية وأثرها التاريخي في تشويه صورة الإسلام**"،صحيفة 26سبتمبر،ع.1437 ،اليمن ،2003،ص.14.

(4) فيشر، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، ترجمة محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني،دار المعارف، ط.4، القاهرة 1966م، ج.1،ص. 171-175.

(5) قبيل البعثة المحمدية خبا ضوء الطهر و الزهد من المسيحية بما دخل عليها من خرافات وأباطيل حتى أصبحت ديانة وثنية، للمزيد انظر،احمد شلبي ، **موسوعة الحضارة الإسلامية** ،مكتبة النهضة المصرية ،ط.8 ، القاهرة، 1994م ، ج.6 ،ص.24 .

(6) جوزيف نسيم ، المرجع السابق ، ص.86.

(7)اشتقوا اسم السراسنة من سارة زوجة إبراهيم بالرغم من أنهم من سلالة هاجر التي طردت إلى الصحراء مع ابنها إسماعيل

=

بزمن طويل ،و عندما ظهر الإسلام ،ودان له العرب لم يكد احد يلحظ ذلك في بادئ الأمر ،ففي هذه الفترة كانت نظرة المسيحيين للمسلمين خلال هذا القرن تتلخص في أن السراسنة كانوا يحصلون بقوة القوس و النهب على ما يحتاجون إليه في الحياة ،و لم تتعد نظرتهم نحو الإسلام و المسلمين فوق هذا الحد اللهم إلا الجدل الذي كان قائما بين الباحثين حول اسمهم [(1)].

إثر نجاح الإمبراطور هرقل (610-641)م في هزيمة الفرس و دخول عاصمتهم المدائن عام 628م جرى الاعتقاد بأن المواجهة الكبرى قد خلت و انتهت لمصلحة المسيحية ،و في أوائل القرن السابع الميلادي ظهرت قوة جديدة في الميدان بظهور الإسلام ،غير أن القبائل العربية في الشام التابعة للنفوذ السياسي البيزنطي ساهمت في رصد بروز دين جديد في جزيرة العرب ،و سوفت لفكرة مؤداها أن هذا الدين الجديد ما هو إلا دين مزيف تم انتحال سفائره من كتابات العهدين القديم و الجديد ،و يعبر عن هرطقة مسيحية جديدة [(2)].

و يشير البيزنطيون إلى النبي محمد صلى الله عليه و سلم في العام 634م بوصفه نبيا مزيفا يدعو إلى إراقة دماء البشر و محاجمة المسيحيين ملمحين إلى انه لم يسبق أن أرسل نبي من قبل "...في يده سيف يعتلي عجلة حربية ..." و أن عقيدته عبارة عن ثورة العناصر البدوية ضد حياة المدن المترفة [(3)].

وعندما فتح المسلمون بلاد الشام في الأعوام (636-637)م ،صاغ رجال الدين و المؤرخون البيزنطيون فكرة سلبية عن الإسلام ،ووضعوا صورة وحشية عن المسلمين ،حيث صوروه شخص يمجد عمليات القتل التي أمر بها نبيه المزيف الذي يسوغ فكرة أن من يقتل عدوه المسيحي أو الوثني يدخل الجنة،و بالمقابل فقد سجل التاريخ مواقف ايجابية للمسيحيين عن الدين الإسلامي فقد جاء في الكتب السماوية أن الإنسانية ستعرف خاتم النبيين بل و حملت اسمه و أوصافه ،و يستدل بذلك من قيام الراهب بَحيرا لأبي طالب عم

=

جوزيف شاخت ،وآخرون ،" **تراث الإسلام** "، عالم المعرفة ع.11،الكويت ،ماي 1998،ج.1، ص.30.

(1)نفسه ، ص.30؛ حاتم الطحاوي ، "**الإسلام و أوربا** "،جريدة الحياة ،لبنان ، 2004/7/3 ، ص.17.

(2) نورمان كارتون ، **التاريخ الوسيط ،قصة حضارة** ، ترجمة قاسم عبده قاسم ،عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، ط.5،عين شمس،1998 ،ص .198 ؛حاتم الطحاوي ،نفسه ؛ و مما يدل على أن قبائل الشام تكن عداء لدعوة الرسول إقدام على ذبح الحارث بن عمير الازدي ،الذي حمل كتاب من النبي إلى ملك الغساسنة ذلك الحادث فجر الصراع مع الدولة الرومانية الشرقية ؛انظر كذلك :عبد العظيم رمضان ،**الصراع بين العرب و أوربا** ، دار المعارف،دط، القاهرة، 1983،ص.309.

(3) عبد الرحمن احمد سالم ،**المسلمون و الروم في عصر النبوة** ،دار الفكر العربي ،دط،القاهرة،1997،ص.69؛ David R. Blanks and Michael Frassetto , Western views of Islam in medieval and early modern Europe : perception of other , St. Martin's Press , New York , 1999 , p.120.

الرسول ﷺ في تجارته إلى الشام، والرسول صغير، تنبيهَهُ إلى المخاوف من غدر اليهود بابن أخيه، وبعدها، وبعد إعلان الرسالة، هناك مواقف البر والعدل من النجاشي للمسلمين في هجرتَي الحبشة، وهناك أيضاً المعاملة الكريمة من ملوك النصارى في الجوار للرسل الذين بعث بهم الرسول ﷺ إلى هؤلاء الملوك يحملون إليهم رسائله، وهم النجاشي في الحبشة و المقوقس في مصر، و هرقل في بلاد الروم [(1)] .

و بعد نجاح الفتوحات الإسلامية في بلاد الشام و مصر و المغرب و افريقية ساهم رجال الفكر في بيزنطة و أوربا في تشويه صورة الإسلام و المسلمين بوصمهم بالبربرية و الوحشية ،بل اعتبروا أن نجاح المسلمين ماهو إلا غضب الرب ،و هو ما يظهر في كتابات البطريك صفرونيوس و ثيوفانس [(2)] ،و المؤرخ الغالي الكاثوليكي فريدجاريوس ،و على أية حال نجح الخطاب السياسي و الديني البيزنطي في إنتاج صورة سلبية عن عدو و حشي و بربري ذي قسمات صارمة و حادة و مدببة لرجال شعث غبر يمتهنون إراقة الدماء،وبعد فتح الأندلس زاد عمق الأخدود بين أوربا المسيحية و الإسلام و دبجت كتابات عدة في الغرب عن الأعداء ،و أهم تلك الكتابات ما سطره المؤرخ الانكليزي بيديد (673-735)م إذ ساهم في تكريس وصف المسلمين الأعداء الوثنيين الذين يجب محاربتهم لأنهم يكنون كراهية للرب المسيحي [(3)] ، صورت أغاني الملاحم المسلمين كوثنيين ، ووسمتهم ملحمة رولاند بالعديد من الأوصاف السلبية كالخداع والتضحية بأبنائهم من اجل الإطاحة بشارلمان ، وأنهم يقاتلون من اجل الثروة و الأرض و النساء ، وأنهم يحطمون أصنامهم الخاصة عندما يخسرون المعركة كما أنهم أصل كل الشرور. [(4)]

وكتب الأديب جورج برنارد شو (لقد عمد رجال الاكليروس-رجال الدين-في العصور الوسطى على تصوير الإسلام في أحلك الألوان وذلك بسبب التعصب الذميم والواقع أنهم كانوا يسرفون في كراهية محمد وكراهية دينه ويعدونه خصما للمسيح أما أنا فأرى واجبا أن يدعي محمد منقذ الإنسانية ...) [(5)].

خلال القرنين الثاني عشر و الثالث عشر الميلاديين تنامت النظرة العدائية للمسلمين في إطار الحروب الصليبية التي دعا إليها البابا أوربان الثاني في مجمع كليرمونت بفرنسا 1095م إذ قام بشحن الأوربيين ضد الإسلام بوصفهم الجنس الوثني الشرير [(6)] ، وصف Chronicles of the Archbishops of Salzburg وفي تأريخ أساقفة سالزبورغ رئيس الأسقفية المدعو تيمو tiemo الذي مات سنة 1101 المسلمين بأنهم أكثر

---

(1) عبد الرحمن عُطْبَة، المرجع السابق ،ص. 241 .

(2) حاتم الطحاوي ، المرجع السابق ، ص.10.

(3)Henry Lorens,l'europe et l'islam quinze Siécles d'histoire , Odile Jacob Press , Paris , 2009 , p.37 .

(4)David R. Blanks and Michael Frassetto , op.cit , pp.56-57.

(5) ادوار غالي الدهبي ، **معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي** ، مكتبة غريب ، ط.1 ،القاهرة،1993 ، ص.37.

(6)حاتم الطحاوي ، نفسه ، ص.10.

وثنية من الإمبراطور البيزنطي Decius ويمدنسي المقدسات ، هذا الوصف يعطينا صورة واضحة عن أعداء الصليبيين بمنظور مؤرخي الحملة الصليبية الأولى الذين أشاروا من حين لآخر إلى خصومهم المسلمين بالعبارة اللاتينية "Mahummicolae" ،وتعني (عبدة محمد) ،واغلب مؤرخي القرن الثاني عشر من اللاتين يربطون وصف المسلمين مع الكفاح القديم بين المسيحية و الوثنية [1].

هناك شهادة وردت في الموسوعة التاريخية لكامبردج عن العصور الوسطى جاء فيها ((نظرت العصور الوسطى إلى القطيعة بين أوربا المسيحية و الشرق الإسلامي من زاوية واحدة ،تعبر وجهة نظر كنيسة استهدفت حجب الحقيقة التاريخية و إسدال ستار مظلم عليها .....خرجت جموع العرب تحت تأثير الحماسة التي بعثها فيهم نبيهم لينقضوا على الشعوب المسيحية ،و يفرضوا عليها الدخول في الإسلام بحد السيف ، وهكذا انفرط عقد الحضارة القديمة ،وتمزقت إربا ،و حلت حضارة جديدة تعهدها العرب محل الحضارة المسيحية السابقة ،وبذلك وقفت البلاد الشرقية و الغربية على طرفي نقيض وجها لوجه .....))[2].

ثانيا-<u>نظرة الإسلام والمسلمين للمسيحيين</u> :

ندد القرآن بما تعرض له النصارى من أتباع المسيح عليه السلام من تصفية جسدية في قصة أصحاب الأخدود ،و التي سجلت أحداثها سورة البروج ،لذلك فان مسامحة محمد صلى الله عليه و سلم [3]،لأهل الكتاب فقد كانت عظيمة إلى الغاية و سار على نسقه خلفاؤه[4].

إن التقارب مع أهل الكتاب[5] يفسر التعاطف بين المسلمين و الروم ،فقد روى عن ابن مسعود قال: قال: «كان فارس ظاهرين على الروم، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم، وكان المسلمون

---

(1)David R. Blanks and Michael Frassetto , Ibid , pp.97-98 .

(2) سعيد عبد الفتاح عاشور ،**بحوث في تاريخ الإسلام و حضارته** ،عالم الكتب ،ط.1، القاهرة، 1987 ،ص.20 .

(3) حيث رفض النصارى تبديل دينهم، واعتناق اليهودية، واختاروا القتل حرقاً على تبديل دينهم، فحفرت لهم الأخاديد في الأرض وأضرمت فيها النيران، وسيق الشعب المؤمن إلى النار فألقي فيها مكبلاً مقهوراً؛ ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل) ، البداية والنهاية،تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، مكتبة المعارف، ط.2، بيروت، 1411 هـ/ 1990 م، ج. 2، ص. 129 – 132وهنا وهناك.

(4) غوستاف لوبون، **حضارة العرب** ،ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية،ط.2، القاهرة، 1367هـ/1948م، ص. ص. 183.

(5) المراد بـ«أهل الكتاب» أهل العلم الأول، وهذا المصطلح يحمل في طياته معنى كريماً، حيث يشير إلى تخصص جماعة من الناس بالمعرفة الربانية دون سواهم، والكتاب المقصود به: التوراة المنزلة على موسى عليه السلام، وهي العهد القديم، والإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام، وهو العهد الجديد، وأهل الكتاب صنفان: اليهود والنصارى، وعنهم قال تعالى: ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾ سورة المائدة، الآية 82؛محمد رفعت زنجبير ، <u>"**العلاقات التاريخية و الإستراتيجية بين الإسلام و المسيحية**"</u> ، مجلة التاريخ العربي، ع. 34 ،المغرب، 2005 ،ص.54 .

يحبون أن تظهر الروم على فارس، لأنهم أهل كتاب، وهم أقرب إلى دينهم...»[1] هذا ،وقد أثنى الله سبحانه على موقف النصارى من الدعوة، وبيّن أنهم أقرب الناس إلى الإسلام، حين قال تعالى:﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاس عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا اليهود والَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[2]،فالناس أحرار في أديانهم ومعتقداتهم حسب تصور الشريعة الإسلامية التي لا ترى وصاية على عقول الناس ومعتقداتهم، فلا إكراه في الدين قال تعالى:﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾[3].

كان وجود النصارى بين المسلمين سبباً لظهور مبادئ التسامح الذي لم يكن معروفاً في أوربا في العصور الوسطى ،وقد حرم الإسلام شتمهم أو شتم دينهم، أو تسميعهم ما يكرهون، وحرم سفك دمائهم، وسمح بزيارتهم، وبدخولهم المساجد،وبصلاة المسلمين في الكنائس، وبلبس ملابسهم، وعيادة مرضاهم، والاستعانة بهم في الشدائد عند الضرورة،وبالتبادل التجاري معهم،والزواج من نسائهم،... إلخ ،وقد كان لأهل الذمة[4] مكانتهم الرفيعة في الدولة الإسلامية ، «ولم يكن في التشريع الإسلامي ما يغلق دون أهل الذمة أي باب من أبواب الأعمال»[5].

ويكفي أن نذكر هنا بأن أطباء الرشيد كانوا من النصارى، ومنهم: بختيشوع بن جيورجيس، ويوحنا بن ماسويه النصراني وعلى العموم، «كان رئيس النصارى ببغداد هو طبيب الخليفة، وكان رؤساء اليهود جهابذتهم عنده»وقد ولي النصارى مناصب وزارية في العصر العباسي. وكان للمتقي (940 - 944م) وزير نصراني، أما المعتضد (893 - 902 م)، فقد جعل على المكتب الحربي لجيش المسلمين رئيساً نصرانياً، وقد نال أمثال هؤلاء النصارى من أصحاب المناصب العالية ما ناله زملاؤهم المسلمون من الإكرام والتبجيل،وكانت للنصارى حرماتهم تماماً كالمسلمين؛ فلا يجوز الاعتداء على أرواحهم وأموالهم. يقول آدم متز: «أما حياة الذمي، فإنها عند أبي حنيفة وابن حنبل تكافئ حياة المسلم، وديته دية المسلم. وهي مسألة مهمة جداً من حيث المبدأ»[6].

(1) نفسه ،ص.57.

(2) سورة المائدة، الآية82.

(3) سورة البقرة ، الآية256.

(4) الذمة: معناها العهد، وهو لفظ قد يطلق على كل من له عهد. يذكر ابن كثير أنه «في سنة إحدى عشرة أمر المأمون بأن ينادى: برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير، وإن أفضل الخلق بعد رسول الله علي بن أبي طالب»انظر السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمّد) ، **تاريخ الخلفاء**، تح إبراهيم صالح، دار صادر، ط. 1،بيروت، 1417 هـ/ 1997 م، ص. 364.

(5) آدم متز، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريد ، دار الكتاب العربي ، ط. 5 ، بيروت، 1957، ج.1،ص. 86 .

(6)آدم متز ،نفسه ،ج.1، ص.87؛ رفعت زنجير،المرجع السابق،ص.59.

كانت الدولة تخفف عنهم الضرائب وتضع الجزية عن الضعفاء منهم. ففي «عام 366 هـ/ 976 م صدر أمر الخليفة الطائع بأن تؤخذ الجزية من أهل الذمة في المحرم من كل سنة بحسب منازلهم، وألا تؤخذ من النساء، ولا ممن لم يبلغ الحلم، ولا من ذي السن العالية، ولا ذي عاهة بادية، ولا من فقير معدم، ولا من راهب متبتل» [(1)]، وكانت الدولة العباسية تجل النصارى «وقد نشر أخيراً براءة منحها المكتفي سنة 1138 م لحماية النساطرة، وهي توضح مدى العلاقات الودية بين رجال الإسلام الرسميين، وبين رجال النصرانية» [(2)] وقد دفع احتفال المسلمين بأعياد النصارى الإمام ابن تيمية في وقت متأخر إلى وضع كتابه "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم"، مما يدل على إفراط المسلمين في الاحتفال بأعياد النصارى حتى كادت الهوية الإسلامية أن تتلاشى [(3)]،وهذا يعني أن النصارى في الدولة الإسلامية كانت لهم كرامتهم وحقوقهم تماماً كالمسلمين بلا تمييز ولا تفرقة، فالجميع سواء في ظل المجتمع الإسلامي الذي تحكمه شريعة العدل بين الناس.

وقد أشادت زيغريد هونكه بموقف الإسلام من النصارى حين قالت:إن التسامح العربي العريق هو الذي حمل فاتح مصر القائد عمرو بن العاص على تحاشي أي أعمال سلب أو نهب أو تدمير للمدن المفتوحة، بل آلى على نفسه المحافظة على ضمان ممارسة حضارتهم المتوارثة، كما جاء في وثيقة الاستسلام المبرمة حرفياً. وللوقوف على البعد الحقيقي لهذا التسامح غير المعهود في أوربا ،و يثبت التاريخ أن المسيحيين عاشوا دائما في كنف الدولة الإسلامية عيشة هادئة هانئة تشهد عليها الرسالة التي بعث بها ثيودسيوس بطريرك بيت المقدس إلى زميله اجناتيوس و التي امتدح فيها المسلمين و أثنى على قلوبهم الرحيمة و تسامحهم المطلق حتى أنهم سمحوا للمسيحيين ببناء مزيد من الكنائس دون أي تدخل في شؤونهم الخاصة و ذكر بطريرك بيت المقدس بالحرف الواحد في رسالته أن المسلمين قوم عادلون و نحن لا نلقى منهم أي أذى أو تعنت [(4)].

كان الإسلام أكثر تسامحاً مع النصارى من تسامح بعضهم مع بعض، يقول آدم متز: «على أن الكنيسة الرسمية في الدولة الرومانية الشرقية قد ذهبت في معاداتها للمسيحيين الذين يخالفون رجالها في التفكير أبعد مما ذهب إليه الإسلام بالنسبة لأهل الذمة» [(5)]،وقد بدأ التسامح من عهد النبي عليه السلام، واستمر هذا الخلق الإسلامي الكريم عند ملوك المسلمين وخلفائهم، يقول غوستاف لوبون في حديثه عن نتائج الحروب الصليبية: «ولم يشأ صلاح الدين أن يفعل في الصليبيين مثل ما فعله الصليبيون الأولون من ضروب التوحش، فيبيد النصارى على بكرة أبيهم، فقد اكتفى بفرض جزية طفيفة عليهم، مانعاً سلب شيء

(1) آدم متز ،المرجع السابق، ج.1، ص.80.

(2) نفسه ، ج. 1، ص ص. 69 ، 70.

(3) محمد رفعت زنجبير ، المرجع السابق ،ص.68 .

(4) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية ،ج.1،ص. 29.

(5)آدم متز ،نفسه، ج.1، ص.91.

منهم»[1]،وهذا الخلق الإسلامي الرفيع كان موجوداً في اسبانيا و صقلية أيضاً[2]، إذ نشروا فيهما العدل والتسامح الديني وتعد كنائس النصارى الكثيرة التي بنوها أيام الحكم العربي من الأدلة على احترام المسلمين لمعتقدات الأمم التي خضعت لسلطانهم، وأسلم كثير من النصارى، لأنهم اقتنعوا بعدالة و تسامح الإسلام، وهم الذين استعربوا، فغدوا هم واليهود مساوين للمسلمين، بإمكانهم تقلد مناصب الدولة، فقد دهش الاسبان عندما استعادوا طليطلة ،و كذلك النورمان[3] عندما استعادوا صقلية لأنهم وجدوا الكنائس المسيحية لم يمسها سوء كما وجدوا رجال الدين المسيحي يقومون بالشعائر الدينية دون تدخل أو إزعاج[4].

---

(1) والدور الذي لعبه الأقباط بزعامة البطرك بنيامين في الحملة البزنطية على مصرسنة25هـ /645م لطرد العرب المسلمين من مصر إذ وقفوا صفا واحدا مع المسلمين ؛انظر :ادوار غالي الدهبي، المرجع السابق ،ص. 142؛ غوستاف لوبون، المرجع السابق، ص. 329.

(2) بلغ حلم عرب الأندلس نحو الآهلين ،فقد كانوا يسمحوا لأساقفتهم أن يعقدوا مؤتمراتهم الدينية ،كمؤتمر اشبيلية الذي عقد 782م،و مؤتمر قرطبة 852م ، وتعد كنائس النصارى الكثيرة التي بنوها أيام الحكم العربي من الأدلة على احترام العرب لمعتقدات الأمم التي خضعت لسلطاتهم .انظر: توفيق سلطان اليوزبكي ،"**اثر الحضارة العربية في أوربا**"، مجلة آداب الرافدين ،بغداد ،ع.13 ، 2003 ، ص.6.

(3) النورمان في المصادر التاريخية الحديثة باللغة الأنجليزية باسم Vikings أو Norsemen؛ كما يعرفون بالإسبانية باسم Vikingos أو Normandos وهم سكان البلاد الإسكندنافية في شمال أوروبا، وهي الدانمارك ، واسكتلندا،وانجلترا. ومعظمهم كانوا من شبه جزيرة جونلاند وشواطئ انجلترا وشبه جزيرة السويد والنرويج، ولم يكونوا قد تحضروا بعد وقد أطلق عليهم المؤرخون والجغرافيون المسلمون، ولا سيما الأندلسيون، اصطلاح «المجوس» وقد ترجع تسمية النورمانيين بهذه التسمية (المجوس)، لأنهم عندما عرفهم العرب لأول مرة لم يكونوا نصارى، ولذلك أطلقوا عليهم اسم «المجوس»، أي الوثنيين ويرجع النورمان أو النورمانديون إلى أصل جرماني. ويتكوّن شعبهم من ثلاث مجموعات هي السويديون والنرويجيون والدنمرك وقد تمرس هؤلاء النورمان منذ القديم في ركوب البحار ومقارعة الأهوال، حيث كانت لهم السيادة والسلطة على البحار الشمالية منذ بداية العصور الوسطى وقد مكنتهم جرأتهم من خوض غمار البحار الشمالية والتغلب على ما يصادفهم من معوقات كقسوة الجليد، وأخطار الأمواج العاتية. وهؤلاء النورمان هم مجموعة من الفايكينج أو النورسمن الإسكندنافيين.هم الذين يسمِّيهم اليوم نصارى قشتالة بالأنقليش؛ وأهل المشرق بالإفرنج وبالأنكَليز، ومستقر ملكهم بجزيرتين عظيمتين ذرع إحداهما سبعمائة ميل، وهم أهل ؛انظر: ليفي بروفنسال، **تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة.** 92 ــ 798 هـ/ 711 ــ 1039 م، المجلس الأعلى للثقافة، مدريد، 1967،ص.146؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ج .1، ص. 342؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج. 2، ص ص. 87 ، 88؛ سعيد عبد الفتاح عاشور و اسمنت غنيم ، **تاريخ أوروبا العصور الوسطى**، القاهرة، دار النهضة العربية، بيروت، 1976 ص. 192؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي ،ط.4،القاهرة، 1417هـ/1997م، العصر الأول ، ق.1 ، ص ص. 261 ، 262.

(4) عزيز سوريال عطية ، **الحروب الصليبية و تأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب** ، ترجمة فيليب صابر سيف، دار الثقافة ،ط.2، القاهرة ،دت،ص.28؛ حسين مؤنس ، **فجر الأندلس** ،دار المناهل،،ط.1،بيروت ،2002 ، ص.529؛ ليفي بروفنسال ،**حضارة العرب في الأندلس** ، ترجمة ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت ،دت، ص. 80.

اتسمت العلاقات الإسلامية المسيحية على مستوى العلاقات الدولية بأنها تمتاز بأنها علاقات تاريخية حضارية عميقة، إذ تقوم على جوانب إيجابية متعددة، وهي أساس الاستقرار لهذا العالم ،ولكن هذا لا يعني أنَّ هذه العلاقات لم تمر بأزمات متعددة، وتوتر أحياناً، ولابد لفهم هذه العلاقات من فهم قضية الجهاد في الإسلام أولاً[1]، وحقيقة الحروب التي خاضها المسلمون مع القوى المناهضة لدينهم خارج الجزيرة العربية، وحقيقة الحروب الصليبية والاستعمار ،وهذا ما يوضحه الشاعر الأمريكي رونالد راكويل بعد أن أشهر إسلامه (لقد راعنى حقا تلك السماحة التي يعامل بها الإسلام مخالفيه : سماحة في السلم و سماحة في الحرب و الجانب الإنساني في الإسلام واضح في كل وصاياه)[2]

المبحث الثالث: بلاد المغرب في ظل الصراع المسيحي المسيحي وموقف الأمازيغ منه،و أهميتها الإسلامية.

لعبت افريقية و المغرب في تلك الفترة دورا متعدد الجوانب دينيا و سياسيا و اقتصاديا و استراتيجيا، فقد استمدت بلاد افريقية أهميتها لعاملين أولها افريقية مجال للصراع الديني المسيحي ،ودورها في هذا الصراع[3]ثانيتها المكانة التي احتلتها الكنيسة الإفريقية بين الكنائس المسيحية[4].

1- أهمية المغرب بالنسبة للعالم المسيحي ومكانة الأمازيغ قبل الفتوحات :

دخلت المسيحية لبلاد المغرب خلال القرن الثاني فوجدت النفوس مهيأة لتقبلها لان الفلسفة كانت قد أعدتها ،و أهلتها لذلك لم يجد رهبان مصر و إيطاليا عناءا كبير لنشر المسيحية[5] ،و قد تعرض مسيحيو افريقية أثناء الفترة الأولى -التي حاربت فيها المسيحية- لصنوف عدة من الاضطهاد و من الضحايا الاضطهاد القديس سيبريانوس– saint cyprie –أسقف قرطاجةيوم14سبتمبر258[6]،ورغم ذلك فقد دخلت جموع كثير من أهل افريقية في النصرانية ،و مات منهم نفر كبير إلا أن الفترة اللاحقة لذلك شهدت نشاطا مكثفا للرهبان لأنّ الكنيسة نجحت في اجتذاب أهالي البلاد فيما عجز الحكام فيه ، ويذكر حسين مؤنس أن انتشار النصرانية من الساحل إلى أمازيغ الأوراس و نوميدية ،و إلى إقليم الزاب على وجه التحديد ، وفي الجانب

---

(1) الجهاد في سبيل الله هو عبارة عن حرب عادلة لإزالة الديكتاتوريات التي تحول دون الناس وبين حرية العقيدة، قال تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾ (سورة البقرة، الآية 256)،وليس الجهاد لإرغام الناس على الدخول في الإسلام. فالله تعالى هو المتكبر، وهو ملك الملوك، وقد دعا الناس إلى عبادته لما فيه مصلحتهم، والقرآن مأدبته في الأرض، فمن رفض الدعوة لا يقبل الله عمله ولا يجبره على اعتناقها ؛ محمد رفعت زنجبير ، المرجع السابق،ص.60.

(2) ادوار غالي الدهبي، المرجع السابق ، ص.39.

(3) حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص.52.

(4) ممدوح حسين و مصطفى شاكر، **الحروب الصليبية في شمال افريقية**،دار عمار ،ط.1 ،عمان،1998،ص.59 .

(5) حسين مؤنس، نفسه ،ص.60.

(6) ممدوح حسين و مصطفى شاكر،نفسه،ص. 58.

الآخر كثر انعقاد المجالس الدينية في قرطاجة ،فيجمع فيها الرهبان و الأساقفة يمثلون الرهبان و الأساقفة يمثلون بلادهم و نواحيهم [1] ،فمع أن المذهب الإثنا سيوسي (الكاثوليكي)[2]هو الذي كان سائدا في افريقية في هذه الفترة إلا انه تعرض لهزات قوية من الحركات المذهبية للمسيحية مثل المونتانية (Montanisme)[3] ،والماركونية(Marcionisme)[4]،والمانوية ،و منها ما ظهر في افريقية نفسها مثل الحركة الدوناتية (Donatisme)[5] ،وتفصيل ذلك أن أوضاع الدولة الرومانية تدهورت و كثرت مساوئها و ثقلت ضرائبها ما مما ساهم في بث الكراهية ضد الرومان فما إن شب الخلاف المذهبي بين دوناتوس و أسقف قرطاجة فر الأول إلى الأمازيغ اعتصم فيهم فآزروه و أجاروه ،و رفعوا علم الثورة على الرومان ثورة سياسية في الواقع دينية في الظاهر ،وفي الوقت حاولت كنيسة قرطاجة القضاء على الدوناتية برز خطر النورماند ماثلا[6] ،كما تعرضت للاضطهاد المرير الذي مارسه الوندال الذين اقبلوا في اضطهاد الدوناتيين ،و أعدائهم من مسيحيي الكاثوليك[7] أولا ثم البيزنطيين خلا القرن الخامس و السادس و السابع اثر الفتنة التي عرفت بالفصول الثلاثة الثلاثة trois chapitre في عهد جان تروجليتا الحاكم البيزنطي في المغرب وهذا الذي أدى إلى انشقاق الكنيسة الإفريقية عن بيزنطة[8] .

وقد توالت الصراعات المذهبية في القرن السابع و الأخير ، و كان آخر أزماتها الجديد القائل بالإرادة الواحدة للسيد المسيح ،وهو المذهب الذي عرف بالمونوثيلية Monothelism،وهذا الصراع أدى إلى ثورة الأهالي على الإمبراطور ،و إنكارهم لمذهب المونوثيلية ،و قد كان شخص يقود ثورة الأهالي و يحرضهم و يدعى

---

(1) حسين مؤنس ، المرجع السابق ،ص.64 .

(2) الاثناسيوس أو الثالوثيون يقوم على أساس عاطفي روحي؛ ممدوح حسين و مصطفى شاكر،نفسه،ص.59.

(3) أسس المونتانية ، منتانوس الفريجي حوالي سنة 170م و يتلخص معتقدها في القول باستمرار روح القدس و انتشرت في افريقية و جنوب ايطاليا ؛ ممدوح حسين و مصطفى شاكر ،المرجع السابق، ص.59.

(4) الماركونية تنتسب إلى الفيلسوف ماركيون من سينوب بأسيا الصغرى و تقول بان العالم من صنع الصانع أو الاله العادل و هو هو الذي اصطفى بني إسرائيل و فضلهم على الناس و انزل عليهم التوراة و لكن قدرته انتهت بظهور الاله الخير الذي يتجسد في المسيح و يمنح البشرية هبة الخلاص و الفداء و قد انتشر هذا المذهب في ايطاليا و افريقية و مصر؛ انظر : نفسه ، ص.60.

(5) تنسب الدوناتية إلى زعيمها و مؤسسها (Donatus) ،وقد نشأت في افريقية في اوائل القرن الرابع الميلادي نتيجة لأوضاع لأوضاع افريقية المتردية في ذلك الوقت ،فكانت في حقيقة أمرها ثورة سياسية و اجتماعية ،اتخذت من الدين وسيلة للتعبير عن نفسها سياسية ،لأنها هدفت للتحرر من المستعمر الروماني الذي كان مدعوما من رجال الدين الكاثوليك في افريقية ،فنادت بنبذ المستعمر الروماني الذي كان مدعوما من رجال الدين الذين تخاذلوا إبان موجة الاضطهاد في مطلع القرن الرابع ؛للمزيد انظر :نفسه، ص.59.

(6) حسين مؤنس ، المرجع السابق، ص.61.

(7) نفسه، ص.62.

(8) السيد عبد العزيز سالم ، **المغرب الكبير**،دار النهضة العربية ،بيروت،1981 ، ج.2، ص.77.

مكسيموس Maximus ،و كان هذا الأسقف خطيبا ثوريا عميق التأثير في النفوس ومن هنا أخذت حملات المعارضة تأخذ منعرجا آخر تمثلت في انعقاد مجامع قرطاج و رسائل توجه إلى البابا و الإمبراطور و إلى كبير الأساقفة ،وإلى انعقاد مجامع دينية وكل هذا التنديد ومعارضة لأفكار سرجيوس، وعندما لم تكن أسقفية افريقية تنصف الحلول فإنها طالبت بإسقاط الإمبراطور ،و بينما الأوضاع على ما هي عليه من صراعات و انشقاقات مذهبية كان العرب يستعدون للغزو والفتح[1] .

و قد تبوأت كنيسة افريقية مكانة مرموقة في العالم المسيحي فهي إحدى الكنائس الرئيسية الأولى الست التي تأسست في العالم ،ومن جهة أخرى قدمت للمسيحية فقهاء و مفكرين و تعد كنيسة قرطاجة الثانية بعد كنيسة روما حتى أن بعض البابوات مثل جريجوري يعتبرها ابنة كنيسة روما ،و من المفكرين العظام الذي أنجبتهم افريقية القديس ترتليانوس أسقف قرطاجة (155-245م)و القديس سبيريانوس الذي لاقى حتفه 258م ثم مينوس فيلكس الذي ألف كتابا موجها إلى المثقفين يرد فيه على المعارضين للمسيحية ،و أهم من كل هؤلاء القديس أوغسطين الذي بلغ من شهرته أن تسمى عصره بالعصر الأوغسطيني إن أعمال هؤلاء المفكرين تمثل جزء من التراث الفكري المسيحي ،و هذا يفسر حنين الكنيسة في روما لتلك الأمجاد منذ الفتح الإسلامي لافريقية ،و الإصرار على استعادتها للهيمنة المسيحية ،و كان لهذا الإصرار أثره القوي بلا شك في نشاط الحركة الصليبية في ميدانها ،فمنذ وقت مبكر نجد شارلمان يرسل سفارة إلى الأمير إبراهيم الأغلبي تطلب منه السماح لها بنقل رفات القديس سبيريانوس الذي كان مدفونا في قرطاجة و رفات باقي القديسين و آثارهم من افريقية إلى أوربا فلبى الأمير هذا الطلب ،حيث تم نقلها بالفعل ،وقد يندرج هذا العمل ضمن مساعي التحرير لهؤلاء القديسين مادام الأمر غير ممكن بالقوة ،فقام شارلمان وهو الذي حمل لقب الصليبي الأول بهذا الأمر إرضاء لهذه النزعة ثم جاء العدوان الصليبي المتكرر على العالم الإسلامي ،و نجد تأكيدا آخر لها في العصر الحديث يصدر عن الكاردينال لافيجري الذي يعتبر من أشهر العاملين على تنصير المسلمين في الجزائر في القرن التاسع عشر إذ كان يعتبر نفسه انه جاء إلى الجزائر لإحياء الماضي المجيد لكنيسة افريقية ،فكان يقول عن نفسه انه الوارث لكرسي القديس سبيريانوس[2] .

هذا العرض يؤكد بجلاء أن البيزنطيين كانوا قوة استعمارية لان الديانة المسيحية لم تكن إلا لخدمة الحكومة و الدليل أن الجالية المسيحية هي من البيزنطيين في الحواضر الكبرى و السواحل ممن تربطهم وشائج بالامازيغ البرانس بحكم علاقات تجارية و دينية ، إلا أن انتشار المسيحية ما كان قويا و لا ممتد الجذور بالشكل الذي يجعل الأمازيغ أكثر حمية دينية ،و الدليل يقوم عندما قدم المسلمون في الفتوحات فلن يجدوا مقاومة من الأمازيغ تحت مسمى حماية المسيحية فكل الثورات إنما قامت لسوء معاملة الولاة أو لقلة فهم مغزى الفتوحات

---

(1) شارل أندري جوليان، **تاريخ افريقية الشمالية**، ترجمة محمد مزالي البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر،تونس، 1969، ص.381-892وهنا وهناك.

(2) ممدوح حسين وشاكر مصطفى ، المرجع السابق ، ص.67 .

أو لتحالف ديني و مصلحي ربط بين الأمازيغ البرانس و الروم ،و هذا ما يؤكد أن المسيحية عشية دخول المسلمين إلى شمال افريقية كانت تفتقر إلى التماسك و القدرة على الصمود بسبب ما انزله الوندال من الأريوسيين بالكنيسة الكاثوليكية من ضرر،والتدمير و الخراب الذي مس مؤسساتها ،و نتيجة عامل الخلافات المذهبية و العقائدية بين النصارى إلى جانب [1] ؛ذلك انتشار اليهودية بين التجار و بعض الأغنياء وبين قلة من الأمازيغ البتريين فان ذلك لم يمنع انتشار الوثنية بين عامة السكان ،وهي وثنية المبكرة المرتكزة على عبادة بعض الظواهر الطبيعية و القوى الخارقة تتخذ لها طقوسا تقوم على أعمال الكهانة والسحر والشعوذة[2].

كما كانت سياسة البيزنطيين عاملا من عوامل القضاء على نفوذهم و الدليل على ذلك هو تخلي بعض أمازيغ المدن الساحلية عن اللغة الرومانية و اليونانية و عودتهم إلى اللغة الأمازيغية و الليبية القديمة ،و عادوا إلى عاداتهم و تقاليدهم وهياكلهم الاجتماعية ،و لاسيما النظام القبلي، ثم اتضح ميلهم إلى المطالبة بالعدل و المساواة وهي كلها مؤشرات للاستقلال و خلع النظام الاستعماري البيزنطي عن بلادهم هذه من العوامل التي جعلت الأمازيغ في المدن يتقبلون العرب الفاتحين ،بينما ظل النظام القبلي يمزق الكيان السياسي في المغرب لدرجة اعتقادهم إنما تهدف الفتوحات إلى البحث عن المنافع المادية و استغلال أبناء المغرب، و هذا ما تفسره ثورة الكاهنة في وجه حسان بن النعمان.[3]

2- أبعاد فتح العرب للمغرب ودوره في تأمين حدود الخلافة الإسلامية خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة.

إن فتح العرب للمغرب اكتسى أبعادا جديدة خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة ففضلا عن الرغبة في الفتح و كسب مزيد من الأمم في دين الله فان تأمين حدود الشام و مصر برا و بحرا من الضغط المتزايد للبيزنطيين ، ثم جعل المغرب منطلقا للفتوحات الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط بأسره ،كما قام العراق بنفس الدور في فتوحات المسلمين في المشرق ،ومن ذلك استمد المغرب مكانة في العالم الإسلامي وقتئذ من الشغل الشاغل للمسلمين مشرقا و مغربا فإنهم ساووا في الأجر مرابطة يوم في افريقية للجهاد بأداء فريضة الحج قد ذكر الرقيق القيرواني أن علماء المشرق كتبوا إلى أهل افريقية يقولون لهم : (من رابط عنا يوما برادس حججنا عنه حجة)[4] لهذا أقيمت الرباطات في كافة أنحائها و بأعداد كثيرة يؤمها المجاهدون من جميع

---

(1) يذكر لقبال أن من العوائق التي واجهها المسلمون في المغرب هو التحالف الناشئ بين الروم و بربر البرانس لذلك تنبّه العرب الفاتحون التي ضرورة تصفية المقاومة البرنسية ،و كسر التحالف الديني ،و المصلحي الذي ربط بين البربر البرانس و الروم، وتحطيم الروم عنصر المقاومة الثاني ، وتصفية قاعدتهم الكبرى في افريقية ،و لهذا كانت معركة ممس فاصلة لتضع حدا للمقاومة لولا الأحداث التي أدت إلي مصرع زهير و أصحابه على ساحل درنة بتدبير من الروم ؛ لقبال ،المرجع السابق ،ص.57 .

(2) عبد المجيد النعنعي ،**تاريخ الدولة الأموية في الأندلس** ، دار النهضة العربية،دط، بيروت ،دت،ص. 168.

(3) موريس لمبار، **الإسلام في مجده الأول** ،ترجمة إسماعيل العربي ،دار الأفاق الجديدة ،ط.3،المغرب ، 1990،ص.22.

(4) الرقيق القيرواني ،**تاريخ افريقية و المغرب** ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ،دار الفرجاني ،ط.1،دم، 1996 ،ص.65.

أنحاء المغرب العربي للمرابطة نظرا لأنها كانت دائمة التعرض للغارات البحرية المفاجئة حتى بعد ظهور البحرية الإسلامية[1]

ولئن كانت بداية عملية اندماج البربر بطيئة فإنها توسعت وفق السياسة التي اتبعها الولاة حيث شجع أبو المهاجر دينار – وهو غير عربي – البربر على اعتناق الإسلام ،وكان مرنا معهم وأسلم على يده الكثير منهم مثل القائد كسيلة[2] ،لقد حضي البربر في ظل قدوم العرب ما لم يجدوه من البزنطيين فحسان بن نعمان[3] كان يسوي بين العرب و البربر في توزيع أغنام الحروب و أسلابها ،و لم يعتبر العربي حاكما و البربري محكوما لأنه أدرك أن هذا الشعب محاربا قويا أنوفا يرفض الخضوع و السكون لا يقل عن العرب غراما بالحرية ،و اعتبر ارض المغرب مفتوحة صلحا لا عنوة[4].

و من بلاد المغرب انطلقت الغارات الأولى على السواحل الجنوبية للأندلس منذ سنة 91 هـ على تعيين موسى بن نصير طارق بن زياد وهو من أصل بربري على جيش من 7000 مقاتل أغلبهم من القبائل البربرية مثل مكناسة و زناتة و هوارة[5]... ،وانطلق الأسطول من طنجة سنة 92 هـ/711 م ،وحقق انتصارا حاسما على جيش لذريق، والتحق موسى بن نصير بالأندلس ليدخل طليطلة و سرقسطة و اشبيلية سنة 94 هـ [6] ،ولم تتوقف الفتوحات الإسلامية بل تواصلت على كامل الأندلس ،ثم وصل عبد الرحمان الغافقي إلى مدينة بواتييه الفرنسية سنة 114 هـ/ 732 م ،وانهزم أمام شارل مارتال[7].

ومن الوسائل التي اعتمدها المسلمون للمدافعة و إبعاد خطر الروم هو إشراك القبائل البربرية في

---

(1) ممدوح حسين و مصطفى شاكر ، المرجع السابق ،ص.85.

(2) تذكر العديد من المصادر التاريخ الإسلامي انه كان من سياسة أبي المهاجر دينار الذي عزل به عقبة بن نافع ولاية افريقية في المرة الأولى مصانعة البربر لتأليف قلوبهم و استطاع بهذه السياسة أن يكسب كسيلة بن لمزم زعيم قبيلة أوربة المشهورة فاعتنق الإسلام و اسلم بإسلامه الكثير من قومه ،ولكنه عاد فارتد في ولاية عقبة الثانية نتيجة لإساءة عقبة إليه كما تزعم بعض المصادر فقطع على عقبة الطريق أثناء عودته إلى افريقية من الغرب مما اضطر عقبة و أصحابه لقتاله فاستشهدوا جميعا بالقرب من تهودة و زحف كسيلة شرقا حتى دخل القيروان و دحر المسلمين إلى برقة فأقاموا بها حتى وصلهم المدد من الخليفة فزحفوا بقيادة زهير بن قيس البلوي و قضوا على كسيلة ؛انظر: الرقيق القيرواني ، نفسه،ص.36 ؛ ابن عذارى ، المصدر السابق،ج.1 ،ص.45 ؛ابن الأثير ،المصدر السابق،ج.4 ،ص.108 .

(3) هو حسان بن نعمان بن عدى بن بكر بن بكر بن مغيث بن عمرو مزيقياء بن عامر بن أزد يعتبر من أشهر القادة الشاميين و هو من سلالة ملوك الغساسنة كان مقربا من خلفاء بني أمية ،و ذا شخصية قوية كان يلقب (الشيخ الأمين) عهد اليه مسؤولية الفتح في افريقية في عصر الخلافة الأموية ؛ انظر : ابن عذارى ،نفسه، ج.1،ص.31 ؛موسى لقبال ،المرجع السابق،ص.58.

(4) حسين مؤنس ،المرجع السابق ،ص.275 .

(5) موريس لمبار ، المرجع السابق ،ص.120 .

(6) علي الحسين الشطشاط ، المرجع السابق، ص.41.

(7) شكيب أرسلان،**تاريخ غزوات العرب**،دار الكتب العلمية،دط،بيروت،دت، ص.81-93.

الحـرب شرطـا لتأمينهـم[1] ، إذ كانت تـلك خطة موفقة استطاع بها حسـان أن يضمن ولاء الأمازيغ [2] ،و لتأكيـد قـوة الجيش الإسـلامي في المغرب أنشـئت أول دار للصنـاعة في تونس بمساعدة الأمازيغ ،و يبين الرقيق القيرواني بوضـوح أن الهـدف من إنشـائها كان الجهـاد و مقارعة الروم فيذكر أن الخليفة الأمـوي أمر حسان بن نعمان (أن يخرق البحـر إلى تونس ،و أن يجعل بهـا دار صنـاعة و أن يعمـل المراكـب و يستـكثـر مـنها و يجاهـد الروم و يشـغلهم عن بـلاد الإسـلام)[3]،وفي ولايـة موسى بن نصير [4] الذي جعل افريقية منطلقا لفتوحاته نحو جرز البحر المتوسط ،لذلك أولى بحريتها عناية كبيرة و حتى يصبو ذلك و يهيأ لأمره على أحسن وجه، قضى على تمردات بعض قبائل الأمازيغ اخضع أعتى القبائل الأمازيغية هوارة و زناتة و صنهاجة و كتامة و غيرها من القبائل ،كما استمال إليه الأمازيغ و حشدوا في جيشه آلاف منهم،ففي سنة 65 هـ كان ثلث جيش زهير بن قيس البلوي من الأمازيغ [5] ، كما أن كسيلة لما دخل القيروان لم يدمرها يدمرها وأمّن أهلها ،وكذلك فعلت الكاهنة [6] ، ومن جهة أخرى ساهمت سياسة القائد حسان بن النعمان

---

(1) يقول لمبار أن الامازيغ(صنهاجة وكتامة)هم أول الموالي الذين شاركوا في الفتوحات الإسلامية ؛ انظر: موريس لمبار، المرجع السابق،ص.17؛بينما يذكر الرقيق القيرواني العدد اثنا عشر ألف ؛الرقيق القيرواني ، المصدر السابق ،ص.53.

(2) حسين مؤنس،المرجع السابق، ص.274.

(3) الرقيق القيرواني ،نفسه، ص.64 .

(4) أبو عبد الرحمن موسى بن نصير بن عبد الرحمن زيد اللخمي (640-716 م/19 هــ-97 هــ) نشأ في دمشق ،وولي غزو غزو البحر لمعاوية بن أبي سفيان، فغزا قبرص، وبنى بها حصونًا، وخدم بني مروان ونبه شأنه، وولى لهم الأعمال، فكان على خراج البصرة في عهد الحجاج .لما تولي الوليد بن عبد الملك الخلافة قام بعزل حسان بن النعمان ،واستعمل موسى بن نصير بدلا منـــه ،وكان ذلك في عام 89 هـــ وكان أن قامت ثورة للبربر في بلاد المغرب طمعا في البلاد بعد مسير حسان عنها ،فوجه موسى ابنه عبد الله ليخمد تلك الثورات ،ففتح كل بلاد المغرب ، قام موسى بن نصير بإخلاء ما تبقى من قواعد للبيزنطيين على شـــواطئ تونس ،وكانت جهود موسى هذه في إخماد ثورة الامازيغ ،وطرد البيزنطيين هي المرحلة الأخيرة من مراحل فتح بـــلاد المغـــرب العربي،و تطلع إلى فتح الأندلس ،قام بتجهيز جيش بقيادة مولاه الامازيغي المسلم طارق بن زياد، وبمعاونة من يوليان حاكم سبتة دخل المسلمون الأندلس ،وانتصروا على القوط الغربيين انتصارا حاسما في معركة وادي لكة عام 712 م/92 هـــ ؛ ابن عبـــد الحكم ، المصدر السابق،ص.207 ؛ المقري ، المصدر السابق.ج.1،ص.277 .

(5) ابن عذارى ،المصدر السابق، ج.1،ص.40.

(6) برزت حركة مقاومة بربرية أخرى قادها القبائل الزناتية البدوية بجبال أوراس بالمغرب الأوسط وتزعمتها امرأة وهي داهيا بنت ماتية بن تيفان أطلق عليها لقب الكاهنة وجهزت جيشا لمنع تقدم المسلمين فاتجه إليها حسان ،ودارت بينهما معركة في جبال أوراس انتهت بانتصار الكاهنة ،وتراجع الجيش الإسلامي إلى الجريد ثم إلى قابس ،وفي النهاية استقر في برقة، وهكذا تمكنت الكاهنة من بسط نفوذها على كامل بلاد المغرب من جديد ،وأعادت بناء مملكة كسيلة في حين انحسر الوجود العربي في منطقة برقة، ،واعتمدت الكاهنة سياسة الأرض المحروقة ،فخربت العمران ،وأحرقت الزرع ،واقتلعت الأشجار ،وخربت البلاد حتى لا يطمع فيها المسلمون، إلا أن هذه السياسة تسببت في نقمة عدد كبير من البربر والأفارقة والروم على الكاهنة ،ففروا باتجاه الجيوش الإسلامية، وفي سنة 82 هـــ دارت معركة بوسط إفريقية انتهت بانتصار حسان بن النعمان ومقتل الكاهنة ،و أصبحت

=

في اندماج الأمازيغ في الحضارة الإسلامية بحيث شاركت القبائل الأمازيغية المنضوية في الإسلام بنحو 12000 في الجيش العربي الإسلامي ليتشر في صفوفهم الدين الإسلامي ،ويدعم بهم الجيش لتحقيق الانتصارات ،كما ساهم الأمازيغ في نشر الإسلام بين ذويهم فيما بعد ،وشاركوا في الفتوحات ونالوا نصيبهم من الغنائم ومن الأراضي وارتقى العديد منهم في الرتب العسكرية[1].

وتعتبر كل هذه الأمثلة نماذج إسلامية لكيفية تعامل القادة مع السكان الأصليين حيث أن المسلمين لم يصلوا إلى بلاد المغرب ناهبين ومخربين وقاهرين ومستبدين ،وإنما جاؤوا لرسالة أسمى ونظرة أرقى تتلخص في نشر كلمة التوحيد ورفع راية الإسلام إلى أبعد ما تسمح به الظروف والإمكانيات المتاحة، وكان رد الفعل من طرف الأمازيغ بالمثل حيث أقبلت جل القبائل على الإسلام و اندمجت في المجتمع الإسلامي الجديد ليس بقوة السيف ،وإنما بالاقتناع وترسيخ العقيدة الإسلامية لدى فئات واسعة من السكان، وولى طارق بن زياد الليثي[2] على طنجة و نشر الإسلام بينهم ،و أقبلوا على الدين الجديد بحماس منقطع النظير حتى أخذ يرسل الحملات البحرية الواحدة تلو الأخرى ففي سنة 85هـ/704م أرسل موسى بن نصير حملة لغزو صقلية بقيادة ابنه عبد الله ،و في السنة التالية انطلق عياش بن اخيل على رأس أسطول افريقية فغزا صقلية و أصاب سرقوسة ،و غزا جزيرة قوصرة (بنطلارية)، وفي سنة 89هـ/708م أرسل حملة الجزائر الشرقية بقيادة عبد الله بن موسى بن نصير هذا و أن كانت هذه الجزر لم تسلم تماما للمسلمين إلا بعد أن فتحها القائد البحري عصام الخولاني في أواخر القرن الثالث الهجري أوائل القرن العاشر الميلادي و كان أن انشأ عصام الخولاني مدينة جديدة هي مدينة ميورقة لتكون منبرا للحضارة الإسلامية في جزر البليار ،و تتابعت الحملات

=

للمسلمين الكلمة على كامل بلاد المغرب من جديد ،وساهم هذا الانتصار في نشر الإسلام واللغة العربية في صفوف القبائل الامازيغية، التي لم تكن ترفض الدين الجديد ؛السيد عبد العزيز سالم،المرجع السابق،ج.2 ، ص.244.

(1) ابن عبد الحكم ،المصدر السابق،ج.1،ص.276 ؛الدباغ (عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسدي)،**معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان** ، تحقيق شبوح إبراهيم ،مكتبة الخانجي،دط، مصر ،1968،ج.1، ص.65-67 ؛ ابن عذارى، المصدر السابق ، ج.1،ص.6.

(2) هو طارق بن زياد الليثي (50-102 هـ/670-720 م) : قائد مسلم في جيش الدولة الأموية من قبائل الأمازيغ التي تعيش شمال أفريقيا، بعد إتمام العرب فتح المغرب ، اتجهت أنظارهم إلى الأندلس ، فسارت حملة بقيادة (طريف) ، ثم بعد عودته واستيلائه على جزيرة صغيرة ، لا تزال تحمل اسمه (تريفا Isla de Tarifa) ، و بعدها فتح طارق بن زياد الأندلس سنة 92 هـ / 711م. ويعتبر طارق بن زياد من أشهر القادة العسكريين في التاريخ و يحمل جبل طارق جنوب أسبانيا أسمه حتى يومنا هذا و قد توفي في سنة 720م. ولد طارق بن زياد في القرن الأول من الهجرة وأسلم على يد موسى بن نصير، وكان من أشد رجاله، فحينما فتح موسى بن نصير طنجة ولى عليها طارقا سنة 89 هـ، وأقام فيها إلى أوائل سنة 92 هـ ولما أراد موسى بن نصير غزو الأندلس جهز جيشا من 12 ألف مقاتل معظمهم من الأمازيغ المغربين، وأسند قيادة الجيش إلى طارق بن زياد، وتمكن من فتح الأندلس بالتعاون مع موسى ابن نصير؛ ابن عذارى،المصدر السابق، ج.2.،ص ص. 5،6 ؛ المقري ، المصدر السابق،ج.1 ،ص.229.

البحرية من بعد موسى بن نصير إلى ارض العدو ففي سنة 102هـ/720م غزا إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر صقلية بعدها غزيت خلال الأعوام 109هـ/727م، 111هـ/729م، 112هـ، 730م 115هـ/733م[1] .

كما تعرضت كل من سردينيا و جنوب إيطاليا و نواحي عديدة من شواطئ جنوب غرب أوربا ،وكان من نتيجتها بدء انتشار الإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط لكن داء الفتن و المشاكل الداخلية أخذت تمزق صف المسلمين نتيجة للسياسة الخاطئة التي مارسها بعض ولاة في أواخر العصر الأموي أدت إلى تذمر الأمازيغ الأمر الذي جعل منهم تربة صالحة لأصحاب المذاهب و الأحزاب المناوئة كالخوارج فانجذبوا إليهم بسرعة في ثورة عارمة هي ثورة ميسرة المدغري الخارجي[2] حتى أن شكيب أرسلان عزا هزيمة المسلمين في معركة بلاط الشهداء (تور –بواتييه)سنة114هـ/732م لثورة الأمازيغ[3] ،و لم تهدأ الأمور إلا في عهد بني الأغلب ففي سنة190هـ /805م بدأت حملة الجيش الأغلبي لاستعادة السيطرة على الجزر الواقعة قبالة افريقية مثل سردينيا و صقلية ،وأمام تحالف القوى الأوربية في ذلك الوقت (لوتي ،بيزا ،قوة كارولنجية من توسكانيا و قوة بيزنطية)[4]،ورغم الظروف التي ألمت به استطاع الأسطول الأغلبي بقيادة أسد بن الفرات[5] من فتح صقلية 212هـ/827م ،وفي سنة 222هـ/836م تجرأ الأسطول الأغلبي ،و هاجم روما نفسها و اقتحم الفاتيكان و أقام رجاله هناك حوالي شهرين و في سنة 224هـ/838م قام هذا الأسطول بالتعاون مع أسطول مسلمي اقريطش (كريت)بالهجوم على برنديزي و فتحها ،و اشتبكا مع أسطول البندقية الذي قام بنجدتها في معركة حامية انتهت بتحطيم الأسطول البندقي ،و قد أدى هذا الانتصار إلى فتح البحر الأدرياتيكي أمام البحرية الإسلامية[6].

ومن جهة أخرى استطاع خلفون الأمازيغ من فتح مدينة باري ،و أمام هذا التقدم الهائل للأسطول الأغلبي استنجدت أوربا الغربية بالأسطول البيزنطي للوقوف في وجه مسلمي افريقية ،و كان هذا الأسطول

---

(1) السيد عبد العزيز سالم،المرجع السابق،ص ص.256، 257 ؛عن جزيرة قوصرة انظر : ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج.4 ، ص.413 .

(2) زعيم بربري بتري من مطغرة و يوصف في المصادر الإسلامية بعدة أوصاف مثل الحقير أو السقاء ، و يذكر انه كان وجيها في قومه ، ومن ذوي الصلاح، و التقوى، و العلم و قبلوا به الصفريون لتزعم سفارتهم إلى المشرق، ثم فكرة مبايعتهم له إماما و دعوتهم إياه بلقب أمير المؤمنين؛ انظر :حسين مؤنس ،فجر الأندلس، ص.210.

(3) شكيب أرسلان ، المرجع السابق ، ص.143، الحاشية 1 .

(4) ممدوح حسين و مصطفى شاكر ،المرجع السابق، ص.95 .

(5) أبو عبد الله أسد بن الفرات الحراني المغربي الإمام العلامة القاضي الأمير دخل القيروان وهو صغير روى عن مالك بن انس كتابه الموطأ ألف الأسدية في الفقه المالكي و دخل بها القيروان و عنه اخذ فقيه القيروان سحنون و أسد بن الفرات هو فاتح جزيرة صقلية و توفي محاصرا لسرقوسة سنة213هـــ/828م؛الذهبي(شمس الدين ابي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان) ، **دول الإسلام** ،تح حسن إسماعيل مروة،دار صادر ،ط.1، بيروت ،1999 ،ج.10،ص.225 .

(6) عزيز احمد ، **تاريخ صقلية الإسلامية** ،ترجمة أمين توفيق طيبي ، الدار العربية للكتاب ،دم،1980 ،ص.13 .

قد مني بهزيمة شنيعة أمام أسطول صقلية الأغلبي بالقرب من جزيرة كريت في عهد أبي إبراهيم احمد الأغلبي ،وفي عهد أبي الغرانيق محمد الثاني الأغلبي أمر خفاجة بن سفيان سنة 251هـ/865م لفتح جنوة فتمكن من ذلك مما أدى إلى تدخل الأسطول البيزنطي لدحر خفاجة في معركة دارت بالقرب من شواطئ جنوة عام 253هـ/867م انتصر فيها الأسطول الأغلبي و في سنة255هـ/868م استطاع خفاجة من فتح مالطة ،وفي عهد الأمير إبراهيم بن احمد بن محمد الأغلبي تقدم الفتح نحو مرسيليا مما دعا بالفرنجة إلى الاستنجاد بالأسطول البيزنطي المكون من 140قطعة فاشتبك مع الأسطول الأغلبي في معركة كبيرة انتصر فيها البيزنطيون، إلا أن القوات البرية للأغالبة استمرت في التقدم في جنوب فرنسا من سنة266-272هـ/879-885م ،فاحتلت كولونا وبعض شواطئ الرون ،و استطاع الأسطول الإسلامي من إلحاق هزيمة بالبيزنطيين275هـ/888م حتى يثبتوا الأوضاع لصالحهم ،و يؤمنوا حدود المناطق التي فتحوها ،و بذلك بسط الأغالبة السيطرة على البحر المتوسط ،و يعلق ارشيبالد لويس (و كان ابلغ الحملات أثرا على مصير سيادة البيزنطيين الحربية تلك التي قامت بها الأساطيل الإفريقية في بحار صقلية و إيطاليا ،و التي قامت بها أساطيل كريت الإسلامية في بحر الأرخبيل و البحر اليوناني على أن الحملات التي وقعت في البحار الغربية ترتب عليها نتائج اخطر مما ترتب عليه في البحار الشرقية)[1].

أسهم الأمازيغ بأوفر نصيب في تدعيم الوجود الإسلامي في الأندلس نتيجة هجرة القبائل الأمازيغية أكثر من غيرها لشعورهم بأفضل في أعمال الفتح ،فقد ورد في بعض المصادر أن الأمازيغ الذين دخلوا مع طارق بن زياد كانوا عشرة آلاف أو اثني عشرة ألف تؤكد المعارك والحملات التي قادها المسلمون في افريقية وبلاد المغرب وصولا إلى الأندلس أهمية المشروع الحضاري الذي حمله المسلمون في مغارب الأرض والمتمثل في نشر الدين الإسلامي وتعاليمه، لإخراج هذه المناطق من سيطرة المسيحيين الروم والبيزنطيين من جهة ومن الديانات الأخرى التي انتشرت في صفوف الأمازيغ[2].

ولم يكن طول المرحلة الزمنية التي استوجبها فتح بلاد المغرب سوى دليلا على أهمية الصراع بين الدعوة إلى الإسلام ،والمقاومة التي تزعمها أصحاب النفوذ السياسي والاجتماعي الرافضون للدين الجديد الذي سلبهم تلك الزعامة والنفوذ ونزع عنهم كل سلطة تمكنهم من بسط سيطرتهم على السكان الأصليين للمنطقة أي الأمازيغ، كما تدل هذه الأحداث على أن أغلب القبائل الأمازيغية دخلت الإسلام اقتناعا ورفضا للمعتقدات السابقة ،ولم تسلم نتيجة الحروب وحدة السيف ،والدليل على ذلك سهولة اندماج الأمازيغ في الحضارة الإسلامية ومساهمتهم في انتشارها ورقيها على غرار تزعم طارق بن زياد ،وهو أمازيغي للجيش الفاتح للأندلس رغم تعدد القادة العرب، وتشهد الحضارة الإسلامية لبلاد المغرب على شدة اندماج العنصر الأصلي في المجتمع الإسلامي الجديد من خلال

---

(1)ارشيبالد لويس، **القوى البحرية و التجارية** ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال ،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،دت، ص.170؛ عزيز احمد،نفسه،ص.20.

(2) توفيق سلطان اليوزبكي ،المرجع السابق، ص.7.

المعالم الثقافية والعلمية والعمرانية لبلاد المغرب ،والتي قام فيها الأمازيغ بدور فعال وبنّاء[1] .

وليس غريبا عن هذه الحضارة الجديدة ببلاد المغرب أن يعين الوالي - وهو عربي – رجلا من الأمازيغ وهو طارق بن زياد ليتولى قيادة الجيش الإسلامي لفتح الأندلس، وأن يتكون جند موسى بن نصير من 17000 من العرب و12000 من الأمازيغ [2] ،وبذلك نجح المسلمون في نقل مجال الصراع من داخل بلاد المغرب إلى الخارج ،وأصبح كل من العرب و الامازيغ في خط واحد لمواجهة القوط الغربيين ،ولنشر الإسلام في الأندلس[3] .

هذه المعالم أتت لتؤسس لحضارة جديدة لم يسبق لها مثيل لدى السكان الأصليين فأمر موسى بن نصير بتعليم القرآن للأمازيغ وأرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز عشرة علماء إلى بلاد المغرب لترسيخ القرآن والسنة النبوية وتعاليم الإسلام في صفوف الأمازيغ، ولذلك فان فتح الأندلس لم يقتصر على توسيع رقعة الإسلام بقدر ساهم في دخول الأمازيغ في الإسلام و الإسهام فيه[4] .

كما ساهم استقرار العرب ببلاد المغرب واختلاطهم بالسكان الأصليين في بناء المجتمع الإسلامي الجديد، فمنذ الفتوحات الأولى وفد إلى بلاد المغرب أكثر من 180000 رجل من المقاتلة العرب استقر أغلبهم فيما بعد بالقيروان وقد كتب اليعقوبي "في مدينة القيروان أخلاط من الناس من قريش ومن سائر بطون العرب من مضر وربيعة و قحطان ،و بها أصناف من العجم من أهل خراسان ،ومن كان وردها مع عمال بني هاشم من الجند ،و بها عجم من البلد البربر و الروم وأشباه ذلك"[5] .

وفي ظل الإسلام لعب الأمازيغ دورا متميزا في جميع الميادين و تمكنوا من الإسهام في الحضارة الجديدة بما قدموه لكون أن تعاليم الإسلام لم تميز بين البشر ،مما أضفى على بلاد المغرب طابعا حضاريا جديدا ،امتدت أواصره إلى المشرق،فلا غرابة بعد أن يتأثر المغرب بأحداث المشرق أو العكس.

---

(1) يذكر ابن خلدون أن الإسلام لم يستقر بشكل نهائي إلا بعد أن عبر البربر و العرب إلى الأندلس فعندها توطدت دعائم الفتوحات في بلاد المغرب نظرا لانتقال الصراع على الضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط و من هذا نستنتج أن الروم كانوا عنصر شغب و إثارة للفوضى ؛انظر: ابن خلدون ، المصدر السابق،ج.6،ص.139؛شكيب أرسلان ، المرجع السابق ،ص.42.

(2) وتم لطارق فتح قرطبة و مالقة و طليطلة ؛للمزيد انظر البيان المغرب،ج.1،صص 36،37 ؛ شكيب أرسلان ،نفسه ،ص.28، الهامش. 2 .

(3) نورنان ف كانتور ،المرجع السابق ،ص.202.

(4) حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب ،ص.287 .

(5) اليعقوبي(أحمد بن أبي يعقوب)، البلدان ،مطبعة بريل،دط،ليدن،1860 ،ص. 136.



أوضاع و ظروف العالمين الإسلامي و المسيحي قبل الحروب الصليبية

المبحث الأول:علاقة بلاد المغاربة بالمشرق خلال القرن الرابع و بداية القرن الخامس

المبحث الثاني : أوضاع العالمين الإسلامي و المسيحي قبل الحروب الصليبية.

المبحث الثالث : دوافع الحروب الصليبية.

المبحث الأول:علاقة بلاد المغاربة بالمشرق خلال القرن الرابع و بداية القرن الخامس .

1- العلاقات السياسية :

لم تستقر العلاقات بين المغرب و المشرق على نفس الحال فقد كانت العلاقات حسنة بعد الفتوحات أي خلال العهد الأموي لكون المغرب كان خاضعا في غالب الأحيان لولاية مصر التي تبعت بدورها العاصمة دمشق ،و ما إن تسلم العباسيون شؤون حكم الدولة العربية الإسلامية حتى انفصلت الأندلس عن المشرق ،و أصبحت منفصلة كذلك عن المغرب(1) .

و قد شهد القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي – تمزقا سياسيا خطيرا في جسد الدولة الإسلامية وتفككه إلى كيانات لا ترتبط فيما بينها سوى الانتماء للدولة الإسلامية ،ففي ذلك الوقت تسربت عناصر الضعف والوهن للسلطة المركزية في الخلافة العباسية نتيجة خضوع الخليفة تحت وصاية الأوصياء بين الأمراء الأتراك ،أو من بني بويه رافق ذلك تشرذم الدولة لدويلات مستقلة نتج عنها قيام كيانات سياسية جديدة في جناحي العالم الإسلامي وقتئذ مشرقا ومغربا،وفي حقيقة الأمر أن بعض هذه الوحدات ترجع في منشئها إلى ما قبل القرن الرابع الهجري– العاشر الميلادي- ومن هذه الدول ما كان مؤيدا،ومنها ما كان معاديا(2) ،والتي تجلت بطابع جديد ميز علاقاتها بالخلافة العباسية،ويكفي أن نشير إلى خلافتين إسلاميتين جديدتين قامتا في القرن الرابع الهجري في حوض البحر المتوسط،ونقصد بهما الخلافة الأموية في

---

(1)علي أحمد، "**العاملون في ميدان الاقتصاد والخدمة في المشرق العربي من الأندلسيين والمغاربة منذ نهاية القرن الخامس حتى نهاية القرن التاسع الهجري**"، اتحاد الكتاب العرب ، ع. 41، دمشق ،1990 ،ص.188.

(2) شهد المغرب في أواخر القرن الثاني الهجري قيام دويلات مستقلة ففي المغرب الأدنى قامت دولة الأغالبة ومركزها القيروان ذات ولاء للعباسيين ، وفي المغرب الاوسط قامت دولة الرستميين الخوارج الاباضيين ومركزها تاهرت وفي المغرب الأقصى قامت أربع دويلات صغيرة هي دولة الادارسة الحسنيين في فاس ودولة بني مدرار الخوارج الصفرية في سجلماسة و دولة بني صالح ابن منصور الحميري و دولة بني صالح بني طريف البرغواطي في شالة و تامسنا جميع هذه الدويلات كانت مستقلة عن الخلافة العباسية ،التي كانت سياستها عدائية بالنسبة للدويلات المستقلة التي قامت فيما وراء إفريقية، اما سياستها نحو دولة الاغالبة فكانت ودية لان هذه الدولة كانت تدين بالولاء لبني العباس ،لذا ساعد هارون الرشيد على تأسيسها لتكون حاجزا بين البلاد الخاضعة للدولة العباسية و القوى غير السنية في المغربين الأوسط و الأقصى و خاصة الادارسة الذين كانوا يتطلعون إلى توحيد المغرب و المشرق الإسلاميين تحت قيادتهم ،أما في الأندلس فظهرت الدولة الاموية؛ للمزيد انظر: عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ،**تاريخ المغرب و الأندلس** ،مكتبة نهضة الشرق ،القاهرة ،1984 ،ص.122؛ عبد المجيد النعنعي، **تاريخ الدولة الأموية في الأندلس**، دار النهضة العربية ،دط، بيروت ،دت،ص.138؛ السيد عبد العزيز سالم، **العصر العباسي الأول** ،مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1993، ج.3 ،ص.93 .

الأندلس[1] ،و الخلافة الفاطمية في الشمال إفريقي[2] ،و اللافت للأمر أن القطيعة شبه التامة كانت السمة البارزة بين هاته القوى خلال القرن الرابع – العاشر الميلادي – ما عدا بعض الاستثناءات البسيطة سيطر فيها الفاطميون على المغرب[3].

وفي أوائل القرن الرابع الهجري (316م/929م) قامت الخلافة الأموية في الأندلس لتستعيد أمجاد بني أمية في المشرق[4] ،لقد شكل قيام الإمارة الأموية في الأندلس (138 هـ/ 755 م) انفصال هذا الجزء عن الخلافة العباسية (سياسياً)[5]،حيث أقدم الأمير عبد الرحمن الداخل على أثر انتصاره في معركة المسارة ونجاحه في إقامة الإمارة الأموية في الأندلس على قطع اتصالات الأندلس بالخلافة العباسية، وقام بذلك بعد أن استقر ملكه في الأندلس؛ فما أن مضت أشهر دون السَّنَة حتى أمر بقطع الدعاء والخطبة للعباسيين[6]،وهذا يعني انفصال الأندلس رسمياً عن الخلافة العباسية، ويعني أيضاً أن الأمير الداخل لم يعترف بسلطان العباسيين وخلافتهم عن العالم الإسلامي، ومن جانب آخر، كانت الخلافة العباسية تنظر إلى الداخل وإمارته في الأندلس نظرة الخلافة الشرعية إلى العاصي المتمرد على طاعة الخلافة، وكان خلفاء بني العباس، ولا سيما الأوائل منهم، يتمنون زوال هذه الإمارة ويسعون إلى ضم الأندلس إلى سلطانهم، ولكن ظروف الدولة ومشاكلها وبعد الأندلس عن مركز الخلافة حال دون بعث جيش عباسي لضم الأندلس ،ولكنهم لم يتأخروا في تقديم الدعم المادي والمعنوي لكل من حاول ضرب الإمارة الأموية والقضاء عليها ، آملين في ضم الأندلس إلى كيانهم[7].

(1) في عهد الناصر،استجدت ظروف سمحت له بالتلقب بأمير المؤمنين وإعلان الخلافة الأموية،وقد أصدر كتاباً للأمة يبين فيه أحقيته بالخلافة الأموية سنة 316 هـ بلغت الأندلس في عهده (300ـ 350 هـ/ 913 ـ 961 م) من قوة وازدهار وتماسك، حيث كان لعبد الرحمن بن محمد بن عبد الله (الناصر) دور كبير في ما وصلت إليه الأندلس. ابن عذارى، المصدر السابق، ج. 2، ص ص. 198 ، 199؛ خالد إسماعيل نايف الحمداني ،" **العلاقة بين أمويي الأندلس والخلافة العباسية** "، مجلة التاريخ العربي، ع.18،المغرب، 2001، ص. 30.

(2) ظهر الفاطميون في شمال افريقية سنة 297هـ بزعامة عبيد الله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر الصادق وهم من الشيعة الاسماعيلية ،فقضى على دولة الأغالبة و الأدارسة ،و سيطر على المغرب العربي ،و أسس مدينة المهدية و حكم من بعده أولاده الذين شمل نفوذهم المغرب كله ؛السيد عبد العزيز سالم ،المغرب الكبير ،ج.2،ص.598.

(3) حسن خضيري أحمد ، **علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب العربي** ، مكتبة مدبولي ، ط.1 ،دم،دت، ص.29.

(4)سعيد عبد الفتاح عاشور ، **بحوث في تاريخ الإسلام و حضارته** ، عالم الكتب ،ط.1،القاهرة، 1987، ص.166.

(5) خالد إسماعيل نايف الحمداني ،نفسه، ص. 33 .

(6) ابن الآبار، **الحلة السيراء** ، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، ط.2،القاهرة،1985،ج.1،ص. 36.

(7)الحميدي (ابي عبد الله محمد بن ابي نصر فتوح بن عبد الله الازدي)**جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**،الدار المصرية للتأليف،دم،1966، ق.1 ،ص. 19؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج .5، ص. 178؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج. 4، ص ص. 157 -158؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج .2، ص ص. 76،77.

كان قيام الخلافة الأموية في الأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر سنة 316 هـ/ 928 م إعلانا عن خلافة عربية إسلامية ثالثة في العالم العربي الإسلامي بعد الخلافة العباسية في العراق والخلافة الفاطمية في مصر،وكان كذلك إعلان الخلافة الأموية بمثابة انفصال الأندلس كلياً عن الخلافة العباسية[1].

وفي الجانب الآخر ظهر الفاطميون في أوائل القرن الرابع الهجري الذين وجهوا ضرباتهم للمصريين والأندلسيين معا من عام (302 هـ/ 914 م) إلى (339 هـ/ 950 م) ، فقد كان الفاطميون يتطلعون باهتمام بالغ إلى المشرق، حتى ترجموا تطلعاتهم إلى حقيقة واقعة سنة 358هـ/ 969م بالسيطرة على مصر[2].

فقد كانت إستراتيجية الحركة الإسماعيلية ذات الأصول الشرقية، منذ بدأ عهد مؤسس العبيدية في بلاد المغرب عبيد الله المهدي إلى أن وصلت إلى مرحلة الحسم والتصفية في عهد المعز لدين الله أبرز الخلفاء الفاطميين على الإطلاق ، فالمعز لدين الله لم يضع بين أهدافه البقاء في بلاد المغرب و استمرار التوسع في غرب أوروبا بقدر ما كان منشغلاً بمصير حملته الكبرى والأخيرة على مصر، بوابة المشرق الإسلامي والمركز العباسي المتقدم، فالاستقرار في هذا المركز العباسي المتقدم كان هدفاً رئيساً للحركة الإسماعيلية من حيث إنه طريق بلاد الشام التي هي طريق إلى بلاد العراق مركز الخلافة العباسية،وكان مشروع الإسماعيلية مواصلة اقتطاع أطراف الخلافة العباسية في الشرق وتنشيط النضال السياسي والمذهبي ضدها حتى إسقاطها وإعلان مبدأ وحدة الخلافة على مستوى العالم الإسلامي كله تحت راية الخلفاء الفاطميين ،ومما له دلالة بارزة على إستراتيجية الفاطميين ونظرتهم إلى بلاد المغرب وملحقاته أن المعز لدين الله عندما غادر المنطقة نهائياً إلى مصر لم يجعل النيابة لكتامة عصبية الدولة، بل جعلها لصنهاجة ليستمر الصراع القبلي المرير ،ولم تكن صقلية ضمن نفوذ نوابة الزيريين، بل أبقاها تابعة له مباشرة في القاهرة، وبقيت هذه العلاقة طبيعية بين المغاربة و الفاطميين في مصر بعد أن انتقلوا إلى المشرق حتى كانت سنة 441هـ/ 1046م عندما قام المعز بن باديس الصنهاجي بإلغاء الولاء والطاعة للفاطميين ،وصار يدعو لبني العباس، ومنذ ذلك الحين بدأت الهجرة العربية الجديدة من مصر إلى المغرب لإعادة الأمور إلى طبيعتها في هيئة زحف قبائل بني هلال و بني سليم ،ولكن النتيجة لم تكن في صالح

---

(1)في عهد الناصر، استجدت ظروف سمحت له بالتلقب بأمير المؤمنين وإعلان الخلافة الأموية، وقد أصدر كتاباً للأمة يبين فيه أحقيته بالخلافة الأموية سنة 316 هـ؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج.2، ص ص. 198 ، 199،خالد إسماعيل نايف الحمداني ، المرجع السابق، ص.34.

(2) ابن عذاري ،نفسه،ج.1 ،ص. 244؛ ابن أبي دينار، **المؤنس في أخبار أفريقية وتونس**، ، الطبعة الثالثة،دار المسيرة ، بيروت ، 1993، ص. 69.

الفاطميين هذه المرة، فعادت العلاقة إلى التوتر بين البلدين، وظلت هكذا حتى ما بعد سقوط دولة الفاطميين سنة 567هـ/ 1172م[1].

وقد دأبوا على الإساءة إلى نوابهم الزيريين في بلاد المغرب بالتدخل الضار في شؤونهم، ثم لم يرحموا كذلك نوابهم الكلبيين في صقلية بالرغم من انقطاعهم عنهم، والكلبيون ـ كما تشهد دفاتر التاريخ ـ هم أول من وطأ أكناف جزيرة صقلية وسد ثغورها، ونشط حركة الجهاد والعمران والثقافة والفكر فيها وفي ما جاورها أكثر من قرن بعد رحيل الفاطميين إلى مصر ، وعوضاً عن سياسة التصالح مع الأمويين في الأندلس للتنسيق ضد القوى المسيحية في الحوض الغربي من المتوسط، رسموا ضدهم سياسة دعائية وتوسعية، فحالوا بذلك دون توحيد جهود مسلمي المغرب والأندلس، وهذه السياسة نفسها سلكوها مع العباسيين في المشرق ،و على هذا يمكن القول إن مسؤولية اضطراب أحوال بلاد المغرب بعد رحيل الفاطميين إلى مصر، بل ضياع صقلية وملحقاتها باحتلال النورمان لها سنة 484 هـ/ 1091 ـ 1092 م إنما يتحملها الفاطميون الذين تخندقوا حول إيديولوجية ضيقة منفردة للسواد الأعظم من المسلمين[2].

و على الرغم من طابع العداء و القطيعة التي ميزت المغرب بالمشرق إلا أن رغبة الدولة العباسية في استعادة الأندلس إلى سلطة الحكم العباسي مما دفع بالعباسيين إلى تأييد المعارضة الأموية[3] بغية قلب النظام و القضاء على الأمويين في الأندلس[4] ،لذلك تمت اتصالات سرية بين بعض قوى الطرفين كان الغرض

---

(1) حسن خضيري أحمد ، المرجع السابق ، ص.30-32؛علي أحمد، المرجع السابق ،ص.189.

(2) موسى لقبال " **الأسطول الفاطمي وحركة الجهاد في جنوب إيطاليا حتى موقعة المجاز في القرن 4 هـ/ 10 م** "مجلة التاريخ العربي ،ع. 22 ،المغرب ، 2002، ص.82.

(3) سعى أبا جعفر المنصور إلى إسقاط الإمارة الأموية في الأندلس ،و تحويله إلى ولاية عباسية بواسطة قائد عباسي و هو العلاء بن مغيث اليحصبي عير البحر من افريقية ،فنزل الأندلس فنزل الأندلس ،و دعا إلى لابي جعفر المنصور قدم إلى الأندلس ،واستقر في باجة معلناً حركته على الداخل وسود ودعا إلى طاعة أبي جعفر المنصور ،وكان قد بعث إليه بلواء أسود لخليفة المنصور عندما علم بحركته بالأندلس رامياً عليه تأييده وباعثاً له كتاباً ينص على توليه أمر الأندلس وأعلاماً سوداً شعار حركته، مستغلاً إياه في سبيل القضاء على الداخل وإمارته ،وضم الأندلس إلى السلطة العباسية ولو اسمياً ؛للمزيد انظر:ابن عذاري، المصدر السابق،ج.2،ص. 77؛مؤلف مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الاندلس و ذكر أمرائها**، تح ابراهيم الابياري،دار الكتاب المصري و اللبناني، ط.2، القاهرة و بيروت، ،1410هـ/1989م، ص.102؛ المقري، المصدر السابق ،ج.1،ص.310؛السيد عبد العزيز سالم، العصر العباسي الأول ،ص.157.

(4) في خلال خلافة المهدي اتفق مع بعض الثوار الأندلسيين من العرب المعارضين للوجود الأموي على أن يعلنوا ثلاث ثورات في أن واحد في الدخل ،و ينتهز شارلمان ذلك ،و يغزو الأندلس بحكو العلاقة الودية التي تربطه بالخليفة العباسي و الثوار العرب الذين اعتمد عليهم في الأندلس فهم عبد الرحمن بن حبيب الفهري الصقلبي في سنة 162هـ ،سليمان بن يقظان الاعرابي والي برشلونة و ثار معه بسرقسطة حسين ابن يحي الأنصاري ، والرحامس بن عبد العزيز الكناني سنة 164 هـ؛للمزيد أنظر : السيد عبد =

منها رغبة بعض حكام الأندلس في استعادة السيطرة على المشرق العربي ليضاف إلى المغرب و الأندلس ،و من العوامل التي ساهمت في تنامي هذه الرغبة هو أن جزءا كبيرا من المغاربة و الأندلسيين كان من أصل مشرقي و على وجه التحديد من مصر و الشام و اليمن لكونهم شاركوا في الفتوحات الإسلامية في المغرب و الأندلس ، كما هو معروف ،وهناك مثال عن رغبة الأمويين في الأندلس على مد النفوذ نحو المشرق فالخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله[1]كان يرسل في كل سنة ما مقدار عشرة آلاف دينار للمالكيين ،و كان غرضه سياسي يتمثل في الأمل و التطلع نحو مد النفوذ على المشرق العربي.[2]

و يجب التفريق بين المغرب و الأندلس لأن المغارب الثلاث الأدنى و الأوسط و الأقصى كان ميدانا لتغيرات سياسية متتالية كان أخرها في القرن الرابع الميلادي – العاشر الهجري – بقيام دولة الفاطميين التي امتد حكمها لفترة زادت عن نصف قرن من أواخر القرن الثالث الهجري حتى ما بعد منتصف القرن الرابع الهجري [3].

و على صعيد آخر فقد احتل المغاربة المرتبة الأولى بحضورهم السياسي، إلى جانب الحضور الديني والعسكري، وذلك في العصر الفاطمي، إذ منذ أن بسط الفاطميون نفوذهم في بلاد الشام بعد سنة 360 هـ، أخذوا يولّون القُضاة والوُلاة والقادة على المدن الرئيسة والولايات، وبشكل خاص في طرابلس، لأنها كانت قاعدة أمامية متقدمة على ساحل الشام في مواجهة الدولة البيزنطية التي كانت تهدد الأطراف الشمالية في بلاد الشام، ولذا أضحت طرابلس قاعدة أساسية للدعوة الفاطمية الإسماعيلية من الناحية الدينية، ومركزاً مهماً للأسطول

=

العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص.175.

(1) تولى الأمير عبد الرحمن بن محمد عرش الاندلس300هـ/912م وهو في مقتبل العمر وعمل على توحيد البلاد بشجاعة و صبر مما دفع الناس للالتفاف حوله ، وساعده هذا على النهوض بالبلاد من كبوتها و الوصول بها إلى أعلى درجات الرقى و التقدم الحضاري؛ حسن إبراهيم حسن ، **تاريخ الإسلام** ،دار الجيل ،ط.14، بيروت،1996، ج.3،ص.173.

(2) المسعودي ،المصدر السابق، ج.4، ص. 136.

(3) أرسل الفاطميون ثلاث حملات لغزو مصر الأولى سنة 301هـ و الثانية سنة 307 هـ و الثالثة سنة 322 هـ بقيادة المعز قائده جوهر الصقلي لفتح مصر على رأس مائة ألف رجل و زوده بالمال و العدة حتى وصل الإسكندرية فدخلها و أمن أهلها و منها زحف إلى الفسطاط و دخلها سنة 358هـ/966م و أسس مدينة القاهرة المعزية و بنى قصر للمعز و في سنة 361هـ/971م شرع في عمارة الجامع الأزهر ، كما استولى جوهر الصقلي قائد المعز على دمشق سنة358هـ/968 م وبذلك أصبحت الدولة الفاطمية تشمل شمال إفريقيا والجزء الجنوبي من بلاد الشام ثم تولى الحكم بعد المعز لدين الله العزيز و الحاكم بأمر الله و في عهدهما تمت السيطرة على بلاد الشام و الحجاز ؛ للمزيد انظر ابن عذارى ،المصدر السابق، ج.1 ،ص326؛ ابن الأثير ،المصدر السابق ،ج.8،ص.32 ؛شحادة الناظور ،و أخرون ،**الخلافة الاسلامية حتى القرن الرابع الهجري** ،دار الثقافة للطباعة و النشر ،ط.1،الأردن، 1990،ص.253.

البحري والقوات البرية من الناحية العسكرية، فضلاً عن اتخاذها عاصمة لولاية إدارية متَّسعة الأرجاء تمتد حدودها من نواحي نهر الكلب جنوباً، حتى مدينة اللاذقية شمالا[1]،ونظراً لهذه الأهمية، فقد حرص الفاطميون على أن يكون زمام الأمور في طرابلس بيد المغاربة، وهم الذين قامت الدولة الفاطمية على أكتافهم؛ ولذا أعْطيت الولاية وقيادة العسكر للقائد نزّال الغوري الكُتامي، وهو من قبيلة كُتامة المغربية الامازيغية، ومن صناديد المغاربة، ووُضع تحت إمرته ستة آلاف رجل من عسكر طرابلس ثم ابنه المظهر محمد بن نزّال والقائد جيش بن الصمصامة والقائد أبو سعادة المغربي والوالي علي بن جعفر بن فلاح الكُتامي ومختار الدولة ابن نزّالوحين ،كلّف الخليفة المعزُّ لدين الله الفاطمي والي طرابلس ريان الخادم بإخراج القائد الفاطمي أبي محمود وابن أخته مقدم العسكر ابن الصمصامة من دمشق، خرج الاثنان في جماعة يسيرة من الجند، وبقي القسم الأكبر مع ريان، فأتى بهم وبمن كان خرج معه من عسكر المغاربة إلى طرابلس للدفاع عنها في وجه الإمبراطور البيزنطي باسيل وقبل أن تصل حملة الإمبراطور إلى المدينة، اصطدمت قواته بنحو ألفين من العسكر المغاربة كانوا يرابطون عند وجه الحجر، وقد سماهم الإمبراطور بـ"الإفريقيين".[2]

هذا ما حدث على المستوى الحكام و السلطات السياسية أما على مستوى الشعبي فان العلاقة لم تنقطع لحظة واحدة ، ثم أن الفرقة السياسية لم تؤثر في مسيرة الحضارة الإسلامية ، فالبلاد ظلت جميعا بلاد الإسلام ، وتحت مظلة الإسلام عاش الكل جسدا واحدا.

2- العلاقات الثقافية :

إن عامة الشعوب الإسلامية لم تعترف بما حدث للعام الإسلامي ، وإنما ظلت بلاد الإسلام في نظرهم تمثل وحدة واحدة ،و أطلقوا عليها اسم ديار الإسلام، و بهذا الإحساس استمر الحجاج و طلاب العلم و التجار ينتقلون من المغرب إلى المشرق ،و من المشرق إلى المغرب في حرية تامة و دون قيود[3] .

وقد اتخذت العلاقة الثقافية والحضارية بين البلدين شكلاً ، تجلى بنقل المؤلفات الموجودة في المشرق إلى الأندلس والمغرب والحقيقة لم يبخل المشارقة بشيء من علم أو معرفة على الرواد المغاربة والأندلسيين، فبرهنوا بذلك على أن العداء السياسي، يبقى دائماً منفصلاً دون أن يؤثر على أية ناحية من نواحي الحضارة الفكر والثقافة، فقد اثبت الأمويون في الأندلس أنهم لا يقلون عظمة عن العباسيين في المشرق، لذلك رحبوا بالوافدين

---

(1) عمر عبد السلام تدمري، "**الأندلسيون والمغاربة في طرابلس الشام**" ، مجلة التاريخ العربي ، ع. 12، المغرب ، 1999،ص.18.

(2)نفسه،ص ص.18، 19.

(3)سعيد عبد الفتاح عاشور ، بحوث في تاريخ الإسلام و حضارته ،ص.166.

من العلماء منهم الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن بشر الأنطاكي الذي توفي بقرطبة 377هـ [1]،و منهم كذلك أبو علي القالي [2] ،و الفقيه المصري يزيد بن احمد بن أبي عبد الرحمان القرشي الذي نزل بقرطبة سنة 343هـ[3] ، و الأديب المصري أبو بكر محمد بن احمد بن عبد الله بن حامد الذي وصل إلى الأندلس 349 هـ ،و هناك رحب به الخليفة الأموي المستنصر بالله [4]،و الجدير بالذكر أن الخلفاء الأمويين أحسنوا وفادة هؤلاء الفقهاء و الأدباء سعيا لتشجيع العلم و العلماء ،و قد دأب حكام بني أمية في الأندلس على جمع الكتب في كل علم و فن ما تم تأليفه أو نقله إلى العربية في المشرق في وقت مبكر ،و من هؤلاء الخلفاء الخليفة الحكم الذي وجه إلى أبي الفرج الأصبهاني ألف دينار مقابل أن يرسل له نسخة من كتاب الأغاني[5] ،و كذلك قام بإيفاد رجالا إلى كافة بلاد المشرق ليقتنوا له الكتب حتى احتوت مكتبته على أربع و أربعين كراسة بكل منها عشرون ورقة كما قام حكام الأندلس بتشجيع العلماء النازحين إلى بلادهم أو العلماء العائدين إلى ديارهم على جلب ما تيسر من الكتب ، فاحمد بن خالد بن خالد الجذامي –من أهل قرطبة – ادخل معه خمسة عشر كتابا[6] ،و جعفر احمد بن هارون البغدادي ادخل إلى الأندلس بعض كتب أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ،و بعض كتب عمرو بن بحر بن الجاحظ و قيل عن أبي عمر يوسف بن محمد الهمداني توفي 383هـ – من أهل قرطبة- رحل إلى المشرق وثم عاد يحمل ثروة بمجموعة كتب أهمها مؤلفات محمد بن جرير الطبري [7]،ويذكر ا ن أبا القاسم سلمة بن سعيد سعيد الأنصاري المحدث القرطبي المتوفى 406هـ حمل إلى الأندلس ثمانية عشر حملا من الكتب كلفته مالا طائلا[8]، و يضاف إلى تلك المؤلفات ما كان ينقل عن طريق الرواية و السماع ،و من ذلك أبو أيوب سليمان بن محمد الأندلسي المتوفى سنة 371هـ سمع بمصر من أبي محمد الفرياني كتب محمد بن جرير الطبري ،و كذلك أبي محمد بن مفرج المعافري توفي 371 هـ القرطبي لقي بمصر أبا جعفر احمد بن محمد النحاس فروى عنه

---

(1) المقري ، المصدر السابق ، ج.3،ص.144.

(2) نفسه ،ج.3،ص.75.

(3)نفسه ، ج.3، ص. 143.

(4) ابن الفرضي ، **تاريخ علماء الاندلس** ،تحقيق ابراهيم الابياري ،، دار الكتاب المصري و دار الكتاب اللبناني ،ط.2،القاهرة وبيروت، 1410هـ /1989، ج.2 ، ص.811،ترجمة 1405.

(5) المقري ، نفسه ،ج.3،ص.92؛ محمد بن محمد مخلوف ،**شجرة النور الذكية في طبقات المالكية**،المطبعة السلفية ،دم، 1350هـ، ص.127.

(6) ابن الفرضي، نفسه ،ج.1 ،ص.68،ترجمة 186.

(7) نفسه،ج.2،ص.944،ترجمة 1636.

(8) سعيد عبد الفتاح عاشور، بحوث في تاريخ الإسلام و حضارته ، ص.168.

تأليف إعراب القرآن و في المعاني و الناسخ و المنسوخ و عبيد الله بن عمر القيسي الشافعي ،و أبو علي القالي ،و أبو العلاء صاعد بن الحسين غير ذلك [1].

و الجدير بالذكر أن الرحلة باتجاه المشرق كانت إلى حد كبير إلزامية لغرض الحج أما الرحلة في الاتجاه المعاكس اختيارية كطلب الرزق أو العلم[2] ، و قد انتهز بعض حجاج الأندلس و المغرب فرصة ترددهم على المشرق للاتجاه إلى بعض الأقطار الأخرى لطلب العلم و الاستزادة على يد الشيوخ في مختلف الأنحاء من اليمن و بغداد و الشام[3] ،و منهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن حيون المتوفى بقرطبة سنة305هـ قضى بالمشرق نحو خمس عشر سنة صال ،و جال بمكة و صنعاء و بغداد و مصر[4] ،و احمد بن محمد يحي بن مفرج من القرطبة رحل إلى المشرق سمع بمكة و المدينة و اليمن و صنعاء عدن و بيت المقدس و غزة و طبرية و دمشق و طرابلس الشام و بيروت و صيدا و صور قيسارية و الرملة و الإسكندرية و القلزم[5].

وقد دأب مسلمو الأندلس و المغرب وصقلية و كريت و غيرهم من مسلمي حوض المتوسط على القيام بالرحلة إلى المشرق و كانت تستوقفهم محطتان هامتان وهما مكة و مصر فكان يجتمع حشد كبير من علماء الإسلام في موسم الحج ،و في هذا يقول ابن الفرضي عن ابن الدباغ المتوفى في 393ه انه رحل إلى المشرق سنة 345ه ، فسمع بمصر و الرملة و عسقلان و بيت المقدس و سمع بمكة من ... و غيرهم من غرباء القادمين عليهم في الموسم) ،و في هذه العبارة ما يوضح بوجود صنفين من العلماء في مكة صنف مقيم و آخر وافد ، مما يجعل موسم الحج مؤتمر علمي يلتقي فيه علماء المشرق بعلماء المغرب[6].

و كان بعض ممن يعودون من أهل المغرب والأندلس إلى بلادهم يقوم بتلقين ما نهله من علم ،و من هؤلاء أبو المطرف عبد الرحمن بن عبيد الله المعروف بابن الزامر من أهل قرطبة و المتوفى سنة369ه انه قام برحلة إلى المشرق سمع فيها من علماء مكة والمدينة و مصر ،و أخذ عن كتب أكثر من أربعمائة عالم و محدث ، و كان من هؤلاء العلماء من يعود ليقيم مدرسة لمئات الدارسين ،و منهم أبو محمد عبد الله الثغري انه غادر الأندلس ليؤسس لطلاب العلم خلاصة ما جمع في بلاد المشرق ، وكان مما استفاد منه ابن الفرضي[7] ، و منهم أبو زكريا

---

(1) المقري ،المصدر السابق ، ج.3،ص.70-75.

(2) سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ،ص.172.

(3)نفسه،ص.169.

(4) ابن الفرضي ،المصدر السابق ،ج.2،ص.666. ترجمة 1164.

(5) نفسه ، ج.2،ص.770،ترجمة 1358.

(6)نفسه ،ج.1 ، ص.163،، ترجمة 417.

(7) سعيد عبد الفتاح عاشور ، نفسه، ص.187.

يحي ابن مالك بن عائد بن كسيان الأندلسي المتوفى سنة375ه فقد رحل إلى المشرق ،ثم عاد إلى الأندلس سنة 369ه« فسمع من ضروب الناس،وطبقات طلاب العلم ، وأبناء الملوك ، وجماعة من الشيوخ والكهول» [(1)] .

كما شهد الأندلس توافد عدد كبير من المشرق ،و في ذلك يقول المقري التلمساني «اعلم أن الداخلين للأندلس من المشرق قوم كثيرون لا تحصر الأعيان منهم فضلا عن غيرهم ،و منهم من اتخذ وطنا و صيرها سكنا إلى أن وافته المنية و منهم من عاد المشرق بعد أن قضت بالأندلس أمنيته» [(2)] ،و من أمثلة هؤلاء عبيد الله بن عمر القيسي الشافعي من أهل بغداد ، و الجدير بالذكر أن رحلة الأندلسيين نحو المشرق تأخذ مسارين البر و البحر فإذا سلكوا البر فإنهم يتوقفون في محطات معينة للاستزادة من العلم و الأخذ من علمائها ،و منها القيروان و المهدية و طرابلس الغرب و سبتة و فاس ،و إذا اتخذوا البحر فإنهم يمرون بميورقة و صقلية و غيرها من سواحل الشمال الإفريقي حيث ينهلون من علم الشيوخ الذين يلتقون بهم ،والحق أن الرحلة عبر البر و البحر ساهمت في تحقيق وحدة ثقافية بين شتى أنحاء بلاد العالم الإسلامي إلى جانب الرحلة و نقل الكتب كانت المكاتبات بين العلماء المسلمين المغاربة و المشارقة التي شكلت رباطا ثقافيا و فطريا بين علماء ربوع العالم الإسلامي آنذاك [(3)].

رحل الكثير من العلماء المصريين نحو المغرب و الأندلس ، ومن هؤلاء أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن القرشي المصري قدم الأندلس من مصر سنة 394ه وحدث عنه كثيرون الى ان وقعت الفتنة 399ه ،فخرج من الأندلس و عاد إلى مصر حيث توفي 410ه ، أما موسى بن حامد بن الجليل الفارسي المصري فقد قدم قرطبة في القرن الرابع و استوطنها مع زميله ابي القاسم بن أبي يزيد النسابة المصري أيضا [(4)] إن الكثيرين ممن عبروا البحر المتوسط من الأندلس و المغرب إلى المشرق جمعوا بين حياة العلم و التجارة ،و من أمثلة هؤلاء علي بن بندار البغدادي البرمكي [(5)] ، و هو من أهل بغداد قدم إلى الأندلس تاجرا سنة 327ه ، و أبو النصر سهل بن علي التاجر النيسابوري [(6)] ، و محمد بن موسى الكتاني كان يفد إلى الأندلس و مع ذلك كان متفننا في

---

(1) ابن الفرضي ،المصدر السابق ،ج.2 ، ص.923 ، ترجمة 1599.

(2) المقري ، المصدر السابق ،ج.3 ، ص.5.

(3) سعيد عبد الفتاح عاشور ،المرجع السابق،ص.191.

(4) نفسه ، ص.189.

(5)المقري، نفسه ،ج.3 ،ص.66.

(6) نفسه،ج.3،ص.67.

العلوم [1]، ومنهم كذلك أبو الطاهر إسماعيل بن الأسكندراني الذي قدم الأندلس، ودخل مرسية تاجرا، وكان فقيها على المذهب الشافعي [2].

3- العلاقات الفكرية و المذهبية :

من نتائج ازدياد اتصال الأندلسيين بالمشارقة أن اتسعت دائرة معارفهم تدريجيا فظهرت الفلسفة في أواخر القرن الثالث و بداية القرن الرابع و كان من ابرز رواده محمد بن عبد الله بن مسرة القرطبي (269-318ھ/883-931م) الذي ترك مجموعة من تلاميذه اخذوا بمذهب الاعتزال [3] ، وكان من اثر سياسة تشجيع الحركة العلمية التي اتبعها حكم المستنصر أن ازداد الاشتغال بالعلوم التجريبية ، وتأثر المغرب و الأندلس بما حققه المشرق من انجازات في مجال تلك العلوم ، ومن الذين برزوا في القرن الرابع الرياضي و الفلكي المشهور مسلمة الجريطي المتوفى سنة 394ھ/1004م ، وتلميذه أبو القاسم أصبع بن السمح (369-425ھ/980-1034م) وكلاهما كان إماما في الرياضيات و الحساب و الفلك [4].

و ظهر الاهتمام بالطب في مدينة القيروان منذ وقت مبكر على ذلك خضع لتأثير الطب في مصر مثلما حدث لبقية العلوم بحكم العلاقات التاريخية و الجغرافية الموجودة بين مصر و المغرب ، وفي هذا الصدد برز خلال القرن الرابع أطباء منهم إسحاق ابن سليمان الإسرائيلي المتوفي سنة 320ھ ،و هو من أصل مصري سكن القيروان حيث لازم إسحاق ابن عمران و تتلمذ له و خدم أبا محمد عبيد الله المهدي الفاطمي بصناعة الطب. [5]

أما في الأندلس فقد ظهر عبد الله محمد بن عبدون العدوي سنة 349هـ/ 961م،غادر الأندلس سنة 337ھ فدخل مصر و البصرة درس علوم الطب والصيدلة وعاد إلى الأندلس سنة 360هـ/ 971م [6] ، وكذلك وكذلك احمد و عمر ابنا يونس بن احمد الحراني في صناعة الطب أولها في تحضير الأدوية و الثاني في الكحالة ،و قد رحل هذان الأخوان إلى المشرق ،و أقاما هناك عشر سنوات ، وعادا بعدها إلى الأندلس سنة 351ھ/ 963م في عهد المستنصر فألحقهما في خدمته (85-190)،و يظن أن عمر هو الذي علّم الطب للأندلسي أبا القاسم الزهراوي حيث مكنه من طريقة استخراج ماء العين بواسطة إبرة [7].

---

(1)المقري ، المصدر السابق ،ج.3،ص.111.

(2) نفسه،ج.3 ،ص.143.

(3)سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ،ص.190.

(4)نفسه،ص.190.

(5)نفسه ، ص.178.

(6) علي أحمد، المرجع السابق،ص.192.

(7) سعيد عبد الفتاح عاشور،نفسه،ص.191.

و كما كانت الرحلة من المغرب إلى المشرق أو العكس تسمح لسالك الطريق المرور بعدد من المدن و المراكز[1]،و من نتائجها أيضا الاستجابة التي لقيتها معظم المذاهب الدينية الإسلامية في تلك البلاد و على رأسها المذهب المالكي ، فالأندلسيين كانوا على مذهب الأوزاعي كاهل الشام حتى اقبل على الأندلسيين أثناء خلافة المستنصر (179-205هـ)(796-821م) نفر من الفقهاء أمثال عبد المالك بن حبيب و يحي بن يحي الليثي و أبي عبد الرحمان زياد بن عبد الرحمان اللخمي الملقب بالشطبوي ،و هؤلاء جميعا عملوا على نشر مذهب مالك ، و يحتل عبد الملك بن حبيب مكانة خاصة بين هؤلاء (179-238هـ) لأنه من الأندلس و مواليدها رحل إلى المشرق ،و تردد على حلقات الدرس في المدينة المنورة حيث درس فقه مالك، ثم عاد إلى بلده ليعمل في جد و مثابرة على تحويل أهله إلى المذهب المالكي ،و قد لقي ذلك استجابة كبيرة عندما جلس للتدريس في جامع قرطبة نظرا لسعة علمه ،و امتلاء شخصيته و تنوع مواهبه في الشعر و الأنساب و التاريخ و الطب [2].

و مهما تكن العوامل التي أحاطت بانتشار المذهب المالكي و أدت بالمغرب إلى تقبله فقد أخذت بهذا المذهب الحجاز و المدينة المنورة مركز الإمام مالك و منطلق مذهبه ووجد إلى جانبه المذهبين الشافعي و الحنفي فضلا عن بعض الفرق و المذاهب الأخرى كالخوارج و الشيعة و لكن انتشار هذه المذاهب كان محدود جغرافيا و تاريخيا [3].

إن القرن الرابع شهد نضج ثمار الاتصال بين شقي العالم الإسلامي في ظل قيام الخلافة الأموية بالأندلس و الخلافة الفاطمية في افريقية و مصر و استقرار الأمور للمسلمين في صقلية و البليار و اقريطش[4].

اقريطش[4].

هذا وقد لعبت قبائل بني هلال بني سليم دورا هاما رغم ما اتسمت به حركتهم من عنف و تخريب ، وأحدث انتشارها صدامات كثيرة مع السكان، وتأثر من جحافلها الاقتصاد المحلي إذ ساهم في استكمال جانب آخر مهم يتمثل في تعريب الامازيغ لان من شاركوا في العملية يعدون بالآلاف وهي أضخم موجه عربية شهدتها بلاد المغرب منذ الفتح ،وهذه الجموع الحاشدة توزعت بين المراكز الحضرية والريفية الخصبة ابتداء من ليبيا إلى المغرب الأوسط، ثم نقل الموحدون في النصف الثاني من القرن 6/ 12 م شطراً كبيراً منها إلى المغرب الأقصى انطلاقاً من أفريقية ، وكانت تعد بعشرات الألوف، غير أنها أثرت كثيراً في التعريب البشري للمنطقة، سواء

---

(1)سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ،ص.179.

(2) نفسه ، ص.180.

(3) نفسه ، ص.174.

(4) نفسه ، ص. 192.

بأرياف أفريقية أو عدد من أرياف وحتى مدن المغربين الأوسط والأقصى، وكانت في قدومها إلى الشمال الإفريقي مصحوبة بمجموعات من قبائل أخرى كَسُلَيم التي استوطنت ليبيا ومعقل التي انتشرت بالصحاري الجنوبية بقرب الواحات والأودية، وعلى السبيل المثال، تعرَّب الجزء الأكبر من السهول الأطلسية بالمغرب، مثل دكالة والشاوية[1].

كما انتشر اللسان العربي بأجزاء من سوس كما في قبيلة هوارة وضواحي تارودانت، وتسربت معقل إلى موريتانيا حيث لا يزال التأثير العربي أقرب إلى أصله بجزيرة العرب في التقاليد وغطاء الرأس لدى النساء، وفي الذوق الشعري وجملة من العادات العربية العريقة ،ولولا هذه الموجة الهلالية لبقي التعريب البشري محدوداً في بعض المدن، ويمثل أقلية ضئيلة لا سيما بكل من المغرب الأوسط و الأدنى، أما في افريقية فإن نسبة هذا التعريب شملت الأغلبية الساحقة من السكان، وكل هذه المناطق مدينة في لغتها الدارجة (العربية) بأكبر شطر من مصطلحاتها للموجة الهلالية، إلى جانب الأثر الأندلسي(2) .

3- العلاقات الاقتصادية:

ظلت العلاقات الاقتصادية طبيعية جداً فقد استمر التعاون قائماً في ميادين الاقتصاد المختلفة، ففي ميدان الزراعة، اعتمدت المغرب والأندلس على المشرق، وذلك بنقل عدد من طرق وأساليب الزراعات المصرية والشامية وغيرها، مثل طريقة زراعة قصب السكر وشجرة القطن وكثير من أصناف الخضراوات مثل الباذنجان والطرخون والخرشوف والسبانخ وبعض الفواكه مثل الرمان والبرتقال والتوت الشامي ،وغيرها وبعض أصناف الحبوب مثل الذرة والأرز والسمسم(3) ،أما في ميدان الصناعة، فإن الأمر يختلف عن الزراعة، ويأتي هذا الاختلاف من واقع المعلومات المتوفرة حول ذلك، والذي لا يتعدى أكثر من إشارات بسيطة جداً، لكنها تساعد على الاستنتاج، بأن التعاون بين المشرق العربي والأندلس والمغرب، كان قد قام خلال هذه الفترة في حقل الصناعة مثال ذلك صناعة السكر، فالعرب الفاتحون للمغرب والأندلس، هم الذين نقلوا هذه الصناعة إليهما(4) .

وأما في حقل التجارة، فإن الأمر كان طبيعياً إلى درجة كبيرة جداً، فلم يتوقف تجار البلدين عن الحركة ونقل البضائع بينهما، فقد كانت البضائع تأتي إلى الأندلس والمغرب عن طريق المرافئ الشامية و المصرية و العراق

---

(1)نوره محمد عبد العزيز التويجري، المرجع السابق.ص.85.

(2) نفسه ، ص.86.

(3) المقري ، المصدر السابق ، ج.2، ص ص. 468،467؛ محمد بن محمد مخلوف ، المرجع السابق، ص.121.

(4) علي أحمد، المرجع السابق ، ص.94.

و الجحاز، ولا سيما المرافئ الواقعة على المتوسط، وكان المشرق العربي بالمقابل يستقبل البضائع من المغرب والأندلس إلى غير ذلك من عمليات المبادلة التجارية[1].

فقد كان في بلاد المغرب الإنتاج الوفير والفائض عن الحاجة من المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية والمعدنية وغير المعدنية، ومن السلع المصنعة، أول وأهم أسباب النشاط التجاري الخارجي للمغرب في القرن 4ه/10م ، وسهل الأمر شبكة الطرق البرية والبحرية التي مكنت أهله من ممارسة فعالياتهم التجارية مع الأقطار الخارجية بحرا وبرا في آن واحد،فتجارة كانت تتم المغرب مع أقاليم الشرق ومصر، ومع أقطار حوض البحر المتوسط ، كما كان نشاطه التجاري الخارجي مع المناطق الواقعة إلى جنوبه في بلاد السودان ،فالتجارة البرية الخارجية كانت باتجاه مصر وأقاليم الشرق ، وفي هذا يقول ابن حوقل وهو يتكلم عن برقة بأنها المحطة التجارية الأولى التي تستقبل صادرات المشرق ، والمحطة التجارية الأخيرة التي ترسل واردات المغرب إلى المشرق [2]، وقد سجل لنا ابن حوقل قائمة ليست بالكبيرة ولكنها دقيقة وشاملة بصادرات المغرب إلى المشرق[3] ، ولكنه مع الأسف لم يسجل مثل هذه القائمة فيما يخص واردات المغرب من المشرق[4] .

و تعد مصر أهم جهة شملها نشاط أهل المغرب التجاري لقربها منهم ، وأن القيروان كانت محطة انطلاق القوافل التجارية إلى مصر، واستقبال القادمة منها[5]، وكان ذلك يتم عبر الطريق البري المار ببرقة، ونشطت الطرق التجارية نشاطا عظيما بين المشرق الإسلامي ومغربه [6] ،فقد ارتبط المغرب الأقصى مع المشرق الإسلامي الإسلامي بعدة طرق تجارية وفي ق 3ه /9م أشار ابن خرداذبة إلى وجود طريقين :احدهما يخرج من مدينة(سر من رأى) سامراء والآخر من مدينة السلام(بغداد) ، ويصل هذان الطريقان إلى مدينة الفسطاط، وبما أن الفسطاط ترتبط بطرق القوافل التجارية الذاهبة إلى المغرب ،فإننا يمكن أن نقول أن القادم من المغرب قاصدا المشرق لا بد أن يصل إلى الفسطاط، ومنها يستطيع أن يستخدم احد الطريقين، طريق سامراء أو طريق بغداد[7].

فقد ذكر الأصطخري في القرن 4ه /10 م ،وهو يتكلم عن مياه البحر المتوسط قائلا" :وأما بحر الروم فإنه يأخذ من البحر المحيط في الخليج الذي بين المغرب وأرض الأندلس،حتى ينتهي إلى الثغور الشامية، ومقداره في

---

(1) الحميري ، المصدر السابق، ص.235-470.

(2) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص.69.

(3)نفسه ، ص.95.

(4) نفسه ،ص.69.

(5) نفسه، ص.94.

(6) محمود حسن احمد واحمد إبراهيم الشريف ،**العالم الإسلامي في العصر العباسي**،دار الفكر العربي،دط ،ط.5،دم،دت،ص ص . 204،203.

(7)ابن خرداذبة ،المصدر السابق، ص.83-116-117من هنا و هناك.

المسافة نحو من سبعة أشهر...،وقد فصلنا في مسافات المغرب ما يغني عن إعادته،فمن مصر إلى أقصى المغرب نحو من مائة وثمانين مرحلة، فكان ما بين أقصى الأرض من المغرب إلى أقصاها من المشرق نحو من أربعمائة مرحلة"[1]، من هذا الوصف نستطيع أن نقول أن مياه البحر المتوسط استخدمت كطرق تجارية بين المناطق الواقعة عليه ومنها بين المغرب و الأندلس وبلاد الشام .

كانت برقة أول محطة تجارية على "طريق الجادة" ينزلها القادم من مصر متجها إلى إفريقيا[2]،وكان هذا الطريق يجتاز عدة مدن ساحلية قبل أن يصل مناطق القيروان ، ومن بينها مدينة إجدابية ثم طرابلس الواقعة على ساحل البحر، كما كان يمر على صبرة الواقعة على بعد يوم بعد طرابلس إلى المشرق ،فقائمة الصادرات إليه أوسع وتشمل : العنبر، والحرير، والأكسية الصوفية الرفيعة والونية، وجباب الصوف [3]، والأنطاع [4]، والحديد والحديد والرصاص والزئبق والخيول النفيسة، والبراذين والبغال والإبل والغنم والماشية والخدم المجلوب من بلاد السودان والخدم المجلوب من أرض الصقالبة على الأندلس ،وهكذا صدر المغرب إلى المشرق المواد الخام المعدنية ،وغير المعدنية، والسلع المصنعة لا سيما الأقمشة والألبسة ،وما يلحقها، فضلا عن الثروة الحيوانية بأنواعها ، وأورد ابن خرداذبة قائمة بالمنتجات والبضائع التي تحمل من أوربا عبر الأندلس إلى المغرب ثم المشرق منها الخدم الصقالب والروم الإفرنج و اللمبرديون والجواري الروميات والأندلسيات وجلود الخز والوبر ومن الطيب الميمة ومن الصيدنة المصطكي ،ويقلع من قعر هذا البحر (أي البحر المتوسط)بقرب من سواحل سبتة حيث يستخرج المرجان ،و يصنع ،و يحمل إلى سائر البلاد المشرقية[5]، إن المواشي كانت ضمن الصادرات وشملت طلبات المشرق من المغرب البزاة و السود و اللبودة الأقصى على التمور، و القرظ[6].

كانت قائمة واردات المغرب القرن 4هـ/10م أقل من قائمة الصادرات ، مما يدل على أن الميزان التجاري كان لصالح، المغرب،ولهذا فإننا لا نجد كثيرا من التفصيلات في قائمة الواردات المغربية التي ذكرها ابن حوقل ، وهي في معظمها عموميات ، فهو عندما يتكلم عن المستوردات المشرقية يقول عنها : "ضروب المتاجر الصادرة من المشرق و الواردة من المغرب "[7]،وفي إشارة فريدة يذكر ابن حوقل أن الخزف كان يجلب من العراق إلى المغرب[8].

---

(1) الأصطخري ،المصدر السابق، ص. 14؛ بان علي محمد البياتي ، **النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري** ،رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، 2004 ،ص.75.

(2)ابن حوقل ، المصدر السابق ،ص. 69.

(3) الجبة رداء يلبس على ثياب أحرى أشبه بالسترة الطويلة ؛ بان علي محمد البياتي، نفسه ،ص.76.

(4) لعل المقصود الإنطاق (أو الأخرمة)؛ نفسه.

(5) الأصطخري ،نفسه، ص. 16.

(6)بان علي محمد البياتي ،نفسه ،ص.79.

(7) ابن حوقل،نفسه،ص.69.

(8) نفسه ، ص.75.

هذا و اشتهرت مصر بإنتاج الألبسة والمنسوجات وخصوصا مدينة تنيس ودمياط[1]، و قد حملت هذه المنتوجات المصرية إلى المغرب [2]كذلك أن منتجات وسلع اليمن والعراق والشام ذات النوعية الجيدة والغالية الثمن كانت ضمن قائمة واردات المغرب الأقصى، ولدينا إشارة واضحة جاء بها ابن خرداذبة، يذكر فيها أن التجار اليهود العائدين من المشرق كانوا يحملون معهم من السند والصين المسك والعود والكافور و الدارجي[3]، ليبيعونه ليبيعونه في البلاد التي يمرون عليها ،ومن السلع التي كانت تصل إلى المغرب هي:العطر الهندي[4]، و الاسفاط الهندية[5]، وماء الورد، الذي كان يصنع في جور(تقع جنوب فارس) ،وكان ينقل من المغرب إلى الأندلس أيضا ، سجلماسة[6]، ومن مدينة مالقة الأندلسية حمل التين واللوز الى المغرب ومنها كان يحمل الى المشرق أيضا[7]،ومن مدينة مل سمك التن المجفف والمدخن يابساً، ومحص قيشاطة حملت الأخشاب إلى المغرب[8]، ومن مدينة طليطلة الزعفران، والصبغ السماوي[9] ،أما مادة الزئبق فقد حملت من مدينة قرطبة الى الى المغرب[10].

إن القائمة توضح أن المغرب الأقصى كان يمثل سوقا كبيرا يلتقي فيه التجار القادمون من مختلف المناطق وهم يحملون شتى أنواع البضائع والسلع، فمن بلاد الأندلس حمل إلى ارض المغرب الأقصى الرقيق الأبيض الآتي عن طريق الحروب أو الشراء وعرضه في أسواق المغرب الأقصى ويتم حمله بعد ذلك إلى المشرق الإسلامي وكذلك الرقيق الآتي عن طريق بلاد السودان يحمل هو الآخر إلى المشرق[11].

ومن هذا يتبين لنا ، أن القوافل التجارية وخط سيرها من المغرب الأقصى عبر مصر إلى المشرق الإسلامي كان لا ينقطع، ويمكن أن نعزي ذلك إلى الطلب الكبير على هذه البضائع والسلع.

وكان معظم تجار سجلماسة الغرباء من أهل العراق ومن البصرة والكوفة وبغداد[12]، الذين سيطروا بصورة واضحة على التجارة الصحراوية بين سجلماسة و أدغست (في السودان)، إن الازدهار التجاري الذي

(1)ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص. 152و هنا و هناك.

(2) بان علي محمد البياتي، المرجع السابق ، ص.85.

(3) ابن خرداذبة ،المصدر السابق، ص. 153.

(4) المراكشي، المصدر السابق، ص. 261.

(5) بان علي محمد البياتي، نفسه ، ص.85.

(6) الإدريسي،المصدر السابق ،ص. 90.

(7) المقري،المصدر السابق، ج.1،ص. 152.

(8) الحميري، المصدر السابق ، ص. 1.

(9) بان علي محمد البياتي ،نفسه ،ص.85.

(10) نفسه

(11) ابن حوقل، نفسه ، ص. 97.

(12) نفسه، ص.65.

شهده مغرب القرن 4هـ/ 10 م ، قد خلقه تجار مغاربة وغير مغاربة، وكان الأخيران من أهل الشرق وحوض البحر المتوسط،كما قدم التجار المشارقة إلى المغرب و منهم العراقيون ،و على وجه الدقة البصريون ،و كذلك اليمنيون خاصة الحميرون في المغرب ،و أن إقامتهم فيه كانت تطول لاسيما تجار العراق و خاصة البصريين حتى وصفوا بقلة الحنين[1] ،و أكد ابن حوقل في القرن 4 هـ/10م على إقامة التجار من الكوفة و البغداد و البصرة سكنوا في مدينة سجلماسة ، وهذاما يدل تميز نشاط تجار العراق في المغرب ، ولعل ما يغري تجار العراق و تجار المشرق في الإقامة في سجلماسة أو تاهرت أو أغمات [2] ،هو كون مدنه مركزا تجاريا للقوافل الذاهبة إلى السودان السودان الغربي حيث تجارة الذهب الرابحة[3]، و من الملاحظ أن عبيد الله (الفاطمي)وصل إلى سجلماسة بالمغرب في أواخر القرن الثالث التاسع الميلادي متخفيا بزي التجار المشارقة[4].

أقامت الدولة الزيرية علاقات تجارية متميزة مع مصر و أكبر دليل على هذه العلاقات هو اتصال العمارة من القيروان إلى الإسكندرية وعلى مسافة خمس وأربعين مرحلة ، وكانت القوافل تمشي ليلا ونهارا[5]،وقد قام الفاطميون عند انتقالهم إلى مصر بتشجيع أعداد كبيرة من التجار المغاربة وخاصة من قبيلة كتامة على السفر إلى مصر بغرض الاستفادة من خبرتهم التجارية ، ومن دلالات العلاقات الجيدة و المتميزة بين الزيريين والفاطميين في مصر إقدام المعز بن باديس عام 420 هـ /1035 م على إرسال هدية جليلة 427 هـ /1029 م إلى الظاهر لإعزاز دين الله، تمثلت في عشرين جارية حسناء ومعهم جارية تفوقهن حسنا ، وبعث له ثلاثة جياد من الخيل الثمينة سرج الأول بسرج من ذهب وسرج الثاني من لؤلؤ، والثالث سرج بسرج من ذهب ، كما بعث له ثلاثة آلاف قنطار من الزعفران وعشرين خادما وألف وخمسمائة ثوب من سائر ألوان الخز المغربي ، ومن الرماح ما لا يعد ومن الأقفاص المملوءة بالسيوف مثل ذلك ، ومن الثياب السوسي والعمائم الصقلية عدة آلاف ،وفي جملة الهدية ألف قنطار من الذهب ، ثم أرسل له هدية أخرى سنة 424 هـ/ 1032 م هدية اشتملت على أربعة سباع وعشرين كلبا سلوقية وعدة نمور وشمع كثير ومتاع جم من ثياب الخز والثياب السوسي والصقلي والزعفران وعبيد وغير ذلك. [6]

وكانت العلاقات التجارية بين الزيريين والفاطميين في بعض الأحيان تتوتر رغم التبعية ، ومن أمثلة ذلك إقدام الحاكم الفاطمي الحاكم بأمر الله(386 -411هـ)/(991-1020م) عام 403 هـ/ 1012 م على منع بيع الزبيب

---

(1) بان علي محمد البياتي، المرجع السابق ،ص. 106.

(2) ابن حوقل ،المصدر السابق ، ص.99.

(3)نفسه ، ص.61.

(4) القاضي نعمان ، **رسالة افتتاح الدعوة** ،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ،دط، بيروت ، 2005، ص.150.

(5) عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص. 253.

(6) عبد المالك بكاي، **التجارة في عهد بني زيري362-543هـ/972-1148م** ،رسالة ماجيستير ، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2006، ص.79.

الوارد من إفريقية ، كما رفع المكوس على الغلاة الواردة إلى مصر وخاصة الرطب والصابون والحرير[1] ، مما أدى إلى تضاؤل التبادل التجاري بين الفاطميين و الزيريين ، كما أن الظروف السياسية ساهمت في التقليل من حجم التبادل التجاري خاصة بعد انفصال الزيريين عن الفاطميين،وإقدام المعز بن باديس على سك العملة سنة 441 ه 1049 /م ،وتحريم تداول العملة الفاطمية.[2]

ساءت العلاقات التجارية أكثر بعد عام 446 ه 1054 /م لأن الغزوات الهلالية أوقعت خرابا ودمارا ،ونهبت الأراضي الزراعية الواقعة بين قابس و بونة ، كما أن الصناعة لاقت نفس المصير ، وقد أدت أعمال التخريب إلى قطع طريق البريد بين سبتة والإسكندرية[2] ،و على الرغم من القطيعة بين الزيريين و الفاطميين إلا أن ذلك لم يؤثر على العلاقات و التي استمرت ردحا من الزمن ،و بعد الهجمة الهلالية على المغرب تحولت الطرق التجارية من برية إلى بحرية ،و المميز أن مصر كانت تعتبر نقطة انطلاق بين العلاقات التجارية بين حوض المتوسط و الشرق الأقصى ،فمصر هي نقطة الوصل بين الشرق الأقصى و إفريقية ، فقد أكد البكري في ق5 ه /11 م على وجود خط بحري يسير بمحاذاة سواحل المغرب إلى الإسكندرية ويمر على عدة مدن ساحلية وبعد ذلك يصل إلى" غزة ثم إلى ملاحة الواردية ثم إلى عسقلان ثم إلى قيسارية ثم إلى يافا ثم إلى رأس الكرمان ثم إلى حيفا ثم إلى عكا[3] ، وهذه المدن جميعها في فلسطين ،وبعد أن يكمل ساحل فلسطين يصل إلى" صيدا ثم إلى بيروت ثم الى طرابلس الشام ثم اللاذقية ثم أنطاكية ،و هناك خط تجاري يربط طنجة بالمغرب الأقصى وعبر بلاد المغرب فالإسكندرية ويصل إلى الشام[4].

و قد عادت العلاقات التجارية إلى سابق عهدها مع عودة الدولة الزيرية إلى حضن الفاطميين ،فقد أقدم المعز بن باديس عام 452 ه /1060 م إلى إرسال هدية إلى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله بأربعين ألف دينار ،و من جملتها ورقة مكللة بالجواهر كانت للمهدي الفاطمي[5].

رغم وجود علاقات تجارية بين الدولة الزيرية و دول المشرق إلا أن المعلومات حولها قليلة ،و السبب في ذلك يرجع إلى أن مصر كانت تعتبر نقطة عبور رئيسية بين المشرق والمغرب،و قد كان للتجار المغاربة دور كبير و هام في نقل السلع نحو المشرق خصوصا الأحجار الكريمة[6] ،و نستنتج من بعض الفقرات التي وردت في المصادر الجغرافية وجود علاقات تجارية بين إفريقية الزيرية وبلاد المشرق فقد ذكر الإدريسي أن زيت زويلة

---

(1) أبو عبد الله محمد الصنهاجي ، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم** ، تحقيق وتعليق جلول أحمد بدوي ، المؤسسة الوطنية للكتاب،دط، الجزائر ، 1984 ، ص .63 .

(2)ارشيبالد لويس ، المرجع السابق ، ص.385.

(3) أبي عبيد البكري ،**المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب** ، مكتبة المثنى ،دط،بغداد ،دت،ص. 86.

(4) ابن حوقل ،المصدر السابق ،ص.86 .

(5) عبد المالك بكاي ، المرجع السابق، ص.79.

(6) نفسه ، ص.80.

يّتجهز به إلى سائر بلاد المشرق[1] ، وهذا يدل هنا على العلاقات بين إفريقية و دول المشرق دون استثناء فهذا الزيت يصل إلى الشام و العراق و الحجاز.

كما أصبح الدينار المرابطي عملة دولية ، ويتضح ذلك من خلال حمل التجار له و انتشاره في العالم الإسلامي ، وتمتعت العملة المرابطية بثقة كبيرة في مجال المبادلات الخارجية ،و قد كتب احد الرحالة عن استخدام العملة المرابطية في مصر و قد رأيت مقراضا في مصر صنع تنيس ، ثمنه خمسة دنانير مغربية [2] ،و أشار ابن الأثير إلى انه في سنة427هـ/1055م كان بمكة غلاء شديد و بلغ الخبز عشرة أرطال بدينار مغربي [3]،كل هذا يدل وجود علاقات اقتصادية بين جانبي العالم الإسلامي من ناحية ،ومن ناحية تحمل إشارات لحضور السلع المغربية في ذلك الوقت .

إن العلاقات التجارية مع المشرق قد تدخل في الإشارات العامة التي تتحدث عنها المصادر مثل قول البكري عن سفاقس يّقصدها التجار من الآفاق[4] ،وهذا أيضا يدل على وصول التجار من المشرق إلى المغرب، المغرب، و هذا دليل على العلاقات التجارية بين المشرق وإفريقية،والإدريسي يتكلم عن قابس فيقول بأن زّيتها يتجهز به إلى سائر النواحي[5] ، و بلاد المشرق مقصودة بهذه الكلمة النواحي ، وقوله عن مرسى الخرز و عن استخراج المرجان بها وّيقصد التجار من سائر البلاد هذه المدينة فيخرجون منه الكثيرإلى جميع الجهات)[6]،والإدريسي هنا يتحدث عن التجار الذين يقصدون مرسى الخرز لصيد المرجان والسفر به إلى مختلف البلاد البلاد ،ومن هؤلاء التجار تجار مشارقة، ودليل وجود علاقات مع المشرق قدوم التاجر العالم هشام بن عطاء بن أبي زيد بن هشام الطرابلسي إلى إفريقية، والذي يفهم من اسمه أنه من طرابلس الشرق .[7]

لقد عملت الدولة الزيرية على تصدير فائضها من الإنتاج إلى عدة دول ،فكانت تصدر الزيت السفاقصي إلى مصر ،والمغرب، وصقلية ،وبلاد الروم، والأندلس، وبلاد المشرق ،وتعتبر زويلة هي المدينة الرئيسية[8] الرئيسية[8] ،ومن صادرات الدولة الزيرية القمح ، وعملت على تصدير القمح و الفستق و اللوز المقشر إلى مصر مصر ،كما عملوا على تصدير المرجان الذي كان يستخرج من مرسى الخرز ويوجد فيها بكثرة ومن صفاته أنه ذو جودة رفيعة و ذو حجم كبير ، وقد صدر إلى المشرق واليمن[9] ، صدر القماش الموشى بالذهب الذي كان ينسج

---

(1) الإدريسي ، المصدر السابق ، ص.184 .

(2) بان علي محمد البياتي، المرجع السابق ،ص.119.

(3) ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج.8،ص.221.

(4) البكري،المصدر السابق ، ص.20 .

(5) الإدريسي ،المصدر السابق ، ص.181.

(6)نفسه ، ص.151.

(7) عبد المالك بكاي ، المرجع السابق، ص.81.

(8) البكري ،نفسه ، ص.20.

(9) عبد المالك بكاي ،نفسه، ص ص. 85،86.

في القيروان ويجهز في المهدية ويصدر إلى مصر[1] ،وقد سعى الزيريون إلى تصدير الجواري نحو المشرق[2] ، ومن هؤلاء الجواري من أصبحن أمهات للخلفاء منذ فترة تسبق القرن الرابع، كسلامة البربرية أم أبي جعفر المنصور ، وقراطيس أم أبي جعفر هارون الواثق ، و قنول أم أبي المنصور محمد القاهر بن المعتضد ، كما صدرت أيضا إلى المشرق الجواري الصقلبيات[3].

سعت الدولة الزيرية إلى تصدير الكتب نحو المشرق خاصة ،وإذا عرفنا أن القيروان، كانت تعتبر من أهم المراكز الثقافية والتعليمية ومكانا نشيطا لإنتاج الكتب ، وكان تجار الكتب شغوفين بامتلاك أشهر كتب العلماء ،وأندرها كما أن جلود الكتب وأغلفتها كانت أيضا تصدر ،وقد صدرها الزيريون نحو مصر ووصفت التجارة المربحة[4] ،ومن واردات الدولة الزيرية مواد كانت تستعمل في الصناعات النسيجية مثل القرمز والنيلة والشب، وكانت تجلب من مصر وسوريا وأسيا الصغرى قماش البقلمون الذي كان ينسج في تنيس ولا ينسج في غيرها من بلدان العالم ،وهو نوع من القماش يتغير لونه مع ساعات النهار، كما استوردت من مصر أيضا الأقمشة المذهبة والملونة التي كانت تصنع في تنيس ودمياط[5] ،استوردت الدولة الزيرية من مصر الكتان المصري الذي يحتوي على سبعة عشر نوعا ومنه تصنع الثياب السوسية التي كانت تصدر إلى المشرق ، كما استوردت أنواعا عديدة من القماش المصنّع وخاصة ما يعرف بالأعلاق ،والذي كان يستورده أغنياء القيروان من إيران[6] ، واستوردت لفستق الشامي من بلاد الشام وماء الورد من مصر[7] ،و استورد الزيريون القرنفل من الإسكندرية الفلفل والقرفة والقرنفل من مصر إلى تونس، وتكون هذه التوابل إما مصرية وإما وصلت إلى مصر ،ومن هناك تنقل إلى إفريقية[8] ،و عمل الزيريون على استيراد اللؤلؤ والأحجار الكريمة والفيروز والأصفاد الصغيرة من مصر[9].

---

(1) الإدريسي ، نفسه ،ص.203 .

(2) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص.95 .

(3) مرمول محمد الصالح ، **السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1983، ص.259 .

(4) جوايتاين ، المرجع السابق ، ص.241 ؛ Lamb (Harold), The Crudsades,Doublday and Company Press , NY,p.27.

(5) حسن خضيري أحمد ، المرجع السابق ، ص.116.

(6) جوايتاين ،المرجع السابق، ص.242 .

(7) حسن خضيري أحمد ،نفسه، ص.117.

(8) نفسه ، ص.118.

(9) نفسه،ص.120.

المبحث الثاني : أوضاع العالمين الإسلامي والمسيحي قبل الحروب الصليبية

1- أوضاع العالم الإسلامي في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس:

أولا:أثر ضعف الخلافة العباسية

كانت الأحوال السياسية الداخلية في الخلافة العباسية ليست على ما يرام قد جعلت الخلافة رهينة لدى البويهيين الشيعة، وفي سنة447هـ / 1055 م نجح السلاجقة[1] بزعامة طغرل بك في القضاء على النفوذ الشيعي في بغداد بعد قتل البساسيري، الذي أراد أن يحدث انقلابا سياسيا لصالح الخلافة الفاطمية من داخل عاصمة الخلافة العباسية حقيقة أن هذه الواقعة كانت بمثابة الدفعة التي أنعشت الخلافة العباسية بفضل الحيوية العسكرية للأتراك السلاجقة ،ولكن الفاتحين الذين جاءوا منقذين سرعان ما بدءوا يتصرفون باعتبارهم غزاة ،مثلما يحدث غالبا، لقد صارت المنطقة بين خراسان وبلاد الشام وحدة سياسية واحدة تتبع الخليفة العباسي اسميا ،ولكنها تدين بالخضوع الفعلي لسلطة سلاطين السلاجقة العظام(طغرل بك ألب أرسلان وملكشاه)[2].

وملكشاه)[2].

الجزيرة العربية كانت تحت سيطرة القرامطة، و في وسط العالم الإسلامي وغربه كانت الدولة الفاطمية الإسماعيلية تسيطر على أرجاء واسعة؛ وقد تمكنت من السيطرة على مصر سنة(358 هـ- 969م)[3] ،وطالت سيطرتها عليها قرابة قرنين من الزمان، وامتد سلطانها بعد ذلك على أرض فلسطين والشام والجزيرة العربية[4].

ففي أوائل القرن الخامس بزغ فجر قوة جديدة على الساحة الإسلامية، هي قوة الأتراك السُّنَّة القادمين من وسط آسيا، السلاجقة تحت قيادة طغرل بك، وكان ذلك في (428هـ) 1037م[5] ،ثم أخذ السلاجقة في التوسع على حساب القوى الإسلامية المحيطة، وكذلك على حساب الدولة البيزنطية التي كانت قد دخلت

---

(1) السلاجقة مع ثلاث وعشرين قبيلة أخرى مجموعة القبائل التركمانية المعروفة بـــ " الغز ،وفي منطقة ما وراء النهر والتي تسمى اليوم " تركستان "انتقلت من موطنها الأصلي نحو آسيا الصغرى ، ينتسب السلاجقة إلى نسبة إلى جَدِّهم سلجوق بن دقاق ، وتوغلت هذه القبيلة في إقليم خراسان، وصارت تحت تبعية الغزنويين فترة من الزمان، إلا أنهم في النهاية قاموا بالثورة عليهم، واستقلوا بإقليم خراسان شرق وشمال إيران ؛انظر :حسن احمد محمود واحمد إبراهيم الشريف،المرجع السابق ، ص.536.

(2) قاسم عبده قاسم ، المرجع السابق ، ص.79.

(3) ابن كثير، المصدر السابق ، ج. 15، ص.158.

(4) Setton (Kenneth M.), A History of The Crusades, ,The University of Wisconsin Press , 1975 , vol.l , pp. 85-86.

(5) ابن الأثير،المصدر السابق ، ج. 8،ص.322؛ابن كثير، نفسه ، ج.15، ص.669.

في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) في طور من أطوار ضعفها، وبذلك شملت دولة السلاجقة مساحات واسعة من فارس وشمال العراق وأرمينية وآسيا الصغرى[(1)] .

وقد حدث تطور خطير في سنة 447هـ/ 1055م، حيث استنجد الخليفة العباسي القائم بأمر الله بطغرل بك لينجده من سيطرة بني بويه الشِّيعة[(2)]، وبالفعل دخل طغرل بك بغداد في سنة 447هـ[(3)]، ليبدأ عهد السيطرة السلجوقية على الخلافة العباسية، ولا شكَّ أن هذا الحدث أعطى مكانه كبيرة لطغرل بك في العالم الإسلامي السُّني؛ مما أدى إلى توحيد أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي تحت سيطرته، خاصةً فارس والعراق وأجزاء من الشام وآسيا الصغرى، و من جهة أخرى كانت هجمات السلاجقة متوالية على منطقة آسيا الصغرى خاصَّةً[(4)] ،وفي سنة 455هـ/ 1063م تُوفِّي طغرل بك ليخلفه القائد الإسلامي الفذُّ ألب أرسلان[(5)] ،الذي غيَّر كثيرًا من سياسة السلاجقة في آسيا الصغرى، حيث أصبحت تستهدف البقاء والسيطرة على الأراضي البيزنطية والأرمينية، وأدى ذلك إلى نشوب معركة كبرى بين السلاجقة والدولة البيزنطية، وذلك في سنة 463هـ/ 1071م، وهي معركة ملاذكرد،أو مانزكرت[(6)]، التي أقلقت النصارى في غرب أوربا جدًّا، ولعل هذا من الأمور التي مهَّدت للحروب الصليبية بعد ذلك ،بعد 25 سنة فقط من ملاذكرد[(7)].

---

(1) ابن كثير،المصدر السابق،ج.15، ص.687.

(2) تمركزوا على الجزء الغربي كما سيطروا على بغداد سنة945 م،و لقب إمرة الأمراء ،و أصبحوا هم الحكام الفعليين و صار ما للخليفة من حكم و سلطان ،و في تلك الأثناء شعرت الشعوب غير الفارسية بتعصب بني بويه للمذهب الشيعي و العرقية الفارسية ،مما حدا بالأقاليم العربية أن تتخذ النزعة الانفصال عن جسم الدولة الإسلامية ؛ حسن احمد محمود و احمد إبراهيم الشريف، المرجع السابق،ص.537.

(3) ابن الأثير،المصدر السابق، ج.8،ص.337، وابن كثير، نفسه ، ج. 15 ،ص.725.

(4)Herbert M. J. Loewe , Muslim Civilization During The Abbasid Period , In Cambridge Medieval History, Great Britain , 1923 , Vol. IV , Chapter X , p. 304 .

(5) ابن كثير، نفسه ،ج.15، ص ص.788وما بعدها.

(6) وهي من أقوى المعارك في تاريخ المسلمين، حيث استطاع السلاجقة بقيادة ألب أرسلان وبجيش قوامه عشرون ألفًا فقط، أن يهزموا جيش الدولة البيزنطية المكوَّن من أكثر من مائتي ألف جندي بقيادة رومانوس الرابع إمبراطور الدولة البيزنطية، وكان جيش الدولة البيزنطية مكوَّنًا من خليط من الجنود البيزنطيين والجنود النورمان الإيطاليين المرتزقة، وكذلك من جنود غربيين مرتزقة، إضافةً إلى فرق من التركمان الآسيويين، وقد سُحِق الجيش البيزنطي في هذه المعركة، وقُتل منه عشرات الآلاف، وأسر رومانوس الرابع نفسه، وتمَّ فداؤه بمليون دينار، إضافةً إلى إطلاق سراح كل أسرى المسلمين لدى الدولة البيزنطية؛ انظر : ابن الأثير، المصدر السابق ، ج.8، ص ص.388،389؛ علي محمد الصلابي ، **دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي** ، دار الكتب والوثائق القومية ، الطبعة الأولى ،القاهرة، 2006/1427 ، ص.80.

(7) حسن احمد محمود و احمد إبراهيم الشريف، نفسه ،ص.606.

وانشغل ألب أرسلان بتثبيت دعائم دولته الكبرى، واهتم بالمنطقة الشرقية بصورة أكبر، ولكن سرعان ما قُتِل في أحد معاركه في بلاد ما وراء النهر بعد ملاذكرد بسنة واحدة في 464هـ/ 1072م، ليخلفه ابنه ملكشاه الذي حكم (465 - 485هـ /1072 - 1092م) ووصلت دولته من الصين شرقًا إلى بحر مرمرة غربًا، وهي الدولة التي عرفت بدولة السلاجقة الكبرى[1]،وعلى الرغم من هذا الاتساع الضخم إلا أنه حدث التنافس بين أبناء البيت السلجوقي؛ مما أدى إلى انقسام الدولة إلى خمسة أجزاء، بل وكان في داخل كل جزء عدة انقسامات أخرى، مما أعطى طابع الفُرقة والتشتُّت في أواخر القرن الخامس الهجري (أواخر القرن الحادي عشرالميلادي)، وهي الفترة التي شهدت الحركة الصليبية الغربية ، وعلى هذا، فان وضع الأمة الإسلامية في هذا الظرف يساعد على وقوعها في أزمة كبيرة ، مما ساعد الصليبيون على غزو العالم الإسلامي[2] .

لقد حدث صراع كبير بين السلاجقة الذين كانوا يعيشون في منطقة الأناضول (آسيا الصغرى) بقيادة سليمان بن قتلمش، وبين السلاجقة الذين يعيشون في الشام بقيادة تتش بن ألب أرسلان ويعاونهم سلاجقة فارس، وكان هذا الصراع في سنة478 هـ/ 1086م، ونتج عن هذا الصراع مقتل سليمان بن قتلمش، وهو أقوى ملوك السلاجقة الروم[3] ؛مما أدى إلى فراغ سياسيٍّ ضخم في آسيا الصغرى، خاصةً أنه ترك ولدًا صغيرًا على ولاية عهده هو قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش، وبالتالي تفككت منطقة آسيا الصغرى إلى عدة دويلات صغيرة منفصلة، بل ومتناحرة،وكان من الآثار السيئة الأخرى لهذا الصراع أن فَقَد سلاجقة الروم وسلاجقة الشام أي ثقة في لم الشمل، مما أضعف المقاومة أمام الصليبيين بعد ذلك[4]،وهكذا صار ملك السلاجقة موزَّعًا على الصورة الآتية في نهاية القرن الخامس الهجري (نهاية القرن الحادي عشر الميلادي)

أولاً :دولة السلاجقة الكبرى وهي التي خلفها ملكشاه الأول، وظلت تحكم أقاليم واسعة أهمها العراق وإيران ، وكانت لها السيطرة المباشرة على الخلافة العباسية، وهذه كان بها صراعات داخلية، وإن كانت ظلت متماسكة إلى حدٍّ ما، وكان يحكمها خلفًا لملكشاه[5] ابنه الأكبر بركياروق، وقامت ضده عدة ثورات من أقاربه وأعمامه، ولكنه ظل حاكمًا حتى وفاته (498هـ) 1104م[1]

---

(1) ابن الأثير، المصدر السابق ،ج. 8، ص.395.

(2)علي محمد الصلابي ، المرجع السابق،ص.81.

(3) النويري، المصدر السابق، ج. 27، ص.93.

(4) سعيد عاشور، الحركة الصليبية ،ج.1 ، ص ص.91،90.

(5) لم تستمر قوة السلاجقة بالصعود،فقد أخذت قوتهم بالانحلال إثر وفاة ملكشاه سنة 485هـ/ 1902م. وانقسم السلاجقة السلاجقة على أنفسهم، ووقعت الحروب بينهم،ولعل أكبر مظهر لانحلال سلطان السلاجقة في بلاد الشام والعراق وغيرها، ظهور عدد كبير من البيوت الحاكمة لا يجمعها رابطة سوى الاتصال بالبيت السلجوقي، ومن تلك البيوت ظهرت وحدات سياسية أطلق

=

ثانيًا :بيت سلاجقة كرمان (جنوب إيران ومنطقة باكستان)، وهم عشيرة قاروت بك بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، وهو أخو القائد الكبير ألب أرسلان .

ثالثًا :سلاجقة عراق العجم وكردستان (في شمال العراق)

رابعًا :سلاجقة الشام، وهم بيت تتش بن ألب أرسلان، وهؤلاء انقسموا على أنفسهم عدة انقسامات، وفتّتوا الشام إلى عدة إمارات .

خامسًا :سلاجقة الروم بآسيا الصغرى، وهم بيت قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق، والذي كان أكبرهم سليمان بن قتلمش أقوى ملوكهم، الذي قُتل سنة (479هـ) 1086م[2] .

ونتيجة هذه الصراعات المتتالية صار الوضع مزريًا قبيل دخول الجيوش الصليبية إلى أرض المسلمين .

ثانيا:أحوال العالم الإسلامي قبيل الحروب الصليبية

1/ أحوال الشام :

ظلت حلب إمارة مستقلة تحت زعامة رضوان بن تتش(1095- 1113م) الموالي للفاطميين ،وكان العداء مستحكما بينه ، وبين إمارة دمشق تحت حكم دقاق بن تتش الموالي للخلافة العباسية السنية ، أما فلسطين فقد كانت تحت حكم سقمان و إيلغازي أولاد أرتق التركماني، وهو أحد القادة الذين كانوا يتبعون تتش بن ألب أرسلان[3] ، ثم إن الدولة الفاطمية كانت مسيطرة على موانئ الشام، وأهمها صور وصيدا وعكا و جبيل، غير أن ميناء طرابلس كان إمارة شيعية مستقلة تحت حكم ابن عمار أبي طالب، وهو من الزعماء الشيعة المنشقِّين عن الدولة الفاطمية[4] ،فكان هذا هو حال الشام وهي المنطقة التي ستوجَّه إليها الحملات الصليبية القادمة .

2/ أحوال أسيا الصغرى:

=

عليها اسم الأتابكيات، وعلى أصحابها اسم الأتابكة عاش العالم الإسلامي عشية الحروب الصليبية التمزق السياسي و التناحر العسكري.

(1) للمزيد انظر: ابن كثير،المصدر السابق ، ج.16 ، ص.181و ما بعدها ؛ ابن القلانسي ، **ذيل تاريخ دمشق** ،تحقيق سهيل زكار ، دار حسان ط.1 ،دمشق،1403هـ/1983م، ص.127.

(2) شوقي أبو خليل ، **الحروب الصليبية** ، دار الفكر ،دمشق، 2009 ،ص.21.

(3) سعيد عاشور، المرجع السابق ، ج.1،ص ص.115-118 .

(4) ابن الأثير، المصدر السابق ، ج.8 ، ص ص.424،425.

ولم يكن حال آسيا الصغرى بأفضل من حال الشام، وخاصةً بعد مقتل سليمان بن قتلمش سنة 478هـ/1086م[1] ،وكان السلطان ملكشاه قد أخذ ابن سليمان بن قتلمش وهو قلج أرسلان إلى فارس تحت رقابته غير أنه عند وفاة ملكشاه وولاية ابنه بركياروق أطلق سراح قلج أرسلان ليصبح بذلك زعيم السلاجقة الروم[2] ،وإن لم يتمكن من السيطرة على كل آسيا الصغرى ،لانه لم يكن يمتلك الخبرة الكافية لهذه المهمة الكبيرة ، وهي قيادة منطقة تموج بالمشاكل والفتن، سواء من المسلمين أو من غير المسلمين؛ فالمشاكل الداخلية بين الأتراك، والمشاكل مع سلاجقة الشام كانت مستمرة و معقدة، إضافةً إلى وجودها إلى جوار الدولة البيزنطية العدو اللدود والتقليدي للمسلمين على مدار خمسة قرون متتالية،ثم إن آسيا الصغرى لم تكن وحدة واحدة ، فأزمير مثلاً كانت تحت إمرة زاخارس، بينما كانت هناك إمارة الدانشمند، وهي إمارة أسسها أمير تركماني اسمه أحمد غازي، وكانت تشغل الشمال الشرقي من آسيا الصغرى، وكانت على خلاف مستمر مع السلاجقة في آسيا الصغرى، ومن ثَمَّ كان التحالف بينهما نادرًا ما يحدث، وفي ظروف ضيقة جدًّا[3] ،وليس هذا فقط، فقد شهدت سنة 490هـ/ 1095م توسُّعًا بيزنطيًّا في غرب آسيا الصغرى، واستولت على الجهات الساحلية في بيثنيا وأبونيا[4] .

ومما زاد الموقف تعقيدًا في آسيا الصغرى وجود أعداد كبيرة من الأرمن كانوا يعيشون في دولتهم في هذه المنطقة منذ فترات طويلة، لكن الدولة البيزنطية ضمت أرمينيا إلى أملاكها في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، و مع توسع السلاجقة في القرن الخامس الهجري في آسيا الصغرى على حساب أملاك الدولة البيزنطية اجتاح السلاجقة الكثير من أقاليم أرمينيا؛ ما جعل الأرمن يهاجرون إلى الجنوب الشرقي من آسيا الصغرى حيث الطبيعية الجبلية الصعبة في إقليم قليقية، كما تركزوا في ثلاث مناطق أخرى متفرقة هي ملطية و الرُّها وأنطاكية مع العلم أن هذه المناطق الثلاثة الأخيرة كانت تجمعات بيزنطية قديمة، ومن ثَمَّ أصبحت خليطًا من الأرمن الكاثوليك والبيزنطيين الأرثوذكس، غير أن سليمان بن قتلمش استطاع ضم أنطاكية لحكم السلاجقة سنة477هـ/ 1085م، وتسرب إليها المسلمون ليعيشوا فيها جنبًا إلى جنب مع البيزنطيين والأرمن[5] ،وكذلك الرها فقد سيطر عليها ملكشاه، لكنه أقر على حكمها أحد الأرمن وهو ثوروس مع دفع الجزية ونفس الأمر

---

(1) النويري: المصدر السابق ، ج.27،ص.93.

(2) زامباور، **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي** ،ترجمة زكي محمد حسن بك و حسن احمد محمود ، دار الرائد العربي ، بيروت ،1400هـ /1980م،ص.215 ؛سعيد عاشور، المرجع السابق، ص ص.118،119.

(3) -Grousset (René), Histoire des Croisades et du Royaum Franc de Jerusalem, Paris, 1936, T.1, L Vll – Llll.p.129.

(4) سعيد عاشور، نفسه ، ج.1 ،ص.120.

(5) ابن الأثير، المصدر السابق ، ج.8، ص.294 .

حدث في ملطية فقد سيطر عليها أحد رجال الأرمن يُدعى جبريل، وكان كذلك يعلن الولاء للسلاجقة[1].

كان هذا هو الوضع في شرق العالم الإسلامي، سواء في مناطق آسيا الصغرى والشام وفلسطين أو في مناطق العراق وفارس، ولم يكن الوضع في بقية بلاد العالم الإسلامي طيِّبًا

3/ أحوال مصر:

وكانت مصر في هذه الأثناء تحت حكم الفاطميين، منذ سنة 358 هـ/ 969م بعد عدة محاولات لاحتلالها على مدار أكثر من خمسين سنة سابقة، ثم آلت لهم في النهاية مع شمال إفريقيا، وامتد حكمهم إلى الشام والحجاز،بالإضافة إلى مصر ، بل و انقسمت على نفسها في سنة 487هـ/ 1094م، عندما تُوفِّي خليفتهم المستنصر، وتكوَّنت فرقتان كبيرتان؛ الأولى هي التي تقطن بمصر وتحكمها، وهي المستعلية نسبة إلى المستعلي بن المستنصر .أما الفرقة الثانية فهي أشد شرًّا من كل ما سبق وهي فرقة النزارية، وهي المنتسبة إلى نزار بن المستنصر أخ المستعلي بن المستنصر [2].أما الطائفة التي كانت تحكم مصر في أواخر القرن الخامس الهجري ، أيام قدوم الحملة الصليبية فكانت طائفة المستعلية الإسماعيلية، وكانوا قد فقدوا السيطرة تمامًا على مناطق شمال غرب إفريقيا، ولم يعُدْ لهم في ملكهم إلا مصر، وكانت لهم أطماع كبيرة في الشام وفلسطين؛ ولذلك فإنهم كانوا في حروب مستمرة مع السلاجقة السُّنة، ولم يكونوا يمانعون أبدًا في التحالف مع الروم البيزنطيين تارة، ومع الصليبيين أنفسهم تارة أخرى في سبيل القضاء على السلاجقة، واقتطاع جزء من أرض الشام وفلسطين ،و استمر الوضع فترة من الزمان حتى ظهر نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي، إذن كانت هذه هي الحال في مناطق آسيا الصغرى والشام والعراق ومصر[3].

4/أحوال المغرب و الأندلس :

(1) Setton(Kenneth M.),op.cit. , l, p. 299.

(2) وهم الذين عرفوا في التاريخ باسم الباطنية، وهم يُظهِرون شيئًا ويبطنون أشياء أخرى، وكان من همِّهم الأكبر قتل علماء السُّنة ومجاهديهم، وسيكون لهم أثر سلبي شديد على حركات الجهاد التي تهدف إلى إخراج الصليبيين من أرض المسلمين، وكان هؤلاء الباطنية أهل حرب وحصون وقلاع، وبأس شديد في القتال، ، وكانوا أشدَّ على المسلمين من الروم والصليبيين ؛انظر أخبارهم في: ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج.8 ؛أبو شامة المقدسي،**الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية** ،تحقيق ابراهيم شمس الدين ،دار الكتب العلمية ،ط.1،بيروت، 1422هـ/2002م، ج.1،ص.239 ؛ أحمد مختار العبادي ، **في التاريخ العباسي و الفاطمي** ،دار النهضة العربية ،دط، بيروت ،دت،ص.267.

(3)نفسه ، ص ص.306-312.

كانت افريقية خلال هذه الفترة تحت حكم آل زيري[1]، وكانوا قد دخلوا في طور من الضعف؛ مما أدى إلى ضياع ثغر من أعظم الثغور الإسلامية، وهي جزيرة صقلية[2]، حيث استطاع النورمان أن يسيطروا عليها تمامًا سنة 484هـ/1091 م وبذلك زال وجود المسلمين من الجزيرة بعد حكم دام مائتين وسبعين سنة متصلة[3].

وكان وضع الأندلس أشبه بحال المغرب ، فبعد انقراض الخلافة الأموية في الأندلس في صدر المائة الخامسة الهجرية، استقل الحكام بمدنهم وتقسمت البلاد إلى دول وإمارات، فكانت هناك إمارة بني جهور في قرطبة وإمارة بني حمود في الجزيرة الخضراء و مالقة ودولة بني عباد في إشبيلية ودولة بني زيري في غرناطة، وهكذا، وهذا ما أطلق عليه اسم عصر ملوك الطوائف إلا أن قيام المرابطين كقوة إسلامية في ذلك الزمن، بدل الحال بلاد المغرب العربي وغرب إفريقيا والأندلس، فخضعت هذه المناطق لدولة المرابطين العظيمة تحت قيادة قائدهم الفذِّ يوسف بن تاشفين ، وهو من أعظم القادة في تاريخ الإسلام، وهو الذي أنزل بالصليبيين القادمين من شمال إسبانيا وفرنسا الهزيمة الساحقة في معركة الزَّلاَّقة سنة 479هـ/ 1086م في وسط بلاد الأندلس ، ووقفت في وجه حركة الاسترداد الاسباني[4]، و دولة المرابطين - على قوتها - لم تكن تستطيع أن تساعد بلاد المشرق في حروبهم ضد الحملات الصليبية، ليس لبُعد المسافة فحسب ولكن لانشغالهم الشديد في حرب الصليبيين شمال الأندلس، والوثنيين في غرب إفريقيا ووسطها[5] .

كانت هذه نظرة عامة على بلاد العالم الإسلامي في أواخر القرن الخامس الهجري (أواخر القرن الحادي عشر الميلادي)، وهو الوضع الذي مهَّد لدخول الصليبيين ، بسبب أن أحوال المسلمين اتسمت بالفُرقة

---

(1)علي أحمد، " **ظهور حركة الاسترداد بالأندلس وتطورها حتى نهاية القرن التاسع الهجري ودور المغاربة في كبح جماحها"** ،مجلة التاريخ العربي ،ع. 21،المغرب، 2002 ،ص. 160.

(2) فقد كانت الجزيرة عرضة للثورات و المعارك و القلاقل الداخلية مما أتاح الفرصة للنورمان (normand) فتدخلوا للسيطرة عليها في وقت كان فيه المسلمين يتناحرون و يتنافسون فيما بينهم فإذا بالنورمان يتربصون بهم حيى إذا اطل الربع الأخير القرن الخامس كانت صقلية تلفظ أنفاسها؛ انظر : عزيز احمد ، المرجع السابق ، ص.57.

(3) ابن خلدون، ، المصدر السابق ،ج. 6، ص.155.

(4) انتعشت حركة الاسترداد الإسبانية في عصر دول الطوائف بالأندلس، هذا العصر الذي امتد من سنة 422 هـ/ 1023 م إلى سنة 485 هـ/ 1092 م، وفيه دخل الأندلس عهد ملوك الطوائف فسقطت في محرقة حركة الاسترداد، التي مثلتها بشكل خاص دولة قشتالة ، في عصر ألفونسو السادس الذي فرض على دويلات الطوائف العربية دفع جزية سنوية و ، بسبب عدم التعاون فيما بينهم ؛ للمزيد انظر : علي أحمد، نفسه ، ،ص. 161.

(5) انظر الفصل الثاني المبحث الأول.

والخلافات في هذه الفترة فقد كانت أحوال المسلمين في الشرق في غاية السوء ،كان هذا هو وضع بلاد العالم الإسلامي قبيل الحروب الصليبية، فكيف كان وضع أوربا في هذه الآونة.

2-أوربا قبل الحروب الصليبية

انطلاقا من تعريفنا السابق للحروب الصليبية فان المنطلق لدراسة الحروب الصليبية لا يعني إغفال مسرح الأحداث، والإطار العام الذي ميز ظروف وصول الحملة الصليبية.

1/ الوضعية الدينية:

لعبت الكنيسة دورا مهما خلال الفترة الممتدة من القرن التاسع إلى الحادي عشر، إذ سيطرت سيطرة مطلقة على مجريات الحياة في أوربا، فكرية ودينية ، سياسية واقتصادية ، وعسكرية أيضًا(1).

ومن مظاهر تلك السيطرة التدخل في الشأن الملكية و ما يخص الملك ، فتنقلب عليهم الأوضاع، ويرفضهم الخاصَّة والعامَّة، هذا الوضع جعل الكنيسة اكبر قوة متفوقة على الإمبراطورية ، بل و تقود أوربا جميعها دون معارضة تنفيذا لسياستها الخارجية ،و هناك مثال يكفي للدلالة على قوة البابا في ذلك الوقت أن نذكر موقفًا للبابا جريجوري السابع الذي عرف بإذلال كانوسا الشهير(2) ،وكانت الكنيسة الكبرى –الكنيسة الغربية - هي كنيسة روما، والبابا يستطيع أن يتحكم في كل كنائس أوربا الكاثوليكية، ومن ثَمَّ يستطيع توجيه الأحداث ، وهذا بعد حركة إصلاحات شاملة عرفت باسم – الحركة الكلونية - في القرن الحادي عشر(3) ، ولم تكن الكنيسة مكان عبادة أو معلِّم للأمور الدينية فقط، إنما كانت مؤسَّسة ضخمة تُؤدَّى إليها سنويًّا الأموال الغزيرة ، ومن ثَمَّ فإنها كانت تملك الإقطاعيات الكبيرة في أوربا، بل وكانت تملك الفرق العسكرية التي تدافع عن هذه الإقطاعيات، وكانت الكنيسة تتحالف مع الإقطاعيين ، ومن هنا أصبحت الكنيسة تمثِّل الحاكم الحقيقي لمعظم دول أوربا الغربية(4).

ومع كون الكنيسة تحتل خلال فترة القرن التاسع و العاشر الميلاديين - هذه المكانة الكبيرة إلا أن القساوسة كانوا على درجة كبيرة من الجهل و سوء الفهم ، ولم يكن لهم في الغالب أي كفاءة دينية أو إدارية أو قيادية هذا

---

(1) William B. Stevenson, The First Crusade , in Cambridge Medieval History, Vol. 5 P. 273.

(2) بابا و قديس و قد تولى المنصب البابوي في المدة من 22 افريل 1073الى 15 ماي 1085 ، وذلك خلفا للبابا هونوريوس الثاني الذي تولى المنصب في 28 اكتوبر 1061 ،محمد مؤنس عوض ، المرجع السابق ، ص.54،الهامش 2.

(3) و قد بدأت هذه الحركة باصلاح الكنسية في القرن العاشر ، ولكن لم تلبث أن اتسع نطاقها في القرن الحادي عشر ، و تحول هدفها إصلاح شؤون الكنيسة بشكل عام و علاج الأمراض التي استشرت في الكنيسة من خلال عدة مجامع عقدت في القرن الحادي عشر ؛ سعيد عاشور ،المرجع السابق ،ج.1 ،ص.20.

(4)عبد العظيم رمضان ، المرجع السابق ، ص.319 ؛ قاسم عبده قاسم، المرجع السابق ، ص.65.

خلال هذه الفترة [1]، ولم يكن هذا فقط، بل إن معظم البابوات في القرن التاسع والعاشر الميلادي كانوا على درجة كبيرة من الفساد الأخلاقي،و السيمونية [2] سواء في قضايا المال أو في قضايا النساء[3]، وكثير منهم قُتل في حوادث أخلاقية مخلَّة[4]، مع أنهم جميعًا كانوا يدَّعون الرهبانية، ويعلنون اعتزالهم مُتَع الحياة، ويشيعون الزهد في الدنيا، ويمتنعون عن الزواج، ثم يرتكبون بعد ذلك أبشع جرائم [5]،ومع هذا الوضع السيئ للبابوات والقساوسة إلا أنهم كانوا يسيطرون على الأوضاع في أوربا بفعل التيار الإقطاعي[6] الذي جرفها معها أدى في النهاية إلى أن المناصب الوظائف الكنسية تباع و تشترى ، و على العموم كانت وضعيتها في غاية السوء[7] ، إلا أن ملامح التغيير بدأت تظهر في القرن الحادي عشر للميلاد[8]، فقد ظهرت صحوة داخل الكنسية إلى أن بلغت ذروتها في القرن الثاني عشر للميلاد ، واستمرت حتى انبعاث النهضة الأوروبية في القرن الخامس عشر للميلاد ، فأطلق عليها المؤرخون اسم "نهضة القرن الثاني عشر"[9]، في حين أنهم أعطوا أهمية خاصة لسنة ألف للميلاد1000م[10]، إذ اعتبروها نقطة التحول الكبرى في تاريخ أوروبا حيث مست أركان الحياة المختلفة.[1]

---

(1) نورمان كانتور، المرجع السابق ، ق.1، ص.108-303.

(2) السيمونية تعني المتاجرة بالمناصب ، وهي نسبة الى سيمون الساحر وهو شخص سامري الاصل ، ماهر في فن السحر ،تنصر و اراد ان يشتري من بطرس الرسول سلطان وضع الايدس و صنع المعجزات ، فخذل ؛ قاسم عبده قاسم، المرجع السابق ، ص.66.

(3)المقصود هو عهد يوحنا الثاني عشر 955-964 فكان كتالا واضحا عن فساد الكنيسة و البابوية ، وبسبب الفساد مات معظم البابوات خلال القرن العاشر بسب قتل و اغتيال و لم على سريره إلا نادرا ؛ نفسه، ص.79.

(4) نفسه ، ص.79.

(5) نفسه ، ص.65.

(6) ظهر النظام الإقطاعي في القرن الثامن و نما و تفرع في القرن التاسع و يختلف النظام الإقطاعي في نشأته من مكان لآخر في غرب أوربا وفق الظروف و الملابسات و لكنه قام في جوهره على أساس العلاقة الشخصية التي ارتبطت بحيازة الأرض ، للمزيد انظر ، سعيد عبد الفتاح عاشور و اسمنت غنيم ، **تاريخ أوربا العصور الوسطى** ، ،ج.2 ،ص.55 .

(7) نفسه ، ص.66.

(8) وقد برز من البابوات ورجال الدين الإصلاحيين ، الذين لهم وجهة نظر سياسية و طموح سلطوي ، مثل جريجوري السابع (الشيطان المقدس)الذي سعى إلى تحقيق سمو بابوي و سيطرة على مجريات الحكم و السياسة آنذاك ، وخليفته أوربان الثاني صاحب أول دعوة إلى الحملات الصليبية ،مصطفى وهبة ، **موجز تاريخ الحروب الصليبية** ،مكتبة الإيمان، الطبعة الأولى، ،المنصورة، 1997، ص.9.

(9) لأنها مست جميع أركان الحياة في أوربا ؛انظر : سعيد عبد الفتاح عاشور ، أوربا العصور الوسطى ،ج.2 ص.19.

(10) ومن الأفكار المهمة التي أشاعها البابوات والقساوسة في القرن الحادي عشر – أي قبيل الحروب الصليبية بقليل – أن الدنيا على وشك الانتهاء، وأن يوم القيامة قد اقترب جدًّا، وأن هذا مرتبط بمرور ألف سنة على نهاية عهد المسيح عليه السلام، وكانوا يفسِّرون كل الظواهر الكونية والطبيعية في ذلك الوقت على أنها أدلة على صدق الإشاعة، ومن ذلك مثلاً ثورة بركان فيزوف في

=

و في غمرة تلك الأحداث أشاع البابوات والقساوسة وسيلة أخرى للتخلص من الذنوب لها علاقة كبيرة بما نحن له دارسون، فمنذ القرن العاشر شجعت على رحلات الحج إلى أرض فلسطين مهد المسيح[2]، وذلك للتكفير عن الذنوب، وكانت رحلات الحج التكفيرية هذه تستغرق من الناس جهدًا كبيرًا ووقتًا طويلاً، قد يصل إلى سبع سنوات، وكانت هذه الرحلات بديلاً عن دفع المال الكثير للكنيسة[3]، ومن ثَمَّ رغب فيها الفقراء الذين لا يستطيعون شراء رضاء الكنيسة، ومن هنا توالت رحلات الحج لفلسطين، وأصبحت هذه الرحلات تقليد عند الناس؛ ولذلك انتشر اسم فلسطين، وصار متداولاً بين عموم الناس، ولا شك أن هذا ما هيأ النفوس لقبول فكرة الحروب الصليبية بعد ذلك، فهي تذهب إلى مكان مألوف محبوب سمع الناس كثيرًا عنه، وشُجِّعوا على الذهاب إليه، بل إن فلسطين صارت حُلمًا لكثير ممن يريد الذهاب للتخلص من ذنوبه و تتويج لحياة المرء ، فقد ذهب خلال القرن الحادي عشر كثير من ملوك عظام و الكونتات و العظام.[4]

وتشير الكثير من المصادر والوثائق أن استقبال المسلمين الذين يحكمون الشام وفلسطين لهؤلاء الحجاج كان استقبالاً طيبًا جدًّا، ولم يثبت أي محاولات تضييق عليهم كما يحاول البابوات أن يشيعوا؛ لكي يسوّغوا فكرة الهجوم على فلسطين لتسهيل رحلات الحج لنصارى أوربا[5]، و على هذا الأساس اعتبروا أن الرحلة إليها ستُغفر الذنوب، كل هذا وغيره مهَّد لفكرة الحروب الصليبية وغزو فلسطين.

هناك شعور جديد انتاب بابوات الكنيسة الغربية ، يفسر ولع الغرب بقضية فلسطين خصوصًا والشرق عمومًا، هي ظهور رغبة عند بعض بابوات روما لضم الكنيستين الغربية الكاثوليكية والشرقية الأرثوذكسية تحت سقف واحد، يحكمه الكاثوليكيون ، وكان الذي تبنَّى هذا المشروع بقوة هو البابا جريجوري السابع، وهو البابا

=

إيطاليا، أو حدوث بعض الصواعق أو الزلازل ، عندما مرت تلك السنة دون حدوث ما توقعه الناس كان ذلك عامل نحو العمل بجدية و الإقبال على الحياة ؛ انظر: قاسم عبده قاسم ،**الحروب الصليبية ، نصوص و وثائق** ، الحملة الأولى ،عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، ط.1 ،عين شمس، 2001،ص ص43-48.

(1) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج.1، ص.18.

(2) انظر الملحق واحد،ص ص.209،210.

(3) قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية ، ص.20.

(4) Setton(Kenneth M.),op cit l, pp. 74-75.

(5) ولمزيد من التفاصيل عن حركة الحج حتى القرن العاشر الميلادي؛ انظر:

Runciman (Steven), A. History of The Crusades, Cambridge University Press,1951,vol. 1, pp.39 – 44.

السابق مباشرة للبابا أوربان الثاني الذي وقعت في عهده الحروب الصليبية، وكان من ضمن الخطوات التي أخذها البابا جريجوري السابع لإتمام هذه الخطوة الفريدة أن بدأ يحسِّن من علاقاته مع الإمبراطور البيزنطي[1].

2/ **الوضعية الاقتصادية**

عاشت أوربا عدة قرون تعاني من أزمات اقتصادية طاحنة، فمع خصوبة الأرض إلا أنها غير كافية لأنها مكتسحة بالغابات، واستصلاح الأراضي وزرعها يحتاج إلى جهد و إمكانيات ، و ليس من السهل توفرها في البيئات الجاهلة، وخاصةً في المناطق الشمالية ذات المناخ البارد جدا، هذا بالإضافة إلى ضعف المواصلات وانقطاع الطرق؛ مما كان مما لا يسمح بنقل المنتوج ولو بغرض التجارة، ومن ثَمَّ فندرة المحصول الغذائي ساهم في بروز المجاعة القاتلة ،وكانت هذه المجاعات تستمر أحيانًا سنوات، مما يؤدِّي إلى فناء قرى ومدن، فضلا عن انتشار الأمراض وانعدام العلاج يساهم في موت المزيد والمزيد، فقد أفنت الأمراض الآلاف من الناس هذا فضلا العذاب الذي تئن منه نفوس المرضى ، وكل هذه الأمور جعلت الفقراء والفلاحين يضيقون ذرعًا بحياتهم، ويشعرون بالإحباط الدائم واليأس المستمر[2].

وفي أخريات القرن الحادي عشر، وخاصةً في السنوات العشر التي سبقت الحروب الصليبية حدثت مجاعات رهيبة قاتلة، في شمال فرنسا وغرب ألمانيا، ولعل هذا يفسِّر خروج الكثير من الجيوش من هذه المناطق، التي كان لا بد لها من أن تهرب إلى أي مكان به طعام وشراب، ولو كان هذا المكان على بُعد مئات وآلاف الأميال، فلن يكون أسوأ من الموت جوعًا[3]،و كانت أوربا الغربية تعاني من زيادة سكانية كبيرة خلال القرن الحادي عشر ميلادي مما طرح مشاكل ترتبط بالأراضي زراعية و موارد اقتصادية ، إذ كانت موارد أوربا محدودة و غير كافية لسد احتياجات السكان المتنامية ، ومع هذا الوضع زادت تطلعات فرسان ونبلاء أوربا لزيادة ملكياتهم و ثرواتهم[4].

وعلى النقيض من هذه الصورة، كانت هناك صورة مختلفة تمامًا في الجنوب الأوربي ، وعلى سواحل البحر الأبيض المتوسط، فقد ظهر نشاط المدن و خاصة في شمال ايطاليا في ذلك الوقت وأفاد تجَّار الجنوب الأوربي من وجودهم على السواحل في التجارة مع حوض البحر الأبيض المتوسط بكامله، بل تجاوزوه إلى داخل آسيا وإفريقيا، وكان من أبرز الموانئ التي ظهرت في الفترة التي سبقت الحروب الصليبية موانئ إيطاليا، وخاصةً

(1) عزيز سوريال عطية ، **العلاقات بين الشرق و الغرب** ،ترجمة فيليب صابر سيف ، دار الثقافة ،ط.1 ، مصر ، 1972، ص.35 ،وما بعدها .

(2) مصطفى وهبة ،المرجع السابق ، ص.11.

(3) Setton(Kenneth M.),op cit l, p. 22.

(4) مصطفى وهبة ، نفسه، ص.12.

جنوة وبيزا[1]، فكانت هذه الموانئ تمثّل قوة اقتصادية مؤثرة في هذا الوقت، وكانت القوة الاقتصادية المنافسة الوحيدة هي قوة الاقتصاد الإسلامي، وكانت لهذه القوة مراكزٌ مهمة في الشام ومصر والمغرب، وكذلك في الأندلس، وكان هذا التنافس دافعًا للموانئ الإيطالية أن تتربص بالمسلمين قدر استطاعتها ،وهكذا كان هناك شبه اتفاق بين المقهورين الكادحين الجائعين، وبين الاقتصاديين والأثرياء المتخمين لغزو العالم الإسلامي والمشاركة في الحروب الصليبية[2].

3/ الوضعية السياسية:

شهد القرنان التاسع والعاشر الميلادي - قبل الحروب الصليبية بقرن من الزمان - عدَّة هجمات ضارية على أوربا، سواء من الفايكنج القادمين من إسكندينافيا، أو النورمان ،أو من المسلمين القادمين من الأندلس ،و الشمال الإفريقي، وهذا مما أدى إلى ارتفاع الروح القتالية عند عموم الناس، وتحول الأوربيون إلى الشكل العسكري، حتى صارت صورة الشخص النبيل العظيم هي صورة الفارس المقاتل[3]،ونتيجة نمو هذا الفكر العسكري داخل أوربا، كان لا بد للقوى المختلفة أن تصطدم معًا، فبدأ الصراع بين الدول الأوربية المختلفة بغية التوسع والسيطرة، ثم قُسّمت الدول إلى إقطاعيات منفصلة متصارعة فيما بينها، ، وكوَّن كل أمير ميليشيات عسكرية خاصة به، وعمَّت الفوضى كل أرجاء أوربا؛ مما أدى إلى فَقْد الكنيسة السيطرة على هذه القوى الكثيرة والمتناحرة[4].

مثلت فترة القرن الحادي عشر بداية عهد جديد في أوربا تميز بالإبداع و النهوض كنتيجة للجهود التي لجهود الفرد الأوربي منذ القرن السادس الميلادي ،كما ظهر في هذا العهد قادة كبار و زعماء بارزون (حسب رؤية الغرب) مثل وليم الفاتح ملك انجلترا ، الإمبراطور هنري الثالث و ابنه هنري الرابع ،و روجر الأول حاكم صقلية وروبرت جويسكارد و ابنه بوهيمنود أبرز زعماء الحركة الصليبية الأولى ، و الفونسو السادس ملك قشتالة[5]،وكان الوضع أشد ما يكون ترديًا في فرنسا، حيث فقد ملك فرنسا السيطرة كُلِّيَّةً على البلاد، وصار

---

(1) تمكن البيازنة (أهل بيزا)من استرداد جزيرة سردينيا سنة 1016م بتشجيع من البابا بنيدكت الثامن بعدها قام بحارة موانئ جنوة و بندقية وبيزا الذين قاموا بطرد المسلمين من شواطئ أوربا مشبعين بروح الحماسة و الحيوية التي طغت على ملامح الأوربيين انذاك ، انظر ، مصطفى وهبة ، المرجع السابق.ص.12.

(2) عزيز احمد ،المرجع السابق،ص.57.

(3) قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية ، ص ص.32،33.

K. Setton(Kenneth M.),Ibid, pp. 15 – 16.

(4) قاسم عبده قاسم، نفسه ، ص.74،73.

(5) مصطفى وهبة ، نفسه ، ص.9.

الحكم فيها لأمراء الإقطاعيات، وتفتّت الدولة إلى إمارات متعددة، كلٌّ منها له جيشه الخاص[(1)]، أما الوضع في ألـمانيا فكان أفضل حالاً، حيث ظهر فيها ملك قويّ هو هنري الثالث، ثم ابنه هنري الرابع، وذلك في القرن الحادي عشر وقبيل الحروب الصليبية مباشرة؛ وهذا أدى إلى تماسك الوضع نسبيًّا في ألمانيا[(2)]، وإن كان هناك خلاف خطير نشأ بين هنري الرابع والبابا في روما كما مر بنا[(3)]، كان له توابع محيمة إذ انقسمت ألمانيا إلى قسمين و تعرضت لهجوم الأباطرة المنافسين بمباركة البابا أحيانا و بدون مباركته أحيانا أخرى ،و تأخرت ألـمانيا عن أحداث الحملة الصليبية الأولى رغم مشاركة جموع غفيرة في جملة الفلاحين – إحدى الحملات الصليبية-[(4)] و بعض الفرسان المسؤولين الألمان[(5)].

وفي إنجلترا ظهر ملك قوي أيضًا هو وليم الفاتح(1066-1067)عمل على توحيد الأمة و لم شملها ، وعمل على تحرير انجلترا من عيوب النظام الإقطاعي ، ولكن وضع إنجلترا الاقتصادي كان سيئًا جدًّا؛ مما جعلها مشغولة تمامًا بنفسها[(6)]، أما الدويلات النصرانية في شمال الأندلس(استوريا Austuria، و قشتالة Castile ، و نافار Navarre، أراجون Aragon)بالإضافة إلى إقليم البرتغال ،فكانت في حرب صليبية مستمرة ضد المسلمين[(7)] ، وتأتي القوة العسكرية الأخيرة في غرب أوربا متمثلة في إيطاليا،فقد كان الجزء الشمالي من ايطاليا لا زال تحت حكم الإقطاع مما أدى إلى الخلافات بين الإقطاع و البابوية ، فظل هذا محل نزاع مدة من الزمن خلال القرن الحادي عشر[(8)]، ومن الناحية الأخرى كان الجنوب الذي كان تحت سيطرة البيزنطيين ،ثم أصبح تحت حكم النورمانديون الذين بحثوا عن المجد و توسيع الرقعة، خاصة بعد ظهور زعيم قوي جدًا هناك هو روبرت جويسكارد[(9)]، الذي كانت له أحلام توسعية هائلة وصلت إلى حروب مباشرة مع الدولة البيزنطية

(1) كانتور، المرجع السابق ، ق.1،ص ص.272-282.

(2) قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية ، ص.74.

(3) عن النزاع بين البابوية والإمبراطورية حول التقليد العلماني؛ انظر:سعيد عبد الفتاح عاشور ،تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، ص.307.

(4) عن هذه الحملة ؛ انظر :محمد سعيد عمران ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص.25.

(5)عزيز سوريال عطية ،المرجع السابق ،ص.36.

(6) قاسم عبده قاسم، نفسه ،ص.57.

(7) عزيز سوريال عطية ،نفسه ،ص.37.

(8) نفسه ،ص.37-65.

(9) انتزعت صقلية كذلك من المسلمين بواسطة النورمانديين بقيادة روجر توسني (روجار) بعد حرب دامت ثلاثين عاما (1060-1090)وقد اعتبر الكثير من المؤرخين حرب صقلية حربا صليبية لحرص البابوية على تشجيعها و تأييدها بل هناك من =

العتيدة، بل وبذل أولى المحاولات لاحتلال أنطاكية التي كانت في حوزة البيزنطيين ثم المسلمين، وكان الذي يبذل هذه المحاولات هو ابنه شخصيًّا، وهو الأمير بوهيموند، الذي سيكون بعد ذلك أحد أمراء الحملة الصليبية الأولى ،كما صاحب ظهور هذه القوة الإيطالية المتنامية نمو سريع لأسطول بحري عسكري لميناء البندقية الإيطالي[1] ، وصار له أثر مباشر في تغيير سير الأحداث في حوض البحر الأبيض المتوسط بكامله.[2]

إذن فالوضع السياسي في أوربا كان يضم عددًا كبيرًا من العسكريين المتصارعين، والمتنافسين على تقسيم البلاد عليهم، ولما كانت أوربا ضيقة وطبيعتها الجبلية والثلجية معوِّقة، كان التفكير في التوسع خارج أوربا، كما فكر في ذلك روبرت جويسكارد زعيم النورمانديين الإيطاليين، كما سيحدث بعد ذلك في الحروب الصليبية.

4/ الوضعية الاجتماعية و الثقافية :

لم تكن الشعوب الأوربية في ذلك الوقت شعوبًا مستقرة، بل كانت تعيش حياة البدو الرُّحَّل،لان البلدة كانت عبارة عن مجموعة من أكواخ الفلاحين و بيوتهم المكدسة قرب مساحة من الأرض التي يتولون زراعتها ،و كانت في أقاليم فرنسا الجبلية فرنسا و اسكتلندا وويلز و ايرلندا و بريطانيا كان نمط البلدة هو السائد وهذا أدى إلى عدم وجود روح الاستقرار والتمسُّك بأرض معينة، ولعل هذا سهَّل كثيرًا على الناس أن يتركوا أوربا بكاملها، ويتجهون إلى فلسطين بحثًا عن نظام حياة أفضل وأسعد[3].

=

اعتبرها دافعا لتأسيس لبوهيمند لانتزاع سوريا من المسلمين هي احد العوامل التي شجعت الصليبيين للاتجاه نحو الشام ؛ أحمد الشامي،**تاريخ العلاقات بين الغرب و الشرق في العصور الوسطى** ،دار النهضة العربية ،ط.1،دم، 1985 ،ص. 61؛قاسم عبده قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ،ص.72؛ارنست باركر،المرجع السابق،ص.20.

(1) منتصف القرن الحادي عشر ا لميلادي كانت البندقية قد بنت أسطولها القوي، وفي نفس الوقت كانت جنوا وبيزا قد بدأتا التجارةعلى طول شواطئ البحر ا لمتوسط مع مارسيليا وناربون وبرشلونة، وقد أخذت جنوا وبيزا زمام ا لمبادرة في الهجوم على أساطيل ا لمسلمين التي كانت قد دأبت على مهاجمة موانيهما والاستيلاء على سفنهما، وقد ابتكرت مدن الشمال الإيطالي الكوميونات و هي عبارة رابطة تجمع كل سكان ا لمدينة وليس التجار فقط يرتبطون بقسم يتعهدون فيه بالحفاظ على السلام والدفاع عن الحريات العامة وطاعة الحكام و لم يلبث كوميون جنوا وكوميون بيزا وجمهورية البندقية التجارية أن فرضت نفسها على تجارة البحر المتوسط، ثم لم تلبث هذه ا لمدن التجارية أن تحولت إلى جمهوريات مستقلة غير خاضعة لسلطة الكنيسة؛ قاسم عبده قاسم ، نفسه ، ص.36.

(2) وقد استطاع هذا القائد أن يُسقِط البلقان البيزنطية تحت سيطرته ؛ قاسم عبده قاسم ، نفسه ،ص.71.

(3) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج.1،ص.36 ؛ قاسم عبده قاسم ، نفسه ، ص.50.

كانت فئة الفلاحين تقوم بالأعمال الشاقة من زرع للأرض و إزالة للغابات التي تحتاجها أوربا ، وكان الفلاحون في أوربا يعانون بطش أمراء الإقطاع[1] ، ولم يكن لهم أدنى حقوق، بل كانوا يباعون مع الأرض ، ويستغلون تمام الاستغلال لجلب الرفاهية لمالك الإقطاعية، وهذا ما ولَّد عندهم شعورًا بالحقد تجاه ملاَّك الأراضي وملاَّكهم، ولكن لم يكن لهم فرصة ولا حتى حُلم في الخروج من أزمتهم[2].

كان جزء من الفلاحين يتحولون تدريجيا إلى عبيد يخدمون السادة الإقطاعيين أو النبلاء ، وكان الكثير منهم يفضلون اللجوء إلى الكنيسة و الأديرة ليصبحوا عبيدا للرب ، يعملون في الأراضي الزراعية التي تمتلكها الكنائس و الأديرة في ذلك الوقت، فقد كان هؤلاء السادة أو أصحاب الإقطاعيات يعتبرون أنفسهم ملاكا لكل شيء الأرض ومن عليها بما فيها العبد ، و بالمقابل أن عبيد الأرض لا يتمتعون بأي حقوق ، وهكذا كان الفلاحون فريسة للخوف الدائم ، والاضطراب المستمر ، والافتقار والأمن ، و كانت أيامهم تمضي كئيبة في انتظار مستقبل لا يأتي ، المجاعات و الأوبئة بين الحين والأخر ، كما وقعوا تحت سادتهم الإقطاعيين الذين ساموهم سوء العذاب[3] ، وفوق هذا الأسى الذي كان يعيشه معظم الشعوب فإن الجهل كان مُطبِقًا على الجميع ، وكانت الأمية طاغية، ولم يكن هناك أي ميل للعلوم، وهذه الحالة المتخلفة جعلت من السهل جدًّا السيطرة عليهم بأية أفكار أو دوافع، ولم يكن عندهم من القدرة العقلية والذهنية ما يسمح لهم بتحليل الأفكار المعروضة عليهم، أو ما يمكِّنهم من الاختيار بين رأيين متعارضين، وهذا كله سهَّل مهمة إقناعهم بترك كل شيء، والتوجه للحرب في فلسطين[4].

هذه الوضعية بينت، أن المجتمع الأوربي كان مكوَّنًا من طبقات متباينة: دينية ، وسياسية ،واقتصادية وشعوبية، وكل هذه الطوائف لها أهدافها ومطامعها، تصغر أو تكبر بحسب حجمها، وسيكون من العجيب حقًّا أن تظهر شخصية تجمع أهداف هذا الشتات في هدف واحد، وتدفعهم جميعًا على اختلاف مستوياتهم المادية والعقلية في اتجاه واحد، فيخرج الجميع، كلٌّ يبحث عن غايته، وكلٌّ يسعى لتحقيق سعادته.

---

(1) مع انه كان عنصر منتج إلا انه كان يعيش يحي حياة أدنى من حياة الحيوان لا من حيث المسكن فحسب فكذلك المأكل ، والمشرب و الملبس ، و لم يكن الفلاح الأوربي يأكل اللحم الطازج سوى مرة واحدة في عيد ميلاد المسيح ، ويحتفظ بما يتبقى منه مقددا و مملحا ليأكل منه طوال العام ، فقد تدهور الزراعة و نقص محصولها الدائم سببا من أسباب المجاعة ؛مصطفى وهبة ، المرجع السابق ، ص.11.

(2) قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية ، ص.61.

(3) مصطفى وهبة ، نفسه، ص.12 .

(4) نفســه ، ص.11 ؛ Boase(T.S.Ross), Kingodoms and Stronghlds of The Crusaders, Thames Press , London . 1971, pp. 16-17 .

تُرى من هي هذه الشخصية؟ وكيف جمعت هذا الشتات؟ وما هي الدوافع الحقيقية للحروب الصليبية؟ وهل هي حرب سياسية أم اقتصادية أم دينية؟

المبحث الثالث : دوافع الحروب الصليبية

إن الأسباب التي تقف وراء نشوب الحروب الصليبية متعددة و متداخلة و معقدة و الحق أن الحروب الصليبية تمثل مرحلة هامة من تاريخ العصور الوسطى للغرب الأوربي و الشرق الإسلامي على أثرها احتدم الصراع و ظهر بوضوح و يبدو أن العمل الديني برز بجلاء من لدن المسيحيين و المسلمين [1] ،بينما نجد أن بعض المؤرخين ينفون واحدية السبب أو الباعث على مستوى الواقع التاريخي الذي هو جزء من مجموعة دوافع فاعلة مشتركة مع أن العامل الديني ظل لعدة قرون يقدم المبرر المثالي لشن الحروب الصليبية على المسلمين [2].

أولاً : الدوافع الدينية:

كان الدافع الديني من العوامل التي دفعت بالصليبيين إلى المواجهة ، فقد كان عنوان الحروب الصليبية وتبرز أهمية الجانب الديني أنهم استعملوا إشارة الصليب على أسلحتهم والأمتعة الخاصة بهم ، وقد كانت حركة الإحياء الديني قد ظهرت في غرب أوروبا في القرن العاشر الميلادي ، وبلغت أشدها في القرن الحادي عشر ، قد زادت من قوة البابوية ، وإثارة الحماس الديني في نفوس الناس ، هذه الحماسة استغلتها الكنيسة كمتنفس خارجي وعندما ما ظهرت فكرة الحرب الصليبية اتخذت الكنائس الغرب الأوروبي ميداناً واسعاً لاستغلال نشاطه المكبوت وحماسته المنطلقة [3]، وكان ذلك باسم تخليص القدس من أيدي المسلمين[4].

من أشهر من تبنى الدعوة إلى الحروب الصليبية هو البابا " أوربان الثاني " والذي يعتبر المسؤول الأول عن الترويج لحرب المسلمين والتحريض على إرسال الحملة الأولى إلى بلاد الشام وكانت الظروف مهيأة ، فسارع إلى عقد اجتماع في مدينة (كليرمنت) في فرنسا[5]،واستمر المؤتمر عشرة أيام حضره أكثر من ثلاثمائة من

---

(1) محمد سعيد عمران ،المرجع السابق، ص.17.

(2) محمد مؤنس عوض ، المرجع السابق ،ص ص. 17،18 .

(3) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج.1، ص.20.

(4) علي محمد الصَّلاَّبي ،دولة السلاجقة ، ص.437.

(5) شهدت مدينة "كليرمونت" الفرنسية حدثًا خطيرًا في (26 من ذي القعدة 488هـ/ 27 من نوفمبر 1095م) كان هو نقطة البداية للحروب الصليبية، حيث وقف البابا "أوربان الثاني" بابا الفاتيكان في جمعٍ حاشدٍ من الناس يدعو أمراء أوربا إلى شنِّ حرب مقدَّسة من أجل المسيح، وخاطب الحاضرين بلغة مؤثرة تكسوها الحماسة، ودعاهم إلى تخليص الأرض المقدسة من سيطرة المسلمين،ونجدة إخوانهم في الشرق، ودعا المسيحيين في غرب أوربا إلى ترك الحروب والمشاحنات،وتوحيد جهودهم لقتال المسلمين في الشرق؛ نفسه،ص.336.

=

رجال الكنيسة كما حضره أمراء [1] من مختلف أنحاء أوروبا ، ومندوبون عن الإمبراطور البيزنطي ، وممثلون عن المدن الإيطالية[2]،كما أن البابا أشار إلى ما أسماه بالخطر الإسلامي المحدق بأوروبا من جهة القسطنطينية ، وأعلن أن النصارى في المشرق يعانون من ظلم المسلمين ، وأن الكنائس والأديرة قد أصابها الدمار ، وحث الحاضرين على الانتقام من المسلمين[3]،والحقيقة إن ما أثاره البابا من تعرض نصارى المشرق إلى اضطهاد هو إدعاء باطل ، لا يتفق وروح الإسلام وطبيعة الدعوة إليه ، وما أحاط النصارى به ، من رعاية وعناية، وكان من الشعارات التي رفعت في هذه الحرب أن الحجاج من النصارى كانوا يتعرضون للاضطهاد والعدوان وهم في طريقهم إلى بيت المقدس - قبيل الحروب الصليبية وهذا إدعاء باطل كذلك [4] ، يقول أحد كبار المؤرخين الأوروبيين : إن حالات الاضطهاد الفردية[5] التي تعرض لها المسيحيون في البلدان الإسلامية في الشرق الأدنى بالذات لا يصح أن تتخذ بأي حال سبباً حقيقياً للحركة الصليبية ، لأن المسيحيين بوجه عام تمتعوا بقسط وافر من الحرية الدينية وغير الدينية في ظل الحكم الإسلامي ، فلم يسمح لهم فقط بالاحتفاظ بكنائسهم القديمة ، وإنما سمح لهم أيضاً بتشييد كنائس وأديرة جديدة جمعوا في مكتباتها كتبا دينية متنوعة في اللاهوت[6].

ويقرر أكثر من مؤرخ منصف أن النصارى الذين خضعوا لحكم السلاجقة ، كانوا أسعد حالاً من إخوانهم الذين عاشوا في قلب الإمبراطورية البيزنطية ذاتها ، وما وجد أي دليل على اضطهاد السلاجقة للنصارى في المشرق[7] ، إلا أن صيحات البابا كانت محمومة حاقدة لا تعقل ولا تفكر في العواقب الوخيمة لتصريحاته الرعناء ، وإلا ماذا يعنى قوله لأتباعه : اذهبوا وأزعجوا البرابرة ، وخلصوا البلاد المقدسة من الكفار ، وامتلكوها لأنفسكم

=

(1)عبد الله بن عبد الرحمن الربيعي ، **أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوروبي خلال الحروب الصليبية**،دن، الرياض ، 1994، ص.81.

(2) استطاع البابا أن يثير حماس السامعين في " خطابه " فتجاوب في أرجاء المجتمع هتاف بترديد عبارة " هكذا أراد الله " وبادر الحاضرون إلى اتخاذ الصليب شارة لهم ؛ نفسه ،ص.25 .

(3) ويل وايريل ديورانت ،**قصة الحضارة**، ترجمة عبد الحميد يونس ، دار الجيل ،المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم،بيروت و تونس ،دت،ج.4،ص.16

(4) انظر خطبة أوربان في الملحق الأول،ص ص.209،210.

(5) لعله يقصد للخليفة الفاطمي عندما قام باضطهاد أهل الذمة ، ومنع الحجاج المسيحيين من الوصول إلى بيت المقدس سنة 1009م ،و هدم كنيسة القيامة و غيرها من الكنائس في بيت المقدس ، أم غيرها من الفترات فقد عاشوا في كنف الدولة الإسلامية يعيشون عيشة هادئة ؛ محمود محمد الحويري ، **بناء الجبهة الإسلامية المتحدة و أثرها في التصدي للصليبيين** ،دار المعارف ، ط.1 ،القاهرة، 1992، ص.32.

(6) سعيد عاشور،الحركة الصليبية ،ج.1،ص.30.

(7) نفسه،ص ص.26-28.

، فإنها كما تقول التوراة ، تفيض لبناً وعسلاً[1] وقد وعد البابا جموع المشاركين بالحرب ، برفع العقوبات عن المذنبين منهم ، وبإعفائهم من الضرائب ، كما وعدهم برعاية الكنسية لأسرهم مدة غيابهم[2].

ولعل ما يدخل ضمن الدافع الديني أيضاً أنه ذاعت في الغرب أخبار الكرامات والمعجزات التي بثتها الكنيسة ، وساد الاعتقاد بأن نزول المسيح ثانية إلى الأرض أصبح وشيكاً ولابد من المضي في الاستغفار وعمل الخير ، قبل هبوطه ، كما ساد تصور مفاده أنه ينبغي استرداد الأرض قبل عودة المسيح [3]، وقد أدرك البابا أن فورة فورة الحماس الديني لن تستمر طويلاً ، فدعاً إلى القسم بأن تؤدى الصلاة في كنيسة القيامة ، وأشاع أن اللعنة (سيف النقمة) ستحل على كل من يستولي عليه الجبن والضعف أو نكص على عقبيه ، وهدد بأن يتعرض كل من لا يلبي نداء الكنيسة بالتوجه صوب الديار الإسلامية بالحرمان من الكنيسة [4]، وهذا من دهائه وقدرته على توظيف العواطف والمشاعر لخدمة مشروعه .

لقد كانت التحوّلات الدينية في أوروبا من الأسباب الرئيسية لقيام الحروب الصليبية، ذلك أن كنيسة روما بعد اعتناق الفرنجة للنصرانية، غدت نداً للكرسي البطريركي في القسطنطينية، واختصت كنيسة روما دون غيرها بلقب البابا، ولعبت البابوية دوراً مهما في إقامة دولة الفرنجة الكارولنجية كمنافسة لإمبراطورية بيزنطة، ومن ثم أخذت البابوية تطمح إلى توحيد كنيستي الشرق والغرب تحت نفوذها[5]،ولاحت الفرصة حين استنجد استنجد ميخائيل السابع بارابنيسز Michael vll parapinaces ملك بيزنطة1071- 1078 م، بالبابا جريجوري السابع Gregory vll 1058 ـ 1073م، يدعوه لإرسال حملة لإنقاذ آسيا الصغرى من الترك، و تطلعت البابوية إلى تأسيس حكومة في الشرق تجمع بين السلطتين الزمنية والدينية[6]، ولذلك حرضت البابوية على الحروب الصليبية، حيث اتخذ البابا أربانوس الثاني urbanus ll" 1088 م ـ 1099 م [7]،

---

(1) علي محمد الصلابي، المرجع السابق ، ص.458.

(2) عبد الله بن عبد الرحمن الربيعي ، المرجع السابق ،ص. 26.

(3) علي محمد الصلابي، نفسه ، ص.458.

(4) نفسه ، ص.459.

(5) أحمد الشامي ، تاريخ العلاقات بين الغرب و الشرق في العصور الوسطى ،ص.61.

(6) قاسم عبده قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، ص.77.

(7) لد أوربان الثاني عام 427هـ/1035م في شاتيون سير مارن واسمه أودو ، وقد درس على يدي القديس برنو الذي أسس نظام الكارسوسيين ، وفي عام 461هـ/1068م أصبح راهباً في دير كلوني بالقرب من ماكون ، وقد التحق بخدمة البابا المتسلط المؤمن إيماناً راسخاً بتفوق البابوية على الإمبراطورية ، ونعني به جريجورى السابع وتم تعيينه كاردينالاً أسقفاً لاوستياً في عام 473هـ/1080م ،وخدم الكنيسة في ألمانيا خلال المرحلة من (477هـ/1084م إلى 478هـ/1085م)،وقد ساند على نحو شرعي البابا جريجوري السابع في خلال صراعه مع الإمبراطور هنري الرابع ، وقد ارتبط أربان الثاني بسينودس (مجمع كنس)

=

المعروف بتعصبه ضد المسلمين عندما كان راهباً لدير كلوني، والذي غذّى حرب المسلمين في الأندلس، وادعى أن الحجاج المسيحيين يلاقون الاضطهاد والأذى أثناء زيارتهم إلى بيت المقدس، فاتخذ من ذلك ذريعة لحرب المسلمين، وكان هذا البابا يرى بأن وظيفة البابوية الأساسية هي القيادة العليا للحرب المقدسة، ثم إن الحروب الصليبية هي بمثابة سياسة البابوية الخارجية، فهي التي تديرها وتتحرك وفقها، و البابوات هم الذين نظموا الحرب ووجّهوها[1].

فالأكيد أن للحركة الصليبية بواعث حقيقية و أسباب قوية لان استنجاد الأباطرة البيزنطيين بالبابوية لدفع الضغط السلجوقي الذي ضغط على البيزنطيين وغزا أراضيهم، لكن لو لم يكن هناك أسباب أخرى اكبر من ذلك،لما نتج عنها استجابة واسعة للغرب الأوربي خصوصا إن أوضاعه الاقتصادية صعبة للغاية.

أما في الأندلس فقد بدأ نجم الدولة الأموية في الأفول بما اعتراها من الضعف و أخذت فكرة الحروب الصليبية في التبلور منذ القرن التاسع الهجري حتى إذا حلت أواخر القرن الحادي عشر ،ففي سنة 1018م بدأ المدد المسيحي الأوربي يصل للأسبان المسيحيين في حروبهم ضد المسلمين لطردهم من اسبانيا ،وقد انطلقت الحروب الصليبية في اسبانيا عندما توجه روجر توسني roger de tosni سنة1018م على رأس جيش من النورمنديين إلى كتالونيا لمؤازرة الإسبان وفي الجزء الأوسط من البحر المتوسط[2].

من خلال ما سبق نستنتج أن التعصب الديني المسيحي ضد الإسلام كان العامل الظاهر البارز، وكان هو المسيطر على البابا وبعض الملوك الذين قرروا المشاركة في الحملات، وكذلك بعض الجنود كفرسان المعبد، لذا تعالت الأصوات الحاقدة مطالبةً باحتلال الأراضي الإسلامية في بيت المقدس خاصةً، وإخراج المسلمين منها، كما أرادت الكنيسة الكاثوليكية الغربية أن تكون لها السيطرة الدينية في الشرق كما لها في الغرب؛ لذا نشرت الكذب على الشعوب المسيحية الأوربية، وأشاعت بينهم أن المسلمين يضطهدون المسيحيين في الشرق، ويمنعونهم حرياتهم الدينية، كما أجّجت الأحقاد التي غرستها في نفوس هذه الشعوب ضد الإسلام والمسلمين طَوَال قرون عديدة.

=

في ساكسوني الذي عقد عام 478هــ/1085م ،وعند وفاة البابا فيكتور الثالث في 16ديسمبر 1087م في مونت كاسينو تم السيطرة على روما عن طريق كايمنت الثالث ، وتم انتخاب أوربان الثاني بعد تأخير طويل في تراكينا إلى الجنوب من روما بالقرب من جايتا وحمل اسم أوربان الثاني(481- 493هــ/1088- 1099م)؛ انظر،محمد مؤنس،المرجع السابق ،ص. 63.

(1) محمود محمد الحويري ، المرجع السابق ، ص. 33 .

(2) أحمد الشامي، المرجع السابق ، ص . 61 ؛قاسم عبده قاسم ، المرجع السابق ، ص. 72؛ارنست باركر، المرجع السابق،ص. 20.

ثانيا : الدوافع الاقتصادية:

يعتبر التطلع إلى خيرات المشرق الإسلامي ، من أقوى دوافع الحروب الصليبية بعد الدوافع الدينية وقد عبر البابا (أوربان) نفسه في خطابه عن أهمية العامل الاقتصادي بالنسبة لواقع أوروبا آنذاك[1] ، و الهدف من ذلك هو السيطرة والتملُّك؛ إذ إن البابوية قد تمسكت بفكرة ملء الفراغ الذي نجم عن هزيمة البيزنطيين في موقعة ملاذكرد سنة 463هـ/ 1071م[2]؛ بسبب اندفاع السلاجقة في الأراضي البيزنطية، وعجز البيزنطيين عن صدهم، فرأت أن تَهُبَّ أوربا الغربية في الدفاع عن هذه المنطقة وحُجَّاجها الأوربيين، وذلك باحتلال بلاد الشام، وقد ناصرها في ذلك معظمُ ملوك أوربا الغربية[3].

اشترك عدد كبير من تجار المدن الإيطالية والفرنسية والإسبانية في الحروب الصليبية بغرض استغلالي بحت من أجل السيطرة على الطرق التجارية للسلع الشرقية التي أصبحت مصدر ثراء للمشتغلين بها ، لذلك قامت أساطيلهم بدور فعال في الاستيلاء على المراكز الرئيسية في الشام ، فساعد الجنويون الفرنج في الاستيلاء على إنطاكية سنة 490هـ - 1097م ، وأسهم البنادقة بعد ذلك بعامين في استيلاء اللاتين على بيت المقدس ، وكان هدف هذه الجاليات الأول والأخير هو الربح والكسب المادي ولم يكن يعينها الباعث الديني إلا بالقدر الذي يحقق مصالحها ، ويكفي أن نعرف أن شعار البنادقة الذين عرفوا به وقتذاك كان : لنكن أولاً بنادقة ثم لنكن بعد ذلك مسيحيين.[4]

إن الحروب المدمرة بين الإقطاعيات كما كان للعوامل الداخلية شأن في إذكاء هذا الدافع؛ إذ كان الإقطاع يشكِّل الدعامة الأساسية للنظام السياسي والاجتماعي في أوربا، حيث كان لكل إقطاعية محاربوها، وكانت هذه الإقطاعيات تخوض حروبًا مدمرة فيما بينها؛ مما استنزف طاقاتها، وخلَّف وراءها مشاكل اجتماعية وسياسية قاسية، لذلك عمل الباباوات على توجيه الفرسان لقتال المسلمين بدلاً من الانصراف إلى الحروب الداخلية والمنازعات فيما بينهم، أي تحويل تفاقم الخطر الداخلي وتنامي الأطماع والمكاسب إلى اتجاه خارجي[5]،المجتمع الأوربي يعاني ظروف قاسية

---

(1) عبد الله بن عبد الرحمن الربيعي ، المرجع السابق ، ص. 138.

(2) انظر علي محمد الصلابي، المرجع السابق ،ص.86.

(3) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية ، ج.1 ، ص.70.

(4) نفسه ، ج.1 ، ص.35.

(5) قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية ، صص.51-54

بالإضافة إلى ذلك كان نشاط المسلمين التجاري قد أزعج الجمهوريات الإيطالية التي كانت تريد احتكار البحر الأبيض المتوسط لصالحها؛ لذا أرادت الدفع في اتجاه البدء في الحملات لتحقيق تلك المصالح الاقتصادية ،كما طمع هؤلاء الملوك في خيرات الشرق التي كانوا يشترونها من التجار المسلمين بأسعارٍ عالية.إضافةً إلى ذلك رغبة المدن الإيطالية – بيزا، وجنوا، والبندقية، وأملفي – Amalfi في توسيع ميدان سلطانها التجاري الآخذ في الازدياد ، ذلك أنه لما استولى النورمان على صقلية من المسلمين(1060-1091) م ، وانتزعت الجيوش المسيحية منهم جزءاً كبيراً من أسبانيا أصبح البحر المتوسط الغربي حراً للتجارة المسيحية ، وأثرت المدن الإيطالية وقويت لأنها هي الثغور التي تخرج منها غلات إيطاليا والبلاد الواقعة وراء الألب ، وأخذت هذه المدن تعمل للقضاء على تفوق المسلمين في الجزء الشرقي من البحر المتوسط وتفتح أسواق الشرق الأدنى لبضائع غربي أوروبا[1]، ولذلك قامت جمهوريات إيطاليا (جنوا – بيزا – البندقية) بعقد معاهدات مع أمراء الصليبيين بالمشرق حصلت بمقتضاها على امتيازات اقتصادية هامه[2].

يضاف إلى هذه العوامل، حدوث حالات القحط والجفاف التي ضربت بعض المواقع في أوروبا، ما أدى إلى انتشار الأوبئة والأمراض والمجاعات، ودفع بالبسطاء والفقراء للاشتراك في تلك الحروب لقاء مأكلهم ومشربهم وملبسهم.

ثالثا : الدوافع الاجتماعية:

كانت الغالبية العظمى من الطبقات الدنيا في المجتمع الأوربي تحيا حياةً ملؤها البؤس والشقاء في ظلِّ النظام الإقطاعي؛ فانتشرت بينها الأوبئة والمجاعات، وكان ذلك بسبب الظروف القاسية التي عاشها الفلاحون في غرب أوربا في تلك الفترة[3] وإن جميع الوثائق تشير إلى سوء الأحوال الاقتصادية في غرب أوروبا في أواخر القرن الحادي عشر ، وكانت فرنسا بالذات تعاني من مجاعة شاملة قبيل الحملة الصليبية الأولى ، ولذلك كانت نسبة المشاركين منها تفوق نسبة الآخرين ، فقد كانت الأزمة طاحنة حيث لجأ الناس إلى أكل الحشائش والأعشاب ، وبذلك جاءت هذه الحرب لتفتح أمام أولئك الجائعين باباً جديداً للخلاص من أوضاعهم الصعبة وهذا ما يفسر أعمال السلب والنهب للحملة الأولى ضد الشعوب النصرانية التي مروا في أراضيها[4]، فكثير من الأراضي الزراعية تعرَّض للخراب نتيجة لهجمات البرابرة؛ فقلَّت الأقوات في الوقت الذي ازدادت فيه أعداد السكان، وزاد الأمر سوءًا الحروبُ والمنازعات بين الأمراء الإقطاعيين، إضافة إلى النكبات الطبيعية

(1) محمود سعيد عمران ، المرجع السابق ، ص.20.
(2) نفسه ،ص.468.
(3) نفسه ، ص.19.
(4) سعيد عبد الفتاح عاشور، أضواء جديدة على الحروب الصليبية،ص ص.10، 11.

والاقتصادية التي عانى منها الغرب الأوربي حينذاك، فعاش الناس في المنطقة عيشة الفَقر والحِرمان والخوف(فقد انتشرت في هذا العصر التنبؤات بقرب ظهور السيد المسيح مرة أخرى ،وكان على كل شخص مسيحي أن يسرع بالتوبة قبل ضياع الفرصة ،وقد قالت الكنيسة بإمكان تحقيق ذلك باشتراك في الحج و الحرب الصليبية المقدسة[(1)] ،و هكذا ساد أوربا خلال فترة القرن الحادي عشر النظام الإقطاعي ،وقد دفعتهم هذه الأوضاع إلى الاشتراك في الحروب الصليبية.[(2)]

كما ضرب البابا على وتر استثارة الجائعين، فقال: "لا تدعوا شيئًا يقعد بكم، ذلك أن الأرض التي تسكنونها الآن -والتي تحيط بها البحار وتلك الجبال- ضيقة على سكانها الكثيرين، وتكاد تعجز عن كفايتهم من الطعام، ومن أجل هذا يذبح بعضكم بعضًا، ويلتهم بعضكم بعضًا، إن أورشليم أرض لا نظير لها في ثمارها، بل هي فردوس المباهج".[(3)]

إن سوء الأحوال الاقتصادية في غرب أوربا في أواخر القرن الحادي عشر، بالذات فرنسا التي كانت تعاني من مجاعة شاملة قبيل الحملة الصليبية الأولى؛ لذلك كانت نسبة المشاركين منها تفوق نسبة الآخرين، فقد كانت الأزمة طاحنة حيث ألجأت الناس إلى أكل الحشائش والأعشاب، وبذلك جاءت هذه الحرب لتفتح أمام أولئك الجائعين بابًا جديدًا للخلاص من أوضاعهم الصعبة، وهذا ما يفسِّر أعمال السلب والنهب للحملة الأولى ضد الشعوب النصرانية التي مرّوا في أراضيها.[(4)]

بهذا العرض يتبين أنَّ الوضع الأوربي الداخلي كان مهيَّأً لبداية هذه الحملات العنيفة على العالم الإسلامي، ومن ثَمَّ حانت لحظة البداية الأرض المقدسة بين البابا والمسيح.

<u>رابعا : الدوافع الشخصية :</u>

ابتكرت الكنيسة الحرب الصليبية الأولى التي أطلقت عليها الحرب المقدسة على غرار بقية الحروب الصليبية الأخرى لتبرير ،و تحقيق المصالح التي كان البابوات يهدفون إليها ،و التي كانت مخالفة لتعاليم الكنيسة ،و معنى أن الأغراض الشخصية للبابوات ساقت المسيحيين لخوض غمار هذه الحروب تحت ستار من الدين و بواجهة تحمل الكنيسة ،ومن أمثلة الدوافع الشخصية أن البابوية أخذت تعمل على تحويل الحروب الإقطاعية[(5)] ، ذلك أن نسبة كبيرة من أمراء غرب أوربا و فرسانها فكروا في المشاركة في الحروب الصليبية طمعا في تحقيق

---

(1) محمود سعيد عمران ، المرجع السابق ، ص.19.

(2) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج.1 ، ص ص.34-38.

(3) مصطفى وهبة ، المرجع السابق ، ص.11.

(4) علي محمد الصلابي، المرجع السابق ،ص.463.

(5) احمد الشامي ، تاريخ العلاقات بين الغرب و الشرق في العصور الوسطى ،ص ص.65،66.

جاه دنيوي أو نفوذ سياسي و المعروف أن النظام الإقطاعي في غرب أوربا قام في العصور الوسطى على أساس الأرض بحيث صارت مكانة كل أمير أو فارس تتحدد بما يتحكم فيه من أراض حتى قيل (لا سيد دون ارض) لذلك فإنهم تحمسوا للمشاركة في الحروب الصليبية طمعا في تأسيس إمارات لأنفسهم في الشرق ،و الاستيلاء على أراض تعوضهم عن سوء موقفهم في الغرب.[1]

و قد اعترف الكثير من الغربيين بأن الكثير من الذين خرجوا في الحروب الصليبية قد تركوا بلادهم إما بدافع الفضول ، وإما للخلاص من حياة الفقر التي كانوا يحيونها في بلادهم ، وإما للتهرب من ديونهم الثقيلة ، وإما للفرار من العقوبات المفروضة على المذنبين منهم ، وإما لتحقيق مكاسب سياسية و اقتصادية [2].

و هكذا اجتمعت عوامل عديدة لتجعل فئات مختلفة و جموعا غفيرة من أهالي الغرب الأوربي يلبون الدعوة في الانضمام للحركة الصليبية ، و يجدون في تلك المغامرة الجديدة فرصة ذهبية للخلاص من ديونهم ،و سوء أوضاعهم لتحقيق مكاسب سياسية ،و اقتصادية ،و شخصية في بلاد الشرق الإسلامي وان عمد أولئك على إلصاق شارة الصليب على ثيابهم مما اكسب حركتهم اسم الحروب الصليبية.[3]

خامسا :الدوافع السياسية :

إذا كانت الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية وراء اندفاع فئات اجتماعية واسعة سعيا لتحسين أحوالها من المشاركة في الحروب الصليبية فان مشاركة ملوك أوربا و أمرائها و فرسانها لها ما يبررها ،فيثبت التاريخ أن ملوك غرب أوربا مثل فردريك بربروسا ريتشارد قلب الأسد و فيليب أوغسطين و فردريك الثاني خرجوا لمحاربة المسلمين إلا تحت ضغط البابوية و إلحاحها بل وتهديدها [4] ،فلا يستطيع ملك من ملوك الغرب أن يعصي لها أمراً ، أو يرد لها طلباً ، وإلا تعرض للحرمان والطرد من الكنيسة ورحمتها ، فلا يستطيع الاحتفاظ بعرشه أو بولاء شعبه، أما الأمراء الذين أسهموا في الحروب الصليبية ، فمعظمهم كان يجري وراء أطماع سياسية لم يستطيعوا إخفاءها قبل وصولهم إلى الشام ومعظم هؤلاء الأمراء كانوا لا يملكون إقطاعا في بلادهم بموجب نظام الأكبر ، ويؤكد هذا صراع هؤلاء الأمراء فيما بينهم ، وكيف أنهم أخذوا يقسمون الغنيمة وهم في طريقهم إلى الشام[5] .

---

(1) سعيد عبد الفتاح عاشور، أضواء جديدة على الحروب الصليبية، ص.14.

(2) احمد الدسوقي اسماعيل سرور ، **التعبئة الإعلامية في الحروب الصليبية** ، رسالة ماجيستير ، جامعة محمد بن سعود الاسلامية، 1403 ، ص.87.

(3) نفسه، ص.17.

(4) سعيد عاشور ،الحركة الصليبية ،ج.1 ، ص.40.

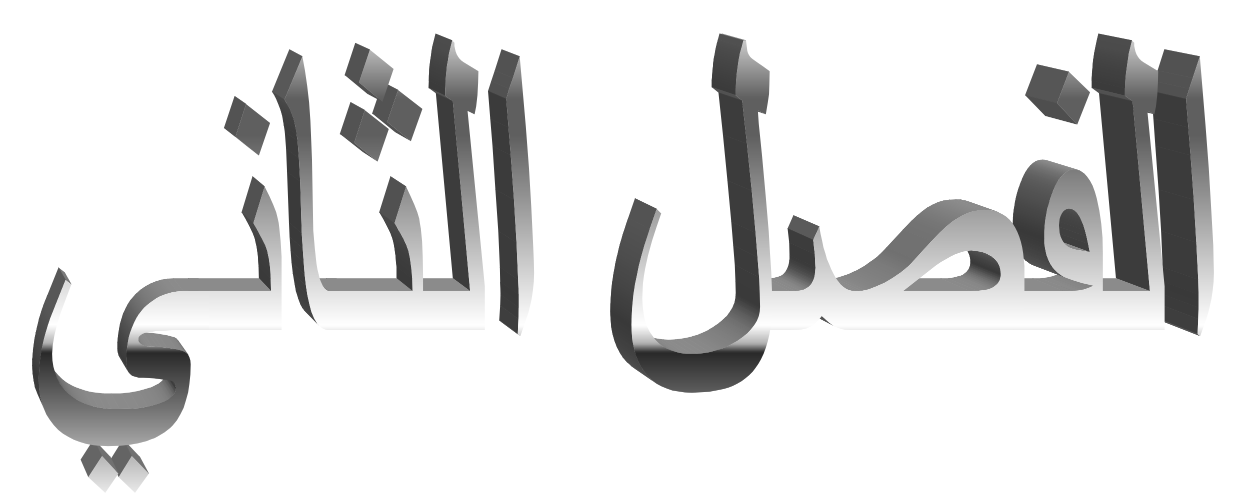
(5) سهيلة زين العابدين ،"**الحروب الصليبية**"، مجلة المنار ، ع. 70 ،القاهرة، جمادى الأولى1424 هـ ، ص.28.

إن موقعة ملاذكرد سنة 463هـ/1071م كانت أفدح كارثة حلت بالإمبراطورية البيزنطية حتى نهاية القرن الحادي عشر هذا ما دفع الإمبراطور البيزنطي ميخائيل السابع (1071-1078م) إلى الاستنجاد بالغرب ، فأرسل في سنة1073م سفارة إلى البابا جريجوري السابع يطلب يد المساعدة ، فصادف ذلك قبولا واسعا لدى البابوية ، ونتيجة لذلك أرسل البابا إلى ملوك و حكام أوربا سنة 1074م يحثهم على إنقاذ الإمبراطورية البيزنطية باعتبارها الحصن الأمامي الذي يحمي المسيحية من الإسلام في الشرق [(1)]،وعندما وقع الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين (1081-1118م)تحت ضغط السلاجقة في آسيا الصغرى ، فعل مثلما فعل ميخائيل السابع إذ اتجه نحو البابا أوربان الثاني (1088-1099م)يطلب منه المساعدة و ناقش معه مسألة توحيد الكنيستين الشرقية و الغربية ، فلقى حماسا متقدا و انتشارا واسعا في الغرب الأوربي[(2)].

و على هذا النسق درج الأسبان والفرنسيون في قتال المسلمين في بلاد الأندلس، حيث أتخذ هذا القتال صفة الحرب المقدسة، من جهة المسيحيين في الحالة النفسية التي اقترنت بتوجيه الحرب الصليبية إلى الشرق،فقد ذكر الصلابي أن المؤرخ الكبير (ابن الأثير) نظر إلى الخطر الخارجي نظرة شمولية، واعتبر أي عدوان على طرف من أطراف العالم الإسلامي – سواء في الشرق والغرب – رافد يصب في النهر الأكبر، وهو الغزو الأجنبي المنظم على أكبر قوة حضارية في العصور الوسطى، وهو الدولة الإسلامية[(3)]، الأندلس، صقلية، الشام – فلسطين والتي تكمن في الفرقة، والأطماع الذاتية، وفقدان الروح الوثابة التي تميز بها الحكام والمسلمون الأوائل بناة الدولة الإسلامية[(4)].

وهكذا يبدو انه إذا أردنا أن نقف على الدوافع الحقيقية لتلك الحملات الصليبية ، فعلينا بالبحث في الأوضاع السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية في غرب أوربا في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي .

(1) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج.1 ، ص ص.125،126 ؛ ارنست باركر ، المرجع السابق ، ص ص.18،19؛ محمود محمد الحويري ، المرجع السابق ، ص.28.
(2) باركر ، نفسه ، ص.19؛ سعيد عاشور ، نفسه ، ج1 ، 126.
(3) علي محمد الصلابي، المرجع السابق ،ص.460.
(4) نفسه ،ص.461.



الحملات الصليبية في الأندلس و افريقية

المبحث الأول: دور التعاون بين المغاربة و الأندلسيين في صد الحملات الصليبية في الاندلس .

المبحث الثاني: المغرب في قلب المشاريع الصليبية.

المبحث الثالث : الحركة الصليبية في افريقية وجزر البحر المتوسط.

الفصل الثاني : الحملات الصليبية في الأندلس و افريقية

المبحث الأول: دور التعاون بين المغاربة و الأندلسيين في صد الحملات الصليبية .

واجه المغرب و الأندلس منذ زمن مبكر ضغطا متصلا من الغرب المسيحي ، فالروح الصليبية لم تضعف أو تهمد على مر العصور والقرون منذ دخول شارلمان شمال الأندلس 161ه/777م ،و حتى سقوط مملكة غرناطة ربيع الأول 897ه/1492م ،و الحقيقة أن الحملات الصليبية ضد المسلمين في الأندلس سبقت حكم ملوك الطوائف بزمن طويل[1].

1- أثر تفكك ملوك الطوائف في اشتداد الحملات الصليبية على الأندلس :

تفكك الأندلس في عصر ملوك الطوائف إلى وحدات صغيرة ومتناحرة فيما بينها حتى بلغت ستا وعشرين دويلة إسلامية ، يحكمها أمراء عرب وعدة من الموالى والبربر[2], وهذا الوضع الذي آلت إليه الأندلس جاء في أعقاب تفكك الحكم الواحد الذي عرف بعصر الولاة [3] و الإمارة والخلافة الأموية ،وقد بلغ بهم الأمر إلى إظهار الحقد لبعضهم البعض[4].

كانت أحوال المسلمين بالأندلس دافعا للحملات الصليبية , وتبعا لتلك الأحوال تشتد أو تهدأ الحملات الصليبية ضدهم , فعندما تكون على ما يرام نجد أن محاولات الصليبية تقتصر على المدن المجاورة لحدود الممالك والإمارات الصليبية مثل سمورة[5] و شلمنقة .

إن بداية الحملات الصليبية ضد المسلمين بالأندلس سبقت حكم ملوك الطوائف بزمن طويل .إذ نجد أن عدد من المدن الإسلامية قد ألت للصليبيين مثل مدينة سمورة التى سقطت في 129ه/746م ، وفي العام الموالي سقطت ثلاث مدن إسلامية وهي شقوبية[6] وشلمنقة

---

(1) للمزيد ،انظر عبد المحسن طه رمضان ، **الحروب الصليبية في الأندلس ميلادها وتطورها** ، مكتبة الانجلو المصرية،دط،القاهرة، 2001،ص.200فما بعدها.

(2) للمزيد ، انظر :عنان، المرجع السابق ، دول الطوائف، ص. 17.

(3) يمتد عهد الولاة (95 ــ 138 هــ/ 714 ــ 756 م)، وكانت الأندلس في هذا العهد تابعة للخلافة الأموية حتى سقوطها يعينون الولاة بالأندلس من قبل بني أمية أو من قبل من يقيمونه بالقيروان ؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص. 39؛ احمد مختار العبادي ، **في تاريخ المغرب و الأندلس** ،دار النهضة العربية ،دط، بيروت ،دت،ص.81.

(4) ابن الكردبوس(أبو مروان عبد الملك التوزري)،**تاريخ الأندلس** ،تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية ،دط،مدريد،1966،ص ص.78،79؛ابن الخطيب،**أعمال الأعلام** ،تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المكشوف ،ط.2، بيروت ،1956،ص.144-244؛فراد محمد أزرقي،**القوى المغربية في الأندلس**،ديوان المطبوعات الجامعية،دط، الجزائر،دت،ص.104 .

(5) سمورة :بين سمورة و البحر ستون ميلا،وهي مدينة محدثة تقع شمال غرب طليطلة ؛انظر:الحميري ،المصدر السابق، ص ص. 324،325 .

(6) شقوبية (Segovia): ليست مدينة وإنما هي قرى كثيرة متجاورة و متلاصقة ، وتقع إلى شمال مدينة طليطلة؛نفسه، ص.350.

وبنبلونة[1] ،ثم جاء الدور على أسترقة و لك[2] ،ولعل السبب في هذا الوضع يعود إلى ضعف المسلمين ونزاعاتهم العرفية بين العدنانية و القحطانية[3], من جهة والعرب و الأمازيغ من جهة أخرى[4] , وبلوغ الدولة الأموية عهد الشيخوخة , وهنا تجدر الإشارة إلى أن الدولة الأموية أعاقت حركة توسع الصليبي, بل ومنعت بعض المحاولات مثل حملة شانجة الأول بن غرسيه في عهد الخليفة عبد الرحمان بن الناصر ،ومحاولة رذمير الثالث في عهد المنصور بن أبي عامر قرب بلد الوليد 371ه/981م ,ومحاولة أردون الثاني سنة 302ه/914م التي نجح فيها وتمكن من السيطرة على مدينة يابرة[5].

أن الخلاف بين حكام الطوائف، واستنجادهم بالأسبان، شجع الأخيرين على مواصلة سياستهم التوسعية،و بمؤازرة البابوية حيث توجهت أنظارهم، في عهد فرناندو[6]،إلى طليطلة،التي ضيّق عليها كثيراً في عهده، و عليه فان خطة الاستيلاء على المدينة بدأت منذ ولايته ، إلا أن وفاته عام 458هـ/1065م، أبعد الخطر الأسباني مؤقتاً، ولكن بروز شخصية الفونسو السادس، جدد مشروع الحركة التوسعية[7].

استخدم الصليبيون سياسة التهديد ،ومن ذلك خطاب الفونسو السادس[8] للمتوكل بن بن الأفطس مطالبا إياه عدد من الحصون والقلاع ومقدار من الأموال ,وخير واصف لهذا

---

(1) مدينة بالأندلس شمال طليطلة بينها و بين سرقسطة مائة و خمسة و عشرون ميلا بها كانت دار مملكة غرسية بن شانجة بنيلونه: عاصمة مملكة نافار أو بلاد البشكنش كما تعرف في التواريخ العربية، وكانت نافار منذ الفتح الإسلامي لإسبانيا من أشد الولايات الإسبانية مقاومة للمسلمين، وتبعد ولاية بنيلونه ثلاثمائة كيلومتر عن مدينة مدريد، وتقع على الضفة اليمنى لأحد أفرع نهر إيبرو؛ الحميري ،المصدر السابق ،ص.104.

(2) المقري ، المصدر السابق ، ج.1 ص.330؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج. 1،ص. 230.

(3) للمزيد حول هذا الموضوع ابن الأثير، المصدر السابق، ج. 3، ص ص. 480،481؛ المقري، نفسه،ج. 1، ص. 290؛ حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص.143.

(4) المتمثلة في ثورات البربر على العرب في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك أهمها ثورة الأشراف، وثورة بقدورة،ابن الأثير،نفسه، ج.4،ص ص. 416،417 ؛ ابن عذاري،المصدر السابق،ج.2،ص.30؛حسين مؤنس،نفسه،ص.262.

(5) ابن عذاري ، نفسه، ج.2 ، ص. 172.

(6) فرناندو الأول بن سانشو(ت 458هــ/1065م)كان يحكم قشتالة وليون و جليقية و اشتوريش،كان يمثل في سيرته و سياسته اتجاه مسلمي الاندلس رمزا صليبيا واضحا،وبداية جلية للتوسع المسيحي فقد فرض إتاوة سنوية على عدد من ملوك الطوائف المسلمين،قام بمهاجمة مدينة قلمرية التي استولى عليها بعد حصار طويل 456هــ/1063م؛انظر محمد عنان،المرجع السابق،دول الطوائف،ص ص.384،385.

(7) مجهول ،الحلل الموشية، ص.39؛سعد عبد الله البشري ، "**الدور الفرنسي في الحروب الصليبية ضد مسلمي الأندلس**" ،مجلة جامعة أم القرى، ع.4، مكة(السعودية)،1411هــ،ص.182.

(8) بعد وفاة شانجه464هــ/1072م استدعي الفونسو السادس من منفاه في طليطلة ليصبح ملكا على عرش المملكة النصرانية الكبرى التي أعاد إليها وحدتها بعد أن وحد قشتالة و ليون و اشتوريش ،و جليقية و البرتغال و الجزء الواقع على نهر البيبرو المشتمل على ولايتي ريويا و بسكونيا من مملكة نبرة ، انظر يوسف أشباخ ،**تاريخ الأندلس**،ترجمة محمد عبدالله عنان ،مؤسسة الخانجي ،ط.2، القاهرة،1958،ج.2، ص ص.23،22؛عنان ، نفسه ،ص.393.

الخطاب هو المتوكل نفسه حيث قال : ((وصل إلينا من عظيم الروم كتاب مدع في المقادير وإحكام العزيز القدير يرعد ويبرق و ويجمع تارة ثم يفرق , ويهدد بجنوده الوافرة ،وأحواله المتضافرة))[1] ،وخطاب الفونسو السادس من عدة خطابات أخرى أخذ بعضها منحى آخر ،فسياسة الاستخفاف بالخصم لخطاب الفونسو السادس للمعتمد بن عباد الذي طالبه بأن يهيئ الأمر لولادة امرأته القمطيجة بجامع قرطبة[2] ،وجرت العادة على أن يقوم البابوات والقساوسة بدفع كافة النصارى لمقابلة لمقابلة مسلمي[3] الأندلس والانطواء تحت قيادة حكام شمال إسبانيا ،ومن ذلك ما قام به البابا أوربان الثاني سنة 1089/482 من إرسال عدد من الجنود من جنوب فرنسا لمساعدة إسبانيا ضد المسلمين[4] .

كان ملوك النصارى في الأندلس يقومون بهجمات على المسلمين بصورة منفردة عن بعضهم بعضا متى أتيحت لأحدهم الفرصة , ومجتمعين متى كانت الحاجة لذلك ،ولم يقتصر الهجوم الجماعي على نصارى إسبانيا فقط بل وصل الاتحاد ،فعندما أراد الفونسو السادس مهاجمة مدينة بلنسية[5] سنة 481هـ/1088م ، طلب دعم جنوه وبيزا البحري[6] ،ومن تلك الحملات،حملة تكونت من أربعين ألف مقاتل أغلبهم من النورمانديين والفرنسيين والفرنسيين توجهت في بادئ أمرها إلى مدينة وشقة و لكنها فشلت, فتوجهت إلى مدينة بربشتر ،وضربوا عليها حصارا مكنهم في يوم الأربعين من دخول المدينة والسيطرة عليها , ومارسوا أنواعا شتى من القمع والتنكيل عام 456هـ/1063م ، واستعادها المسلمون عندما أعانه ابن عباد أخاه ابن هود بجيش يقوده تمكن ابن هود من استعادة المدينة بعد تسعة أشهر من سقوطها[7] .

إلا أن عودة الخلاف بين ملوك الطوائف كان عامل توج جهود قادة الصليبين بالاستيلاء على عدد من المدن الإسلامية فقد سقطت بيدهم مدينة قلمرية[8] سنة456هـ/1063م,ومدينة بربشتر سنة

---

(1) مجهول ، الحلل الموشية،ص.36.

(2) أحمد بن خالد الناصري ، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**, تحقيق المؤلف جعفر ومحمد الناصري, دار الكتاب ،دط،الدار البيضاء, 1954،ج.2، ص.34؛ الحميري ، المصدر السابق ، ص.288.

(3) نفسه ,ص. 84 ؛بن عذارى,المصدر السابق،ج.3 ,ص.239 ؛ المقري،المصدر السابق ,ج.4,ص .358.

(4) كان يدعم الفونسو السادس في حملاته على الأندلس جند من المحاربين الفرنسيين و النورمان ، وغيرهم من جند الصليبين ؛ حسين مؤنس ، **معالم تاريخ المغرب و الأندلس** ،دار الرشاد ،دط،دم،2004،ص.197.

(5) بلنسية : (Valencia) مدينة سهلية بشرق الاندلس ، بينها وبين قرطبة على طريق بجانة ستة عشر يوما ؛ انظر، الحميري ،نفسه ،ص.97.

(6) ابن الكردبوس ، المصدر السابق , ص ص . 92،93.

(7) نفسه,ص:69-70-77،ابن عذارى،نفسه,ج.3،ص ص.238،239؛ابن الخطيب،أعمال الأعلام,ص.184؛ابن خلدون،المصدر السابق،ج.4,ص.232؛ سعد عبد الله البشري، المرجع السابق،ص.184.

(8) مدينة بالأندلس ، وضمن بلاد البرتغال و هي على جبل مستدير و عليها سور حصين ولها ابواب و هي صغيرة متحضرة كثيرة الكروم و التفاح ؛ انظر: الحموي ، المصدر السابق،ج. 4،ص.391؛الحميري ، نفسه ،ص.471.

457هـ/1064م[1] ،ومدينة مجريط[2] سنة 476هـ/1083م ومدينة وشقة ومدينة قلهره[3] ومدينة شنتمرية,هذا فضلا عن الحصون التي سقطت عنوة أو هبة من ملوك الطوائف ،ومن الحصون مثل حصن مملكة بن الأفطس على يد شانجة الكبير وابنه فرديناند ,أو هبة من ملوك الطوائف مثل حصن سرية وحصن قورية وحصن قنالش لالفونسو السادس وتحديدا من القادر بن ذي نون حاكم مملكة طليطلة [4] استرضاء للملك النصراني ، وهي سياسة سار عليها ملوك الطوائف من اجل طلب الدعم ضد بعضهم البعض , أو لإبقاء على ما بيدهم من الأرض[5].

هاجمت قوات الفونسو المرية وشاطبة ولورقة و مرسية[6] ، كما شنت غارات ضد بلنسية ودانية , كنتيجة كنتيجة لهذه الحملات قام الفونسو السادس ببناء حصن لييط[7] ،ولم يكن عنف الصليبيين مجرد حملات عسكرية موجهة للمدن بل طال سكان المدن من الأسر والتعذيب والامتهان ،فقد كان المسلم يباع بخبز أو قدح خمر أو رطل سمك [8] .

ومما سبق ذكره اتجهت الأنظار الأندلسية نحو ملاذ تشكو إليه لينقذها مما كانت فيه من كرب وذل وهوان , فكانت بلاد المغرب هي الملجأ , كما أن أحداث الأندلس لم تكن لتخفى عن يوسف بن تاشفين ،ويظهر ذلك من رده للمعتمد بن عباد عندما قابله بموضع بليطة مستصرخا لنجدته ،فكان رد ابن تاشفين ((عد فاني على أثرك)) خاصة أن استصراخ أهل الأندلس سبق حكامهم[9].

---

(1) تقع بين لاردة ووشقة على بعد ستين كيلومتر شمال شرق سرقسطة ، وهي من أمهات مدن الثغر الأعلى الفائقة في الحصانة و الامتناع ؛ الحميري،المصدر السابق ،ص.90.

(2) مجريط : مدينة بالأندلس شريفة بناها الأمير محمد بن عبد الرحمان ، تقع شمال طليطلة ؛ انظر : نفسه ، ص.523.

(3) مدينة ايبرية قديمة كان اسمها في القديم (Calagurrisnassica)و هي من المدن الشديدة المنعة و الحصانة ، وكانت تؤخذ و تسترد دائما في الصراع بين المسلمين و النصارى مملكة نبرة ، انظر ،فايزة بنت عبدالله الحساني ،**تاريخ مدينة سرقسطة منذ عصر الخلافة الاموية حتى سقوطها** ،رسالة ماجستير ،جامعة أم القرى ،(مكة المكرمة)السعودية،1430هــ ،ص.42،الهامش 3.

(4)ابن الآبار،المصدر السابق،ج.2,ص.175؛ابن الكردبوس،المصدر السابق،ص.90فما بعدها؛ابن خلدون،المصدر السابق، ج.4,ص.233.

(5) ابن الكردبوس ،نفسه ،ص.79.

(6) مدينة بالأندلس وهي قاعدة تدمير بناها الأمير عبد الرحمان بن الحكم ،و اتخذت دارا للعمال و قرارا للقواد و هي على نهر كبير ، وهي في مستوى الأرض كثير الشجر التين بينها و بين بلنسية خمس مراحل ،و منها إلى قرطبة عشر مراحل؛انظر :الحميري، نفسه،ص ص.539، 540.

(7)الناصري،المصدر السابق،ج.2,ص.46.

(8)الحميري،نفسه,ص.288؛ابن الكردبوس,نفسه،ص.71؛المقري،المصدر السابق،ج.4,ص.358؛ابن خلدون،نفسه،ج.6, ص.248.

(9) المقري، نفسه،ج.4 ،ص ص. 438، 439 ؛ الحلل الموشية ،ص. 44وهنا وهناك؛ابن الخطيب ، المصدر السابق, ص. 159.

2- اشتداد الحملات الصليبية و تطلع الأندلسيين لعون المرابطين[1] :

عندما حل بالأندلس ما حل به، خاطب أهله إخوانهم أهل المغرب واصفين ما حل بهم،و إذ قام الفونسو السادس بعدة حملات الواضح منها إصراره على إنهاء الوجود الإسلامي بالأندلس، و منها الحملة الكبيرة التي هاجم بها باجه[2] ,ولبلة[3] ،واشبيلية لتخريبها، وقد عجز عجز عن إخضاعها ،ولكنه تمكن في هذه الحملة من اختراق الأندلس من أقصاه إلى أقصاه وحط عسكره تحديدا جوار مدينة طريف[4] ، ولم يكن الفونسو مصدر قلق وتهديد فحسب , فهو من أسقط طليطلة سنة 478هـ/1085م بعد حصار طويل قارب سبع سنوات استخلص فيه جميع خيراتها , فقد تمكن أبرز قواد الحملات الصليبية من السيطرة على جميع ما كان بيد بن ذي نون , فقد حاز المنطقة الممتدة من وادي الحجارة[5] الحجارة[5] إلى طليبرة ومن فحص اللج إلى شنتمرية الشرق ، ولم يكتف الفونسو السادس بما حققه من توسعات توسعات فزاد ربط سرقسطة , ولذلك سار نحوها وفرض عليها حصارا شديدا لم يرفع عنها إلا بعد أن علم بنزول يوسف بن تاشفين فأسرع إلى طليطلة للإعداد لمواجهة يوسف الذي عبر إليه سنة479هـ/1086م[6] .

ومن خلال معركة الزلاقة يتأكد البعد الحقيقي للحملات الصليبية فالمشاركون في القوة الصليبية المقاتلة بالزلاقة كانوا يمثلون كافة المماليك والإمارات الإسبانية وغير الأسبانية[7] ،وكرد فعل من الصليبيين بعد هزيمة الزلاقة تتابعت الحملات الصليبية على الأندلس , هدفت إلى القضاء على الحكم الإسلامي , قبل أن تتوحد كلمة المسلمين ،ويقبل المرابطون لنجدتهم للمرة الثانية واتخاذ

---

(1) نشأت دولة المرابطين اثر قدوم عبد الله بن ياسين إلى الصحراء جنوب المغرب مع زعيم الملثمين يحي بن إبراهيم الجدالي،حيث دعا إلى العودة الإسلام،ولما لم يستجب له آوى ،و من تبعه إلى جزيرة هناك،واتخذ رباطا فيها،وحين تجمع حوله ألف من الأشياع سماهم المرابطين؛انظر ،ابن أبي زرع،المصدر السابق ،ص ص124، 125.

(2) باجة:من أعظم مدن غرب الأندلس،وهي مدينة رومانية الإنشاء وتُنْسَبُ إلى يوليوس قيصر،وتقع الآن في جنوب البرتغال وفي الجنوب الشرقي للاشبونة،وهي من أقدم مدن الأندلس،وتمتاز بكثرة بساتينها وكثرة التلال الخضراء بها؛الحميري،نفسه، ص.75.

(3) لبله:تقع غرب مدينة إشبيلية على بعد70كلم منها،وتمتاز بأسوارها الكاملة،وكانت أيام حكم الرومان لها تعرف باسم Lipla،ومنه اشتق اسمها العربي«لبله»،وتعرف في الجغرافية العربية باسم«لبلة الحمراء»؛ياقوت الحموي،المصدر السابق،ج.4،ص.210؛الحميري،المصدر السابق،ص.508.

(4)نفسه,ص.85 ؛ابن الكردبوس, المصدر السابق،ص.71 ؛المقري ،المصدر السابق، ج.4 ,ص .358 ؛ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6 ,ص.248 .

(5) وادي الحجارة(Guadelalajara):مدينة بوسط الأندلس،بينها و بين الأندلس خمسة و ستون ميلا،انظر الحميري، نفسه،ص.193.

(6) ابن الكردبوس ،نفسه,ص.79 هنا وهناك؛ابن الآبار،المصدر السابق،ج.2، ص.161-168؛الناصري،المصدر السابق،ج.2،ص.46،ابن خلدون،نفسه،ج.6,ص.248.

(7) اغلبهم من لانجدوك و جويانة و برجونيه و روفانس اي الجنوب الفرنسي يقودهم عدد من من الكونتات و الأساقفة ؛انظر أشباخ ، المرجع السابق ،ج.1 ، ص.243-250.

موقع بالأندلس [1].

بعدما تأذي الأندلسيون من اعتداءات المسيحيين خاطبوا إخوانهم أهل المغرب واصفين لهم ومستصرخيهم بالله لنصرتهم على أعدائهم الصليبيين ، إن استنجاد بالمرابطين جاء بعد ثلاثة أشهر من سقوط طليطلة بعد ضغط من الشعب والفقهاء في الأندلس على ملوك الطوائف [2] ،وأبرز الخطابات خطاب المعتمد بن عباد الذي طلب نصرة ابن تاشفين لصد عدوان الصليبيين ، حيث أورد وصفا للحالة السيئة لأحوال الأندلس ، و كان هذا الخطاب في غرة جمادي الأول 479هـ/1086 ، كما أن المتوكل على الله بن الأفطس [3] كتب خطابا بهذا الصدد [4] ، هذا و قد اشترك ملوك الطوائف في خطاب واحد جمع بين المعتمد بن عباد وعبد الله بن حبوس ، و المتوكل على الله عمر بن الأفطس على طلب النجدة من إخوانهم مسلمي المغرب [5].

أما القاعدة الشعبية فقد تباحثت في الموضوع إحساسا منها بخطر الصليبيين ،ومن ذلك خطاب أرسله أبو بكر محمد ابن ادهم بعد اجتماع عدد من المشايخ والعلماء لديه ،واتفقوا على مكاتبة يوسف بن تاشفين طالبين منه أن يعبر الأندلس لنجدتها ،وقد لاقت هذه الخطابات كل الاهتمام من قبل المرابطين ،ومنها موقف ابن تاشفين حاكم المغرب ((قد حن يمينك لشمالك ومبادرون لنصرتك وحمايتك واجب علينا ذلك في الشرع وكتاب الله تعالى ...)) [6] ،ومقولة ابن تاشفين تؤكد بأن وحدة الدين هي الدافع الرئيسي، وقد شارك علماء ومشايخ المغرب إخوانهم في الأندلس ،وذلك بإيصال الصورة لحاكم بلدهم يوسف بن تاشفين ،وتحفيزه لأمر الجهاد ،ومهما يكن فقد توافق أهل الأندلس حكاما وشعبا على الاستنجاد بيوسف لصد خطر النصارى الذي كان يتهدد المسلمين بالأندلس ،وبلا ريب فإن الدافع الديني هو وراء استجابة المرابطين لنجدة مسلمي الأندلس ،وقد بدأ يوسف بن تاشفين حملته العسكرية لنصرة الأندلسيين من الحملات الصليبية بمخاطبة المعتمد بن عباد بمنحه الجزيرة الخضراء كمركز انطلاق حملته العسكرية في بلاد الأندلس [7]، فبعث المعتمد بعقد الجزيرة الخضراء إلى ابن

---

(1)ابن أبي زرع،المصدر السابق ،ص.127.

(2) حمدي عبد المنعم محمد حسين ، **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين** ،دار المعرفة الجامعية،دط،الازاريطة، 1997،ص.74.

(3) المتوكل على الله بن الأفطس هو : عمرو بمن محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة ، وكان الحاكم الرابع لبطليوس من أسرته ، وقد تولى الحكم فيها سنة 460هـ/1067م ، وأسرته بنو الأفطس يعودون في نسبهم إلى قبيلة مكناسة البربرية ؛ انظر : ابن الآبار ، المصدر السابق ،ج.2،ص ص.96، 97.

(4) أول من قام بالاستنجاد بالمرابطين من ملوك الطوائف هو المتوكل بن الأفطس بسبب استهداف الصليبيين لأراضي مملكته عام 474هـ/1081م ثم المعتمد بن عباد ؛انظر: الحلل الموشية ، ص.33؛ ابن أبي زرع ،المصدر السابق ، ص ص.192، 193.

(5) ابن الكردبوس ، المصدر السابق , ص. 83 ؛ابن الخطيب ، المصدر السابق ،ص. 159 ؛الحلل الموشيه، ص.44 فما بعدها؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6 , ص. 248.

(6) الحلل الموشيه , ص. 50.

(7) ابن الآبار ، المصدر السابق ، ج.2 , ص. 70-99؛ الحميرى ، المصدر السابق , ص ص.85،86 ؛ ابن الكردبوس =

تاشفين[1] .

وبوصول بن تاشفين إلى الجزيرة الخضراء بدأ بتهيئتها كقاعدة فعلية له[2] ،وفيها قدم أكبر ملوك الطوائف كل بجنده فكان التعاون المشترك بين مسلمي المغرب ومسلمي الأندلس تحت قيادة يوسف بن تاشفين ،وبهذا الجمع تقدم يوسف لمحاربة الفونسو السادس الذي كان محاصرا لمدينة سرقسطة عند يوسف بالأندلس[3] .

اجتمعت كلمة النصارى تحت راية الفونسو ،وتوجه يوسف بن تاشفين بمن معه إلى اشبيلية ،ثم منها إلى موقع الزلاقة ،وكذلك تحرك الفونسو السادس بقوته إلى بلاد الأندلس باتجاه الزلاقة لأنه يرغب في معركة على أرض المسلمين كي تسلم بلده في حال الهزيمة , أو لإكمال غاراته في حال انتصاره على المسلمين، وعندما التقى الجمعان قرب موقع الزلاقة أرسل الفونسو السادس إلى المعتمد بن عباد يوم الخميس من أول رجب خطابا يقول فيه ((بان غدا يوم الجمعة وهو عيدكم وبعده الأحد وهو عيدنا ،فليكن لقائنا بينهما وهو يوم السبت)) حيث كان الفونسو السادس يهدف من خلالها إلى مباغتة المسلمين يوم الجمعة[4] ،وقد أخبر المعتمد بن عباد يوسف بن تاشفين بمكنون هذه الرسالة لأخذ الحيطة والحذر ،فكان اللقاء بموضع الزلاقة يوم الجمعة في العشر الأول من شهر رجب 479هـ/1086م ،ونشب القتال ،ودارت الدائرة على الفونسو السادس ،ونال هزيمة ساخطة لم يبق من جيشه سوى عدد يسير قدر بخمس مائة فارس[5] التجأ بهم إلى جبل منيع ،ثم غادره عندما جنح الليل منهزما إلى مدينة طليطلة[6] ،وعلى هذا الانتصار أرسل يوسف بن تاشفين الرسل لأراضي المسلمين بالمغرب و الأندلس ينقلون لهم البشرى ، ثم قفل يوسف ابن تاشفين عائدا إلى المغرب[7] .

ورغم هزيمة الصليبين في الزلاقة إلا أنهم عاودوا حملاتهم لاكتساح الأندلس ،وإزالة الحكم الإسلامي , ولهذا بنى ألفونسو السادس حصن لييط بشرق الأندلس للإغارة على منطقة شرق الأندلس والمناطق الأخرى ،فقد أرسل حملات للإغارة على اشبيلية و سرقسطة و بلنسية وغيرها من مدن وحواضر الأندلس , وكان ألفونسو السادس في حملاته تلك قد تلقى مساعدة نصرانية من خارج اسبانيا بمشاركة المحاربين الفرنسيين و النورمانديين

=

،المصدر السابق, ص ص.83،84 ؛ابن عذارى ،المصدر السابق، ج.3. , ص . 239 ؛ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص. 159-246.

(1) الناصري،المصدر السابق،ج.1, ص .34 ؛ الحلل الموشيه ,ص. 44 ؛ ابن خلدون ، المصدر السابق،ج.6 ,ص.248.

(2) الحميرى ،المصدر السابق , ص. 87 ؛الحلل الموشيه , ص .51 .

(3) ابن الكردبوس,نفسه ، ص ص.85،86 ؛ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق ، ص.117؛الناصري ، نفسه ،ج.2 ،ص ص.46 ،47,ابن أبي زرع،المصدر السابق,ص.103.

(4) الحميرى ,نفسه، ص ص.289 ،290؛ابن الكردبوس،نفسه ،ص.87 ؛ابن أبي زرع ,نفسه،ص.97.

(5) للمزيد عن موقع الزلاقة،انظر ابن كردبوس,نفسه،ص.52-65؛أشباخ،المرجع السابق،ج.1،ص.73فما بعدها.

(6) الحميرى ، نفسه، ص.290 فما بعدها ؛ ابن الآبار، نفسه ،ج.2 ،ص ص.100،101؛ ابن الكردبوس ، نفسه، ص. 87؛ابن الخطيب، نفسه ،ص. 246 ؛ابن أبي زرع ،نفسه،ص. 88؛ المقرى، المصدر السابق،ج.4, ص.246-362.

(7) ابن أبي زرع ،نفسه،ص. 92.

وغيرهم من الصليبيين ،وبدعم من الكنيسة في روما[1] ، حطم نصر العقاب قوة الفونسو السادس ،وأوقف تقدمه نحو الجنوب ،وعلى إثره أستعاد المسلمون الاشبونة[2] و شنترين[3].

بعد هذا الانتصار عاد ملوك الطوائف إلى ما كانوا عليه قبل موقعة الزلاقة من فرقة وتنازع , وعلى هذا الحال عادت الاعتداءات الاسبانية ،و لم يكن أمام الأندلسيين سوى الاستنجاد مجددا بالمغاربة لأجل ذلك عبر المعتمد بن عباد إلى المغرب لمقابلة بن تاشفين و إبلاغه ما يحدث للأندلسيين على يد النصارى ، فألتقاه بوادي سبو وشكا له أحوال الأندلس ودعاه للعبور[4] ، وفي 481هـ/1088م عبر بن تاشفين إلى الجزيرة الخضراء ومنها خاطب ابن تاشفين ملوك الطوائف في الانضمام إليه عند حصن لبيط ، وفي الربيع الأول تحرك بن تاشفين نحو مالقة دافعا حاكمها المستنصر بالله تميم بن بلقين بن باديس إلى التحرك معه ، وقرب حصن لبيط , أيد كل من المعتمد بن عباد وعبد الله بن بلقين حاكم غرناطة والمعتصم بن صمادح حاكم المرية[5] وابن رشيق حاكم مرسية[6] ،وبهذا التحالف فرض بن تاشفين الحصار على حصن لبيط بقوة تقدر بـ13 ألف مقاتل ، إلا أن الحصار فشل ويعود ذلك إلى تفكك القوات الإسلامية من داخلها وحرص بن تاشفين على تفادي الهزيمة خاصة أنهم على نشوة من انتصار الزلاقة , وقد بدا لابن تاشفين فرقة ملوك الطوائف وتحاسدهم فيما بينهم لدرجة انه وصل بهم الشك إلى الإعلان بان ابن تاشفين يرغب في السيطرة على الأندلس لصالحه , إثر ذلك عاد إلى المغرب بعد مروره بألمرية ثم الجزيرة الخضراء[7].

كان العبور الثالث ليوسف إلى الأندلس عام 483هـ/1090م حيث خرج من الأندلس متغيرا على حكامها في عام 481هـ/1088م , إذ شهد شوال من عام483هـ/1090م النداء باسم يوسف بن تاشفين بمدينة طريف إعلانا بانضمامها لحكمه، وقد رغب في إزالة حكم الطوائف لأنه يعلم بسوء سريرة حكامهم فدخل غرناطة ،وقبض على حاكمها في483هـ/1090م ،وسيطر على إشبيلية سنة 484هـ/1091م رغم مخاطبة حاكمها المعتمد للصليبيين لنصرته، إلا أن يوسف ألحق بهم الهزيمة قبل أن يصل لاشبيلية ،وأكمل يوسف مسيرة ضم الأندلس بالسيطرة على بلنسية و مالقة[8] وبطليوس , وسيطر على كامل الأندلس ماعدا مدينة سرقسطة التي استعان حاكمها

---

(1)ابن أبي زرع ,المصدر السابق، ص ص. 96،97.

(2) الاشبونة(Lisboa) :من كورة باجة المختلطة بها و هي بغربها و بغرب الاندلس أيضا ؛انظر :الحميري ، المصدر السابق ،ص.61.

(3) حسين مؤنس ،معالم تاريخ المغرب والأندلس , ص .195.

(4) ابن أبي زرع،نفسه،ص. 92؛حسين مؤنس،نفسه،ص.197.

(5)المرية(Almeria):مدينة محدثة بالأندلس،أمر ببنائها في عام344هـ،وهي بجنوب شرق الأندلس؛الحميري،نفسه ،ص.537.

(6) الحلل الموشية ،ص.67؛ ابن أبي زرع ،نفسه ،ص ص.92 ،93 ؛الناصري ، المصدر السابق ، ج. 2،ص.51.

(7) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج.4 ؛ص.143 ؛ المقري ، المصدر السابق ، ج.4 , ص. 246.

(8) مالقة :مدينة بالأندلس، على شاطئ البحر، وهي حسنة عامرة آهلة، كثيرة الديار؛الحميري،نفسه،ص ص.517،518.

المستعين بالله[1] بن هود بالقوى الصليبية [2].

إن اشتداد الحملات الصليبية وتطلع الأندلسيين لعون مسلمي المغرب يظهر الدور الذي لعبه الأندلسيون في التمكين للمرابطين من أجل الاستفادة من عونهم ومساعدة إخوانهم في الأندلس للإبقاء على الإسلام فيها.

3- أهمية تدخل الموحدين في الأندلس لصد الصليبين:

إثر تردد الوفود الأندلسية المطالبة بعبور الموحدين إلى الأندلس للحفاظ على أحوالها من التفكك و الصراع ، ومن تربص النصارى ، أرسل عبد المؤمن بن على جيشا إلى الأندلس عام 539هـ/1144م، يقدر بعشرة آلاف فارس لضم الأندلس[3] ،وفي عام 557هـ/1161م، ورد خبر محاصرة النصارى لمدينة غرناطة , , وقد كان لجيش الموحدين بقيادة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بمساندة جيش مالقة دور في إلحاق الهزيمة بالنصارى ،والاحتفاظ بغرناطة[4].

وفي ظل حكم يوسف بن عبد المؤمن أخذت جيوش الموحدين في صد الهجمات الصليبية بقيادة ابن مرذنيش[5]، واللافت للنظر أن يوسف أظهر اهتماما كبيرا بالأندلس من خلال تعزيز خطوط الدفاع ،وتحصين المدن ، ورغم ذلك فإن النصارى قاموا بمحاولات عدوانية على مدن المسلمين وحصونهم ،ومنها الحملة التي حاولت الوصول إلى العدوة الأندلسية بتوجيه من الفونسو بن سانشو الثالث بن الفونسو السابع ملك قشتالة[6]حيث بعث بجيش سنة 565هـ/1169م وصل به إلى فحصي رندة ، والجزيرة الخضراء ، وجبالها وجبالها ،وقام بمهاجمتها واكتساح سائمتها [7].

تتابعت حملات الموحدين للرد على النصارى منها حملة أرسلها يوسف في شهر رمضان 566هـ/8ماي 1171م ، ولعظم ما شملته هذه الحملة من عدة لم يكتمل عبورها إلا بعد أسبوعيين ، وسار بعدها الخليفة نفسه في السابع والعشرين من رمضان ، وكان في استقباله في الطريف حشد من ولاة الأندلس ، ورجال الدولة

(1)أبو جعفر أحمد بن المؤتمن ، وهو الحاكم الرابع من بني هود الذين حكموا سرقسطة في عصر دول الطوائف،وقد كانت ولايته عليها من سنة 478هـ/1085م حتى قتل عام 503هـ/1110م، وبنو هود هؤلاء يعودون في نسبهم إلى قبيلة جذام العربية ؛ انظر :ابن الآبار، المصدر السابق ،ج.2،ص.245-248؛ابن عذارى،المصدر السابق ،ج.4، ص ص .54، 55.

(2)ابن الكردبوس،المصدر السابق،ص.109؛ابن خلدون،المصدر السابق، ج.6،ص.250؛ابن أبي زرع,المصدر السابق،ص.100.

(3) سوء الأوضاع كان انعكاسا لتردي الأحوال التي كانت تواجهها بلاد الأندلس آخر أيام المرابطين؛ للمزيد ،انظر :عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص ص.179، 180.

(4) إبراهيم بن عطية الله بن هلال السلمي، المرجع السابق، ص.182.

(5) ابن عذارى، نفسه ،ص.85.

(6) قشتالة (Castilla): تقع في شمالي الأندلس ما بين ليون و نبرة ، وكانت إحدى ولايات مملكة ليون الشرقية و قد كثرت فيها القلاع التي أنشأها القشتاليون لمواجهة هجمات القوات الإسلامية ، إذ كانت هذه القوات تعبر منها لمواجهة هجمات ليون أو نبرة ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج.4،ص.53؛الحميري ، المصدر السابق،ص.483.

(7)ابن عذارى ، نفسه،ص .110.

ثم توجهت الحملة نحو اشبيلية فكان الوصول إليها يوم الجمعة الثاني عشر من شوال[1] ، ونشير إلى أن يوسف بن عبد المؤمن رغب في البقاء في الأندلس مدة عام أي استغرق إلى عام 568ه/1172م ،هاجم فيها طليطلة سنة 566ه/1170م و وبذة سنة 567ه/1171م ،ووصل بحملته إلى مدينة مرسية سنة 568ه/1174م وختم حملته بضربة للنصارى , وأفشل فيها حملة آبلة كونت خمينيو المعروف في المصادر العربية بالقومس شان منوكس قرب قلعة رباح في أوائل شعبان من عام 568ه/مارس 1173 انتهت بمقتل قائدها وتشريد جنده ،و تخلص من جيش نصراني أذاق المسلمين ويلات إثر هجماته التي بلغ بها مدينتي الجزيرة الخضراء وطريف[2].

وفي الخميس الثالث عشر صفر 578ه/1182م ،خرج الفونسو بن سانشو الثالث ملك قشتالة و طليطلة من مدينة أستجة نحو إشبيلية إلا أن الفونسو غير خط سيره إلى جنوب الأندلس فسيطر على حصن من أعمال رندة ،وقام بمهاجمة رندة والجزيرة الخضراء ،وإلحاق الضرر بهما ،وغنم غنائم لا تحصى[3].

هذه الأحداث دفعت يوسف بن عبد المؤمن لإعداد حملة لقتال النصارى أواخر عام 579ه/1183م فجاء وزيره أبو محمد أبن أبي إسحاق بجنود العرب من افريقية والتحقت به بفاس قبيلة هنتاتة وكان عبور الخليفة يوم الخميس الخامس من صفر 580ه/1184م[4] , وكان يوسف بن عبد المؤمن يهدف إلى غزو شنترين ،ولهذا ،ولهذا توجه من جبل الفتح إلى اشبيلية ،وفيها كان اجتماعه بقوات الأندلس، فتوجه الجمع إلى شنترين في ربيع الأول من عام 580ه/1184م حيث ضرب عليها حصارا، إلا أنه عاد دون أن يحقق شيئا سوى إصابته البالغة التي توفي على إثرها يوم السبت الثامن عشر من ربيع الثاني[5].

وقد كانت فترة خلافة يوسف أشد فترات الموحدين التي تعرضت لها العدوة الأندلسية لتهديدات النصارى ونالوا منها جراء أعمالهم التخريبية ، كما أن أحداث هاته الفترة تركزت في غرب الأندلس لذا كانت اشبيلية قاعدة عسكرية ونقطة البداية لحملات الموحدين بالأندلس ،وبوفاة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن تولى الخلافة ابنه يعقوب المنصور[6]،وتعد فترة المنصور (580ه -595ه/1184م-1198م) فترة صحوة حقيقية للجهاد الإسلامي ضد نصارى اسبانيا عقب سكون شهده حكم والده ، وكان للعدوة الأندلسية دور كبير في حملاته،و استهل المنصور عهده بحملة عبر بها إلى الجزيرة الخضراء في الثالث من ربيع الأول لغزو بلاد النصارى ، فكانت شنترين أول تلك البلاد ،ثم أشبونة حيث شن عليها غارات ،ثم عاد في أخر رجب 585ه/1189م[7].

---

(1)ابن عذارى,المصدر السابق، **قسم الموحدين** ,تحقيق محمد إبراهيم الكتاني و آخرون،دار الغرب الإسلامي و دار الثقافة ط.1،بيروت و الدار البيضاء ،1406هـ/1985م ،ص. 118 ؛ عنان ،المرجع السابق ، العصر الثالث،ق.2، ص.67 .

(2) ابن عذارى ، نفسه,ص ص. 124،125 , عنان ، نفسه ،العصر الثالث،ق.2، ص ص.87،88 .

(3) ابن عذارى ، نفسه, ص.146.

(4) إبراهيم بن عطية الله بن هلال السلمي، المرجع السابق ،ص. 185 .

(5) ابن عذارى ، نفسه،ص. 159؛ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6 ،ص ص. 324، 325 ؛ ابن أبي زرع ,المصدر السابق ،ص.135 .

(6) ابن عذارى ، نفسه , ص.171 ؛ عنان ، نفسه،العصر الثالث ، ص ص.131، 132.

(7) ابن عذارى ، نفسه ، ص.202 ؛ ابن أبي زرع , نفسه، ص.136.

وبعد مضي ستة أشهر وتحديدا في آخر شهر محرم عام 580هـ/1190م, بقي في مدينة طريف مدة تقارب الشهر الواحد , ومنها توجه المنصور إلى قرطبة ،ثم اشبيلية حتى وصل قصر أبي دانس.[1]

وفي عام 586هـ/1190م ورد إلى المنصور رسالة من والي اشبيلية أبي يوسف بن أبي حفص يعلمه فيها بتغلب العدو الصليبي على شلب[2] ،واقتحامه للكثير من الحصون وهزيمته لجيش اشبيلية ،فما كان من المنصور إلا أن استنفر للجهاد ،وعبر إلى طريف ،ومنها توجه إلى شلب فوجد الأندلسيين على حصارها , وتركهم عليها وتوجه لحصن طرش[3] ،فأفتتحه , كما فتح من بعده مدينة شلب 587هـ/1191م ، وانتهى هذا الغزو بإقامة هدنة بين الموحدين والنصارى عاد على إثرها المنصور إلى المغرب[4].

وفي عام 590هـ/1193م انتهت مدة الهدنة مع نصارى اسبانيا ،فقام الفونسو بالهجوم على مدن الأندلس[5]،إلى أن بلغ ظاهر الجزيرة الخضراء،ومنها كتب رسالة إلى المنصور يستدعه للقتال متحديا إياه [6]،فلما [6]،فلما وصل الخطاب إلى المنصور استفزه، وكتب المنصور خطابه لألفونسو الثاني على ظهر الرسالة نفسها [7]، [7]، وبعد الكتاب بدأ المنصور بإعداد المشرفية والخميس العرمرم ،وأخذ بالعبور إلى الأندلس يوم الخميس العشرين من جمادي الآخر عام 591هـ/1194م بجيش قوامه قبائل العرب و قبائل زناتة ، ومن بعدهم المصامدة ،ثم جند النصر ،وبعد يوم توجه المنصور إلى مدينة طريف دون أن يأخذ قسطا للراحة لكيلا يفقد الجيش حماسه إلى اشبيلية متجها إلى الأرك الذي أقام به الفونسو الثامن في انتظار المنصور الذي نزل على بعد مرحلتين من يوم الخميس الثالث من شعبان ،وبضحى يوم الأربعاء التاسع من شعبان التحمت صفوف الموحدين و النصارى في معركة الأرك- الاركوس ALARCOS حسب المصادر الاسبانية ،واستمرت إلى نهاية يوم الأربعاء حقق فيها الموحدون انتصارا كاسحا أسفر عن مقتل ثلاثة عشر ألف مقاتل صليبي ،وفرار الفونسو الثامن ، ورغم النصر الكاسح للمسلمين إلا أنهم لم يستعيدوا شيئا مما سلبه النصارى حتى مدينة طليطلة ،فرغم محاصرة المنصور لها سنة 592هـ/1195م لمدة أسبوع واحد ،ومهاجمتها سنة 593هـ/1196م إلا أنه عاد دون تحقيق

---

(1) قصر أبي دانس (Alcacer) يقع بغرب الأندلس بالقرب من مدينة يابرة ، انظر الحميري ، المصدر السابق ، ص.161.

(2) مدينة شلب: إحدى مدن الأندلس، وقاعدة كورة اكشونيه، وهي بقبلي مدينة باجه، وتمتاز ببسائطها الفسيحة، ولها جبل عالي الارتفاع تكثر المياه به وتنمو به أشجار التفاح، ولها سور حصين. تقع في بسيط من الأرض، وسكانها من عرب اليمن أو غيرهم من العرب يتكلمون باللغة العربية الصريحة؛الحميري، نفسه، ص. 342.

(3) طرش بضم أوله وتشديد ثانية وضمه أيضا و آخر شين معجمة هي ناحية بجنوب الأندلس ؛ انظر الحموي ، المصدر السابق، ج.4 ,ص.33 .

(4) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ص.206،205 ؛ ابن خلدون، المصدر السابق ، ج.6 ,ص.329.

(5) أعاد النصارى تجديد حملاتهم تحت غطاء استعادة المسيحية في كامل الأندلس , وتزعمها في هذه الفترة الفونسو الثامن ملك قشتالة و الفونسو الثاني ملك آرغون ؛ انظر ليفي بروفنسال ،المرجع السابق، ص.23.

(6) ابن عذارى، نفسه، ص. 217 ؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص.137.

(7) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع أنظر: المبحث الثالث من الفصل الرابع .

شيء , ثم عاد إلى المغرب سنة 594هـ/1197م [1] ،وتعد محاولات المنصور آخر صفحة مشرقة للموحدين في جهادهم ضد النصارى ،فقد تبعها هزيمة ساحقة في عهد ابنه محمد الناصر سنة 609هـ/1212م ،ولم تقم للموحدين بعدها قائمة ضد النصارى بعد معركة العقاب[2].

فمنذ وفاة محمد الناصر مسموما سنة 610هـ/1213م دخل الموحدون عهد نزاع استمر سبعة وخمسين عاما في وقت ظهرت فيه قوى إسلامية كبني هود، وبني الأحمر بالأندلس ، وبني حفص، وبني مرين بافريقية والمغرب على التوالي[3]،أما الأندلس خلال عهد الاضطراب فكان آخر عهد لها لاستقرار حكم الناصر الذي استقر بطريف ثلاثة أيام عند اجتماعه بقوات الأندلس بها لصد هجمات النصاري ضد مدن الأندلس في عام 607هـ/1210م ، ورغم استقرار الأحوال بالعدوة الأندلسية مدة حكم المتوكل بن هود ، إلا أنه سرعان ما خرجت عن حكمه بعد وفاة المتوكل سنة 635هـ/1238م ،إذ انفصلت اشبيلية وأهم مدن الأندلس عن نفوذ الموحدين , وفي هذه الفترة تكالبت القوة النصرانية على الأندلس فنال منها فرناندو الثالث الملقب بالقديس (ELSANTO) قرطبة سنة 633هـ/1236م واشبيلية و قادس و شريش سنة 646هـ/1248م ، ولم تقتصر الاعتداءات على مسيحي اسبانيا فقط، بل قام الجنويون بمحاصرة سبتة لكن دون جدوى[4] .

4- أثر ضعف الموحدين في اشتداد الحملات الصليبية على الأندلس :

لقد ترتبت على هزيمة الموحدين نتائج في مقدمتها انفراط عرى رقعة دولتهم الواسعة في المغرب والأندلس إلى دويلات أربع، ثلاث منها في المغرب العربي هي: الحفصيون في تونس، والزيانيون في الجزائر والمرينيون في المغرب الأقصى، فيما قامت غرناطة في الأندلس تحكمها أسرة بني الأحمر التي واجهت وحدها شراسة التحديات والعدوان قرابة خمسين عاماً من قيامها [5]، و أدت خسارة الموحدين إلى اندفاع الممالك المسيحية إلى احتلال الكثير من الحواضر العربية الإسلامية في الأندلس، فاتفق ملك أرغون خايمي الأول وفرديناند الثالث ملك قشتالة على وضع خطة مشتركة تقضي بأن يوجها قواتها نحو غرناطة[6]لطرد المسلمين نهائياً منها بعد استيلائهم

---

(1) الحميري ، المصدر السابق ،ص. 27 ؛ابن عذاري ، المصدر السابق ،قسم الموحدين ،ص.221 .

(2) حصن العقاب : يقع بين جيان و قلعة رباح ، وهو فوق قمة إحدى سلاسل جبال الشارات ، واسمه بالاسبانية كسترو فرال ، وفي التواريخ النصرانية تعرف هذه المعركة بمعركة نافاس دي تولوسا اي عقاب تولوسا ؛ انظر ، عنان ، المرجع السابق ،عصر المرابطين و الموحدين ، ص ص.301، 302.

(3) ابن عذارى، نفسه ، ص.269؛المقري، المصدر السابق، ج.1 ص. 446 ؛ ابن خلدون ، المصدر السابق،ج.6،ص .338.

(4) ابن عذارى ، نفسه، ص. 331و هنا وهناك ؛ابن خلدون، نفسه، ج. 6 ،ص.393.

(5) للمزيد ، انظر:محمد بن إبراهيم الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق محمد ماضور ، نشر المكتبة العتيقة ، ط.2،تونس ، 1966،ص.24.

(6) كانت الممالك النصرانية في القرن السادس الهجري –الثاني عشر ميلادي ،خمسا وهي : قشتالة ، و ليون و ارغون و و نافار و البرتغال ، وفي وقت ضعف الموحدين و بروز بني الاحمر اتحدت بعض تلك الممالك فأصبحت بعدها ثلاثة فقط و هي قشتالة و =

على قرطبة و بلنسية و مرسية و جيان و اشبيلية [(1)]،وهو ما تمثل بالوفاق المعقود سنة 628ھ /1230م بين ممالك أراغون [(2)] ،و قشتالة والبرتغال[(3)] ،الذي ينص على الإجهاز الكامل على الأندلس واقتسامها فيما بينهم [(4)]، في الوقت الذي تنازل فيه أميرها ابن الأحمر عن مدينة جيان و أرغونة و بركونة و بيغ والحجار وقلعة جابر لحاكم قشتالة ووقع معاهدة صلح معه مدة عشرين عاماً وذلك في سنة 643ھ /1244م [(5)].

وقد خطوا الخطوة الأولى في مشروعهم ،فتمكنوا من احتلال قرطبة سنة 633ھ /1236م و بلنسية سنة 636ھ /1238م ودانية 641ھ /1242م و جيان 644ھ /1245م وشاطبة 664ھ /1246م واشبيلية 646ھ /1248م و مرسية سنة 664ھ /1265م[(6)]، وقد تمكن نجح خايمي من الاستيلاء على جزيرة ميورقة في حملة صليبية ، تتكون من مائة و خمسين سفينة كبيرة ،وعدد كبير من الزوارق الصغيرة و انخرط في الحملة الكثير من الجنويين ، وحشود من فرنسا من ولاية بروفانس ، وكان ذلك سنة 627ھ/1231م، وعلى الرغم مما أبداه المسلمون من بسالة و تضحية، إلا أن الجزيرة سقطت في أيدي الغزاة الصليبيين بعد

=

ارغون و البرتغال ؛ محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين ،**جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى** ،دار أصداء المجتمع،ط.1،، القصيم ،1419هـ/1998م ،ص.62، الهامش 5.

(1) مزاحم علاوي الشاهري،" **المغرب العربي في مواجهة تحديات الغرب تلو سنة 668هـ / 1369هـ** "،مجلة التراث العربي، العدد 22 و 23، دمشق،السنة الثامنة،2005 ، ص.105.

(2) أرغون Aragon: أصلها رقعة ضيقة تمتد من باب شيزروا في جبال البرتات نحو الجنوب بحذاء نافار الواقعة إلى الغرب منها ، وقد ظهرت بشكل إمارة صغيرة أواخر عصر الولاة ، لقد كانت أرغون في أوائل القرن الخامس الهجري –الحادي عشر ميلادي ضمن مملكة نافار ، وحين قسم سانشو الكبير مملكته هذه قبل وفاته عام 426هـ/1035م بين أبنائه الأربعة خص ابنه غير الشرعي راميرو بأرغون ، وقد نشط هذا الأخير في مد سلطانه على ما حوله من البلاد ، ثم تولى حكمها بعد وفاته عام 455هـ/1063م ابنه سانشو الذي اتسعت أرغون في عهده اتساعا كبيرا ، ثم خلفه بعد وفاته ابنه بيدرو الأول ، ولما توفي عام 498هـ/1105م ، حكم مملكة أرغون أخوه الفونسو الأول (المحارب) ، انظر ،عنان ،المرجع السابق ، العصر الثاني ، ص ص.379،378؛حسين مؤنس ،فجر الأندلس ،ص.519؛يوسف أشباخ ، المرجع السابق ،ج.1، ص.9هناوهناك.

(3) البرتغال :أصبح الشطر الشمالي من غربي الأندلس المنتزع من المسلمين و التابع لمملكة قشتالة ولاية خاصة تعرف بالبرتغال في عهد فرناندو الأول ، و قد اشتقت تسميته من مدينة بورتو كالي القائمة على مصب نهر دويرة ، وقد تعاقب على ولايته في عهد الفونسو السادس فارسان فرنسيان و هما ريمون البرجوني ،و هنري دي لورين ، اخلصا كثيرا في حرب المسلمين ، و كافأهما الفونسو السادس بتزويجهما من ابنتيه ، وجعل الأول منهما واليا للبرتغال ، فلما توفي عام 487هـ/1094م اسند ولايتها للثاني هنري الذي لم يمكث أن صار حاكما مستقلا عن قشتالة لا سيما بعد وفاة الفونسو السادس عام 502هـ/1109م، وقد اتخذ من قلمرية عاصمة له ، ولهذا تنعته المصادر الإسلامية بصاحب قلمرية،توفي هنري 506هـ/1112م؛انظر : نفسه ،ص.237-242؛عنان، نفسه ،العصر الثالث ،ص.522-525.

(4)عنان ، عصر المرابطين والموحدين ،ج.2، ص.313.

(5) مزاحم علاوي الشاهري، نفسه ، ص.106.

(6) أشباخ ، نفسه ، ج.2 ،ص. 421-423؛ محمد العروسي المطوي، **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**، دار المغرب الإسلامي،ط.2، بيروت ، 1982،ص.23.

معارك طاحنة[1].

و فيما يخص مصير المسلمين في الكثير من المدن المذكورة سلفا التي سقطت في أيدي تلك الممالك فعلى سبيل المثال لا الحصر أن فرديناند الثالث لما استولى على قرطبة واشبيلية و قادس كان قدر المسلمين بهذه المدن الثلاث أن قتلوا جميعاً بحد السيف بأمر منه ،وكمكافئة على هذا الفعل نال عند البابوية درجة الصلاح ،ولقب بالملك الصالح لما أبداه من سفك للدماء البريئة[2].

من جانب آخر باتت مدن المغرب هي الأخرى تواجه الاعتداءات الصليبية عامة والإسبانية خاصة، ففي سنة 636هـ /1238م تعرضت سبتة إلى محاولة جنوية لاقتحامها، ابتدأت بصيغة سلمية في هيئة تجار، ولما ازداد عدد الجنويين فيها حاولوا السيطرة عليها، و على إثرها قام عدد كبير من أهلها على صدهم ،بل و قتلوا عددا منهم فيما فر العدد الآخر ،وبعد أن وصل الفارون إلى بلادهم، عاودوا الهجوم للمرة الثانية على سبتة بنحو مئة مركب، فحاصروها، ونصبوا المجانيق عليها فاضطر أهلها إلى عقد صلح معهم، لقاء مبلغ معلوم من المال يدفعه أهلها فوافقوا على ذلك وغادروها وقد سمي هذا العام بعام جنوة[3].

كما تعرضت مدينة سلا في الثاني من شوال سنة 658هـ /1259م إلى هجوم قشتالي، إذ دخلها القشتاليون وعاثوا في أرجائها و نهبوا أموالها، وتحصنوا بعدد من مواقعها، ولم يغادروها إلا بعد أربعة وعشرين يوماً بعد أن حاصرهم الأمير المريني يعقوب بن عبد الحق ،وضيق عليهم بالقتال ليلاً ونهاراً[4].

ومما زاد في تدهور أحوال المسلمين في كلا العدوتين عزم الفونسو العاشر حاكم قشتالة إرسال فرق عسكرية من بلاده لمحاصرة المدن الإسلامية في الأندلس، غرضه في ذلك استئصال المسلمين منها، فتعالت نداءات الاستغاثة من قبلهم الأمر الذي دفع بوالي سبتة الفقيه أبي القاسم العزمي إلى مخاطبة قبائل المغرب واستنفارها إلى الجهاد، ومما ورد في رسالته إليها: "والآن اتصلت الأنباء أنهم أهلكهم الله قد شمروا لطلب الثأر، ورفعوا شعارهم وبئس الشعار يطوفون به في بلادهم ويطلبون منه النصر على أضدادهم، ويسألون مغفرة الذنوب قسيسهم وعبادهم.. وبذلوا في الاستنفار في أقاصي الأقطار إلى أقصى وسعهم وجعلوا شهر هذا الآتي قريباً موعداً قالوا لا نخلفه"[5].

وقد نفذ ألفونسو العاشر مخططه فشن على غرناطة حملة قادها أحد قواده ،وهو المعروف في مصادرنا بـ (الدون نونة) ،وتمكن من أن يلحق هزيمة بالجيش الغرناطي، فضلاً عن محاصرته مالقة مرتين في العام نفسه، فيما كرر هجومه على غرناطة في عام 664هـ /1265م بل إن سقوط مرسية قد تم نهائياً سنة 664هـ /1265م[6].

(1) أشباخ ،المرجع السابق،ج.2،ص.421؛ص.سعد عبد الله البشيري، المرجع السابق، ص. 188.

(2) مزاحم علاوي الشاهري ، المرجع السابق،ص.108.

(3) ابن عذارى ، المصدر السابق،قسم الموحدين ،ص ص346،347.

(4) الناصري ، المصدر السابق،ج.3،ص ص.21،22.

(5) ابن أبي زرع ،المصدر السابق ،ص.210.

(6) نفسه، ص.211.

ومما يعكس حجم المأساة قيام أمير غرناطة محمد بن يوسف الأحمر[1] بإبرام اتفاقية مع الفونسو العاشر ملك قشتالة سنة 665هـ /1266م تنازل بموجبها الأخير عن أربعين بلداً من بلاد المسلمين ،وقيل أن أكثرها في شرق الأندلس أما غربها فكان الأقل ،ومن جملة تلك البلاد مدينة شريش والقلعة وبجير فضلاً عما قد تنازل عنه سابقاً ،الذي بلغ حوالي (مئة وخمسة) على حد قول ابن عذاري[2] ،وهو ما يكشف ضعفه أمام قشتالة وسعيه إلى كسب ود حاكمها حتى لو كان ذلك على حساب بلاد المسلمين خشية من قوتها[3] .

في حين تعرض ثغرا المغرب الأقصى العرائش وتيشمس إلى عدوان قشتالي آخر في محرم سنة668 هـ /1269م إذ استباح القشتاليون المدينتين، وقتلوا كثيراً من أهاليها، ثم ركبوا أجفانهم، عائدين إلى بلادهم، ولم يدافع أحد عن المدينتين بسبب الصراع المحتدم بين المدينتين والموحدين قرب العاصمة الموحدية مراكش[4] .

بقي أن نذكر أن ما فعلته قشتالة كان ينطلق من مخطط يحظى بعناية بابوية تمثلت بدعم البابا أنوسان الرابع ومن بعده خلفه البابا اسكندر الرابع لا يقف عند حد اجتياح أراضي المسلمين في الأندلس بل يتجاوز ذلك إلى السيطرة على المغرب العربي ،وما فعله الفونسو العاشر في اشبيلية، عندما بنى أحواضاً فيها، لصناعة السفن يعكس ذلك بدليل أن وجبة من السفن التي صنعت فيها كانت قد أرسلت لاحتلال سلا سنة 658هـ /1259م [5]، و يذكر مزاحم علاوي الشاهري أن المصادر لا تكشف الاتفاقيات السرية المبرمة بين الممالك بشأن بلاد المسلمين في كلا العدوتين فإن الاتفاقية المبرمة بين قشتالة و أرغونه سنة 691هـ /1291م المعروفة بمعاهدة مونتي كودو Montea cudo تنص على أن تكون الدولتان الزيانية و الحفصية أي المغربين الأوسط والأدنى من حصة أراغون ،والمرينية أي المغرب الأقصى من حصة قشتالة[6] .

5- الحملات الصليبية في الأندلس خلال القرنين السابع و الثامن الهجريين ودور المرينيين في صدها:

تواصلت تحديات الممالك النصرانية هناك على غرناطة ومدن المغرب الأقصى الساحلية، فبينما كان المرينيون[7] في أشد حالات صراعهم مع الموحدين، تعالت نداءات الأمير الغرناطي محمد الثاني الملقب بالفقيه (672 ـ 701هـ)/(1273ـ 1302 م) الذي بعث رسله إلى السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني يطلب منه

---

(1) ابن الأحمر : هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أحمد بن خميس بن نصر الخزرجي ، يقال أن نسبه يعود إلى سعد بن عبادة – رضي الله عنه –و قد ظهر أولا في أرجونة مسقط رأسه ، وقد عرف بابن الأحمر ، و الأحمر لقب لوالده ؛ انظر: ابن الخطيب ، الإحاطة ،ج.2،ص.92-94 ؛ابن عذارى ، المصدر السابق ،قسم الموحدين ،ص.296.

(2)نفسه ، ص.470.

(3) عنان، المرجع السابق،عصر المرابطين والموحدين،ج.2،ص ص.432،433.

(4) الناصري، المصدر السابق ، ج.3 ،ص.31.

(5) ،نفسه، ص. 21 ؛ مزاحم علاوي الشاهري، المرجع السابق ،ص.110

(6) نفسه ،ص.110.

(7) قام المرينيون في المغرب الأقصى سنة 668 هـــ/ 1269 م واتخذوا من مدينة فاس عاصمة لهم. ويعد السلطان يعقوب بن عبد الحق أول سلطان لهم بعد قضائهم على الموحدين في مراكش في العام المذكور آنفاً. وللمزيد من الاطلاع؛ انظر:عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص. 419.

العون، والعبور إلى غرناطة لإيقاف تجاوزات الفونسو العاشر حاكم قشتالة الذي تطاول على أراضي بلاده[1].

لم يكن يخفى عن السلطان يعقوب بن عبد الحق ما آلت إليه أحوال المسلمين في كلا العدوتين ،فقد كان قبل انتصاره على الموحدين، ودخول عاصمتهم مراكش سنة 668ه / 1269م ،قد لبى نداء الجهاد في الأندلس فأرسل أول جيش من المجاهدين المغاربة قدر عدده بنحو ثلاثة آلاف مقاتل، وعقد رياسته لابن أخيه عامر بن إدريس الذي عبر إلى غرناطة ثم انتقل سنة661 ه /1262م إلى شريش ليخوض معركة ضد الجيش القشتالي هناك[2]، وقد كانت هذه التشكيلة البدايات الأولى لمنصب مشيخة الغزاة[3]، هذا المنصب الذي استمرت تشكيلاته الجهادية أكثر من مئة عام قد حقق خدمات جليلة لغرناطة في ميدان المرابطة والجهاد، وينبغي أن لا ننسى أن إجازة المتطوعة المرينيين من المغرب إلى ثغور غرناطة لم تكن بمشيئة المرينيين وحدهم، بل كانت رغبة بني الأحمر حكام غرناطة أيضاً، فهي من جانب كسب ود المرينيين حكام فاس من حيث تبادل الخبرة والروابط العسكرية ووجهات النظر ومن جانب آخر تدعيم لقوة غرناطة العسكرية والمادية، إذ إنها فقدت بزوال الموحدين كل أشكال الدعم المادي والعسكري[4].

في سنة 668ه / 1269م وجه أنظاره صوب غرناطة، فأوعز إلى الفقيه أبي القاسم العزفي والي سبتة يأمره بإعداد السفن وتجهيزها لنقل جيشه، كما طالب الأمير الغرناطي بوضع منطقتي رندة وطريف تحت تصرفه لتأمين عبوره، وجعلها قاعدة له، فوافق الأخير على طلبه فضلاً عن تحصين ثغور بلاده ومنها سلا و باوس ومحل عبوره من منطقة غمارة[5].

ابتدأ السلطان يعقوب بن عبد الحق[6] مهمته الجهادية بإرسال حملة استطلاعية إلى الأندلس بقيادة ولده أبي زيان وجيش قوامه خمسة آلاف مقاتل، وبعشرين سفينة فوصل ولده إلى منطقة شريش فاشتبك مع قوات قشتالة محققاً انتصاراً عليها، ليعود بعدها إلى أبيه في طنجة واضعاً بين يديه ما ينبغي استحضاره من عدة للعبور والمواجهة،كما كانت نتائج الحملة مشجعة ، ومع حلول الأول من محرم سنة 674ه /1275م عبر السلطان يعقوب بن عبد الحق إلى الأندلس، وبث سراياه في عدد من مدن الوادي الكبير وحصن المدور ما بين قرطبة واشبيلية وحصن بلحة، و أحواز قرطبة وصولاً إلى أستجة[7]، وتمكن في كل تلك المناطق من أن يكبد القشتاليين

---

(1) ابن أبي زرع، المصدر السابق ، ص.210؛ محمد عيسى الحريري ،**تاريخ المغرب و الأندلس في العصر المريني** ، دار القلم ،ط.2، الكويت ،،1987،ص.43.

(2) ابن أبي زرع ،نفسه ، ص.211.

(3) للمزيد عن هذا المنصب وبداياته ؛ انظر: ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج.7، ص.485 .

(4) المقري ، المصدر السابق ، ج.1،ص.452؛ ابن خلدون ، نفسه، ج.7،ص.486.

(5) الناصري، المصدر السابق ج.3، ص.40 ــ 42.

(6) ولد 607هــ/1210م، ركز هذا الأمير جهوده لخدمة الإسلام و المحافظة عليه من المحاولات التي يتعرض لها من جانب مسيحي الأندلس ، كما كان رجلا من رجالات السياسة و الإدارة و الحرب حكم 668-685هــ/1269-1286م؛ للمزيد ،انظر: محمد عيسى الحريري ،المرجع السابق ،ص.27-37.

(7) كان أبو يوسف قد اشترط على السلطان محمد الفقيه حينما استنجد به أن يتنازل للمرنيين عن بعض الثغور و القواعد =

خسائر فادحة، وبينما كان منشغلاً في معاركه، بلغه نبأ تحشد القوات القشتالية بقيادة الدون نونيودي لارا المعروف في مصادرنا بـ "ذننة"[1]، وتقدر بثلاثين ألف فارس وستين ألفاً من الراجلة، فنشبت بين القوتين معركة قتل فيها قائد قشتالة وتكبد القشتاليون فيها خسائر جسيمة[2]، وقد قيل عن تلك المنازلة: "وكانت بلاد الأندلس من وقعة العقاب.. سنة تسع وستمائة لم تنشر بها للمسلمين راية حتى جاءت راية أمير المسلمين يعقوب المنصور"[3]، أطلق بعض المؤرخين على هذه الموقعة غزاة دنونة للنصر الساحق الذي أحرزه المسلمون على هذا القائد النصراني[4].

ولما قدم السلطان يعقوب بن عبد الحق إلى الجزيرة الخضراء بعد انتصاره على قوات الدون نوينودي لارا، لم يمكث بها إلا خمسة وثلاثين يوماً ثم خرج في جمادى الأولى سنة674 هـ /1275م ،فسار إلى إشبيلية فحاصرها، ثم انتقل إلى شريش ،ومنها قدم عليه رهبان النصارى يطلبون الكف عنهم حتى يبعثوا إلى ملكهم فكف عنهم ،وارتحل إلى الجزيرة الخضراء، و قام محمد الفقيه أمير غرناطة بإرسال السلطان يعقوب رأس الدون نونيو إلى غرناطة ليكون أمام أنظار الناس ،ويرفع من معنوياتهم فلما وصل الرأس إلى ابن الأحمر صبّره وجعله في المسك والكافور، وأرسله إلى الفونسو العاشر يستألفه ليتحبب إليه[5]، وهو إجراء يكشف حقيقة التودد والمحاباة التي يبديها حاكم غرناطة للقشتاليين وإبقاء صلاته معهم، وكأنما أراد بذلك أن يثبت لهم عن قناعته المعارضة لحرب المرينيين ضدهم ،وإن تلبدت الأجواء بينهما، ومن جانب آخر أراد أن يكشف عن نيات يحفظها في صدره تجاه المرينيين خشية من توسعهم على حسابه ،وهو هاجس كثيراً ما كان مهيمناً على حكام الأندلس منذ عهد المرابطين أيام أميرهم يوسف بن تاشفين[6].

لم يكن العبور الأول إلى الأندلس كافياً لإيقاف اندفاع قشتالة على الرغم من الخسائر التي تكبدتها والأسرى الذين أخذهم معه السلطان يعقوب بن عبد الحق ،والذين بلغ عددهم سبعة آلاف وثمانمئة وثلاثين شخصاً بالإضافة إلى الغنائم التي حصل عليها[7]، مما دفع السلطان المريني إلى أن يترك في الجزيرة الخضراء عدة سرايا تقدر بثلاثة آلاف فارس كانت مهمتهم الإغارة على كل ناحية من أرجاء حدود قشتالة المجاورة لغرناطة بغية إضعافها، وتفويت الفرصة عليها لاستعادة وضعها العسكري والاقتصادي فكانت لتلك الحملات التي شنوها أثرها البالغ وبخاصة

=

الساحلية ، لتنزل بها القوات المرينية ، فتنازل له ابن الأحمر عن رندة و طريف و الجزيرة الخضراء،الناصري ، المصدر السابق ، ج.2، ص.38.

(1) ابن خلدون ، المصدر السابق، ج.7، ص.250؛ محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص.45.

(2) ابن أبي زرع، المصدر السابق ،ص. 258 ــ 261.

(3)مزاحم علاوي الشاهري، المرجع السابق ،ص. 108.

(4) محمد عيسى الحريري، نفسه،ص.45.

(5) ابن أبي زرع، نفسه،ص. 261.

(6) محمد عيسى الحريري، نفسه.

(7) الناصري ، نفسه , ج.3،ص.42؛ محمد عيسى الحريري ،نفسه،ص.46.

إهمال الناس للزراعة ،مما أدى إلى غلاء الأسعار واضطراب حالة الأمن بينهم[1].

وبينما كانت الأحوال السياسية بين المرينيين وبني الأحمر تسير بوضع لا يحسدون عليه، حدثت أزمة سياسية داخلية في غرناطة مفادها أن ابن شقيلولة صهر بني الأحمر حاكم مالقة كان قد أرسل إلى السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق يطلب منه استلام مدينته لأنه غير قادر على إدارتها، وأنه لا ينوي تسليمها إلى ابن الأحمر، الأمر الذي عزز قناعة ابن الأحمر بخوفه من المرينين ،فأسرع إلى مصالحة حاكم قشتالة، طالباً منه الوقوف إلى جانبه ،فما كان من الأخير إلا أن أسرع بدعم من ابن الأحمر ،فشن حملة عسكرية نحو الجزيرة الخضراء وبتسهيلات من حاكم غرناطة،كان الهدف من ذلك قطع صلة المرينيين عن الأندلس، لكن السلطان المريني أدرك خطورة ذلك فعبر بقواته سنة 676هـ/1227 م[2]،وهو جوازه الثاني من قصر المجاز إلى طريف فوصل إلى إشبيلية من جهة رندة ومعه ولداه الأميران يوسف ومنديل ودخلت قواته قرى الشرف[3]، علاوة على على خوضه معركة بحرية ضد القشتاليين أثناء عبوره فانتصر فيها وأسر قائد بحريتهم الدون بيدرو وابن أخت الفونسو العاشر ،وأنقذ الجزيرة الخضراء من حصارهم لها، وحدث أن جاء لولده الأمير يوسف وفداً قشتالياً يطلب الصلح إلا أنه رفض مقابلتهم ،وغضب السلطان يعقوب على ولده لاستقباله إياهم[4].

أما العبور الثالث فقد قام به السلطان يعقوب سنة 681هـ / 1282م وحدث أن جاء إلى مقر السلطان المريني قرب موضع يعرف بصخرة عباد في الجزيرة الفونسو العاشر الذي تمرد عليه ولده سانشو الرابع وخلعه فطلب الفونسو من السلطان يعقوب مد يد العون له على ولده فانتهى الأمر برهن تاجه لقاء مبلغ قدره مئة ألف دينار أخذه من السلطان يعقوب[5].

وكلل السلطان يعقوب جهاده بالعبور الرابع سنة 684هـ /1285م وفيه حاصر مدينة شريش مدة أربعة أشهر، ومدناً أخرى ولم تتوقف سرايا قواته عن جهادها حتى حل فصل الشتاء فقرر العودة وبينما كان يستحضر مسلتزمات العبور إلى المغرب تلقى نبأ الأسطول القشتالي الذي كان يخطط لقطع خط عبوره إلى المغرب، فاتجه إلى جزيرة طريف، وخاض معركة دمر فيها قوة قشتالة البحرية الأمر الذي أجبر ملكها سانشو الرابع على الرضوخ والقبول بتوقيع معاهدة صلح مع المرينيين وما كان من السلطان المريني إلا أن رفضها مرتين، ليوافق بعد ذلك على توقيعها، وربما يرجع السبب في هذا إلى اعتلال صحته ومهما يكن من أمر فقد نصت المعاهدة على شروط كفلت للمسلمين سلامة وجودهم، و حرية تجارتهم، وعدم الاعتداء عليهم وتسليم المرينيين مؤلفات المسلمين في المدن الأندلسية التي سقطت بيد قشتالة وقد وصلت تلك الكتب وقدر عددها بثلاثة عشر حملاً،

---

(1) مزاحم علاوي الشاهري، المرجع السابق ،ص.108.

(2)نفسه ، ص.109.

(3)وقد عاونه فيها أبو إسحاق بن اشقيلولة صاحب قمارش ، وأبو محمد بن اشقيلولة صاحب مالقة بفضل هذا التحالف ألحقت الهزيمة بجيوش اشبيلية التي كان يقودها الفونسو العاشر ابن خلدون ، المصدر السابق ،ج.7؛ص.259؛ مجهول، الحلل الموشية،ص. 176.

(4) ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص. 261 ـــ 266.

(5) الناصري ، المصدر السابق، ج.3،ص.55.

أوقفت في خزانة المدرسة التي بناها السلطان يعقوب في عاصمته فاس، فضلاً عن تقديمهم هدايا من الحيوانات كالفيلة وأشياء أخرى[1].

وهكذا اختتم السلطان يعقوب بن عبد الحق جهاده بانتصار كبير على قشتالة[2]، وأوقف بجهاده المخطط القشتالي المدعوم من أوربا والكنيسة والرامي إلى إنهاء الوجود العربي الإسلامي في الأندلس، ثم الانتقال إلى المغرب العربي، ذلك المشروع الذي سعت تلك الممالك إلى ترجمته بعد سقوط غرناطة سنة 897ه / 1492م يوم التقت ايزابيلا ملكة اسبانيا مع البرتغال في مؤتمر توردي سلاس Tordesillas فتقرر فيه توزيع أراضي المغرب العربي بينهما فكانت حصة اسبانيا في ذلك المؤتمر السواحل الجزائرية والتونسية شرق جربادس فيما ظلت السواحل المغربية في البحر المتوسط والمحيط من نصيب البرتغال [3].

سيطر حكام المغرب على مجموعة من المدن الأندلسية على عهد الأمير السلطان يعقوب بن عبد الحق (656 ـ 685 هـ/ 1258 ـ 1286 م) من أبرزها الجزيرة الخضراء وطريف و مالقة و قمارش ورندة وغيرها، ثم جاء ولده السلطان يوسف بن يعقوب (685 ـ 706 هـ/ 1286 ـ 1306 م) ليتنازل عن الكثير منها مكتفياً بطريف والجزيرة الخضراء[4]،نتيجة طبيعة العلاقات التي قامت بين سلاطين غرناطة وبين بني مرين لان الغرناطيين فضلوا الانخراط للقشتاليين عن المرينيين ،فعقدوا اتفاقا في 11 رجب سنة 695 هـ/ 15 أيار 1296 م لمدة عشرين سنة كانت كافية لكي تعطي السلطان محمد الفقيه (671 ـ 701 هـ/ 1272 ـ 1301 م) الرؤية الأشمل ،وتهديه إلى سياسة صائبة تعزز دولته ومصالحها، ولا سيما أنه أحس بفداحة الخسارة التي لحقت بغرناطة يوم ارتضى أن ينحاز إلى ملك قشتالة [5] ،ويتفق على وضع خطة للسيطرة على جزيرة طريف (Tarifa) معه إجراء لإبعاد المرينيين عن شؤون غرناطة، فتعهد ابن الأحمر آنئذ لسان شو الرابع ملك قشتالة بالإنفاق على جيشه مدة الحصار، لقاء أن يسلمها إليه بعد سقوطها، وبعد أربعة أشهر من الحصار المفروض عليها والذي اشترك فيه الملك جيمس الثاني بموجب الاتفاق القائم مع قشتالة آنذاك ضد المرينيين، سقطت في شوال

---

(1) ابن خلدون ،المصدر السابق ، ج.7،ص.273 ـــ 276

(2) مزاحم علاوي الشاهري، المرجع السابق ،ص.109.

(3)نفسه ، ص.109.

(4) ابن خلدون، نفسه ، ج. 7، ص.271.

(5) أما فيما يتعلق بالأسباب التي دفعت مملكة أرغون إلى توثيق الصلات مع غرناطة، فهي إدراكها على عهد ملكها جيمس الثاني أن صلاتها مع العالم الإسلامي بوجه عام يكفل لها رفاهاً اقتصادياً ويعينها على حاجاتها، وهو منهج اعتمده الملك منذ السنة الثانية من حكمه عندما وقع اتفاقية صلح مع سلطنة المماليك في مصر في 19 صفر سنة 692 هــ/ 28 كانون الثاني 1292 م على الرغم من عقوبة الحرمان (Excommunication) التي كانت تصدرها البابوية بحق كل من يتاجر مع المسلمين ،والتي تعرض لها هو أيضاً، ولكنه مع هذا واصل نشاطه في هذا الاتجاه.للمزيد، انظر: روبار برنشفيك، **تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م**، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، بيروت، 1988، ج. 2، ص. 267؛ أحلام حسن مصطفى النقيب و مزاحم علاوي الشاهري، **"العلاقات السياسية والاقتصادية بين غرناطة وأرغون"** ،مجلة التاريخ العربي ، ع. 16،المغرب ، 2000، ص.271.

سنة 691 هـ/ 1291 م ،وجاءت المصيبة عندما رفض ملك قشتالة التنازل عنها بالرغم من استلامه ستة حصون من ابن الأحمر لقاء تعاونه[1]، فذهبت طريف المعبر الإستراتيجي الذي يتم منه جواز المغاربة، والقاعدة التي تشكل عيناً على من يفقدها من الاثنين المغاربة والغرناطيين[2]، ورداً لفعل ما جرى، عبر السلطان محمد الفقيه إلى المغرب ليعتذر للمرينيين عما حدث وليعيد المياه إلى مجاريها، وتحقق له ما أراد[3] ،ولتعزز تواصلها مع غرناطة من جهة ثانية، فبادرت إلى عقد اتفاقية جديدة وقعت في آخر ربيع الآخر سنة 701 هـ/ 31 كانون الأول 1301 م،[4] و لما انتصب السلطان محمد الثالث[5]، بدأت الأحوال تتدهور شيئاً فشيئاً [6].

أما على صعيد الأوضاع الخارجية، فقد حدث العدوان القشتالي الأرغوني الجديد على غرناطة بعد أن تقرر في سنة 708 هـ/ 1309 م عقد تحالف بين فرناندو الرابع (Ferdenand IV) ملك قشتالة ،وجيمس الثاني ملك أرغون برعاية البابوية للقيام بحملة صليبية على غرناطة[7]، وشرع الملكان في تنفيذ اتفاقها عملياً، وتقرر احتلال الجزيرة الخضراء (Algeciras) وجبل طارق (Gibraltar)، فضلاً عن الشروع كذلك في احتلال المرية (Almeria) من قبل أرغون التي تناسى ملكها العهود والمواثيق التي أبرمها مع سلاطين غرناطة قبل ذلك، وبدأت القوات في محاصرة المرية وجبل طارق، ولكن القوات الغرناطية استطاعت إلحاق الهزيمة بقوات الملك جيمس الثاني المحاصرة للمرية؛ بينما شددت القوات القشتالية الضغط على الجبل براً وبحراً، فسقط في أواخر سنة 709 هـ/ 1310 م[8]،وزيادة في تدهور أوضاع غرناطة الخارجية ما قامت به من تحريض لشيخ

---

(1) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص. 264،265.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق ، ج.4، ص. 223.

(3) ابن أبي زرع، نفسه ، ص. 265.

(4) لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة ، ج.2 ،ص. 474.

(5) يكنى أبا عبد الله. نصب ليلة الأحد الثامن من شعبان سنة 701 هـ/ 1302 م. فتح مدينة المنظر عنوة، وكان فتحاً عظيماً. ثم خلع في عيد الفطر من عام 708 هـ/ 1308 م. وتوفي في الثامن من شوال سنة 713 هـ/ 1314 م؛ نفسه، ج. 1، ص. 544 – 550.

(6)بسبب الأوضاع الداخلية التي اتسم بها حكمه كالفتن فما أن تولى السلطنة نصر بن محمد (708 – 717 هـ/ 1309 – 1314 م) قامت الثورة ضده بقيادة ابن عمه صاحب مالقة الرئيس أبي سعيد فرج بن إسماعيل الذي تحرك نحو غرناطة ،وهزم قوات السلطان النصري الذي تنازل عن الحكم ونصب بدلاً عنه السلطان إسماعيل ابن خرج الموصوف بالأول في شوال سنة 713 هـ/ 1314؛نفسه، ص. 552 - 556.

(7) مارمول كربخال، **إفريقيا**، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف،دط، الرباط، 1984، ج.1، ص. 396.

(8) يوسف شكري فرحات،**غرناطة في ظل بني نصر**،المؤسسة الجامعيَّة للدراسات والنشر،دط، بيروت، 1982،ص.40؛ومن المفيد أن نذكر أن حصارهم للجزيرة الخضراء قد فشل بعد تراجع القشتاليين عنها في شعبان 709 هـ/ جانفي1301 م بعد أن عقد صلح بين ابن الأحمر وملك قشتالة؛انظر ابن خلدون، المصدر السابق ،ج.7، ص .284 ؛

Rodriguez(jarbel),captives and their saviors in the medieval crown of aragon,cua press,2007,p.04

لشيخ الغزاة القائد عثمان بن أبي العلاء[1] ،ودفعه للسيطرة على سبتة، بل ودعمه في معارك مباشرة خاضها ضد أبناء عمومته حكام المغرب في شمال العدوة المغربية، تلك القصة التي ابتدأت منذ سنة 705 هـ/ 1305 م ولم تنته إلا عندما تمكن المرينيون من إلحاق الهزيمة بعثمان بن أبي العلاء، وتحرير سبتة في 10 صفر 709 هـ/ 1309 م[2]، بعد محاولات قاموا بها لإقناع أرغون بتقديم العون لهم بطرد ابن الأحمر عنها، ففي سنة 708 هـ/ 1308 م م قدم إلى مملكة أرغون أبو العباس صحبة برناردوسيكي مرسلين من قبل السلطان عامر المريني، وأخيراً مساندة الأسطول الأرغوني تحت إمرة الفيسكوندوي كاستلنو للمرينيين في تحريرها[3].

و في الأخير نخلص إلى نتيجة مؤداها ضعف عرى التواصل و التعاون بين العدوتين نتيجة انعدام الثقة و التفريط في مصلحة الأمة ،نظير الاحتفاظ بمصالح الشخصية و لو اقتضى ذلك التعاون مع العدو

المبحث الثاني: المغرب في قلب المشاريع الصليبية

1-مشروع هيثوم : اثر سقوط عكا على يد المسلمين نشط دعاة الحركة الصليبية لإثارة حماس نصارى أوروبا الغربية لاستعادة الإمارات الصليبية في المشرق ، وكان ممن استجاب لهذه الدعوة فيليب الرابع ملك فرنسا (1285-1314) [4]،وهناك العديد من المفكرين مما سخروا أنفسهم لخدمة الحركة الصليبية ، فتقدموا إلى الملك الفرنسي و إلى البابوية بخطط محددة عن الحملة وكيفية إعدادها و تسليحها و تمويلها و السبل التي ينبغي أن تسلكها للوصول إلى الديار المقدسة[5].

و كان الأمير هيثو[6]من بين الذين أدلو بدلوهم في هذا المجال،خصوصا انه أحد المختصين بشؤون الشرق و

---

(1) تولى منصب شيخ الغزاة في الأندلس منذ يوم استشهاد أخيه في سنة 693 هــ/ 1293 م بعد أن كان مرابطاً في مالقة، وأبلى في معارك كثيرة بلاء حسناً كالمعركة التي خاضها ضد قوات قشتالة سنة 709 هــ/ 1309 م والمتوجهة نحو مرشانة ثم في معركة أسطبونة التي قتل فيها قائد الجيش القشتالي بيرش وأعداد كبيرة من قواته، أما أبرز معركة خاضها، فهي في سنة 719 هــ/ 1319 م؛ ولولا قيادته لجنده وقيامه باختراقه صفوف قوات قشتالة التي قدرت أعدادها بأكثر من خمسة وثلاثين ألفاً وأعداد أخرى من المشاة، لسقطت غرناطة. توفي سنة 730 هــ/ 1329 م ،وخلفه ولده عامر؛ للمزيد عنه انظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج.7،ص. 288.

(2) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص. 387 ــ 393.

(3) عبد الهادي التازي،**التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، مطبعة فضالة،دط،المحمدية، 1986،ج.2،ص. 285.

(4) سعيد عاشور ، **الحركة الصليبية** ،مكتبة الانجلو المصرية ،ط.2،القاهرة،1418هــ/1978م، ج.2، ص.1193.

(5) حسين ممدوح و شاكر مصطفى، المرجع السابق ، ص.363؛وانظر التقديم في Recueil des Historiens des Croisades, ,Volume 14, Gregg Press, 1967,p.109. Académie des Inscriptions & Belles-Lettres (France)

(6) هو أمير أرمني من كرشي (و هي ثغر بحري على الشاطئ الجنوبي لآسيا الصغرى بإزاء جزيرة قبرص) وكان عمه ملكا على أرمينيا الصغرى ، وعندما فتحت جيوش المماليك بلاده فر منها بعد أن أبلى في قتال الجيش المماليكي إلى قبرص بصحبة عمه سنة 1305م/ وفي العام التالي غادرها لاجئا إلى البابا كلمنت الخامس ، وبعد ذلك رحل إلى مدينة بواتييه في فرنسا حيث اعتكف في =

المطلعين على أوضاعه ،مما جعل البابا كلمنت الخامس يقوم بتكليفه بإعداد خطة وافية بما تحتاجه الحملة التي ينوي فيليب الرابع ملك فرنسا القيام بها،والطريق الذي يجب أن تسلكه لبلوغ الهدف ، فعلى اثر ذلك قام هيثوم بتأليف كتاب المسمى Flos Historiarum Terre Orientis باللغة اللاتينية ،و ضمنه مجموعة أرائه عن المشروع الذي يريد من خلاله استرداد بيت مقدس ، قدمه للبابا سنة 1307م ، و قد تطرق هيثوم على وجه التحديد إلى الطرق التي ينبغي أن تسير عليها الحملة ، إذ اقترح ثلاثة مسالك :

- الطريق البري عبر شرق أوربا إلى القسطنطينية و منها إلى أسيا الصغرى ثم إلى بلاد الشام ، و بالموازاة يسير قسم آخر من القوات الصليبية عن طريق البحر إلى قبرص ، ثم يتطرق إلى افريقية كطريق ثالث لهذه الحملة[1] ، مع انه عندما أشار إلى هذا الطريق ألح على ضرورة استشارة ذوي الاضطلاع بشؤون افريقية لأنه لم تكن لديه الدراية الكافية التي تتيح له إبداء رأيه عن هذا الطريق ، واللافت للنظر أن هيثوم قد بعث الحياة إلى فكرة تسيير حملة صليبية إلى افريقية مما جعلها تدخل ضمن دائرة اهتمام الصليبيين ،وهذا ما تجسد في عهد لويس التاسع[2] .

2- <u>مشروع رامون لول</u> :

رامون لول (1232-1316) دعا إلى التبشير بالمسيحية، و دعا القادرين على وضع كتب توضح المسيحية، وقد تم له وضع اثنين منها، وقد قضى تسع سنوات يدرس العربية، وخطط لإنشاء كليات لتدريب مبشرين بالمسيحية في دار الإسلام، ونجح هو في إنشاء واحدة منها في ماريمار في ميورقه سنة 1276، قام هو نفسه بعمل تبشيري في تونس،وكاد أن يقتل،لكنه أنقذ واخرج من البلاد،ثم عاد إلى تونس وانتقل منها إلى بجاية في الجزائر حيث كان يبشر بالمسيحية في الأسواق، ويبدو انه عنف مرة في حديثه وتهجم على الإسلام، فقتل عن أيدي أفراد من الشعب الذين تأذوا من أقواله (1316)[3] ،وضع نفسه في خدمة الحركة الصليبية منذ 1263م و لحين وفاته في أواخر سنة 1315م ألف من الكتب و الرسائل و التقارير ما جعله أعظم دعاة الصليبيين ،و تنقل في أنحاء عدة من أوربا قابل البابوات و الكرادلة و حضر المجالس الكنسية ،كما سافر في أقطار المشرق و افريقية ثلاث مرات[4] .

و يعد رامون لول نموذجا ممتازا للصليبي بوجهيه العسكري و السلمي ، فقد عبر عن مشروعه الصليبي التقليدي المتمثل في ضرورة استعمال القوة العسكرية ضد المسلمين[5] ، اعد رامون لول مشروع سنة 1306م

=

أحد أديرهما إلى أن توفي في سنة 1308 ؛ حسين ممدوح و شاكر مصطفى، المرجع السابق ، ص.364.

(1) A.S.Atiya,The Crusades in the later middle ages, London,1938,p.31-34.

(2) نفسه ، ص.365.

(3) نقولا زيادة ، إشكاليات الاستشراق والإسلام ، بحث مقدم إلى مؤتمر الاستشراق، "<u>حوار الثقافات</u>" ، عمان الجامعة الأردنية 22-2002/10/24.، ص.3؛ انظر: الملحقين السابع و الثامن.

(4) سعيد عاشور ، أضواء جديدة على الحروب الجديدة ، ص.66.

(5) نفسه ، ص ص.66، 67؛وانظر Richard K. Emmerson , Key Figures in Medieval Europe an encyclopedia , Routledge Taylor & Francis Group , pp.409-412.

في مؤلف سماه (Livre De fine)كتاب النهاية ضمنه أرائه التي تقضي باستعمال القوة ضد المسلمين و الطريقة السلمية المتمثلة في التنصير حيث يقول في كتابه الآنف الذكر ، أن الجيوش الصليبية ينبغي أن لا تقف عند حد غزو الديار المقدسة ، وإنما أيضا كافة البلاد الإسلامية ، يجب أن تغزى بالجيوش ، و من الأفكار التي طرحها لول في كتابه ضرورة تأسيس مدارس خاصة من اجل تعليم الرهبان المنصرين اللغات الشرقية لمساعدتهم في مهمتهم التنصيرية ،وتقوده هذه النتيجة المتمثلة في وجوب مسايرة التنصير للقوة العسكرية جنبا لجنب[1] ،وبذلك يكون لول قد وضع تصورا واضحا للشكل الذي ينبغي أن تكون عليه الحملة الصليبية التي يقترحها فهو يرى بان يقودها احد ملوك أوربا يقع اختياره من البابا ، وان يكون أعوانه من أبناء الملوك ، وان يكون له مجلس استشاري يقدم له المشورة و النصح في الطارئة ، و يرى بان تتكاتف الجهود النصارى سوية في هبة واحدة تحت إمرة هذا القائد[2] .

وبعد ذلك استعرض لول موضوع الطرق التي يمكن للحملة أن تسلكها للوصول إلى الديار المقدسة و يحددها بخمس طرق و منها طريق افريقية أي الإبحار إلى افريقية مباشرة و احتلالها ،و اتخاذها قاعدة انطلاق إلى المشرق ، أما الطرق الأخرى فلا تعنينا في هذا الموضوع ماعدا الطريق الخامس الذي يراه أفضل من الأخرى،و هو الذي ينطلق من الأندلس حيث يبدأ الصليبيون كفاحهم ضد المسلمين بالقضاء على مملكة غرناطة أخر معاقلهم في الأندلس ،و التي كانت– حسبه – في وضع يمكن للمسيحيين تحقيق النتيجة المرجوة ،و باحتلال هذه المملكة تكون الحملة الصليبية المقترحة قد حققت هدفا من أهداف الحركة الصليبية المتمثل في طرد المسلمين من الأندلس ، ثم العبور إلى مضيق جبل طارق لمحاربة المسلمين في العدوة المغربية فتكون مدينة سبتة هي نقطة البداية[3] .

3- مشروع بروكاد :

كانت الروح الصليبية متمكنة في نفوس مسيحي غرب أوربا لدى جميع الطبقات ، وكان الملك الفرنسي فيليب السادس[4] من جملة المتحمسين لاستئناف الحرب الصليبية ضد المسلمين ، سانده في ذلك البابا يوحنا الثاني ، وعندما شاعت أخبار هذه الحملة في أنحاء أوربا الغربية تقدم العديد من المختصين إلى الملك الفرنسي ليعتد بها ، ومن هؤلاء بروكاد حيث قدم تقريره المعروف باسم (Directorium ad Philippum Regem

(1)بلغ عدد الكتب التي نسبت إلى رامون لول حوالي أربعة ألاف كتاب؛حسين ممدوح و شاكر مصطفى،المرجع السابق، ص 380، الهامش 2.

(2) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج.2، ص ص.1193، 1194؛ J.N.Hillgarth,Ramon lull and lullism in Fourteenth Century France,Oxford,1971,pp.46-67.

(3) حسين و شاكر مصطفى ، نفسه ،ص.381.

(4) فيليب السادس دي فالوا (Philippe de Valois) (1328-1350م) أول ملوك أسرة فالوا الذي كان متحمسا لاستئناف الحروب الصليبية على الطراز التقليدي ؛و بلغ من حماس هذا الملك ان ارسل إلى مصر وفدا يطلب من السلطان تسليمه بيت المقدس و سائر مدن الساحل ، فرفض السلطان تلك المطالب ؛ المقريزي(تقي الدين) ، **السلوك لمعرفة دول الملوك**،نشره محمد مصطفى زيادة ، دط،دم،دت،ج.2 ، ق.2، ص.319.

Francia)، بدأ بروكاد تقريره بمقدمة امتدح فيها الملك الفرنسي لأنه يحمل راية الصليب ليحارب أعداؤه و يسترد الديار المقدسة على حد تعبيره ،ثم ينوه بروكاد إلى أمر آخر يتمثل في إشاعة السلام في أوربا كشرط لنجاح أي حملة صليبية لان في ذلك توفير للقوة لقتال العدو المشترك و في مضرب آخر من تقريره يتناول الاستعدادات الواجب اتخاذها و الوسائل التي تمكن للصليبيين إحراز الانتصار مثل ضرب حصار على مصر و توقيع قرارات الحرمان على كل من يقوم بالاتجار مع الإسكندرية و دمياط[1].

و يتطرق بروكاد بعد ذلك لدراسة الطرق المؤدية إلى الشرق ،فيذكر أربع طرق رئيسية منها طريق افريقية و التي ذكرها رامون في مشروعه و الذي ينطلق من الأندلس مارا بالمغرب ثم إلى افريقية و منها إلى مصر، ثم إلى بلاد الشام ، ويرى بروكاد أن هذا الطريق طويل جدا و محاط بالمخاطر ، ويرى أن مسيرة الحملة في هذا الطريق سوف يضطرها إلى دخول في حروب كثيرة ضد الدول الإسلامية التي تمر منها ، لأنها تواجه مدن محصنة و قلاع منيعة على طول الخط من المغرب الأقصى إلى الأوسط إلى افريقية ،و في صورة ما إذا مرت الحملة و هذا أمر في غاية الصعوبة ،فإنها تعبر الصحراء الليبية التي يصعب على المخلوقات تحمل قسوة الحياة فيها ، إذا افترضنا عبورها تلك الصحراء – حسب قوله – فإنها ستصطدم بسلطان مصر و قد أعد عدته لملاقاتها ، ولذلك فبروكاد يعتبر أن فرص نجاح هذه الحملة ضئيلة ، و فضل بروكاد الطريق البري عبر ألمانيا و هنغاريا و بلغاريا فالقسطنطينية ، و يعود السبب الأساسي في اختلاف وجهة نظره مع وجهة نظر رامون بالنسبة لصلاحية طريق افريقية أن رامون كان يغلب مصلحة النصارى الأسبان من تحقيق مكاسب لهم لكونه اسبانيا عكس بروكاد، الذي كان كاثوليكيا نظر إلى الحملة في دائرة تعصبه الأعمى إلى الكاثوليكية[2].

4- فيليب دي ميزير (Philippe de Mezieres)[3]:

يعد من أشهر الدعاة الصليبيين في النصف الثاني من القرن الرابع عشر ، اختمرت في ذهنه فكرة تأسيس منظمة من الفرسان تعمل على استعادة الديار المقدسة من المسلمين ، اتصل بملك قبرص و حاول التأثير عليه

---

(1) يحصر بروكاد أهداف حملته إلى أربعة و هي نشر الكاثوليكية ، و حماية المسيحيين من الانقراض و الانحراف ، واستعادة الديار المقدسة من المسلمين ، والقيام بواجب حماية هذه الديار التي هي في رأيه ارث شرعي للمسيحية ؛ انظر ، سعيد عاشور ،الحركة الصليبية ، ج.2 ، ص.1192؛ A.s.Atiya. op cit .pp.95-101.

(2) حسين و شاكر مصطفى ، المرجع السابق ، ص.384.

(3) ولد فيليب دي ميزير سنة 1326 في مقاطعة بيكارديه من عائلة نبيلة صغيرة و تلقى علومه الابتدائية في أميان Amiens ام حياته العملية الحافلة بالنشاط الصليبي فقد ابتدأت بالتحاقه بخدمة لوشينو فيسكونتي (Lucchino Visconti)ف سنة 1345م ، ثم انتقل إلى بلاط اندريه Andre ملك نابولي و في العام التالي رحل ميزير إلى قشتالة و منها عاد إلى فرنسا ومنها رحل إلى المشرق حيث شارك في معركة ضد الأتراك وقعت بالقرب من أزمير ، وبعد تلك المعركة رحل لزيارة الديار المقدسة ، و في خضم تلك الزيارة اختمرت في ذهنه فكرة تأسيس منظمة جديدة من الفرسان بما انه نال لقب الفارس و هذه المنظمة هي منظمة محبي عيسى المسيح (Nova Religio Passions Jhesu Christi) ؛ نفسه، ص ص،377،376.

لتبني آراءه ، وعندما عاد إلى أوربا قام بنشاط دعائي في كل من فرنسا و أرغونه، ثم أصبح مستشار ملك قبرص الجديد بطرس لوزجنان حيث اصطحبه في رحلة إلى أوربا سنة (1363-1364م) بغرض جمع العون لمشاريعه الصليبية ،و كانت النتيجة حملة صليبية على الإسكندرية سنة 765هـ/1365م [1] .

خرج من الجزيرة دون يسمح له بالعودة اثر مقتل ملكها مما اجبره للبقاء في فرنسا لقي مكانة مرموقة لدى شارل الخامس ،فعينه عضوا في المجلس الملكي و مؤدبا لابنه و ولي عهده الذي اعتلى عرش فرنسا 1380م ، وقد وجهت في عهده حملة صليبية إلى افريقية بقيادة لويس الثاني دي بورمون على المهدية 792هـ/1390م، الأخير كان على ارتباط بدي ميزيير ، فقد كان عضوا في منظمة محبي عيسى المسيح ،و عند وفاة شارل الخامس اعتزل الحياة السياسية و فضل حياة الرهبنة في كنيسة كليستين بباريس ،و حينما طلب منه شارل السادس التوسط لدى ريتشارد الثاني ملك انجلترا ، أثمرت بتوحيد صف المسيحيين ، وفيما عدا ذلك فقد ظل معتزلا الحياة العامة حتى وفاته 29 ماي 1405م تارك ثروة في أدب الدعاية للحركة الصليبية[2] .

تكلم دي ميزيير عن مشروعه الصليبي في كتابه المسمى Songe du vieil Pelerim قام بتأليفه سنة 1389م حيث تطرق فيه إلى طريق افريقية للوصول إلى المشرق و الملاحظ أن دي ميزيير كان أوسع أفقا و اشمل نظرة من كل من هيثوم و لول و بروكاد بالنظر للمناصب التي شغلها في قبرص و البلاط الفرنسي ، ولاحظ دي ميزيير يجب أن لا تسير القوات الصليبية في طريق واحد ، بل على كل أمة صليبية أن تتخذ لنفسها مسلك خاص يناسبها ، لان ذلك سوف يحقق للقوى الصليبية مكاسب عظيمة في صورة ما إذا أحرزت انتصارات في المناطق الإسلامية التي سوف تنزل بها ، يهدف دي ميزيير من وراء هذه الفكرة إلى إشعال نيران الحروب في جميع البلاد الإسلامية في آن واحد لأجل شغل القوى الإسلامية عن الدفاع في أماكنها و إبعادها عن التفكير في الدفاع بيت المقدس ،و بذلك ضرب أي إمكانية لتشكيل جبهة إسلامية موحدة ، و الجدير بالذكر أن دي ميزيير لم يستثن المسيحيين الشرقيين كهدف آخر في مشروعه ضمن نفس الحملة الموجهة نحو المسلمين[3] .

ومن هذا المنطلق تقوم جيوش أرغونه و قشتالة و نفارة و البرتغال ،فتسلك طريق افريقية الذي هو في رأيه الطريق المثالي بالنسبة لها و وفقا لذلك تكتسح تلك القوات مملكة غرناطة ثم تعبر مضيق جبل طارق إلى العدوة المغربية حيث تقضي على مملكتي بني مرين و بني عبد الواد في المغربين الأقصى و الأوسط ،ثم تواصل سيرها إلى افريقية ،فتكتسحها ،ثم تواصل في طريقها إلى مصر[4] .

و الجدير بالذكر أن أفكار دي مزيير لم ينفذ منها إلا ما تعلق بافريقية ، ففي العام التالي على وضع هذا

(1) عن بعض تفاصيل هذه الحملة ؛انظر: المبحث الثالث من الفصل الثالث .

(2) ممدوح حسين و شاكر مصطفى ، المرجع السابق ، ص.378.

(3) Dora M. Bell. Etude sur le « Songe du vieil Pèlerin » de Philippe de Mézières (1327-1405), après le manuscrit Français Bibl. nat. 22542. Document historique et Moral durègne de Charles VI. Genève, E. Droz, 1955. Bibliothèque de l'école des Chartes, Année 1956, Volume 114, Numéro 1p. 291 - 294

(4) A.S.Atiya, op cit ,pp.110-137.

المشروع 792هـ/1390م قام لويس الثاني دي بورمون بحملة على المهدية[1].

5–مشروع شارل الثاني:

اعد شارل الثاني مشروع صليبي بعد سقوط عكا 1291م وسط جهود قادها البابا نيقولا الرابع لإعداد حملة صليبية ،برز إلى ذلك شارل الثاني حاملا مشروعا صليبيا ،و ارتكز هذا المشروع على قاعدتين أساسيتين ،وهما الأولى استرجاع إمبراطورية القسطنطينية و الثانية هي انتهاج أسلوب الحصار الاقتصادي ،و تنفيذها على جميع البلاد الإسلامية ،و برأيه أن أسلوب الحرب الاقتصادية كفيلة بإلحاق الهزيمة بالمسلمين لأنها تضعفهم تجاريا و تجعلهم في موقف ضعيف في حالة نشوب حرب ضدهم نتيجة قطع الطريق على تجارة المسلمين ،و إعداد الأساطيل اللازمة ،ومن ثم يعجزون عن المدافعة و صد الصليبيين عن بلادهم ، ولو أن شارل الثاني لم يذكر المغرب أو افريقية على معنى صريح، إلا أن الأحداث تؤكد بأن هذا المشروع لم يخص بلاد إسلامية بعينها ،و لم يثبت ذلك إلا من خلال نوايا حكام صقلية نحو افريقية ،و مطامعهم منذ عهد النورمان ، و الدليل على ذلك أنها أول بلاد دخلت مجال التنفيذ هذا المشروع[2].

المبحث الثالث : الحركة الصليبية في افريقية و وجزر البحر المتوسط

1– العدوان النورماني في صقلية على المهدية و احتلال ساحل افريقية 517 هـ

اثر معاهدة 468هـ/1075م بين روجار الأول و تميم بن معز استكمل النورمان السيطرة على صقلية ثم على مالطة 485هـ/1091م مما مكن النورمان من أن يكونوا قوة في وسط البحر المتوسط ،و الأخطر من ذلك أنهم كانوا على علاقة بالحركة الصليبية [3] لأنهم عوضوا المدن البحرية الايطالية لما أخفقت في غزو المهدية 480هـ/1087م ، ومما يدل على النورمان كانوا جزءا من مشروع الحركة الصليبية أن روجار الأول كان نائبا للبابا بمقتضى المعاهدة المبرمة بينهما سنة 1059م [4].

بدأ النورمان بالاهتمام بافريقية منذ عهد روجار الثاني[5] الذي قام ببث الوكلاء والعيون في المدن الإفريقية للمحاولة للسيطرة على اقتصادها و لموافاته بالأخبار ، وكان هؤلاء إلى جانب ذلك يقومون بإقراض الأموال للتجار في المدينة و للأمير الزيري نفسه ،و قد ازداد تدخل النورمان و لاسيما روجار الثاني بانتقال جرجي بن ميخائيل الأنطاكي [6] ، وقد سنحت الفرصة لروجار بان يتدخل في شؤون افريقية اثر الخلاف الذي نشب

---

(1) حسين و شاكر مصطفى ،المرجع السابق ، ص.385.

(2) نفسه ، ص.381.

(3) عن علاقة النورمان بالحركة الصليبية ؛ انظر : سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ص.622؛
K.M.Setton:A History of The Crusades , Vol .2.p.22.

(4) ممدوح حسين و شاكر مصطفى ، نفسه ، ص. 191.

(5) G.A.Loud : Norman Sicily in The Twelfth Century , in New Cambridge medieval history , great Britain , 2008 , Vol. IV. Part II, Chapter XV , p.452.

(6) نشأ و نهل من الثقافة العربية في بلاد الشام حيث أتقن العربية و العلوم الرياضية ثم غادرها إلى افريقية ، فاتصل بالأمير تميم بن بن المعز الذي ألحقه في خدمته فعهد إليه بشؤون بيت المال ، فكان واسع الاطلاع بأحوال افريقية ، وعندما توفي تميم في سنة =

سنة510م/1116م بين صاحب قابس و علي بن يحي بن تميم الأمير الزيري (509-515ه/1116-1122م)لكنه مني بهزيمة و انسحب النورمان عائدين إلى صقلية و فقد كل بناه في افريقية ، كما أن عليا طارد ابن يحي صنيع روجار إلى القيروان و احتل قابس ،بعد ذلك ساءت العلاقة بين علي و روجار إلا أن وفاة علي في سنة 515ه/1121م ،و لا هجوم المرابطين على صقلية 516ه/1122م ،لم يمنعا روجار من الهجوم على المهدية الذي فشل أمام تصدي الحسن بن علي[1] .

نظم روجار الثاني حملة عسكرية سنة 517ه/1122م لكنها فشلت نتيجة عدة أسباب أهمها أن هجوم المسلمين قد بدأ قبل أن يتكامل أسطول روجار ،و عدم وجود تنسيق بين القوات البرية و القوات البحرية ، و تشبع المسلمين بالحماسة و الروح القتالية [2]، و رغم الغارات التي كانت تستهدف صقلية من المسلمين في تلك الآونة[3] ، فان روجار لم يكف عن تهديد الأمير الزيري و غيره من حكام الدويلات الإفريقية لفرض حمايته عليهم ، أما الحسن فكان يفضل إنهاء الحرب بينه و بين روجار[4] ، لذلك دارت بين الطرفين مفاوضات أسفرت عن عقد صلح بينهما كان قاس على الحسن، إذ اعتقد الحسن أن عدوه سوف يتركه و شأنه[5]، لكن روجار ظل يتربص بافريقية إلى أن أتيحت له الفرصة عندما هب يحي بن العزيز الحمادي صاحب بجاية لمساعدة أهل المهدية سنة 529ه /1135م ، فاستنجد الحسن بحليفه روجار الذي لم يتوان في التدخل في شؤون افريقية ، و قد اغتنم الفرصة ليفرض المزيد من الشروط مادام الحسن في موقف الضعيف[6] .

وعندما ظهر الأسطول النورماني في مياه المهدية لم يجد قائد الجيش الحمادي بدا من الفك الحصار عن المهدية و الانسحاب إلى بجاية بعد هجوم دام 70يوما ، و قد أراد النورمان في البداية إغراق الأسطول الحمادي لكن الحسن منعهم من ذلك ، و مع ذلك استولى روجار على السفن الراسية في الميناء ،و نال الشكر و ولاء من الحسن ، وفي نفس العام أي سنة 529ه/1135م أرسل روجار أسطولا هاجم فيه جزيرة جربة ،و تصدى له أهلها فقاتلوه قتالا شديدا حتى قتل منهم خلق كثير ، و دخل الجزيرة و ارتكب في أهلها الفظائع وولى عليها

=

501هـ/1107م بدأت الرغبة تحدو جرجي للالتحاق بالنورمان ، لأنها كانت تتحكم في سلوكه النزعة الصليبية من جهة و النزعة الانتهازية من جهة ثانية ، للمزيد ، انظر ، ابن خلدون ،المصدر السابق ،ج.6 ، ص.214؛ ممدوح حسين و شاكر مصطفى ،المرجع السابق، ص.197.

(1) ابن خلدون ، نفسه ، ج.6، ص.213 ؛ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج.9، ص.129؛ ابن أبي دينار ،المصدر السابق ، ص.111.

(2) عن هذه الحملة انظر ، ابن الأثير ، نفسه ، ج.10 ، ص.611؛ ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج.1 ، ص.309؛ ابن أبي دينار ، نفسه ، ص.112.

(3) المقصود بها غارة المرابطين بقيادة ابن ميمون ؛ انظر : ابن خلدون ، نفسه ، ج.6 ،ص .214.

(4) ممدوح حسين و شاكر مصطفى ، نفسه ، ص.207.

(5) ابن خلدون ، نفسه ، ج.6 ، ص. 214.

(6) نفسه ، ج6 ، ص 214؛ ابن الأثير ، نفسه ، ج.9 ،ص.285.

عاملا من قبله ،و منذ الوقت اتخذ جربة قاعدة لعملياته ،و رغم احتجاج الحسن على هذا التصرف من روجار إلا انه اقتنع بما قاله المعتدي و يصف ابن أبي دينار بقوله (و تشمخ اللعين – روجار – بأنفته و الحسن في غالب أوقاته يدافعه عن نفسه بالتي هي أحسن) ،و لم يزل روجار كذلك حتى أقبلت سنة 536هـ/1141م حينما غضب لان الحسن، لم يسدد أموالا كان قد استلفها منه ، فجهز جيشا بقيادة جرجي الأنطاكي فهجم على مرسى المهدية ، وقد غنم من هذه الهجمة غنائم كثيرة و حيال ذلك اكتفى الحسن بإرسال رسولا للاعتذار إليه ، ونيل رضاه بان يقبل به عاملا من عماله ، و الأخطر من ذلك انه أجاز له الاستيلاء على ناحية افريقية غير خاضعة له أي للحسن ، وعليه يكون روجار قد عزز حمايته و أحكم قبضته ، و مما زاد في تعقيد الأوضاع أكثر بالنسبة لافريقية و المغرب هو الصراع بين المرابطين و الموحدين ، و المجاعة التي ضربت المغرب العربي 537هـ/1142م ، والفتن بين حكام الدويلات في الأندلس ، و من جهة أخرى فرغ روجار من مشاكله في أوربا ، وعلى هذا أيقن روجار انه وصل إلى الدور الأخير في لعبته السياسية [1].

أستهل روجار 537هـ/1142م يهاجم مدن افريقية الساحلية و جزرها بقيادة الانطاكي ، فقد أغار على طرابلس لكن أهلها صدوا الهجوم [2] ، ثم هاجم جيجل التابعة للدولة الحمادية و فعل الأفاعيل بأهلها [3]، و اعتدى على جزيرة قرقنة [4] ، و في العام التالي أغار على جيجل و احتلها ،ثم احتل برشك و شرشال و تنس و بونة [5].

وفي سنة 538هـ/1143م هاجم الأسطول النورماني مدينة سفاقس و احتلوها في الهجوم الثاني 543هـ/1148م [6] ، لم ييأس روجار بعد فشل هجومه الأول على مدينة طرابلس ، بل انتهز الأوضاع السياسية السيئة للمدينة و أرسل جرجي الأنطاكي في أسطول ضخم سنة 541هـ/1145م، فحاصرها برا و بحرا و قاتلها ثلاثة أيام ،و استباح العدو المدينة و أنتهبها [7].

و في هجوم آخر استهدف المهدية اقلع الأسطول النورماني من صقلية بقيادة جرجي الإنطاكي ، بعد أن أتم الاستعدادات و طوقها بالسرية التامة ، باغت النورمان في الصباح الباكر للثامن من صفر سنة 553هـ/22جوان 1148م ، إلا أن الريح القوية المعاكسة منعته من دخول ميناء المهدية لذلك أدرك جرجي أن

---

(1) ابن أبي دينار ، المصدر السابق ، ص. 214 ؛ ابن الأثير ،المصدر السابق ، ج.9 ، ص.286 ؛ ممدوح حسين و شاكر مصطفى ، المرجع السابق ، صص.208،209.
(2) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج.9 ، ص.286.
(3) ابن أبي دينار ، نفسه ، ص.214 ؛ ممدوح حسين و شاكر مصطفى ، نفسه ، ص.210.
(4) ابن أبي دينار ، نفسه ، ص.214؛ ممدوح حسين و شاكر مصطفى ، نفسه ،ص.210.
(5) ابن أبي دينار ، نفسه ، ص.214؛ ممدوح حسين و شاكر مصطفى ، نفسه ، ص.210.
(6) ابن الأثير ، نفسه ، ج.9 ، ص.338؛ ابن أبي دينار ، نفسه ، ص. 214.
(7) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج.6 ، ص.215؛ ممدوح حسين و شاكر مصطفى ، نفسه ، ص.212.

المفاجئة فاتته و أن أهل المهدية تنبهوا له [(1)]، و أمام تلك التطورات الخطيرة خصوصا أن جيش الحسن كان غائبا عن المدينة لمساعدة صاحب المعلقة ،جمع الحسن رجال دولته و استشارهم في الأمر ، و خلص في الأخير إلى سلامة المسلمين تقتضي أي يخلي المدينة على أن يعرض سكان المدينة للهلاك ، وهكذا تم لجرجي دخول المدينة التي أبيحت لجنده ، و بادر جرجي بعد أسبوع من ذلك اليوم إلى توجيه أسطول إلى سوسة التي كان يتولاها علي بن الحسن ، فلما سمع بمقدم النورمان لحق بأبيه و خرج الناس من المدينة بخروجه فدخلها النورمان و نهبوها ،ثم نادوا بالأمان فعاد اهلها إليها ، ثم وجه أسطولا إلى سفاقس و قابس و احتلها كما سبق ذكره ، بعدها حاول جرجي احتلال قلعة اقليبية لكنه فشل إذ هزم و فقد الكثير من أصحابه ، وبذلك احتل النورمان ساحل افريقية من طرابلس شرقا إلى قرب تونس غربا فضلا عن جزرها ، فلولا تجدد الخلاف بين روجار والدولة البيزنطية لأضحت افريقية كلها بيده[(2)].

ظن روجار أن احتلال افريقية ، و بما اتخذه من سياسة سار بها مع أهل البلاد قد تبقيه في الملك[(3)] ، فقد أضاف ملك افريقية (Rex Africa) إلى ألقابه ، و لم يدر أن أهل البلاد لن يكفوا عنه لاسترداد ما ضاع ، إذ توفي 548هـ /26فبراير 1154م خلفه في ذلك ابنه وليام الأول ،و لم يكن بمثل قدرة أبيه في تصريف شؤون دولته ،ثم انه لم يتوفر على الرجال الأكفاء مثل جرجي الأنطاكي الذي توفي 546هـ/1151م و عبد الرحمن النصراني و فيليب المهدوي و روبرت السلبي (Robert of Salaiy)،و نظرا لضعف شخصيته دب النزاع بين رجالات بلاطه ، اغتنم أهل جزيرة جربة الأوضاع المضطربة في المملكة و أعلنوا الثورة في سنة 548هـ/1154م ، فقمع ووليام الثورة قمعا شديدا ، لكن ذلك لم يطفئ جذوة الثورة في افريقية بل ظلت كامنة في الصدور ، ونظرا للحالة السيئة التي تمر بها مملكة النورمان داخليا و خارجيا ، ثارت افريقية على الاحتلال النورماني البغيض ، فكانت سفاقس بعد جربة في إعلان الثورة على النورمان بقيادة عمر بن أبا الحسن الفرياني الذي أقام ماجل لصناعة الأسلحة ،و وزعت على المسلمين سرا ،و في الأول من جانفي 1156،و أثناء احتفال النصارى في المدينة بالسنة الميلادية ، أمر عمر بمهاجمتهم ، فلم تطلع الشمس حتى قتل الإفرنج عن آخرهم ، و لم يجد وليام ما يطفيء نار غيظه سوى شنق الشيخ أبا الحسن والد عمر الذي كان رهينة عنده ، وبذلك نجحت سفاقس من طرد المحتل ، ثم انتشرت الثورة في جربة و قرقنة و طرابلس بقيادة واليها رافع بن مطروح ،و في ذلك يقول ابن خلدون (انه مشى في وجوه الناس و أعيانهم و داخلهم في الفتك بالنصارى فاجتمعوا لذلك ،و ثاروا بهم و أحرقوهم بالنار)،ثم ثار محمد بن رشيد في قابس ، حرض عمر بن أبي الحسن الفرياني أهل زويلة للقيام بالثورة و بالفعل ،فقد وثبوا على النصارى ،و بمساعدة

---

(1) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج.6 ، ص.215 ، ممدوح حسين و شاكر مصطفى ، المرجع السابق ، ص.216.

(2) ابن خلدون ، نفسه ، ج.5 ، ص ص.203 ،204، ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج.11، ص.159؛ ابن أبي دينار ، المصدر السابق ،ص.115؛ ممدوح حسين و شاكر مصطفى ، نفسه ، ص ص.217 ،218.

(3) شجع هجرة الصقليين و الايطاليين إلى افريقية للاستيطان ، و شجع التنصير بالشعارات الزائفة مثل إشاعة الأمان للأهالي و انه جاء لتخليص الأهالي من الحكم الإسلامي المتهاوي ؛ ممدوح حسين و شاكر مصطفى، نفسه ، ص ص.220 ،221

الأعراب الهلالية يؤازرهم جمع من أهالي زويلة و سفاقس تم تشكيل حملة زحفت على المهدية و حاصرتها تلك الجموع في شوال 551هـ/1156م ، لكنها فشلت نتيجة المدد النورماني الذي عزز من موقفهم ثم الغدر الذي نفذه نفر من المسلمين إذ فضلوا العدو على نصرة إخوانهم ،و أمام ذلك تراجع المسلمون أمام تقدم النورمان الذين استعادوا للموقف ،و تمكنوا من اقتحام زويلة ، و نظرا لصعوبة الحال استنجد أهلها بالخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي في مراكش و شكوا إليه ما حل بهم ، رحب الخليفة الموحدي ،و لم يتردد إلا انه آثر حل بعض مشاكله أولا ،ثم التوجه بعد ذلك إلى افريقية[1] .

خرج الخليفة من مراكش سنة 554هـ/1159م ،و كان أسطوله في البحر يحاذيه في سيره ،و قد بلغ عدد قطعه 70قطعة مختلفة الأحجام و الإشكال ، نزل على تونس فأقام بها ثلاثة أيام ،ثم اتجه إلى المهدية حيث وصلها يوم الأربعاء الثاني عشر من رجب سنة 554هـ/1159م ،فنزل في زويلة التي انسحب منها الحامية النورمانية،و تحصنوا في المهدية حينما سمعوا بقدوم عبد المؤمن ، وإذ ذاك أرسل وليام أسطولا لنجدة المهدية ، حيث قامت معركة بحرية هائلة على مرأى من عبد المؤمن الذي اشتدت نفسه للنصر بالبكاء و الدعاء للمسلين بالنصر، إلا أن النصر حالف المسلمين ،فلم ينج من سفن النورمان سوى عدد محدود من القطع ، و نظرا لصعوبة الموقف أوعز النصارى الأسبان لحليفهم ابن مردنيش للضغط على الموحدين في الأندلس لإجبار عبد المؤمن على فك الحصار عن المهدية ، فزاده ذلك عنادا و ثباتا على موقفه إلى أن دخل عبد المؤمن المدينة صباح يوم عاشوراء من محرم سنة555هـ/22يناير سنة1160م بعد حصار دام ستة أشهر و تسعة أيام ، ثم اهتم عبد المؤمن بتنظيم المدينة ،و بذلك تم توحيد المغرب و الأندلس تحت راية الموحدين ، أما نصارى صقلية فقد نظموا مكيدة للمسلمين فقاموا بمذبحة في حق المسلمين في بلرمة سنة1160م[2] .

منذ أن دخلت افريقية تحت لواء الدولة الموحدية هدأت حدة الصراع الإسلامي المسيحي الصليبي في جبهتها نسبيا خوفا من سطوة الموحدين ، واقتصر نشاط الصليبيين فيها على غارات يشنها قراصنتهم على بعض نواحيها[3] .

2- حملة لويس التاسع الصليبية على افريقية (الحملة الصليبية الثامنة) :

باءت حملة لويس التاسع من فرنسا إلى المشرق الإسلامي يوم 28 أوت 1248م، بهزيمة مذلة سنة 1250م أدّت إلى أسره [4] ،وسجل التاريخ اسم القاضي فخر الدين ابراهيم ابن لقمان الذي أسر سان لويس في داره بالمنصورة [5] ،وكلف به خصياً اسمه صبيح [1] ، ويذكر المقريزي أن ملك فرنسا لم يطلق سراح إلا بعد أن دفع

---

(1) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج.6 ، ص ص.223 ،224؛ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج.9 ، ص.403؛ ممدوح حسين و شاكر مصطفى، المرجع السابق ، ص ص.222 ،223؛ Setton: Op.Cit,vol2,pp27-29

(2) ابن الأثير ، نفسه ، ج.9 ، ص.428 – 431 ؛ ابن خلدون ، نفسه ، ج.6، ص.235؛ حسين و شاكر مصطفى ، المرجع السابق ، ص ص.229،228.

(3)نفسه ،ص.224.

(4) للمزيد عن هذه الحملة انظر ، المقريزي ، المصدر السابق ، ج.2 ، ق.2، ص.365.

(5) بجوار جامع الشيخ موافي بالمنصورة ؛ انظر :احمد مختار العبادي ،**في تاريخ الأيوبيين و المماليك** ،دار النهضة العربية

=

فدية بمبلغ مالي قدره 400 ألف دينار [2] ،وتعهد بعدم محاربة المسلمين، حيث لم يعود إلى فرنسا إلا سنة 1254م، إلا أن هزيمته ،وأسره لم يمنعاه من معاودة الكرة ،و نكث العهد إذ قام بتنظيم صفوفه ،واقتياد حملة جديدة إلى تونس وإتباع إستراتيجية جديدة [3] ،إذ يذهب بعض المؤرخين إلى أن قراره تنظيم حملة صليبية أخرى نتج عن انتصارات الظاهر بيبرس، وهو ما دفعه -رغم تعهده بعدم محاربة المسلمين- إلى التحول إلى مصر والشام[4] ، وتم خروجه من فرنسا يوم 15 مارس 1270م والتحق به أتباعه في «Aigues-Mortes» ، وبعد إتمام عدته، اتجه يوم 2 جويليه إلى مدينة كاغلياري ،وذلك على متن سفن جنوية،وفي هذه المدينة السردينيَّة اكتملت الاستعدادات بوصول بقية المساهمين في الحملة ، و قام لويس التاسع بجمع قادته ومرافقيه على متن سفينته، وطلب منهم على أن يوافقوه تحويل وجهتهم نحو تونس، فلم يترددوا جميعهم بما فيهم رجال الدين وافقوا على مطلبه[5]، فيذكر ابن خلدون أن لويس التاسع كان عازما على غزو تونس قبل خروجه من فرنسا[6]، وأن المستنصر الحفصي كان عالما بذلك: «إذ أمر السلطان في سائر عمالاته بالاستكثار من العدة وأرسل في الثغور لذلك بإصلاح الأسوار واختزان الحبوب»[7] ، وبالرغم من ذلك، فقد بعث «برسل إلى لويس التاسع لاختبار حاله و مشارطته على ما يكف عزمه»[8].

كما يضيف ابن خلدون أن «الطاغية جمع حشده وركب أساطيله إلى تونس آخر ذي القعدة سنة ثمان وستين بسردانيا وقيل بصقلية»[9]، إلا أن المصادر الغربية تؤكد أن العملية تمت بسردانيا، هكذا يمكن إذن الاستنتاج أن لويس التاسع كان مقرا العزم على الاتجاه إلى تونس قبل خروجه من فرنسا،كان عدد المساهمين

=

،دط،بيروت، 1995، ص.91.

(1) ابن خلدون ، المصدر السابق ،ج.6،ص.426؛محمد الباجي بن مامي ، **"حملة لويس التاسع على تونس فصل من الحروب الصليبية"**، مجلة التاريخ العربي ، ع. 7،المغرب،1998،ص.231.

(2) المقريزي، المصدر السابق، ج.2، ق.2،ص. 365.

(3) Paul (Rousset), La Croisade, Histoire D'une IdÉologie,l'age d'homme Editions ,Lausanne,Suisse,1983,p.93.

(4) فيذكر أن هناك تشابه بين أسباب هذه الحملة مع الحملة الفرنسية على الجزائر 1830؛روبار برنشفيك ، المرجع السابق،ج.1،ص.86 ؛للاطلاع على الأسباب الأخرى ،انظر : العروسي المطوي، **السلطنة الحفصية: تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي ،دط،،بيروت، 1986، ص.198.

(5) روبار برنشفيك،نفسه ، ص.87.

6 تذكر المصادر الغربية ان اتجاه لويس التاسع بحملته الصليبية إلى افريقية انما كان بوحي من رامون مارتي اشهر المنصرين أملا في تنصير سلطان افريقية؛ للمزيد انظر : John V. (Tolan), Saracens: Islam in the medieval European imagination New york , Columbia University Press , 2002 , pp.234-235.

(7) ابن خلدون، نفسه ، ج. 6، ص.426.

(8) نفسه.

(9)نفسه ،ج.6، ص.427؛ محمد الباجي بن مامي،نفسه، ص.233.

في الحملة حسب ما ذكر ابن خلدون: «ستة آلاف فارس وثلاثين ألف من الرجالة فيما حدثني أبي عن أبيه»[1]، وكانت أساطيلهم ثلاثمائة بين كبار وصغار وكانوا سبعة يعاسيب (وهي سفن كبيرة) إلا أن هذه الجموع الصليبية لم تبق على هذا العدد فقط، فقد وصلت الإمدادات عن طريق السفن من صقلية و سردانيا وغيرها[2].

واصطحب لويس التاسع خلال هذه الحملة أبناءه: فيليب وبطرس (Philippe et Pierre) وجون تريستان (Jean Tristan)؛ كما وجد مع الملك أخاه ألفنس وصهره تيبو (Thibaut) وابنته ايزابال (Isabelle)، وكذلك بعض انبلاء ككنت اللوكستنبور وكونت بريطانيا (Le Conte de Bretagne)، إلخ، كما مثل الكنيسة الكاردينال رودولف دالبانو[3](Rodolphe d'Albano)،هذا ما أوردته المصادر الغربية، أما ابن خلدون، فهو يقدم أسماء أخرى ، و من خلالها يمكن أن نستنتج أن هذه الحملة، كانت متألفة من جميع الطبقات بما فيها رجالات الدين والفلاحين، إلخ ،إلا أنه بعكس ما حصل بالنسبة لكل الحروب الصليبية، من مرافقة النساء والأطفال للمقاتلين، فإنه من الصعب تصور أنهم قدموا بأعداد وافرة إلى تونس، والأقرب إلى الظن أن مرافقة ايزابال لأبيها تعدّ حالة شاذة، فالحملة كانت متكونة من الرجال فقط،أما بالنسبة للمستنصر الحفصي[4].

فيؤكد ابن خلدون أنه كان على علم تام بمقاصد لويس التاسع، فالمستنصر لم يكن قد عبّأ كل طاقاته للمواجهة ،وكأن وصول لويس التاسع كون مفاجأة له، وهو يبدو مترددا في مجابهة العدو، إذ كانت القوى الحفصية مشتتة، فنراه إثر توالي الأساطيل بمرسى قرطاج يجمع «أهل الشورى من الأندلسيين والموحدين» ويتفاوض معهم في هذا الموضوع، وكان موقف هؤلاء أنفسهم متضاربا، فبعضهم نصحه بمقاومة الصليبيين ومنعهم من النزول إلى اليابسة: «فإذا ما فرغ ماؤهم وطعامهم اضطروا إلى الإقلاع»؛ أما البعض الآخر، فكان يخشى حالةَ إقلاعهم أن يتحولوا إلى ثغور أخرى أقل عدة وعددا، فيمكن لهم آنذاك أن ينزلوا بسهولة من دون أن يجدوا فيها أي مقاومة، خاصة وأن الأسطول الحفصي كان يعد من بين الأساطيل ذات الأهمية، فإذا ما نزلت السفن الصليبية في عرض البحر كان بإمكانها الاتجاه إلى شواطئ تونسية أخرى، وربّما مثل هذا أهم الأسباب التي من أجلها لم يحاول المستنصر الحفصي استعمال بحريته لمباغتة جنود الإفرنجة من خلف ، فكان بإمكانه على الأقل مداهمة السفن القادمة لتزويد الإفرنجة بالمدد من رجال وطعام[5] ، ولعل الرأي الثاني القائل بعدم التعرض للإفرنجة في البحر كان رأي الأغلبية، وقد استحسنه الخليفة الحفصي،وهكذا أمكن

(1) ابن خلدون ،المصدر السابق، ص.425؛ محمد الباجي بن مامي،المرجع السابق، ص.234.

(2) يذكر ابن خلدون أن «المدد تأتيه (أي لويس التاسع) في أساطيله من البحر، من صقلية والعدوة، والرجل والأسلحة والأقوات» ؛انظر: ابن خلدون، نفسه، ج. 6، ص. 428.

(3)Setton: op cit,vol.2,pp.473,474.

(4) ابن خلدون ، نفسه، ج. 6 ،ص.427؛ محمد الباجي بن مامي،نفسه، ص.234.

(5) ابن خلدون، نفسه ، ج. 6، ص.427- 429.

لأعضاء الحملة النزول بساحل قرطاج على أن تتم المنازلة هنالك، ولكن قبل نزولهم أرسل المستنصر قبالة قرطاج ، حوالي أربعة آلاف فارس متكونين من المرابطة المتطوعين وجند من الأندلس ،وكان هؤلاء تحت إمرة أهم رجالات الدولة: محمد بن الحسين رئيس الدولة،كما يطلعنا ابن خلدون بأن المستنصر الحفصي لم يخرج بنفسه لمقاومة الأعداء، بل التزم بالقعود بإيوانه مع بطانته وأهل اختصاصه[1]، لهذا يرى الأستاذ العروسي المطوي في كتابه «السلطنة الحفصية»[2] ،أن هذا يعني قلة حزمه وقصر نظره،و الوهن عن المقاومة لأنه لم يكن مؤمنا بالنصر، وأنه كان متهيئا للفرار عندما يحين وقته، كما يصف موقفه بالمائع، وهو عكس ما يذهب إليه برونشفيك، فهو يرى أن موقفه كان يتصف بالرّصانة وببرودة الدم و رباطة الجأش و الاعتدال[3].

لقد قام لويس التاسع بالتمويه على الجميع بما فيهم المستنصر، الذي لم يكن مستعدا لهذا الهجوم، وخاصة أنّ الحالة التي كانت عليها البلاد من مجاعة ومن كثرة عدد الموتى، أضف إلى ذلك بعض الثورات الداخلية، ساهم في صرف اهتمامات الخليفة إلى مشاكله الداخلية، وقدوم هذه الحملة الصليبية على غرّة لم تترك له المجال للتعبئة في الوقت اللاّزم ،كما أن الخليفة الحفصي لم يبعث في طلب المدد إلاّ بعد نزول النصارى، فيذكر ابن خلدون أنه إثر نزولهم «بعث (أي المستنصر) في ممالكه حاشدا، فوافته الإمداد من كل ناحية»، ولم تتوصل الدولة الحفصية إلى تنظيم صفوفها إلا نتيجة لعدم تحرك الجيوش الصليبية في الإبان، مما سهل على المستنصر طلب النجدة من كل أصقاع البلاد فوافاه المدد، وكان من أهم الوافدين على الحاضرة كما عددهم ابن خلدون: أبو هلال عياد صاحب بجاية، وجموع القبائل العربية، وكذلك البربرية كسدويكش التي كانت موجودة بجنوب البلاد، وكذلك قبائل و لهاصة و هوارة، كما وفدت عليه جمع زناتة من المغرب، وقدمت أيضا جنود من بني تومين بقيادة زيان ابن رئيسهم محمد بن عبد القوي، وعيّن المستنصر على رأسهم يحيى بن صالح الهنتاتي ويحيى بن أبي بكر[4] ، أما عدد هؤلاء الجنود، فيؤكد ابن خلدون «أن عددهم لا يحصى»[5].

كما أسهمت الجموع الشعبية بصفة مباشرة في المعركة لا عن طريق تحمل النفقات وتأمين قوات الجند فقط، بل عن طريق المساهمة المباشرة في محاربة الإفرنجة -مثلما حصل ذلك بالمشرق- فقد خرج الصلحاء والفقهاء والمرابطون لمباشرة الجهاد بأنفسهم وتبعتهم أعداد وافرة من أتباعهم، خاصّة منهم أهالي القيروان وسوسة،

---

(1)ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج. 6 ،ص. 427 ، 429.

(2) العروسي المطوي، المرجع السابق، ص.207.

(3) روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ج.1 ،ص.94.

(4) يذكر ابن خلدون أسماء قادة الجند، وهم: 1) اسماعيل بن أبي كلداسن، 2) عيسى بن داود، 3) يحي بن أبي بكر، 4) يحي بن صالح الهنتاتي، 5) أبو هلال عياد، 6) محمد بن عبو؛انظر: ابن خلدون ، نفسه ، ج. 6، ص. 428؛ محمد الباجي بن مامي ، المرجع السابق ، ص.232.

(5) كما يفيدنا المقريزي أن الظاهر بيبرس أعلم المستنصر بأنه سيبعث بالنجدة في أقرب الأوقات. وفعلا، فقد أمر أعراب برقة بنجدة تونس، ويبدو أن التهيؤ لإرسال النجدة كان قد شرع فيه عند وصول الأخبار عن رحيل الجيش الإفرنجي ؛ انظر المقريزي ، المصدر السابق ، ج. 1، ص.601؛ ابن خلدون ، نفسه، ج. 6، ص.429؛ العروسي المطوي، نفسه،ص.205.

أبي علي سالم القديدي الذي قدم وأتباعه من القيروان وأبي علي عمار المعروفي الذي قدم من الساحل التونسي [1] ، كما يذكر ابن خلدون الشيخ أبا سعيد الذي شارك في حفر الخنادق بنفسه ،وقد نزل هؤلاء بضاحية أريانة التي جعلوا منها منطلقهم نحو قرطاج.[2]

كان نزول الجيوش الصليبية بقرطاج يوم ستة وعشرين من ذي القعدة 668هـ/18 جويليه 1270م، إلا أن قرطاج كانت خربة ،وكانت كما يذكر ابن خلدون: «مائلة الجدران، فوصل الجند ما فصله الخراب من أسوارها بألواح الخشب ونضدوا شرفاتها وأداروا على السور خندقا بعيد المهوى وتحصّنوا»، ويبدو أن المستنصر ندم على عدم تخريب قرطاج عند نزول المسيحيين ،وقد وصلتهم رسالة من شارل دنجو يوم 24 من نفس شهر جويليه تحثهم على انتظاره وعدم شنّ الغارات قبل قدومه[3] ، خاصة وأن الجند الإسلامي كان يفوق عددا ، ولقد عدها الجميع غلطة فادحة ارتكبها رئيس القوات الإفرنجية، فعدم مباشرته الحرب سمح للمستنصر أن يجهز نفسه لخوض غمار هذه الحرب، ثم وصلت رسالة ثانية من شارل دنجو يعلم فيها لويس بقرب قدومه ، يوم 27 جويليه،وتجمع المصادر على أن لويس التاسع قبع في تحصيناته بقرطاج، إلا أن سكان البلاد الذين يعرفون بطريقة جيدة الطرقات المؤدية إلى قرطاج، استطاعوا في الكثير من المرات التسلل عن طريق البحيرة ،ومفاجئة جيوش العدو طيلة المدة التي مكث فيها الصليبيون بقرطاج، وهي ستة أشهر مثلما ذكر ذلك ابن خلدون حرب طاحنة، بل كل ما يمكن قوله أن المسلمين كانوا يهاجمون باستمرار أماكن الإفرنجة، وهو ما يعرف عندنا اليوم بحرب الاستنزاف[4] ،وتذكر المصادر الغربية أن الصليبيين قاموا ببعض الهجمات المعاكسة من يوم 17 أوت إلى يوم 22 من نفس الشهر، لكنها حسب نفس المصادر لم تأت بأي نتيجة تذكر، وتعلل ذلك بحلول الوباء داخل معسكر الصليبيين الذي نتج عنه موت العديد من الجند، وهكذا، فإن الابن الأصغر لملك فرنسا مات يوم 3 أوت ثم تبعه يوم 7 أوت الكردينال رودولف دالبانو[5].

ثم يؤكد الجميع على موت لويس التاسع نفسه في شهر محرم من عام تسع وستين وستمائة /يوم 25 أوت 1270م[6] ، إلا أن ابن خلدون يبدي شكه في سبب موت القائد الفرنسي، فيذكر أن: «الله أهلك عدوهم (أي لويس التاسع) وأصبح ملك الفرنجة ميتا، يقال حتف أنفه، ويقال أصابه سهم عرب في بعض المواقف، ويقال أصابه مرض الوباء، ويقال وهو بعيد أن السلطان بعث به إليه مع ابن حزم الدلامي بسيف مسموم وكان فيه مهلكه»[7] ، إلا أن المصادر والمراجع على حد سواء لا تذكر وجود وباء خلال تلك السنة بالبلاد التونسية.

(1)روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ج.1،ص.91.

(2) ابن خلدون ، المصدر السابق ،ج.6،ص.429.

(3) نفسه،ج.6، ص.428؛محمد الباجي بن مامي ،المرجع السابق ، ص.233.

(4) ابن خلدون، نفسه، ج. 6،ص.426؛روبار برنشفيك ،نفسه،ج.1 ،ص ص.91،90؛محمد الباجي بن مامي،نفسه ،ص.234.

(5) Setton. Ibid,vol2, p.475

(6) محمد الباجي بن مامي ،نفسه ،ص.234.

(7) ابن خلدون، نفسه، ج. 6، ص.229.

إذن فحسب ما يذكر الأستاذ محمد الباجي أن المعاصرون للويس التاسع أنفسهم يؤكدون على موته من جراء الوباء، لكن يمكن الإشارة إلى أن تحاليل طبية حصلت سنة 1965 على بقايا جمجمة لويس التاسع بيّنت أن موته حاصل من جراء سهم أصابه في فكه الأيمن[1].

وهذه المصادر نفسها تؤكد أن شارل دنجو الذي وصل يوم موت أخيه خرج في جنده يوم 4 سبتمبر ،وألحق بالمسلمين خسائر فادحة، كما يذكرون أن المسلمين ردوا بالفعل يوم أول محرم 669هـ/2 أكتوبر 1270، إلا أن الهزيمة لاحقتهم هذه المرة أيضا[2].

ويقدم لنا ابن خلدون بعض التفاصيل الوافية التي تؤكد أنه ابتلي المسلمون بتونس ،وظنوا الظنون ،واتهم السلطان بالتحول عن تونس إلى القيروان[3].

هنا يعلق محمد الباجي بن مامي حول المعلومات التي يقدمها ابن خلدون فيقول "الحقيقة التي يمكن تأكيدها هي أن معلومات ابن خلدون مشوشة جدا حول هذه النقاط، فهو يرجع هذه الواقعة قبل موت لويس التاسع ، ويذكر مساهمة شارل دنجو فيها، إلا أنها حصلت بعد شهر من موت الملك، كما أن الكثير من معلومات ابن خلدون بالنسبة لبقية الحملة الصليبية مشوشة، وهي في بعض الأحيان خاطئة (مثلا أسماء المشاركين في الحملة ، فالعديد منهم لم يتحول البتة إلى تونس مدة إقامة ا لإفرنجة)، لذلك لا يمكن الجزم في مصير هذه المعركة، وقد حاولت المصادر والمراجع الغربية إبراز النتائج العسكرية على أساس أنه لم يكن يوجد منتصر من الفريقين، إلاّ أنّنا لاحظنا أن العديد من المعلومات حول هذه الحملة وصلتنا مغلوطة عن قصد، لذلك لا يمكن التأكد من مآل المعارك، كما أنه لا يمكن التصوّر أن معسكرا منغلقا على نفسه، اكتفى في غالب الوقت بالدفاع فقط، هو الذي يكون المنتصر، خاصة وأن أغلب الجنود المكونة لصفوفه لم يكونوا مؤمنين بأهداف الحملة"[4].

أن هذا العنصر كان من الدوافع الحقيقية لرغبة شارل دنجو[5] ،والملك الجديد لفرنسا فيليب الثالث[6] في مغادرة إفريقية،ولهذا تم الاتصال بالسلطة الحفصية لوجود مخرج للفريقين يتم فيه حفظ ماء الوجه ،بينما يذكر ابن خلدون أن زوجة لويس التاسع هي التي راسلت المستنصر، إلا أنها لم تكن موجودة ضمن الحملة[7].

على كل حال، فإن المستنصر قبل العرض، وهو أن يدفع مبلغا ماليا معينا للقوات المتحالفة، فما السبب في ذلك؟ ابن خلدون يؤكد على قرب فصل الشتاء، ممّا جعل المستنصر يخشى تخلّي الأعراب عنه ورحيلهم إلى

---

(1) محمد الباجي بن مامي ،المرجع السابق ، ص.234.

(2) مات حسب ابن خلدون خمسمائة نصراني خلال هذه الواقعة ؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج. 6، ص ص. 428، 429.

(3) نفسه، ج. 6، ص. 429.

(4) محمد الباجي بن مامي، نفسه ،ص.235.

(5) للمزيد حول أحداث المعارك التي جرت ؛انظر: روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ج.1 ،ص.91فما بعدها.

(6) ذكر ابن خلدون أن اسمه دمياط لميلاده بها؛ابن خلدون ، نفسه ، ج.6، ص.429؛ محمد الباجي بن مامي ،نفسه ،ص.234.

(7) لان ابن خلدون ذكر في البداية مكونة من الرجال فقط ، ثم يعود ،و يذكر وجود زوجة لويس التاسع عشر ضمن الحملة،ابن خلدون ، نفسه ، ج.6، ص ص.426، 427؛ روبار برنشفيك ، نفسه ، ج.1 ،ص.92.

مشاتيهم، لكن من الممكن أن المستنصر لاحظ أيضا أنه رغم تفوق جنده عددا وعدة لم يحصل الانتصار المنشود ، لذلك تم قبول العرض وبعث بوفد لعقد الصلح في ربيع الأول سنة تسع وستين وستمائة/ نوفمبر 1270م، ذلك رغم معارضة رجالات الدولة وخواصه، لذلك فإنه لم يبعث ضمن هذا الوفد أي واحد من الشخصيات الهامة للدولة، إذ ترأس الوفد أبو زيان محمد عبد القوي رئيس قوة بني توجين، بينما عقد الصلح باسم الملك الفرنسي الجديد وكان شارل دنجو وتيبو ملك نفارا ،أمّا الذي تـولّى صياغة نص العقد، فهو القاضي ابن زيتون[1]؛ ولم يتوصل الوفدان إلى الاتفاقية إلا بعد بضعة أسابيع من المفاوضات[2].

إن أهم ما ورد في فصول الاتفاقية هو أن تدوم الهدنة خمسة عشر عاما ابتداء من5 نوفمبر 1270م، ويدفع المستنصر غرامة مالية قدرها مائتان وعشرة آلاف أوقية ذهبا، تدفع أقساطا، وأن تؤدى إلى شارل دنجو الأداءات التي كانت تدفع سابقا لفريديريك الثاني بما في ذلك الخمس سنوات التي سبقت ذلك التاريخ، إلا أن المستنصر الحفصي حمل الرعايا على دفع كل هذه الغرامة التي يقدرها ابن خلدون بدوره بعشرة أحمال من المال[3]، غير أنه رغم أن المستنصر لاقى معارضة من كبار القوم في إجراء هذه الاتفاقية، فإنه يبدو أن عامة الشعب تنفست الصعداء برحيل الغزاة، إذ يؤكد ابن خلدون أن الرعاية دفعوا الأموال عن طواعية[4].

3- <u>العدوان الاراغوني على المغرب.</u>

نظرا لقرب المسافة بين صقلية و افريقية فقد حاول بيدرو الثالث إلى وضع يده على افريقية مستغلا حركات الانتقاض الحفصية للسيطرة على صقلية ،و أملا في الوصول إلى المشرق العربي ،على هذا النحو قام بيدرو بمساعدة أبي إسحاق إبراهيم[5] في ثورته ضد الواثق بن المستنصر ، كما قام بمناصرة ثورة ابن الوزير[6] في

---

(1) هو أبو الفضل أبو القاسم بن أبي بكر بن مسافر بن أبي بكر بن أحمد بن عبد الرفيع اليمني المعروف بابن زيتون. ولد سنة 621هـ/1224م. تولى قضاء الجماعة على كرتين، وتولى منصب الفتيا، وهو الذي أدخل مصنفات الفخر الرازي، ومثل الحركة الفكرية المالكية التي واجهت المذهب الموحدي. توفي سنة 691هـ/1291م؛انظر: ابن خلدون، المقدمة، ص. 397-772.

(2) روبار برنشفيك ،المرجع السابق ، ج. 1 ،ص.93.

(3) بينما يذكر الوزير السراج أن المستنصر الحفصي صالح الإفرنج على الانصراف إلى بلادهم... على أن يدفع لهم ألف قنطار ومائة قنطار وعشرة قناطير فضة خاصة على مدة خمسة عشرة عاما و أن نزول الفرنجة على تونس كان سببا في إتلاف الأموال التي تركها المولى أبو زكرياء ؛ محمد الباجي بن مامي ، المرجع السابق ، ص.236.

(4) ابن خلدون ، العبر ، ج.6، ص.429؛روبار برنشفيك ، نفسه ، ج. 1 ،ص.93.

(5) وصل أبي إسحاق إلى مدينة تلمسان قادما من الأندلس لأنه رأى أن ساعة استعادة الحكم قد حانت – اثر وفاة المستنصر – لانتزاع السلطة من يحي الواثق ابن أخيه و من تلمسان اتجه إلى بجاية أين وجد جموع المؤيدين في استقباله في ذي الحجة 677هـ ثم اتجه إلى قسنطينة ،و الملاحظ أن أبي إسحاق تمكن من اعتلاء سدة الحكم بعد أن تخلص من خصميه يحي الواثق و ابن حبير في شهر صفر 679هـ /1280م لكنه انصرف إلى الراحة و الملذات لذلك بغت الإمارة في عهده إلى ما يشبه الترهل و الانحلال؛ العروسي المطوي ، المرجع السابق، ص.239.

(6) ثار ابن الوزير في قسنطينة680ه (ص242) وقد وجد في بيدرو الاراغوني خير حليف الذي وعده بالمساعدة و التأييد على يدعو له ، إلا أن هذه الثورة لم يكتب لها النجاح لان أهالي قسطينة كانوا غير مؤيدين لها ، وتأخر النجدة الاسبانية ، فقتل هو و =

قسنطينة ضد أبي إسحاق إبراهيم ،ووفقا لذلك فقد ساعد ثورة ابن الزبير في قسنطينة عندما نزل بأسطوله في ميناء القل ،و تمكنت القوات المسيحية من احتلال المدينة مدة خمسة عشر يوما ، لكنه تأخر عن حليفه مما جعل نزوله على أرض افريقية عديم الفائدة ،لأن زحف الأمير أبو فارس بن إسحاق بن إبراهيم 681هـ/1282 م مكنه من محاصرتها و استعادتها و قتل المتمرد(1) ، بعد هذا انشغل بيدرو الثالث في حروب ضد شارل دانجو ، إلا أن انتصاراته على الأخير جعلته يتجه مجددا نحو افريقية إذ وجد عمر الحفصي نفسه وجها لوجه مع بيدرو الثالث الذي أبدى نوع من العزوف اتجاه غزو افريقية ،لكن ذلك لم يمنع بحارة صقلية و قراصنتها من الاعتداء على افريقية(2).

و في هذا الصدد قام روجير دو ليريا باحتلال جزيرة جربة سنة 683هـ/1284،و حسب المصادر التاريخية أن هذا الحدث لم يعدو أكثر من حادثة شخصية لذلك الأميرال باتفاق بينه و بين ابن بيدرو الأمير جاك حاكم مسينا ،وإذ ذاك لم تتحرك السلطنة الحفصية لرد الاعتداء ، مما حفز المعتدين إلى شن غارات على عدد من المدن الساحلية بما فيها مدينة تونس ، ونشير إلى أن أهالي مهدية حاولوا صد احد الهجمات دون أن يكون لهم سند رسمي ، وقد أبدى سكان المدينة بقيادة سالم القديدي ضروب من الشجاعة في رد الأعداء على أعقابهم ، ويذكر المطوي أن هدف تلك الغارات لم يكن الاحتلال بل يراد منها القرصنة و النهب و بث الرعب(3) ، أما جربة فقد تحولت إلى قاعدة عسكرية ، مارس فيها المحتلون بأهاليها أنواع عدة من التنكيل و أثقلوهم بالضرائب الباهظة ،و لم تسترجع إلا في سنة 740هـ(4) .

ومنذ أفريل 1285 توترت العلاقة بين السلطنة الحفصية و أرغون بسبب حادثة بسيطة لكنها عكرت العلاقة المتصدعة أصلا(5)، مما دفع بأبي حفص إرسال بعثة إلى بيدرو للتفاوض معه في شأن السلام ،فوافق على معاهدة يوم 2جوان 1285 ،و الحق أن هذه المعاهدة تتوافق مع بنود معاهدة سابقة (معاهدة 1271)بل أشد على المسلمين لكونها تضمنت بنودا أقرت ب : حرية ممارسة النصارى لشعائرهم الدينية و السماح لهم بقرع أجراس كنائسهم في افريقية و الاعتراف بحق الصليبيين و القطلونيين في بناء فنادقهم في أي مدينة يختارونها و حق ملك أرغون في تعيين من يشاء من القناصل في افريقية ....كما تضمنت المعاهدة أعباء أخرى

=

أخوه و أتباعه ، ونصبت رؤرسهم فوق أسوار قسنطينة ، أما صاحب ارغونة فقد بر بوعده في القدوم ، و لكن بعد فوات الأوان ، فنزل في مرسى القل ، وجرت بينه و بين اهالي القل عدة مناوشات ، و لم يتوغل داخل البلاد لأنه ظل ينظر المدد من البابا مارتان الرابع ، و هكذا اقلع الملك الاسباني عن مرسى القل أوت 1282عائدا إلى بلاده دون أن يحقق الهدف؛ انظر: العروسي المطوي ، المرجع السابق، ص.244.

(1) عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، **موسوعة المغرب العربي** ،مكتبة مدبولي،،ط.1 القاهرة، 1994 ، ج.5-6، ص.25.

(2) العروسي المطوي،نفسه، ص.272.

(3) نفسه ، ص.274.

(4) ابن خلدون، المصدر السابق ، ج. 6، ص.698.

(5) للمزيد حول هذه الحادثة ؛انظر: روبار برنشفيك ، المرجع السابق، ص ص.94، 95 .

اقتصادية

وهكذا اشترى الحفصيون سلما بمذاق المرارة و اعترفوا بسيطرة أراغونة على صقلية ، و بعد مضي أربعة أشهر توفي بيدرو الثالث و انقسمت مملكته بين ابنيه ،فكان من نصيب الفونسو الثالث قطلونية أراغونة و بلنسية ، ورغم ذلك فقد ظلت أرغون تتدخل في الشؤون الداخلية للدولة الحفصية ، بل و انتهاز الفرص مثل قيام الفونسو الثالث باستعمال حفيد عبد المؤمن بن علي من اجل فرض السيطرة[1].

وقد جاء تدخل أرغون لتنصيب ابن أبي دبوس فعقد معه الفونسو الثالث اتفاقا يصب في مصلحة الأراغوني ،حيث نزل ابن أبي دبوس يؤازره جيش و أسطول أراغوني في طرابلس 688هـ/1289م ، وفي ظل شح المصادر بتفاصيل هذه الحملة بل وغموضها واختلاف الروايات حولها [2] فان الجيش الأراغوني لم يبق طويلا في طرابلس بسبب الخلاف الذي دب بين المسلمين و الصليبيين و أدى ذلك إلى التحاق أنصار عبد الواحد بن إدريس ،و بذلك فشلت محاولة التنصيب و اقلع عن مواصلة المطالبة بملك بني عبد المؤمن و عاد إلى أحلافه النصارى[3].

4- **هجوم الجنويين على طرابلس الغرب و جربة** :

ساءت حالة البلاد التونسية نتيجة تزايد حركة المقاومة و الانفصال و من تلك قابي و جربة ، كما أن طرابلس صارت أكثر تحررا منذ عهد أبي الحسن ، إذ طمح ثابت بن محمد ، ابن شيخ المدينة السابق ، للتحرر و الاستقلال ، وإقامة سلطان حقيقي ، يضم كذلك جزيرة جربة ، و عندما تيقن الأميرال الجنوي فيليب دوريا من ضعف ثابت بن محمد[4].

انقض الأميرال الجنوي فيليب دوريا على طرابلس الغرب فجأة و دون سابق إنذار مغتنما الظروف السيئة التي تمر بها الدولة الحفصية والوضع المتأزم الناجم عن الصراع الداخلي ، بحملة قوامها أسطول مكون من خمس عشرة سفينة يوم 10 ربيع الثاني 756هـ/24افريل 1355م،و بذلك تمكن من السيطرة عليها و القيام بعملية نهب طالت ممتلكات العامة و الخاصة ، و في تلك الأثناء فر ثابت محمد إلى شيوخ الأعراب المجاورين لكنه لقي مصرعه على أيدي احد شيوخهم[5] ،فتدخل بنو مكي وهم من الأمازيغ، ونسبهم في لواته بزعامة أحمد بن مكي وكان حاكماً لقابس وتفاوض مع الجنويين[6].

وخشية أن تتلقى جنوة ضربات انتقامية في الأقطار الإسلامية الأخرى ، تظاهر المغني بالخروج إلا انه ادر أرباح لأنه باع الغنيمة بفوائد إلى احمد بن مكي مقابل خمسين ألف دبلون ، فأخرج ما عنده ووقف معه أهل

(1) العروسي المطوي ، المرجع السابق ،ص. 277.

(2) ابن خلدون ،المصدر السابق ، ج.6،ص.429 ؛برنشفيك، المرجع السابق ، ج.1،ص.100.

(3) Setton, Ibid,vol2,pp.476,477. ؛العروسي المطوي، نفسه، ص.279.

(4) روبار برنشفيك ، نفسه،ص 203

(5) للمزيد عن الاضاع الداخلية و علاقة ثابت بن محمد في الهجوم الصليبية على طرابلس الغرب ؛ نفسه ،ص.203.

(6) نفسه،ص.203.

قابس والجريد وتم دفع المبلغ [1]، و انسحب دوريا من طرابلس ، بعدما احتلها مدة أربعة أشهر ، وقد جمع سبعة ألاف أسير ، و غنيمة طائلة[2] .

5-الحملة الفرنسية الجنوية 1370 أو حملة لويس الثاني دي بورمون على المهدية :

فكر الجنويون في تنظيم حملة عسكرية بمساعدة دول غربية عظمى[3] في شهر ديسمبر 1389م حيث وجه الدوق أنطونيوتو أدورنو وفدا من أعيان المدينة إلى تولوز ،لطلب مساهمة ملك فرنسا شارل السادس ، وبعد نقاش تم الاتفاق على أن يتولى قيادة الجيش النصراني الدوق لويس دي بورمون[4]، على أن يهجم الجيش على المسلمين بافريقية[5] خلال صائفة العام التالي.[6]

وبدأت الاستعدادات بصورة حثيثة طوال الربع الثاني من سنة1370م و انتهت في أواخر شهر جوان ، و في بداية جويلية أبحر الدوق دي بورمون من مرسيليا ، في اتجاه جنوة للالتحاق بقطع الأسطول و المقاتلين ، و بعد بضعة أيام غادر الجميع ميناء جنوا على متن أسطول مكون من اثنتين و عشرين سفينة حربية ثماني عشرة سفينة شراعية و بعض الزوارق ، وبمشاركة أربعة ألاف بحار جنوا ، و ثلاثة ألاف جندي من المشاة منهم ألف من خيرة القذافين ، كما دفعت فرنسا قسم من المؤونة اللازمة من القمح و الخمر ، كما تطوع في الحملة بعض النبلاء من مالهم الخاص تراوح عددهم مابين أربعمائة وألف و خمسمائة و ألف ، جلهم من الفرنسيين ماعدا بعض الانجليز و الأرغونيين ، كما منح البابوان المتنافسين ، بابا روما و بابا افينيون ، الغفران للمشاركين في الحملة ، وقد كانت تحدو بعض المشاركين الرغبة الملحة في تنصير المسلمين[7] و العزم على الدفاع عن المصالح المادية للنصرانية واسترجاع مكانتها ، وكسب انتصار و تحقيق المنافع

(1) علي محمد الصلابي ، **صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الأفريقي دولة الموحدين**،دار الكتب و الوثائق القومية ، ط.1 ،القاهرة، 1996،ص.367.

(2) Setton, Ibid,vol.2,pp.477,481.

(3) إن مكاسب النجاح لجنوه من احتلال جربة حفرها على التفكير في إحراز المزيد من المكاسب ، لذا كان مشروعها لاحتلال افريقية يتطلب إمكانيات كبيرة و هو ما تقوم بتبني هذا الحملة الصليبية ، لمزيد انظر ، ممدوح حسين ، شاكر مصطفى ، المرجع السابق ، ص.527.

(4) كان عمره 53 عاما في ذلك الوقت ، شارك في العديد من المعارك ضد انجلترا في حرب المائة تحت لواء ملك فرنسا حنا الثاني ، وأخذ رهينة الى انجلترا بدلا من الملك المذكور حينما وقع في الأسر 1360م، و بقي فيها حتى سنة 1368م ، ولما عاد الى فرنسا اشترك في عدة حملات ، وقد عين وصيا على الملك شارل السادس عند وفاة أبيه شارل الخامس ، وحارب تحت لوائه في معركة روزبك سنة 1382م ؛انظر : سعيد عاشور ، أوربا في العصور الوسطى ، ج.1 ، ص496 ؛ ممدوح حسين و شاكر مصطفى ، نفسه ، ص.541، الهامش 3.

(5) فالمقريزي اعتبر أن هذه الحملة كانت موجهة إلى المشرق ، ونزلت في طرابلس الشام، ثم سارت إلى افريقية بسبب ريحا عاتية ، لكن ابن خلدون لا يذكر ذلك ؛ انظر: المقريزي ،المصدر السابق،تح سعيد عبد الفتاح عاشور،طبعة دار الكتب ،دم،1971، ج.3، ص.723 .

(6) روبار برنشفيك ،نفسه، ص.230.

(7)نفسه ، ص.231.

المادية ، هذا و أخذ الأسطول يسير ببطء إلى أن وصل إلى جزيرة كونغليرا القريبة من المنستير ، التي استمر فيها الأسطول تسعة أيام في انتظار تجميع كل السفن و إعداد خطة للهجوم على المهدية الواقعة في الجنوب[1] من تلك الجزيرة [2] ، مما دفع الأمير أبا فارس عبد العزيز ابن السلطان إلى إعلان حالة الاستنفار في كامل منطقة الساحل و تعبئة الجيش للحيلولة دون وصول العدو [3] ، ورغم ذلك فقد تمكن من النزول بدون صعوبة في 20 جويلية ، وانتصبوا في المضيق الذي يصل المهدية باليابسة و طوقوا المدينة من كل جانب ، لكن الحصار فشل بعد بضعة أيام دون أن يعاودوا الكرة للمرة الثانية أو يعبروا أسوار المدينة هذا من ناحية البحر أما من اليابسة فقد تعزز جيش أبي فارس بما لحق به من أفواج المقاتلين من تونس بقيادة عمه أبي يحي زكريا ، استقر القواد على ربوة صغيرة وجها لوجه مع النصارى الذين أضحوا مجبرين على القتال من أمام و من خلف و لتفادي خطر الفرسان المسلمين ، أحاط الدوق دي بورمون المعسكر بسياج من الحبال ،و عزز ذلك بمجاذيف السفن بإشارة من الجنويين ، إلا أن أهالي افريقية المتفوقون عدديا على أعدائهم و يحتلون مركزا حربيا ملائما ، لم يتعودوا على معارك كبرى فقد كانوا حريصين على تطبيق الطريقة الحربية التي كانوا يستعملونها ضد الجنود الأوربيين المتوفقين عليهم بالعدة و الأسلحة ،و اكتفوا بالقيام ببعض المناوشات[4].

و في النصف الثاني من شهر أوت ، عندما يئس الصليبيون من إخضاع المدينة بسرعة بواسطة الجوع ، قرروا أن يشنوا هجوما عليها عن طريق البر و البحر على البرج العالي الذي يحمي الميناء ، ولكن الحفصيين قد احرقوا بواسطة القذائف المشتعلة جهاز للعدو و هو عبارة عن نصب من خشب متكون من أربعة طوابق ، وفي اليوم التالي اقتحم الدوق دي بورمون باب احد الجدران الأمامية ، و اضطر إلى مواصلة القتال إلى الليل و تكبد خسائر فادحة ، وفي أوائل سبتمبر مالت الكفة لصالح النصارى لدرجة أن الأمير أبو فارس كاد أن يلقى حتفه في الأسر ، و بينما كانت المعارك جارية حصل هجوم معاكس قام به المسلمون و في مصلحة الحفصيين أما النصارى الذين بدأ يتسرب إليهم الشك و الخلافات بين القادة وعلى نحو كان كثير من الفرسان متأسفين من وجود دي بورمون على رأسهم ، كما رفض الجنويين إعداد هجوم جديد ، وفي هذه الظروف قبل الصليبيون في منتصف شهر سبتمبر التفاوض مع السلطة الإسلامية حول الانصراف ، وذلك بواسطة الجنويين المقيمين في المهدية بحيث وعد المعتدين بأن يدفعوا لهم مدة خمسة عشرة سنة الضريبة التي كانوا يدفعوها لصاحب

---

(1) يذكر كل من ممدوح حسين و شاكر مصطفى أن سبب اختيار مهدية أنها أكثر مدن افريقية شهرة في أوربا ، و الاستيلاء يعطيهم شهرة ،و لكي يشتد عضدهم لتوسيع الاحتلال في افريقية ، ثم أن موقعها يسمح بان تكون قاعدة التوسع الصليبي في افريقية ، و حصانتها و توسط موقعها يسهل على حامية صغيرة الدفاع عنها ؛ ممدوح حسين و شاكر مصطفى ، المرجع السابق ، ص.552.

(2) أن ذكرى هزيمة لويس التاسع ما تزال ماثلة في أذهان المسيحيين لذلك فضلوا الترول في المهدية دون عاصمة الحفصيين ، ومن ناحية ثانية كما كان للجنويين صلات فيها بواسطة مواطنيهم الذين كانوا يتعاطون التجارة ثم توقف الأسطول في الجزيرة القريبة أزال كل إمكانية للقيام بهجوم مباغت لان منطقة الساحل أصبحت في حالة استنفار ؛نظر : نفسه .

(3) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج.6 ،ص.231.

(4) ممدوح حسين و شاكر مصطفى ، نفسه، ص.555.

تونس، وحوالي 20 سبتمبر أبحر الجيش النصراني،وهكذا فشلت الحملة في الأمر في تحقيق هدفها الأساسي المعلن والمتمثل في القضاء على القراصنة بافريقية ووضع حد لنشاطهم[1].

لم يكن المشرق ميدانا للحروب الصليبية بل شملت المغرب و الأندلس و قد جاهد ابناء المغاربة ضد الحملات الصليبية في الأندلس و رسموا صور و ملاحم رائعة تجسد وقوفهم ضد الصليبين ، غير أن ضياع الأندلس و تفكك الموحدين و ضعف دويلات المغرب جعل ميدان الحروب الصليبية تنتقل إلى المغرب الذي ظل يعاني من التحرش و التكالب المسيحي لفترة من الزمن.

(1) روبار برنشفيك ، المرجع السابق،ص.232.



دور المغاربة و الأندلسيين في الحروب الصليبية في مصر و الشام.

المبحث الأول : الحروب الصليبية في المشرق و صداها في المغرب.

المبحث الثاني : مظاهر مشاركة المغاربة في مصر و الشام خلال الحروب الصليبية.

المبحث الثالث: نماذج من مشاركات المغاربة في الحروب الصليبية واعتراف المشارقة بجهود المغاربة.

الفصل الثالث:دور المغاربة و الأندلسيين في الحروب الصليبية في مصر و الشام.

المبحث الأول : الحروب الصليبية في المشرق و صداها في المغرب:

واجه المشرق ذات الوضع الذي مر عليه المغرب بفترة وجيزة ،ففي نهاية القرن الخامس الهجري قامت الحروب الصليبية ،و سقطت القدس سنة 492هـ بيد الصليبيون الذين بقوا في المشرق ،وقد تزامن ذلك مع مرحلة ضعف ،و وهن أصاب الدولة المرابطية ،و لم يطل ذلك الحال الشرق عندما ظهرت الدولة النورية و برزت قوته مع الأيوبيين يوم استعاد صلاح الدين القدس عام 583هـ، إذن العدو واحد وان تعددت مضاربه ، و المغرب و المشرق من امة الإسلام موحدين أو أيوبيين[1].

1- صدمة الهزيمة الأولى :

لما بلغت إلى مسامع المغاربة أخبار هزيمة المسلمين أصابهم لأول وهلة الذهول و الأسى و الشعور بالفجيعة[2] ، لكنهم سرعان ما استعادوا رباطة جأشهم ، و أدركوا أن بذل المزيد من في صراعهم مع الصليبيين في ميدان المغرب له قيمته ، و أثره البالغ على الصراع الإسلامي الصليبي في ميدان المشرق للترابط الوثيق بين الغزاة في كلا الميدانين ، وانعكس ذلك المجهود في صور شتى،فثبات المرابطين القوي لهجمات النصارى الأسبان في الأندلس ، و ردهم عليها بهجمات مماثلة هو إحدى هذه الصور ،وكذا منازلة أسطولهم لأسطولي بيزا و جنوة اللذين احتلا جزيرة يابسة في سنة 508هـ/1113م،ثم هاجما جزيرة ميورقة بعد ذلك ، وطرد هاذين الأسطولين هي صورة أخرى للتضامن المغربي مع المشرق ،و مهاجمة الأسطول الزيري في زمن يحي بن تميم للسفن الايطالية التي كانت الشريان الرئيسي لإمداد الصليبين في المشرق و الإغارة على شواطئ أوربا الجنوبية هذا من جهة على الجانب الرسمي[3].

ومن ناحية ردود الفعل الشعبية فقد أبدت جموع المجاهدين المغاربة منذ بداية هذا الهجوم رغبة الهجرة للمشرق للمشاركة في جهاد الصليبيين ، لأن اندلاع المعارك بين المسلمين و الصليبيين هزت حمية المغاربة في المشرق فكان العديد منهم يتوجه بعد أداء الحج إلى بلاد الشام لزيارة الأماكن المقدس فكان من تواتيه الفرصة يقرن فريضة الحج بالجهاد و لا يدعها تفوته أو لطلب العلم لاستقائه من منابعه الأصلية ،فيشارك في الجهاد ضد الصليبيين ،و يؤكد ذلك ما ذكره الدكتور ممدوح حسين عن ابن عساكر ،و يضاف

---

(1) عز الدين عمر احمد موسى ، **دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي** ، دار الشروق ، ط.1،القاهرة، 1983، ص.12.

(2)نجم عن الحملة الصليبية الأولى490هـ/1096م تأسيس إمارة صليبية سنة491هـ/1097م في الرها و إنطاكية ،ثم في بيت المقدس سنة 492هـ/1098م ؛للمزيد انظر: ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج.9،ص.13؛عاشور ، الحركة الصليبية ،ج.1،ص.177-182.

(3) انظر ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص.122؛ ممدوح حسين و شاكر مصطفى ، المرجع السابق ،ص.149 .

إلى هاتين الفئتين فئة التجار التي تفد إلى المشرق فتساهم في الذود عن ديار الإسلام،و أخيرا فئة المجاهدين الذين يقصدون المشرق بنية الجهاد ، فقد وجد من بين المغاربة من كان يقسم عمره في المرابطة سنة في الأندلس و سنة في المشرق يقيم بينها سنة في أهله ،فهذا تعبير آخر عن الصدى الذي أحدثه نجاح الحملة الصليبية أولى في المشرق في نفوس مسلمي المغرب[1] .

و من الأصداء الأخرى للحروب الصليبية داخل المغرب ، تطلع المغاربة لتحرير بيت المقدس من وقت مبكر ، إذ ظهر اهتمام المغاربة بفتح القدس منذ فترة بعيدة،و منهم الإمام أبو الحكم بن برجان ،عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرحال محمد اللخمي الإفريقي الاشبيلي ،دفين مراكش عام 536هـ/1141م ،و قد لوح في تفسيره عند طالعة سورة الروم[2] ، إلى تاريخ فتح بيت المقدس عام 583هـ/1187م[3] ،و توضيحا لما غمض من كلام بن برجان ، فقد أشار أبوزكريا ، يحي بن أبي الحجاج اللبلي الأصل ، المراكشي النشأة ، المتوفى حدود 590هـ أو بعدها بقليل «وهو الذي استخرج من تفسير أبي الحكم بن برجان – من كلامه على سورة «ألم غلبت الروم » فتح بيت المقدس في الوقت الذي فتح فيه على المسلمين[4] ، و حقق و عين ما كان أغمض فيه ابن برجان و أبهم ، وقف عليه المنصور فبقى مرتقبا له و معتنيا –في نفسه- به، حتى كان ذلك على تبعا لما قاله ، فطلب أن يكون من جملة حضرة مجلسه و يرتسم في جملة طلبته »،و للوقوف قليلا عند الفقرة الأخيرة من كلام ابن الزبير ، يبرز مدى اهتمام يعقوب المنصور بهذا الفتح ، حتى نظم مستخرج تاريخه بين أهل مجلسه العلمي ، فتضف هذه الملاحظة إلى ملف العلاقات بين المنصور الموحدي و صلاح الدين الأيوبي[1]

كما يبرز محي الدين ابن العربي الحاتمي المرسي الأصل رؤيته لبيت المقدس قبل تحريره ، يدعو إلى مقاطعة زيارته ما دام يرزخ تحت سيطرة الحكم الصليبي و في ذلك مقدمة مطولة يخلص فيها إلى هذا النداء : «... لهذا حجرنا في هذا الزمان على الناس زيارة بيت المقدس و الإقامة فيه ، لكونه بيد الكفار ، فالولاية لهم و

---

(1) يفترض كلود كاهن (Claude Cahen) ثلاثة أصول محتملة لوجود المغاربة بالبلاد المشرقية: حجاج ألقى عليهم الفرنجة القبض في طريقهم إلى الحج، أو كان قد طال مقامهم من أجل المشاركة في الجهاد فأسروا، وتجار كان لهم المصير نفسه أو تجار وحجاج أسرهم في البحر القراصنة الصليبيون وباعوهم على سواحل بلاد الشام؛ كلـود كاهـن، **الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية**، ترجمة أحمد الشيخ، سينا للنشـر، ط. 1، القاهرة، 1995، ص. 176؛ممدوح حسين و شاكر مصطفى ، المرجع السابق،ص. 182.

(2) يقول ابن كثير انه بنى الأمر على التاريخ كما يفعل المنجمون ، ثم ذكر أنهم يغلبون في سنة كذا و يغلبون في سنة كذا وقف ؛ ابن كثير ، المصدر السابق ، ج.16 ،ص.593.

(3) كان عبدا صالحا و له تفسير القرآن الكريم ؛محمد المنوني ،"**نماذج من مساهمات الغرب الإسلامي في الحروب الصليبية بالشام و ما إليه**"، مجلة كلية الآداب، العدد 21-22،المغرب، 1996/1997، ص.146.

(4) قال أبو شامة أنها نجامة وافقت إصابة ؛أبو شامة، المصدر السابق ، ج.3،ص.255.

التحكم في المسلمين ، والمسلمون معهم على أسوأ حال ، نعوذ بالله من تحكم الأهواء ، فالزائرون – اليوم – البيت المقدس و المقيمون فيه من المسلمين[2] ، هم الذين قال الله فيهم : ضل سعيهم في الحياة الدنيا و هم يحسبون صنعا.[3]

كان هذا بعض ما سجل عن الصدى الذي أحدثته نجاح الحملة الصليبية الأولى في المشرق في نفوس مسلمي المغرب، الذين أكدوا بتأثرهم بما يحدث للمشارقة مهما بعدت المسافة .

2- فرحة المغاربة بفتح بيت المقدس

و مما يتصل بابتهاج بهذا الفتح العظيم ، الاستبشار الذي عم المسلمين بمنطقة الغرب الإسلامي ،فرحا ابتهاجا بما تم من فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين الأيوبي ، وذلك ما يجليه ابن عبد الملك و هو يترجم للرحالة ابن جبير : «و لما شاع الخبر المبهج للمسلمين جميعا حينئذ بفتح بيت المقدس ... و كان ذلك من أقوى الأسباب التي بعثته (ابن جبير) على الرحلة الثانية قال : و قضى الله برحمته لي بالجمع بين زيارة الخليل عليه السلام و زيارة المصطفى ، و زيارة المساجد الثلاث ، في عام واحد متوجها ، و في شهر واحد منصرفا [4].

ويشير إسهام عبد المنعم بن عبد الله بن حسان الغساني الأندلسي الجلياني(ت603ه/1206م) [5]هذا العالم الأندلسي إلى مدى التفاعل الثقافي بين الغرب الإسلامي، وأحداث القدس العربية والإسلامية، لاسيما حادثة التحرير من الاحتلال الصليبي، التي أثارت المشاعر، ودفعت بها الأديب إلى التأليف لتخليد تلك الذكرى العزيزة على قلوب المسلمين جميعاً في مشرق العالم الإسلامي ومغربه ،و قد عبر عن اغتباطه بانتصار صلاح الدين على الصليبيين من خلال قصيدة بعث بها إلى صلاح الدين الأيوبي سنة 582ه/1186م قال فيها:

فيا ملكا لم يبق للديـــن غيـــره ... وهت عمد الإسلام فاشدد لها دعما
فشؤم فريق الشرك في الشام طائر ... فقــص جناحيه بأقصى القوى قصما
خصصت بتمكيـن فعم العـدا ردى ... فأنهم يأجوج ، افرغ بهم ردمـــا

=

(1) محمد المنوني ، المرجع السابق، ص.146.

(2) نفسه ،ص.147.

(3) سورة الكهف، الآية 104.

(4) محمد المنوني ، نفسه، ص ص.146، 147.

(5) هو عبد المنعم عمر بن حسان الأديب الشاعر ،الجلياني نسبة إلى جليانة الأندلسية من أعمال وادي ياش ، سكن دمشق ، ثم استقر بمصر ، وعاصر صلاح الدين منذ قدومه إليها سنة 562هـــ/1166م، وهو شاعر متمكن خصص جانبا كبيرا من شعره عن بيت المقدس و التبشير بتحريرها من الصليبيين ، توفي في دمشق سنة 603هـــ/1206م؛ انظر :موفق الدين بن أبي أصبيعة ،**عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ،تح نزار رضا ،منشورات مكتبة الحياة ،دط،بيروت ،1965،ص.657.

إذا اصفرت من آل الأصفر ساحة المقدس ضاهت فتح أم القرى قدما
فذا المسجد الأقصى و همتك العدى وعزمتك القصوى ورميتك الصما
فماهو إلا أن تهم و قد أتت فتوح كمل فاض الخضم الذي طما
و أن أتت لم ترد الفرنج بوقعة فمن ذا الذي يقوي لبنيانها هدما
و ما كل حين تمكن المرء فرصة ولا كل حال أمكنت تقتضي غنما
و ليس كفتح القدس منية قادر و ما أن تلقاها سوى يوسف جزما[(1)].

و جاء هذا المضمون في قصيدة الجلياني ، قالها بين يدي صلاح الدين سنة 582هـ/1186م، صوره فيها ،و قد حقق أمنية المسلمين في طرد الصليبيين من بيت المقدس، فقال :

الله اكبر ارض القدس قد صفرت من آل الأصفر إذ حين به حانوا
أسباط يوسف من مصر اتوت و لهم من غير تيه بها سلوى و أمنان
لهم فلسطين أن يخرج عداتهم عنها و إلا عدت عنها بيض وخرصان
حتى بنيت رتاج القدس منفرجا ويصعد الصخرة الغرا عثمان
و استقبل الناصر محراب يعبد من قد تم من وعده فتح و أمكان
و جاز بعض بنيه تجفل من غاراته الروم و الصقلاب و اللان
و لابن أيوب في الإفرنج ملحمة دلت عليها أساطير و حسبان
ومن أحق بملك الأرض من ملك كأنه ملك في الخلق حنتان[(2)]

ولقد أثارت حادثة تحرير واسترجاع القدس من أيدي الصليبيين أشجان عالم أندلسي آخر، هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني[(3)]، الذي لم تتيسر له الظروف لزيارة المدينة المقدسة في رحلته المعروفة الأولى إلى بلاد الشام سنة582 هـ/ 1186م، لوقوع المدينة بيد الصليبيين، وعدم رغبته بالذهاب إليها لهذا السبب ، واكتفى بالإشارة إليها في رحلته إشارة عابرة، تتضمن مقدار بعدها عن عكا ودمشق، مبدياً أمله في أن تعود إلى أيدي المسلمين، ويطهرها الله من المشركين بعزته وقدرته[(4)] ، ولكنه ما أن سمع بتحريرها حتى رجع إلى المشرق

---

(1) أبو شامة ،المصدر السابق ،ج.3،ص ص.261، 262.

(2) عبير أحمد عطاالله المحاسنة ،**موقف العلماء و الأدباء من الصليبيين في العصر الأيوبي** ، رسالة ماجستير ،جامعة مؤتة مؤتة،2002،ص.108.

(3) هو أبو الحسن محمد بن احمد بن جبير بن سعيد الأندلسي ، ولد في بلنسية 539هـ/1144م، كاتب و شاعر ، ورحالة ، توفي في الإسكندرية سنة614هـ/1217م، زار المشرق ثلاث مرات ؛ انظر الزركلي (خير الدين) ، **الأعلام** ،دار العلم للملايين،ط.15، ،بيروت لبنان ج.5،ماي2002، ص ص.320،319.

(4) ابن جبير،**رحلة ابن جبير** ،دار صادر،دط ،بيروت،دت، ص.282.

، فزارها سنة 587هـ1191 /م ،و كان في مطلع تهنئة الرحالة ابن جبير مشيدا بصلاح الدين :

أطلت على أفقك الزاهر سعود من الفلك الدائر

إلى أن يقول:

فتحت المقدس من أرضه فعادت إلى وصفها الطاهر

و جئت إلى قدسه المرتضى فخلصته من يـــد الكافـر

و أعليت فيه من الهـــدى و أحييت من رسمه الدائر

لكم ذخر الله هذه الفتــو ح من الزمن الأول الغابــر

و خصك من بعد فاروقه بها لاصطناعـك في الآخر[1]

و عاد مرة ثالثة سنة 597هـ/1200م، ليسكن مكة المكرمة، وينتقل منها إلى القدس، وبقي يتردد بين الحرمين الشريفين، ويحدّث فيهما إلى أن استقر أخيراً بالإسكندرية[2] .

وبعد انتصار صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين وفتح القدس الشريف خاطب ...يعقوب المنصور وأخبره بأنه هزم روم الشام واستأصل شأفتهم ،وفتح بيت المقدس شرفها الله وجميع تلك البلاد التي كانت بأيدي أعداء الله سنة 583[3]،ولذلك اهتزو المغاربة فرحا للبشرى « وكان له في النفوس من الفرح والجذل ما لا خفاء فيه » و هو ما حفزهم بعد ذلك إلى مقارعة الأعداء من النيل منهم على ما اقترفوه من ذنب في الأندلسيين فكان نصر الأرك نتيجة ذلك[4].

هذا فيما يخص إيقاع ردود الفعل الخاصة بحادثتي فاجعة هزيمة المسلمين في الحملة الأولى ،و بشارة فتح القدس على المستوى الشعبي ، أن هذه الأمثلة تعكس النبض الحقيقي لمشاعر أهل المغرب و الأندلس لان التاريخ بين مدى تتفاعل المغرب مع المشرق على جميع الأصعدة و لم يحدث هذا على المستوى الشعبي

---

(1) أبوشامة ،المصدر السابق، ج.3، ص.240؛احمد بدوي ،**الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية** ،دار نهضة مصر ، ط.2 ،القاهرة،دت،ص.442.

(2) ابن الخطيب، الإحاطة ، ج.2،ص.232.

(3)عبد الكريم كريّم، "**صلاح الدين الأيوبي ويعقوب المنصور الموحدي**" ،مجلة التاريخ العربي ، ع.2،المغرب، 1997 ،ص.17.

(4)نفسه ؛نقلا عن المؤلف المجهول كتاب" الاستبصار "،يذكر

وقمت بنصر إله الـــــــــــورى فسماك بالملك الناصـــــــــــــــــــر

فتحت القدس من أرضـــــــــه فـعـــادت إلى وصفهـــا الطاهـــــــــــر

فــكــم لك بالشـــرق من حامـد وكــم لك بالــغـــرب مـــن شـــاكـــــر

فحسب بل اثر في شكل العلاقات الإسلامية الإسلامية وفقا للمعطيات الجديدة التي برزت في هيئة هجمة صليبية تستهدف الإسلام دينا و أرضا و بشرا .

3- الهجمات الصليبية عامل توحيد الصف الإسلامي

إن الهجوم الصليبي على المسلمين – مادام العدو واحد- دفعهم إلى ضرورة التنسيق لتوحيد الجبهة الإسلامية لان الهجوم المسعور الذي شنته الحركة الصليبية على المسلمين في المشرق و المغرب اقنع حكامهم بضرورة العمل على توحيد جهودهم للتصدي لهذا العدوان،لذلك جرت اتصالات عديدة لهذا الغرض على المستوى الرسمي ،كما كانت الحملات الصليبية فرصة لتقليص هوة الخلاف و شبه القطيعة السياسية من خلال المراسلات بين حكام المسلمين أنفسهم أو بينهم و بين الملوك المسيحيين[1] ،كتلك التي جرت بين ملوك الطوائف في الأندلس ويوسف بن تاشفين ،و اتصالات الأخير بالدولة العباسية للعمل على تحقيق وحدة شاملة بين المغرب و المشرق[2] ،و كسب دعم الخلافة العباسية المعنوي له في جهوده ضد المسيحيين من ناحية و ضد ملوك الطوائف الذين بخلافاتهم و صلاتهم بالعدو يعرقلون توحيد الصف الإسلامي في مواجهة العدو[3] ،و جرت اتصالات أخرى بين أهل صقلية بالدولة الزيرية لمواجهة الخطر البيزنطي ثم الخطر النورماني بعد ذلك ،و كان الغرض من هذه الاتصالات هو خلق تعاون أفضل بين حكام البلاد الإسلامية ،و العمل على توحيد الجهود لمواجهة هذا العدوان.[4]

و في نفس السياق عبر صلاح الدين عن نواياه للانتقال في المشروع الذي يدور في خلده آنئذ بخصوص توحيد الجبهة الإسلامية و محاربة الصليبيين لأحد المغاربة الذين صاحبوا صلاح الدين في جهاده ، وهو الأمير عبد العزيز تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي و هو حفيد الملك بن باديس الصنهاجي في افريقية قال :((لما مرض صلاح الدين مرضه الشديد سنة 582ه نذر إذا ابل من مرضه الشديد فانه لن يقاتل أحدا من المسلمين ، وانه

(1) من ذلك الرسائل التي وجهها صلاح الدين الأيوبي إلى الملك الموحدي يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن يطلب منه إرسال نجدة بحرية ، والرسالتان اللتان بعث السلطان المملوكي بيبرس احديهما إلى ملك فرنسا لويس التاسع الذي قاد حملة صليبية إلى تونس عام 1272/670 ، و الأخرى إلى صاحب تونس محمد بن يحي الهنتاني ، انطوت الرسالة الأولى على تهديد صريح لملك فرنسا بان السلطان سيقاتله من دون هوادة إذا ما تابع اعتداءاته على تونس ، ويعلم صاحب تونس في الرسالة الثانية ،بأنه على استعداد لمؤازرته في قتال الفرنج ؛ أحمد حطيط ، "**مكانة المغاربة الاجتماعية بدمشق في زمن الحروب الصليبية**"، مجلة التاريخ العربي ، ع.25،المغرب ،شتاء 2001 ،ص.229.

(2) ابن خلدون ، المصدر السابق ،ج.6،ص.188 ؛ابن الأثير،المصدر السابق ،ج.10 ،ص.417؛ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ،ق.3 ،ص.252 .

(3) ابن الكردبوس ،المصدر السابق، ص.122 فما بعدها .

(4) ممدوح حسين ، شاكر مصطفى ، المرجع السابق ، ص.153.

سيكرس جهاده ضد الصليبيين)) ،وقد نجاه الله ببركة هذا العذر ،فكان هذا النذر هو سبب إراقة دم البرنس أرناط[1].

إثر تعرض مدينة الإسكندرية للغارة الصليبية سنة767هـ ،قامت موجة من الغضب والسخط في أنحاء العالم الإسلامي و لا سيما في بلاد المغرب و الأندلس التي كانت صلتها بالإسكندرية وثيقة قوية[2] ،ففي رسالة كتبها وزير مملكة غرناطة لسان الدين بن الخطيب على لسان سلطانه أبي عبد الله محمد الخامس الغني بالله الشهير بابن الأحمر إلى سلطان بني مرين بفاس يصف له فيها حملته على جيان Jean التابعة لملك قشتالة في المحرم 768هـ/1366م رغم المعاهدات المبرمة بينهم أي بعد سنة كاملة من حادثة الإسكندرية ،و يضمنها ما دفعه إلى حركته هذه ضد الأسبان ،و هو الأخذ بثأر الإسكندرية فجاء محتوى الرسالة التي كتبها ملك غرناطة محمد الخامس الغني بالله إلى سلطان بني مرين بفاس ،حول أحداث هذه الحملة ، حيث وصف دوافعها بقوله : «فنوينا أن نرفع بها هضم جانب الإسكندرية ، و نقوم بفرض الكفاية المرضية ، فاستدعينا أهل الجهاد ، و نقصنا أطراف البلاد ، ممن أولى الجلاد في المحرم 768 هـ ، بعد سنة من حادث الإسكندرية ، و نادى منادى الحمية ، يالثارات أهل الإسكندرية ! يالثارات أهل الإسكندرية ! »، فتنادى المسلمون في الأندلس[3]، لا شك أن هذه الصيحة الجميلة التي كانت شعار الأندلسيين في هجومهم على جيان ، تعبر عن موجة الغضب التي أثارتها بالأندلس غارة القبارصة على الإسكندرية ،كما أنها تحمل في طياتها معاني الأخوة و التضامن بين الشعوب الإسلامية .

و يذكر النويري أن بعض الأندلسيين القادمين في الركب المغربي بسبب الحج[4]،اخبروه بان ملك قشتالة أرسل إلى سلطان غرناطة يطلب منه الصلح بعد أن داخله الرعب بسبب تخريبه لمدائنه فقال السلطان لرسوله« هو يريد أن يصالحني بينما تمضي النصارى إلى سواحل المسلمين بأرض مصر يقاتلونهم !؟ لا كان ذلك أبدا حتى ترد أموال الإسكندرية إليها من أسراها ،و يأتيني كتاب صاحب مصر بأنكم اصطلحتم معه لأنه خادم

---

(1) احمد مختار العبادى ، في تاريخ الأيوبيين و المماليك ،ص.53.

(2) احمد مختار العبادى ،ضمن **بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية** ، **دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربي** ، مؤسسة شباب الجامعة،دط ،الإسكندرية ، 1976 ،ص.93.

(3) محمد بن القاسم بن محمد النويري الاسكندراني ، **الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في واقعة الإسكندرية** ، تحقيق عزيز سوريال عطية ،دائرة المعارف العثمانية،دط، حيدر آباد الدكن الهند ، 1970 ، ج.5، ص ص.331، 332.

(4) و قد استقى النويري السكندري هذه الأخبار من المغاربة القادمين إلى الإسكندرية بسبب الحج ، ويذكر أن قاضي رندة – و يدعى أبا الفضل قاسم بن محمد و هو من ضمن المغاربة الوافدين إلى الإسكندرية قد أمده بالمعلومات ؛ نفسه،ج.5،ص.340؛أما رندة فهي مدينة قديمة بالأندلس على نهر ينسب إليها ؛ راجع الحميري ،المصدر السابق ،ص.269.

الحرمين الشريفين و أنا خادمه بسبب ذلك ، حينئذ أصالح صاحبك القند (القمط أو الكونت) ،و إلا فالسيف بيني و بينه حتى أملك اشبيلية و قرطبة و طليطلة ، وأعيدها للمسلمين كما كانت لهم » ،فلما بلغ القند مقالته قصر لسانه عن رد جوابه ،ويضيف النويري السكندري إلى أن السلطان ابن الأحمر بعث أسارى الفرنج الذين وقعوا في أسره إلى مدينة فاس بالمغرب الأقصى ثم جرى بيعهم في مدينة فاس نفسها ، و قدر النويري عدد هؤلاء الأسرى من الرجال و النساء و الأطفال بسبعة آلاف و ثمانمائة أسير و أسيرة[1] ، ويمكن أن يكون ذلك كان بمثابة رد على الاعتداء الصليبي للإسكندرية ،و من ناحية أخرى يعبر عن التضامن المغربي مع المشارقة .

أما على الصعيد الشعبي ، فقد عبر المغاربة عن استيائهم و حزنهم الشديد بإنشاد المراثي و القصائد التي يرثون بها الإسكندرية بمناسبة هذه الغارة ،و مثال ذلك قول الشاعر الصوفي المغربي احمد بن أبي حجلة[2] التلمساني الأصل التي أرثى بها مدينة الإسكندرية:

و حقق عندي للفرنج مكائد	فليت ولي الأمر يدري ما أدري
فمن لي بفرسان الجزيرة عندما	تعامل أهل الكفر في البحر بالنحر
و من لي بأسطول أهل سبتة	بغربائهم مثل النسور إذا تسرى

شرح مختار العبادى القصيدة نقلا عن النويري بالقول التالي أن الشاعر يعني« بولي الأمر إذ ذاك الأتابك يبلغا الخاصكى حاكم مصر(ت. 768 هـ) ، و قصد بقوله مكائد الحرب ، أن تلك المكائد يعرفها أهل سبتة و من جاورهم من المسلمين ، إذ أن الفرنج التي بجزيرة الأندلس يخشونهم لحذقهم و معرفتهم بقتالهم و غربانهم المرصدة لذلك ، و قصده أيضا تحريض الأمير يبلغا على تكثيره بالإسكندرية قواد المغاربة لأنهم فرسان البحر لاعتيادهم لذلك ، و قيل أن عدد أبواب سبتة واحد و ثلاثون بابا منها واحد للبر و الباقي من دار الصناعة للبحر ، و داخل كل باب منها غراب راكب على حماره من الخشب المعتدلة ، فإذا جرت حركة مع الفرنج ، أو أتتهم افروطة (أسطول) أخرجت القياد تلك الغربان تجرهم حمرها فترمي تلك الغربان في البحر دفعة واحدة ، و قد شحنت برماتها و قيادها و أسلحتها و أزوادها ، وقد صاروا على الكفار كاشتعال النار ، فلو كان بصناعة الإسكندرية أمثالهم ، لحفظت بحفظ الله دارها ، ولتنفى عنها عارها ، لكن كان ذلك في الكتاب مستورا ، وكان

---

(1) النويري السكندري ، المصدر السابق،ج. 5،ص.317-339 .

(2) احمد بن أبي حجلة الحنبلي 1325-1375 م ، ولد في تلمسان و صار شيخا لتكية منجك ، حج ثم استقر في القاهرة و توفى بالطاعون ، له ديوان الصبابة الذي عارضه الوزير الغرناطي لسان الدين بن خطيب في كتابه محبة الله أو روضة التعريف بالحب الشريف ، نحا ابن أبي حجلة في شعره نحو ابن العربي في التغزل الصوفي ؛ انظر :احمد مختار العبادى ، المرجع السابق ، ص.95 ، الهامش 26.

أمر الله قدرا مقدورا».[1]

أما في مصر والشام فقد تجلى الغضب في ردود فعل سريعة تتمثل في جمع الأموال و إعداد الأساطيل ، فذكر العبادى عن النويري أن أعدادا كبيرة من المغاربة قيدوا أسماءهم بأجر معلوم للعمل في الأساطيل التي لتحرير الإسكندرية.[2]

و مما يوضح تفاعل المغاربة مع المشرق إبان الحروب الصليبية ان نكاية المغاربة بالعدو شديدة مما أحفظه عليهم و بالغ في الإساءة إليهم حتى انه فرض على المارين منهم بالبلاد الواقعة تحت سيطرته دفع ضريبة رأس عن كل فرد دون غيرهم إمعانا منه في القسوة عليهم و في ذلك يقول ابن جبير : «وقال الفرنج : أن هؤلاء المغاربة كانوا يختلفون على بلادنا و نسالمهم و لا نرزأهم شيئا فلما تعرضوا لحربنا و تألبوا مع إخوانهم المسلمين علينا وجب أن نضع هذه الضريبة عليهم ، فللمغاربة في أداء هذا المكس سبب من الذكر الجميل في نكايتهم العدو ».[3]

المبحث الثاني : مظاهر مشاركة المغاربة في مصر و الشام خلال الحروب الصليبية .

أولا-المشاركة في المعارك الحربية ضد الصليبيين .

إن موضوع اشتراك المغاربة في الحرب ضد الصليبيين ، يبدو من المواضيع الصعبة ولا سيما أنهم كانوا في حروب مستمرة مع المسيحيين قبل أن تنشب الحروب الصليبية في المشرق، لكن المؤرخين لم يشيروا إلى هذا الاشتراك كموضوع خاص بمعنى لم يتطرقوا عن مجموعة معينة منهم شاركت بشكل مستقل عن الجيش الشامي ،وكل ما كتبوه حول هذا الموضوع، اقتصر على ذكر حوادث فردية باستثناء واحدة سنأتي على ذكرها في السطور التالية[4]، والتي سيظهر من خلالها، أن الأندلسيين والمغاربة، اشتركوا بمجموعة كبيرة إلى حد ما، ومشاركتهم ضد الصليبيين في الحرب ،ومن بعدهم التتار لم تكن على صورة واحدة فحسب، بل قام بعضهم بتقديم المال و البعض الأخر التطبيب إلى غير ذلك[5].

و من تلك الصور التي تعبر بوضوح في صور اشتراك الأندلسيين والمغاربة في الحرب ضد الصليبيين ، تتجلى في الملاحظة التي دوّنها الرحالة ابن جبير الأندلسي خلال زيارته لبلاد الشام في الربع الأخير من القرن السادس الهجري، ويبدو من خلال هذه الإشارة أن هذا الاشتراك، لم يكن قد اقتصر على فرد بعينه

---

(1) احمد مختار العبادى ، المرجع السابق ، ص ص.95، 96.

(2) نفسه ، ص.96.

(3) سببها أن طائفة من أنجادهم غزت مع نور الدين أحد الحصون، فكان لهم في أخذه غنى ظهر واشتهر؛ابن جبير ، المصدر السابق ، ص.274.

(4)علي محمد ، **الأندلسيون و المغاربة في بلاد الشام** ، دار طلاس ،ط.1 ، دمشق ، 1989 ،ص.218-321.

(5) نفسه، ص.302.

، بقدر ما كان على شكل مجموعة كبيرة العدد، الأمر الذي جعل الصليبيين يلجؤون إلى اتخاذ إجراءات مضادة للمغاربة الأندلسيين، تجسَّدت بفرض ضريبة عليهم دون غيرهم، وذلك جزاء اشتراكهم مع العرب المشارقة ضدهم ، يقول ابن جبير عندما زار حصن تبنين: "وكان مكاناً لتمكيس القوافل.. ولا اعتراض على غيرهم، وسببها أن طائفة من أنجادهم غزت مع نور الدين أحد الحصون، فكان لهم في أخذه غنى ظهر واشتهر، فجازاهم الإفرنج بهذه الضريبة المكسية، ألزموها رؤوسهم، فكل مغربي يزن على رأسه الدينار المذكور في اختلافه على بلادهم.[1]

ويستمر اشتراك الأندلسيين والمغاربة في الفترة، التي تلت انتهاء حكم نور الدين زنكي[2] ،ويمكن القول أن أعدادهم ازدادت بشكل كبير على عهد صلاح الدين الأيوبي، فظهرت مشاركتهم على وجهين، الأول كمحاربين أساسيين، والثاني كمرافقين للجيش يقومون بتقديم الخدمات المختلفة، التي لا تقل عن غيرها في ميدان الحرب ، مثال الوجه الأول، الحادثة التي ذكرها العماد الكاتب الأصفهاني حيث يظهر من خلالها قيمة الدور الذي شغله هؤلاء المغاربة على الصعيد العسكري، كمقاتلين أشداء نذروا أنفسهم لتنفيذ مهمات في غاية الخطورة[3].

و عليه فقد كان تجنيد المغاربة في تقليدا متبعا منذ احتدام الحركة الصليبية ، فساهموا مساهمة فعالة في الجهاد ضد الصليبيين و في المرابطة على سواحل مصر و الشام مع عساكر نور الدين محمود بن زنكي ضد الصليبيين[4].

وبهذا يقال أن أول تدخل مغربي في الحروب الصليبية يصعد إلى عام 543هـ/1148م ،و هو التاريخ الذي استشهد فيه الإمام المغربي يوسف بن دوناس الفندلاوي الفاسي[5]،إلا أن ابن الأثير يذكر أن «في سنة 499هـ ،ورد إلى بغداد أمير من الملثمين (أي المرابطين) ملوك المغرب قاصدا دار الخلافة ، فأكرم ،و كان

---

(1) انظر ابن جبير، المصدر السابق ،ص.274.

(2) نور الدين زنكى هو ابن عماد الدين زنكى أتابك الموصل ، وأهم الأمراء في العهد السلجوقي ، وقد بدأ حكمه بتثبيت استعادة الرها التي سبق وأن استعادها والده سنة 539 هـ /1144م وحقق انتصارات كبيرة على المناوئين له ، وأظهر كفاءة كبيرة في التصدى للصليبيين وتوحيد صفوف المسلمين، وتولى الحكم وهو في التاسعة والعشرين من عمره ، وكون دولة كبيرة شملت الشام ومصر وبلاد الجزيرة وتوفى سنة 569 هـ /1174 م ؛ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج.9، ص.124 ؛ ويصفه وليم الصورى أنه كان أميراً عادلاً وشجاعاً ومتزناً وتقياً ؛ وليم الصورى ، **الحروب الصليبية** ، ترجمة حسن حبشي ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،دط،1994،ج .3، ص .243.

(3) علي محمد، المرجع السابق،ص.325.

(4) ابن جبير ، نفسه، ص.284 .

(5) ويلقب بأبي الحجاج المغربي، قدم الشام وسكن بلدة بانياس في محافظة القنيطرة العربية السورية مدة، ثم انتقل إلى دمشق واستوطنها ودرّس بها على مذهب الإمام مالك بن أنس، وحدَّث بكتاب الموطأ وغيره، وقد وصف بأنه شيخ حسن المفاكهة، حلو المناظرة، كريم النفس، قوي القلب، صاحب كرامات؛ أبوشامة ،المصدر السابق، ص.203 ، الهامش 1.

معه إنسان يقال له الفقيه من الملثمين أيضا ، فوعظ الفقيه في جامع القصر ، و اجتمع له العالم العظيم ، وكان يعظ وهو متلثم ، لا يظهر منه غير عينيه ،وكان هذا الملثم قد حضر مع الأفضل أمير الجيوش بمصر وقعته مع الفرنج ، وأبلى بلاء حسنا ، وكان سبب مجيئه إلى بغداد أن المغاربة كانوا يعتقدون في العلويين أصحاب مصر الفاطميين الاعتقاد القبيح فكانوا إذا أرادوا الحج يعدلون عن مصر ، وكان أمير الجيوش بدر الجمالي والد الأفضل أراد إصلاحهم ، فلم يميلوا إليه ، ولا قاربوه ... فلما ولى ابنه الأفضل ، أحسن إليهم ، واستعان بما قاربه منهم على حرب الفرنج ، و كان الملثم من جملة من قاتل معه ، فلما خاط المصريين ، خاف العودة إلى بلاده ، فقدم بغداد ثم عاد إلى دمشق ، ولم يكن للمصريين حرب مع الفرنج إلا و شهدها ، فقتل في بعضها شهيدا ، وكان شجاعا فتاكا مقداما »[1]، هذا النص يدل على أن العداء بين الدولتين الفاطمية و المرابطية لم يحل دون وجود بعض المتطوعين من كبار رجال المغاربة الذين شاركوا إخوانهم المشارقة في جهاد الصليبيين في الشام.

ومما يؤكد اشتراك المغاربة بالحرب مع صلاح الدين في معارك التحرير في حال غياب الإحصاءات الدقيقة،إلا أن ممدوح حسين يذكر عن صلاح الدين منجد صاحب كتاب المشرق في نظر المغاربة و الأندلسيين ، إن عدد المغاربة في جيش صلاح الدين أثناء حصاره لمدينة عكا سنة 583هـ/1187م ما بين ألفين إلى ثلاثة آلاف [2] ،إن هؤلاء المغاربة هم كالكثير من الشاميين والمصريين، الذين شاركوا بهذه الحرب من غير الجيش النظامي، الذي لم يكن يشكل كل القوة المحاربة ولا حتى النسبة العددية الأكبر، و قد وضّح الإنكليزي جب، أن عدد الجند النظامي لدى جيش صلاح الدين الأيوبي في موقعة حطين، لم يكن يتجاوز الأربعة عشر ألف مقاتل[3] ،أما المحاربون الآخرون فكانوا متطوعة ومتصوفة مع أتباعهم، ومنهم الأندلسيون المغاربة من غير المؤهلين للحرب بشكل نظامي مرتب، و لان طول الاحتلال الفرنجي لطرابلس لأكثر من 180 عام، فكان من الطبيعي أن ينقطع كل ذكر للوجود الأندلسي ـ المغربي فيها، فلم يصلنا عن تلك المدة بطولها، سوى إشارة واحدة إلى استعانة الفرنج بمحاربين من الأندلس أتوا بهم بحراً للمشاركة في قتال المسلمين وحصار دمشق سنة 543 هـ/ 148 م[4] إن كانت طرابلس استقبلت أحداً من أولئك المحاربين الأندلسيين، والمرجّح أنهم لم يصلوا إلى مينائها، إذا امتنع كونت طرابلس ريموند الثاني (531 ـ 546 هـ/ 1133 ـ 1152 م) عن

---

(1) ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج.9، ص.353؛ ابن كثير ،المصدر السابق، ج.16 ،ص.349 ؛ احمد مختار العبادى ، المرجع السابق ، ص.84.

(2) ممدوح حسين ، المرجع السابق ، ص.183.

(3)السير هاملتون جب ،**صلاح الدين الأيوبي** ،ترجمة يوسف ايبش، بيسان للنشر و التوزيع ،ط.2،بيروت ،1996،ص.161؛ Encyclopidia of Islam - vol.I.P. 797-798

(4) عمر عبد السلام تدمري ،" **الأندلسيون والمغاربة في طرابلس الشام** "،مجلة التاريخ العربي،ع.12، المغرب، 1999، ص.21.

المشاركة في تلك الحملة خوفاً على عرشه[1].

و أشهر الحوادث المعروفة عن الأندلسيين والمغاربة في هذا الميدان ما ذكره ابن الأثير في حوادث 543 هـ /1148م عندما حاول الصليبيون احتلال مدينة دمشق ، وفي أثناء حصار الفرنج لها ، اجتمع أهلها لتدارس الطرق والأساليب الناجعة خرج العسكر و الأهالي لمواجهتهم، وكان في من خرج للجهاد راجلا من الجمع الفقيه المغربي لمالكي أبو الحجاج الفقيه[2] المغربي شيخ المالكية في دمشق ، وكان طاعنا في السن ، فتقدم و قاتل حتى حتى قتل[3] ، فكان الفقيه المغربي حجة الإسلام أبو الحجاج يوسف بن دوناس الفندلاوي المالكي أشدهم حماساً واستعداداً لخوض الحرب، من أجل أن تبقى دمشق عزيزة نظيفة من دنس المعتدين، وذلك على الرغم من تقدمه في السن، وقد اندفع للقتال غير عابىء بالنصيحة ، التي قدمها له حاكم دمشق معين الدين أنر بعدم الاشتراك في الحرب، وكان رده رائعاً جسد من خلاله العزم والتصميم، عندما خاطب حاكم دمشق قائلاً: "قد بعت واشترى فو الله لا أقيله ولا أستقيله وتلا الآية الكريمة: "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم"[4] ،وقد ظل يقاتل رحمه الله، حتى استشهد بأرض النيرب بالقرب من الربوة نحو نصف فرسخ من دمشق، وحمل جثمانه الطاهر إلى مقبرة باب الصغير حيث دفن [5]،وقد قيلت فيه أشعار كثيرة نختار منها ما قاله ابن الحكم الأندلسي:

بشطّ نهر داريّا	أمور ما تواتينا
أتانا مائتا ألف	عديداً أو يزيدونا
ورايات وصلبان	على مسجد خاتونا
فقلنا إذ رأيناهم	وقد جاءوا يريدونا
وشيخاً فندلاوياً	فقيهاً يعضد الدينا

---

(1) عمر عبد السلام تدمري، **لبنان من السقوط بيد الصليبيين حتى التحرير**، دار الإيمان، طرابلس، 1997، ص. 62.

(2) هو يوسف بن دوناس بن عيسى أبو الحجاج المغربي، الفقيه المالكي ،قدم الشام ، وسكن بانياس مدة ،و انتقل الى دمشق ، فاستوطنها ، ودرس بها بمذهب مالك ، وحدث بالموطأ و غيره ؛ ابن القلانسي ، **ذيل تاريخ دمشق** ،تحقيق سهيل زكار،ط.1 ،دار إحسان ، دمشق، 1983 ، ص.461، الهامش 1.

(3) ابن الأثير، المصدر السابق، ، ج. 9، ص.353.

(4) سورة التوبة، الآية111.

(5) ابن القلانسي ، نفسه، ص. 461 ؛ياقوت الحموي ، المصدر السابق، ج. 15 ،ص ص.277-278

ولكن غادروا القسيس تحت الأرض مدفونا[1].

و يعتبر يوسف بن دوناس الفندلاوي من الشخصيات المغربية، التي طار ذكرها، وخلد على صعيد مدينة دمشق، فقد ذكر الذهبي من مؤرخي القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، أن قبره على عهده، كان مايزال يقصد بالزيارة والتبرك على الرغم من مضي أكثر من مائتي عام على وفاته"[2] ،و يذكر ابن منقذ الشيخ الزاهد عبد الرحمن الحلحولي،و هو مغربي كذلك قد شارك في مقاومة الصليبيين في دمشق واستشهد الشيخ الحلحوني بعد قتال واستبسال[3].

كما ساهم جماعة من الأندلسيين والمغاربة كانوا من جملة المتطوعة الذين أتوا من مصر مع جيش المنصور قلاوون(ت.689ه) وأسهموا في فتح طرابلس[4] ،وتحريرها من الفرنجة سنة 688 هـ/ 1289 م، ثم نزلوها واستوطنوها ، وشاركوا في إعادة بناء مدينة المنصور المستحدثة بعد أن هُدمَت المدينة الساحلية القديمة، وتركوا طابعهم واضحاً على عمارتها المدنية والدينية[5].

واشترك كثير من المغاربة في موقعة القبارصة في بلاد الشام ، وقتل منهم في أول لقاء مغربيان ، وكان الأمير يلبغا الخاصكي (ت. 768 هـ) يكثر من قوادهم في البحر لاعتيادهم على المعارك البحرية ، وقد اشترك كثير منهم في الدفاع عن الإسكندرية ، واستشهد كثير منهم و كان الأمير يقدرهم قدرهم ، و يعتبرهم فرسان بحر[6].

فقد انفرد النُوَيْرِيّ السَّكَنْدَري دون غيره من المؤرخين بذكر الرئيس البطرني المغربي قاضي طرابلس، ومشاركته في جهاد الفرنج، حين خرج مع نائب السلطة بها أسندمر الكُرجي لحصار جزيرة أرواد(شمال طرابلس) سنة 702 هـ/ 1302 م، وكان الفرنجة قد اتخذوها قاعدة لمواصلة اعتداءاتهم على سواحل الشام،

---

(1)انظر عنه أيضاً أبو شامة، المصدر السابق ،،ج.1 ،ص.52.

(2) علي أحمد،" **مساهمات الأندلسيين والمغاربة في الحروب الصليبية في مصر والشام**"، مجلة التراث العربي،ع.67،دمشق، ماي1997، ص.79.

(3) ابن منقذ(اسامة ابن مرشد الكناني)،**كتاب الاعتبار** ،تحقيق فيليب حتي،مكتبة الثقافة الدينية،دط،القاهرة،دت،ص.95؛ أبو شامة ، نفسه ،ج.1،ص.186؛علي احمد ، الأندلسيون و المغاربة ،ص.304.

(4) كانت مدينة طرابلس قاعدة لجالية مغربية من المجاهدين و التجار و العلماء ، مثل عبد الله الطليطلي الأندلسي النحوي متولي دار العلم بطرابلس قبل سقوطها في أيدي الصليبيين ، و الشيخ عبد الواحد المكناسي المغربي أحد الأولياء الصالحين الذين نزلوا طرابلس بعد أن استردها قلاوون من الصليبيين و بنى فيها مسجدا سنة705هـ؛ السيد عبد العزيز سالم ، **طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي** ، مؤسسة شباب الجامعة،دط، الإسكندرية ،1386هـ/1966م ،ص.387-407.

(5) عمر عبد السلام تدمري، الأندلسيون والمغاربة في طرابلس الشام،ص.22.

(6)سعد زغلول عبد الحميد ،**الأثر المغربي و الأندلسي في مجتمع الإسكندرية** ،ضمن ندوة تاريخية مجتمع الإسكندرية عبر العصور ،الإسكندرية ،مطبعة جامعة الإسكندرية، أفريل 1973، ص.207.

والتعرض للسفن التجارية في البحر، واعتنى صاحب قبرص بها وبعمارتها مع جماعة من قادة الفرنج، و بنوا فيها سوراً تحصنوا به، وأسموها عكا الصغيرة[1]، وتم فتح الجزيرة بعد قتال لم يدُم سوى ساعة واحدة[2]، فمن هو البطرني هذا؟

جاء في "الضوء اللامع" للسخاوي، ترجمة لواحد يُعرف بالبطرني هو محمد بن إسماعيل تاج الدين ابن العماد المغربي الأصل، الدمشقي، المالكي، كان في خدمة القاضي عَلَم الدين القفصي، وعمل نقيبه، وبعد موته ولي قضاء طرابلس، ثم ناب عن القاضي المالكي، وكان عفيفاً في مباشرته، يستحضر طرفاً من الفقه، مات بالطاعون في شهر صفر سنة 833 هـ[3].

و يرد ذكر أبي بكر البَطَرني الطنجاوي، وهو بحار يقود غليوناً ،ومعه 475 بحار يأتمرون بأمره، وهو ابن حاكم طنجة... وتزعم السيرة أنه شارك في موقعة بحرية دارت بين الروم والملك الصالح أيوب(637-647هـ/1239-1240)، بالقرب من ميناء جنوى الإيطالي، فينتصر أبو بكر البَطَرني على الروم، ثم يدخل الميناء بفضل غرابه البحري[4]، وتروي السيرة عنه أخباراً كثيرة؛ ومن بين تلك الأخبار دخوله جزيرة أرواد مع السلطان الظاهر بيبرس والقبض على ملك الجزيرة المدعو جمجرين[5]، وسواء كان البَطَرني الذي شارك في فتح أرواد مع نائب طرابلس هو نفسه الذي ورد في السيرة الشعبية للظاهر بيبرس(ت.676هـ)، أو غيره ، فإن تواتر الروايات يدعم وجود المغاربة بطرابلس، ويقال إن قبر البطرني المغربي لا يزال موجوداً على ساحل البحر في مدينة اللاذقية[6].

وكان بطرابلس جنود من المغاربة يرابطون على ساحلها، وقد اشتركوا في الدفاع عن المدينة وتصدوا لملك قبرص بطرس دي لوزنيان بن هيو الرابع[7] عندما غزاها بآلاف الفرنج وعشرات السفن الحربية في سنة

(1) عمر عبد السلام تدمري، المرجع السابق ،ص.22.

(2) المقريزي، المصدر السابق ، ج. 1، ج .3، ص. 928.

(3) فيُحتمل أن يكون البطرني المجاهد في أرواد واحداً من أجداد محمد بن إسماعيل هذا ؛ السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار جيل ،ط.1، بيروت ،1996 ، ج .7، ص. 44.

(4) عمر عبد السلام تدمري، نفسه .ص.22.

(5) نفسه ، ص.23.

(6) نفسه.

(7) ولد في 19اكتوبر 729هـ/ 1329م لقب في بدية عمره بكونت طرابلس ووريث عرش قبرص انشأ جماعة دينية حربية عرفت بجماعة إخوان السيف ، انظم اليها فرسان من عدة أقطار أوربية ، تأثر بشكل بالغ فيليب دي ميزيير الذي تميز بالحماسة للحرب الصليبية ؛ للمزيد انظر :سهير محمد نعينع ، **الحروب الصليبية المتأخرة**، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، ط.1 ، مصر، 2002 ، ص.78.

سنة 769 هـ/ 1367م، وحين داهمها الفرنج، كان عسكرها خارج المدينة شمالي بيروت ،قد خرج مع الحاجب لاستقبال نائب جديد، ولم يبق بها سوى القليل من التركمان والمغاربة، ولذا تمكن الغزاة من الاستيلاء على طرابلس يوماً وليلة، حتى تكاثر أهل المدينة، ومن أتاهم من التركمان المرابطين مع قاضيها [1]، ولحق بهم المغاربة حتى زاد جمعُهم على خمسة عشر ألفاً، ودارت معارك طاحنة في الأسواق وبين البساتين، حتى دُحِر الغُزاة، وكان أول من استشهد اثنان من المغاربة، واثنان من التركمان، وواحد من أهل طرابلس [2].

ويتكرر ذكر المغاربة مجدداً في حوادث سنة 802 هـ/ 1400 م خلال الفتنة التي عصفت بطرابلس بين أهلها ونائب السلطنة يونس بُلطا، إذ بادر أحد الأمراء ـ ويدعى ناصر الدين محمد بن بهادر المؤمني ـ إلى الاستيلاء على برج من أبراج طرابلس الساحلية، وهو برج الأمير الأتابك سيف الدين أيتمش البجاسي، ومعه جماعة من المغاربة، وركب من هناك البحر إلى مصر، وعاد ومعه نحو عشرة من قادة المغاربة وغيرهم، والتجأ ثانية إلى برج ايْتَمُش، وعندما ثار أهل المدينة على نائب الغيبة، فر منهم إلى ناحية حمص ، فعاث الناس فساداً وكسروا أبواب القلعة ودخلوها ونهبوا ما فيها من حواصل النائب، وخرج المغاربة من البرج وشاركوا العوام في النهب، واستمروا على ذلك إلى آخر النهار حتى نودي بالأمان، ولما عاد النائب يونس بُلطا، اقتحم المدينة وقتل من أهلها 1732 إنسان [3]، وكان بين القتلى مفتيها، وقاضيها الحنفي، وقاضيها وقاضيها الحنبلي، وقاضي المالكية ابن شاشي وهو شهاب الدين أحمد بن إبراهيم الأذرعي المالكي [4].

وقد أسهم الأندلسيون والمغاربة في الدفاع عن الشام على وجه آخر، يختلف عن الوجوه سابقة الذكر من حيث الأسلوب، و تجلى هذا الوجه بالدبلوماسية الفذة،التي قدر لها أن تنجح و تثمر نتائجها في عدة مناسبات، ولكن ليس مع الصليبيين، إنما مع تيمورلنك وجيشه، كما فعل عبد الرحمن ابن خلدون [5]، الذي تمكن بعد لقائه مع تيمورلنك من إنقاذ دمشق من المزيد من التدمير والقتل وتشريد الناس [6]،هذا المثال ، يدل على مدى حرص الأندلسيين والمغاربة على أرض المشرق العربي في كل زمان ومكان تعرضت فيهما للخطر، على الرغم من حدوثه بعد رحيل الصليبيين عن المنطقة بمائة عام.

---

(1) عمر عبد السلام تدمري، الأندلسيون والمغاربة في طرابلس الشام ، ص.23.

(2) السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص.460.

(3) عمر عبد السلام تدمري،نفسه، ص.24.

(4) انظر: قائمة قضاة المالكية بطرابلس ؛ عمر عبد السلام تدمري، تاريخ طرابلس، عصر دولة المماليك، ص.67.

(5) ابن خلدون عبد الرحمن ولد في تونس732هـ من أصل أندلسي اشبيلي ارتحل إلى مصر و الشام حيث ولي منصب قاضي قضاة المالكية ، في مصر عدة مرات ، وتصادف وجوده أيضا في دمشق عندما حاصرها المغولي تيمورلنك ، وتمكن من الخروج قاصدا تيمورلنك ، متوسلا إليه إنقاذ المدينة؛ للمزيد انظر :ابن خلدون ،المصدر السابق،ج.1،ص.2.

(6) علي أحمد، مساهمات الأندلسيين والمغاربة في الحروب الصليبية في مصر والشام، ص.84.

إن الأندلسيين والمغاربة، لم يقفوا مكتوفي الأيدي حيال ما يجري من أحداث ومعارك،كان القصد منها السيطرة على هذه البقعة من أرض العرب والإسلام، وقد سطروا من خلال اشتراكهم بالدفاع عنها أنصع الصفحات وأنقاها، فبرهنوا بذلك على صدق انتمائهم العربي الإسلامي، فلم تقعدهم الشيخوخة أو التقدم في السن، ولم يرهبهم الموت ولا زوال المناصب الإدارية،أو فقدان الأموال،أو أي شيء من هذا القبيل، فاستحقوا بذلك كل تقدير واحترام.

ثانيا– مرافقة الجيش و تقديم الخدمات.

1- التطبيب :

لم يقتصر دور المغاربة على أداء خدمة الجندية فقط بل شمل نواحي أخرى لا تقل أهمية ،كما تبين مدى إسهامهم، ورغبتهم في التعاون و التكامل مع المشارقة على أكثر من صعيد ،و من ذلك تلك الخدمات الجليلة، التي قدمها أطباء أندلسيون لصلاح الدين وجيشه ومجتمع بلاد الشام، الذي وقف صفا واحدا متراصا ضد الصليبيين، فمنذ النصف الأول من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، بدأ الأطباء الأندلسيون المشاهير يتوافدون إلى دمشق[1] ،بعد أن سمعوا بمحاولات الصليبيين احتلالها، وكأنهم كانوا يشعرون أن من واجبهم وهم من بلاد اعتاد أهلها محاربة الصليبيين باستمرار، المساعدة في الدفاع عن دمشق وغيرها من بلاد الشام، و من هؤلاء الأطباء أبو الحكم تاج الحكماء عبد الله بن المظفر الباهلي المولود بمدينة المرية في جنوب الأندلس أو بمدينة مرسية في شرق الأندلس سنة 486هـ/1076م ، درس الطب بالأندلس وبمصر، حتى اشتهر به كطبيب معروف، وفي بداية أمره توجه إلى بغداد، وفيها شغل طبيب البيمارستان[2] ، الذي كانت تحمل عقاقيره وأدواته في المعسكر السلطاني(محمود السلجوقي) على أربعين جملاً[3] ،ولما سمع بتهديد الصليبيين لدمشق غادر بغداد، وأقام بدمشق، يداوي الناس بدكان عند باب جيرون بالقرب من المسجد الأموي الكبير حتى وفاته في سنة 549هـ/1155م[4]،وكذلك فعل ابنه أبو المجد محمد بن عبد الله الباهلي الملقب بأفضل الدولة[5]، وتفوق على والده، فصار في علوم الطب من أحذق أطباء زمانه، الأمر

---

(1) إن أكثر من اثنين من الأطباء المغاربة والأندلسيين، توصلوا إلى رئاسة المستشفيات بمدينة دمشق، وإن أكثر من اثنين منهم عملوا أطباء معتمدين عند الحكام والسلاطين؛ عمر عبد السلام تدمري، الأندلسيون والمغاربة في طرابلس الشام، ص.24.

(2) بيمارستان : لفظ فارسي مركب من بيمار ، معناها مريض ، وستان بمعنى محل و اتصل هذا المصطلح منذ العهد الأموي بالأماكن المعدة لمعالجة المرضى ،مصطفى عبد الكريم الخطيب ،**معجم المصطلحات والألقاب** ، مؤسسة الرسالة ،الطبعة الأولى ،دم، 1996 ،ص.96.

(3) المقري ، المصدر السابق ، ج.2 ص.133؛ ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** ،تحقيق إحسان عباس ،دار صادر ،دط، بيروت 1970،ج.3،ص ص.123،124.

(4) المقري ، نفسه، ج. 2 ،ص.234.

(5) شكل إطاراً مؤهلاً للقيام بعملية التدريب فكان يخصص وقتاً معيناً لهذه الغاية، على الرغم من كثرة مشاغله ، وقد تخرج على

=

الذي جعل نور الدين زنكي يعتمده كمسؤول أول عن إدارة البيمارستان، الذي أنشأه في دمشق خلال السنوات الأولى من النصف الثاني للقرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وقد أدى خلال حياته ، التي انتهت في الربع الثالث من القرن السادس الهجري أو قبل ذلك بسنوات قليلة، خدمات رائعة في ميدان الطب، فقد كان عمله اليومي مقسماً إلى ثلاث فترات، خصص الأولى لزيارة مرضى البيمارستان سابق الذكر، وخصص الثانية لزيارة مرضى القلعة من الحكام وأتباعهم، وخصص الثالثة للتدريس في إيوان البيمارستان النوري[1].

كما قام الطبيب الأندلسي عمر بن علي البذوخ القلعي المتوفى بدمشق سنة 579هـ/1181م[2] بممارسة المداواة العامة، واختلف عن بقية زملائه من الأندلسيين بتصنيع الدواء وتحضيره بنفسه[3].

ومن هؤلاء، الأطباء أيضاً عبد المنعم الجلياني ولد سنة 531 ه، ومات بدمشق سنة 603 هـ أبو الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد الله الغساني الأندلسي نسبة إلى جليانة على مقربة من غرناطة في جنوب شرق الأندلس المتوفى، اشتغل منذ وقت مبكر في ميدان الطب كان علامة زمانه في صناعة الطب والكحل (طب العيون والأدب، وتفوق فيهما بشكل ملحوظ، رحل إلى المغرب ومنها إلى بغداد، حيث اطلع على خزائن الكتب الطبية الفنية، ولما سمع بما يحدث في الشام من حرب ضد الأعداء الصليبيين، ترك بغداد متوجهاً إلى دمشق، حيث عمل طبيباً رئيساً في البيمارستان السلطاني في السفر والحضر أيام صلاح الدين الأيوبي خدم صلاح الدين الأيوبي فترة طويلة من الزمن، كان مُعظمها في ساحات الحرب والمعارك، التي دارت رحاها بين المسلمين والفرنجة على أرض فلسطين في الربع الأخير من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وهو يشبه في عمله هذا إلى حد كبير رئيس المجموعة الطبية، التي ترافق في العادة أية فرقة أو قطعة من الجيش في أيامنا هذه[4]،كانت له دكان في اللبادين لصناعة الطب ، وكان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب يرى له ويحترمه وله في صلاح الدين مدائح كثيرة ، وصنف له كتباً[5] ،وكان له منه الإحسان الكثير وظل هكذا حتى

=

على يده مؤيد الدين أبو الفضل محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن الحارثي الدمشقي المولد والنشأة أحد الأطباء المرموقين في البيمارستان النوري بدمشق، والذي بقي يعمل فيه حتى وافته المنية سنة 599 هـ/ 1203 م انظر ، بن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج .2، ص. 190.

(1) علي أحمد، مساهمات الأندلسيين والمغاربة في الحروب الصليبية في مصر والشام، ص.82.

(2) نفسه،ص.84.

(3) نفسه ، ص.83.

(4) علي أحمد ،" **بلاد الشام في نظر المغاربة والأندلسيين منذ بداية القرن السادس حتى نهاية القرن التاسع الهجري**"، مجلة التاريخ العربي ،جمعية المؤرخين المغاربة ،ع.15،المغرب، 2000،ص.39.

(5) وألف له كتابي: منادح الممادح، وروضة المآثر والمفاخر في خصائص الملك الناصر، سنة589 هـ/1193م. ويعرف الكتاب

=

وافته المنية وعمر طويلاً بعد سنة ستمائة (لم يذكر في أي سنة)[1].

وقد حظي عند صلاح الدين الأيوبي طبيب أندلسي آخر، هو يحي البياسي أمين الدين أبو زكريا يحي بن إسماعيل الأندلسي الملقب بأمين الدين، بعد أن ترك الأندلس، وصل إلى مصر واستقر فيها مدة قصيرة من الزمن توجه بعدها إلى مدينة دمشق، واستقر فيها بشكل نهائي، ويُعد البياسي طبيباً أندلسياً درس الطب في بلاد الشام، حتى اشتهر وعلا ذكره، مما جعل صلاح الدين الأيوبي، يعتمده في قائمة أطبائه الرئيسين الذين شاركوا في الحملات العسكرية التي يقوم بها الجيش الصلاحي، و من الذين رافقوه في أثناء غيابه عن مدينة دمشق لمحاربة الصليبيين ، وبقي معه مدة في البيكار ثم استعفى من ذلك ،وطلب المقام بدمشق فأطلق له الملك الناصر جامكية راتباً ،وبقي مقيماً في دمشق ،و سبب هذا الاستقرار في هذه المدينة يعود إلى وجود المستشفى النوري الكبير فيها؛ وقد اختيرت دمشق لقربها من ميدان القتال فكان جرحى ومرض الحرب يرسلون إليها بيسر، هذا وقد عجز أبو زكريا عن العمل في أواخر حياته[2] .

ومنهم كذلك ابن ميمـون ، هو أبو عمر بن ميمون القرطبي ،ولد في قرطبة سنة 529 هـ / 1134 م من عائلة يهودية ، وتتلمذ في المرية على ابن رشد وابن باجة ، وقرأ القرآن ، وكتب اللغة والفقه المالكي وحفظ آيات من القرآن الكريم ، وقيل أنه تأثر بها وأسلم عليها ،كما قيل أنه أسلم مكرهاَ حين آلت المرية إلى الموحدين الذين غالوا بالعصبية الإسلامية ، ثم نزح إلى فاس ، ومنها إلى فلسطين التي كانت بيد الصليبيين يومها ، وبعدها نزح إلى مصر وتوطن في القاهرة ، واحترف الطب ودخل في خدمة صلاح الدين الأيوبي وصار طبيبه وجليسه ، كما صار رئيس الطائفة اليهودية بالقاهرة ، وعينه الملك الأفضل طبيباً له ،اشتهر بالفلسفة أكثر مما عرف بالطب ، وتوفي سنة 601 هـ / 1204 م ، له مؤلفات عديدة منها : المختصرات وهي تلخيص الكتب الستة عشر لجالينوس،شرح فصول أبقراط،فصول موسى في الطب،الرسالة الأفضلية وتبحث في الحالات النفسية وتقويتها[3].

=

الأخير بالمدبجات، وهو أول ديوان المبشرات والقدسيات للحلياني المذكور، ويدور حول تاريخ تحرير مدينة القدس. وتضم المكتبة الخالدية في القدس مخطوطتي هذين الكتابين، الموجودتين فيها منذ الفتح القدسي؛ عبد الواحد ذنون طه،**"القدس وعلماء الغرب الإسلامي عشية الاحتلال الصليبي وفي أثناء التحرير"** ، مجلة التراث العربي، العدد86 -87، دمشق، ، ربيع الآخر 1423 هـ،أوت 2002 ، ،ص.241.

(1) علي أحمد ، الأندلسيون و المغاربة في بلاد الشام ، ص.307.

(2) علي محمد الصَّلاَّبي ، **صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس**،دار المعرفة ،دط، بيروت ،1988، ص.400.

(3) بن شداد بهاء الدين ، **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية** ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، الدار المصرية للتأليف

=

و منهم الصيدلاني ابن البيطار، الذي ألف كتاباً سماه "الجامع في الأدوية المفردة"، وقد عدّه البعض من أكمل ما صنفه العرب في هذا المضمار، فقد احتوى على اسم 300 مادة دوائية جديدة كان له فضل السبق في اكتشاف العديد من المواد الدوائية، التي لم تكن معروفة في بلاد الشام ولا حتى في غيرها من البلدان، والتي لم يذكرها أحد من الصيادلة من قبل ، توفي على حين غرة في سنة 646 هـ/ 1249 م بمدينة دمشق[1].

2- التبرع بالمال :

أما الوجه الثالث لمشاركتهم وإسهامهم في الدفاع والذود عن ديار مصر وبلاد الشام، فقد تجسد بتقديم الأموال من أجل تجهيز المقاتلين بالسلاح والعتاد وغير ذلك، و مثال ذلك: محمد بن محمد أبو الوليد التجيبي الأندلسي إمام محراب المالكية المتوفى بدمشق سنة 718هـ/1319م، والذي يقول عنه ابن حجر العسقلاني في كتابه الدرر الكامنة: "... وكانت له عدة كاملة من السلاح والخيل أعدها للغزاة من ماله..."[2]، لذلك فليس غريباً أن يكون جزءاً كبيراً من تصرفات الحكام المماليك الإيجابية تجاه الجالية الأندلسية المغربية في الشام ومصر، مثل تخفيض الضرائب على البضائع التجارية، التي يأتي بها إلى الشام ومصر التجار المغاربة والأندلسيون وغيرهم ، تكون بسبب موقفهم العسكري ضد الأعداء[3].

كما دعم المغاربة جبهة المشرق بمادة ضرورية لازمة لصنع السفن الحربية هي الخشب ، نظرا لافتقار مصر لهذه المادة و وقوع بلاد الشام تحت سيطرة الصليبيين ، فكانت افريقية مزود لمصر من الخشب ،و قد اشتدت الحاجة إليه إبان مواجهة صلاح الدين للحملة الصليبية الثالثة ،و لهذا جاء طلبه للمنصور الموحدي في إمداده بأسطول بحري ، و حينما لم يسع المنصور تلبية طلبه اتجه إلى افريقية للحصول على ما يحتاجه من الخشب و الملاحين المهرة منها لتدعيم بحريته[4].

و لعل دورهم جسد التعاون واستمراره في ميدان التضامن العربي ونجاحه وفي صورة المغاربة المرافقين للجيش تظهر أعداد كبيرة منهم كانت مهمتهم الرئيسية تحضير الطعام ، وتجهيز الحمامات للجنود من أجل الاغتسال ، ويمكن تقدير هؤلاء المغاربة بأزيد من ثلاثة ألاف رجل[5] ،و اعتمادا على نص كره المقريزي بحرفيته جاء فيه

=

والترجمة ، الطبعة الأولى ،القاهرة، 1410هـ/1994م ، ص. 158 .

(1) انظر عنه :ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج. 2، ص. 133.

(2) ابن حجر العسقلاني(شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد)، **الدرر الكامنة**،ط.1، دار جيل، بيروت، 1414 هـ/1993م،ج. 3، ص ص. 350،351 .

(3) علي أحمد، مساهمات الأندلسيين والمغاربة في الحروب الصليبية في مصر والشام، ص.84.

(4) ممدوح حسين وشاكر مصطفى ، المرجع السابق ، ص.187.

(5) أحمد علي ، الأندلسيون و المغاربة في بلاد الشام ، ص.305.

:(و كان في المعسكر –يقصد عهد صلاح الدين – أكثر من ألف حمام و كان أكثر من يتولاه المغاربة ، يجتمع منهم اثنان أو ثلاثة و يحفرون ذراعين فيطلع الماء ، و يأخذون الطين فيعملون منه حوضا و حائطا ، و يسيرونه بحطب و حصير و يقطعون حطبا من البساتين التي حولهم ، ويحملون الماء في قدور ، وصار حماما يغسل الرجل رأسه بدرهم أو أكثر)[1].

ومن مظاهر دعم المغاربة لإخوانهم في المشرق في أعقاب غارة القبارصة على الإسكندرية إذ قاموا بجمع الأموال و إعداد الأساطيل و الأسلحة ، فهناك أعداد كبيرة من المغاربة وضعوا أنفسهم تحت تصرف قادة الجيوش باجر معلوم للعمل في الأساطيل ،و قيدوا أجرهم لأجل مساعدة إخوانهم لرد العدوان عنهم .[2]

3- الدعاية لصلاح الدين الأيوبي .

وقد ساهموا في وجه آخر لا يقل أهمية عن بقية الوجوه، تجسد في تحديد الخطر الذي يتهدد المنطقة العربية، التي تضم جناحي الوطن العربي الكبير (المغرب والمشرق) ،فقد توصل بعض خطباء جامع بيت لهيا القريبة من دمشق من الأندلسيين والمغاربة إلى تحديد أبعاد الغزو الفرنجي المتوجه ضد العرب المسلمين ضمن ثلاث شعب، إلى الأندلس وصقلية والشام[3] ،كما رسم طريق الخلاص بالجهاد الذي دعا إليه الله ورسوله في الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، وأكمل غيره البحث عن طريق الخلاص بالدعوة لإزالة الأسباب التي أدت لنجاح الغزو على المستويين السياسي والمذهبي[4].

و إذا كان للمغاربة قد أسهموا في نصرة إخوانهم بأنواع شتى فان الفاتح العربي صلاح الدين كان له تقدير خاص يعامل به بعضا من نخب المغاربة ، ومن نماذجهم المؤرخ اليسع بن عيسى بن حزم الغافقي الجياني ، وهو أول من خطب على منابر العبيديين بعد نقل الدعوة إلى العباسيين[5].

ثم العالم الأندلسي أبو الحسن بن جميل،علي بن محمد بن جميل المعافري المالقي[6]،استوطن الشام و عرف هنالك بزين الدين،حسب ابن عبد الملك الذي يذكر عنه:«و لما افتتح صلاح الدين بيت المقدس

---

(1) المقريزي ، المصدر السابق ،ج.1،ق.1،ص.94.

(2) أحمد مختار العبادي ، دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربي ، ص.96.

(3) علي أحمد، المرجع السابق، ص.84.

(4) أبو شامة ، المصدر السابق،ج.1 ،ص.36.

(5) محمد المنوني ، نماذج من مساهمات الغرب الإسلامي في الحروب الصليبية بالشام و ما إليه ،ص.144.

(6) نشأ في مدينة مالقة بالأندلس ، وأخذ عن شيوخها ، ثم رحل إلى المشرق ، فأكمل علومه في مصر ، ودمشق و استقر أخيرا في المسجد الأقصى ، حيث عرف بالشيخ المالقي ، وكان زاهدا فاضلا ،حافظا للحديث ، عارفا بالقراءات ، اماما في النحو ، حسن الخط ، اشتهر بمتانة الدين ، وكمال الفضل ؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأوسي الأنصاري المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق،إحسان بيروت، دار الثقافة، 1965 ، السفر الخامس /القسم الأول ص ص 315، 316.

583هـ/1187م، التمس إماما يكون خطيبه ،و صاحب الصلاة به،فأجمع من حضر هناك من العلماء و الأفاضل المشار إليهم ، على أنه لا أحق من أبي الحسن هذا بذلك المنصب ، فقدمه لذلك »[1] ، و عن العماد الأصفهاني قوله في هذه المناسبة (ورتب السلطان في قبة الصخرة إماما من أحسن القراء تلاوة ،و أزينهم طلاوة ،و أنداهم صوتا ،و أسماهم في الديانة صيتا ، واعرفهم بالقراءات السبع بل العشر،و أطيبهم في العرف و النشر ... ووقف عليه دارا و أرضا و بستانا[2] ،و استمر هذا الرجل في منصبه حتى وفاته سنة 605هـ/1208م،وكان خلال ذلك لا يكتفي بالقيام بواجبات منصبه الديني ، بل واصل الدراسة و تلقي العلم ، وساهم في الحياة الثقافية في مدينة القدس ، فسمع في شهر رمضان من سنة 596هـ/1199م كتاب فضائل القدس على مصنفه الحافظ بهاء الدين القاسم بن عساكر ، بذلك يكون المالقي قد أسهم في نقل العلم من الأندلس إلى المشرق[3] .

قام ابن جبير الأندلسي خلال زيارته لمدينة دمشق سنة 580هـ/1185م بالدعاية لصلاح الدين الأيوبي، لما يقوم به من أعمال جليلة لتحرير ما احتل من فلسطين، ولا سيما بيت المقدس من قبل الصليبيين، الشيء الذي ساهم في استقطاب جالية أندلسية للمحاربة ضد هؤلاء الأعداء[4]،نظرا لمكانة بيت المقدس الدينية فقد احتوت كتب الحديث النبوي الشريف كما هو معروف العديد من الأحاديث[5]،التي تنوه بمكانة فلسطين ولا سيما مدينة بيت المقدس، و عليه قام الأندلسيون والمغاربة بعد احتلال بيت المقدس من قبل الصليبيين بالتذكير بهذه الأحاديث في كل مناسبة دينية ،وبخاصة خلال خطب أيام الجمعة، الأمر الذي ولَّد في النفوس شعوراً قوياً في الرغبة لزيارة بيت المقدس والمساهمة في تحريرها، وهذا الشعور كان سائداً في الأندلس والمغرب قبل ذلك، لكنه بعد الاحتلال الصليبي للقدس وبعض مدن فلسطين الأخرى، أصبح أقوى من ذي قبل، وغدت قدسيته هي الأخرى أعظم من أية فترة أخرى، وأصبحت زيارتها لا تقتصر على كسب الثواب من جراء الصلاة فيها فحسب، بل هدفت إلى جانب ذلك زيارة المشاهد الموجودة ضمنها، وتلك التي حولها في مواقع فلسطين الأخرى، وخير ما مثل حدة الشوق إلى زيارتها مسلك ابن جبير الأندلسي، الذي قال عنه المراكشي: "ولما شاع الخبر المبهج للمسلمين جميعاً حينئذ بفتح بيت المقدس على يد السلطان الناصر صلاح

(1) أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأوسي الأنصاري المراكشي ، **الذيل والتكملة لكتابي و الصلة و الموصول** ، تحقيق إحسان عباس ،دط،دار الثقافة ، السفر الخامس ، القسم الأول ، بيروت ،1965، ص ص.314،315.

(2) العماد الأصفهاني(عماد الدين الكاتب الاصفهاني) ، **الفتح القسي في الفتح القدسي** ، ، دار المنار ، دم، 2004م ، ص ص.141،142؛ جمال الدين محمد بن سالم بن واصل ، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب** ، تحقيق جمال الدين الشيال ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ،1957 ،ج.2،ص.230.

(3) الأصفهاني، نفسه،ص.231.

(4) انظر عن ذلك ؛ابن جبير ، المصدر السابق ، ص.270 فما بعدها.

(5) انظر جملة من هذه الأحاديث؛ مجير الدين الحنبلي ، المصدر السابق ، ج.1 ،ص.211 وما بعدها.

الدين أبي المظفر يوسف بن أيوب، وكان فتحه يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، وكان ذلك من أقوى الأسباب، التي بعثته على الرحلة الثانية، فتحرك من غرناطة أيضاً يوم الخميس لتسع خلون من ربيع الأول من سنة خمس وثمانين وخمسمائة، قال: وقضى الله برحمته لي بالجمع بين زيارة الخليل عليه السلام وزيارة المصطفى وزيارة المساجد الثلاثة في عام واحد..."[1] ،وقام خلال ذلك بمدح صلاح الدين الأيوبي بشيء من الصدق والأمانة، وكان محقاً ومصيباً في ذلك، انطلاقاً من المهمة الجليلة، التي تصدى لتنفيذها صلاح الدين، والتي تتجلى بالسعي الحثيث الصادق من أجل رد عادية الصليبيين ،وتحرير ما اغتصب على أيديهم من أرض العرب والإسلام، وبخاصة مدينة بيت المقدس[2].

ومن المغاربة من ساهموا في الحياة الثقافية و نالوا تشجيع صلاح الدين عبد المنعم بن عبد الله بن حسان الغساني الأندلسي الجلياني ، الأديب و الشاعر و الطبيب ،الذي رحل من الأندلس ، و دخل بغداد ، ثم اتصل بصلاح الدين الأيوبي و ألف له كتابي : منادح الممادح ، و روضة المآثر و المفاخر في خصائص الملك الناصر سنة589هـ/1193م و يعرف الكتاب الأخير بالمدبجات و هواول ديوان المبشرات و القدسيات للجلياني ، إذ يتكلم فيه عن تاريخ تحرير مدينة القدس[3] ،هنأ أبو الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد الله الغساني الجلياني صلاح الدين بفتح بيت المقدس ،نزيل القاهرة ، ومطلع قصيدته :

أبا المظفر أنت المجتبي لهدى ... أخرى الزمان على خبر بخبرته.[4]

ويقول في افتتاح قصيدة أخرى :

يا منقذ القدس من أيدي جبابرة ... قد اقسموا بذراع الرب تدخله.[5]

و يقول في قصيدة أخرى

فكم مليك لهم شـــق البحار سرى ... لينصروا القبر ، و الاقدار تخذله

و كم ترحـــل مـــنهم فيلق بفلا ... إلى الصـــوامع القاه ترحلـــه

استصرخوا الأهل،و العدوى تمزقهم ... و استكثروا المال ، والهيجا تنقله

كم قد اعدوا ، وكم قد فل جمعـــهم ... من غير ضـــرب و لا طعن يزيله

و إنما اسم صلاح الدين يذكـــر في ... جيش العــــدو، فيسبيهم تخيله.[1]

---

(1) الأنصاري المراكشي ، المصدر السابق ، ص ص.605،606 ؛ علي أحمد ، الأندلسيون و المغاربة في بلاد الشام، ص.83.
(2) المقري ، المصدر السابق ،ج.2 ،ص.488.
(3) عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ، ص.241.
(4) أبوشامة ، المصدر السابق ،ج.2، ص.58.
(5) نفسه،ج. 2، ص ص.105، 106.

وكما كان الوضع في زمن الزنكيين والأيوبيين، فإن الحال لم يتغير في زمن المماليك، فقد ظل الأندلسيون والمغاربة في مقدمة المتحمسين للدفاع عن أرض العرب في الشام ومصر وكرامتهم ضد الصليبيين وغيرهم، والأمثلة كثيرة في هذه الفترة، نذكر منها على سبيل المثال حادثة وقعت في سنة 785هـ/1383م عندما هاجم الإفرنج مدينة بيروت، فعلى أثر اتصال المسؤولين عن إدارتها مع نائب دمشق بقصد المساعدة لحمايتها والدفاع عنها، تذرع بأنه يحتاج إلى أمر سلطاني، فقام بعض المتنفذين من المماليك بدعوة الناس للتطوع من أجل الجهاد، فكان في مقدمة الذين استجابوا لهذه الدعوة، القاضي المالكي آنذاك مع مجموعة كبيرة من الأندلسيين والمغاربة الموجودين بدمشق[2].

المبحث الثالث: نماذج من مشاركات المغاربة في الحروب الصليبية واعتراف المشارقة بمجهوداتهم

1 - بروز المغاربة في المعارك البحرية خلال الحروب الصليبية:

إن وجود المغاربة بكل من مصر والشام لم يرتبط في غالبيته بحدث محدد (الحملة الصليبية الثالثة وتوجيه الرسالة إلى يعقوب المنصور الموحدي) ، بل يعود إلى فترات سابقة[3]؛ الأمر الذي يستوجب التمييز بين المغاربة المستقرين، وهم الذين ورد لهم ذكر في المصادر المشرقية وكانت لهم أدوار طلائعية في الجهاد البحري، وبين النازحين والمتطوعين الجدد الذين وإن شاركوا في الجهاد ضد الصليبيين و قد شاع عند المشارقة أن الفرنج لا يقهرهم إلا المغاربة الذين يجاورنهم في جزيرة الأندلس لأنهم كانوا عارفين بطرق قتالهم[4]، لذلك فان شهرة المغاربة في المشرق قد ذاعت بصفة خاصة في الجهاد البحري لمهارتهم في قيادة السفن و الملاحة ، و في فنون القتال البحري ، و لهذا عرفوا بفرسان البحر منذ وقت مبكر ، و استعان بهم الفاطميون

=

(1) احمد البدوي ، المرجع السابق ،ص.443.

(2) علي أحمد ، الأندلسيون و المغاربة في بلاد الشام ، ص.83.

(3) هناك حدث هام ساهم على ما يبدو تطلع المغاربة للإسهام إلى جانب إخوانهم المشارقة في حروبهم ضد المسيحيين فعندما قام صلاح الدين على تعزيز إنجازاته في مصر بتحصينها حتى تكون في مأمن من أي هجوم مباغت من ناحية الغرب خصوصا أن خط هجمات الصليبيين من تلك الناحية واردة ، وأسفرت جهوده عن ضم المغرب الأدنى فقد كانت شمال إفريقية مرتبطة عضوياً بمصر منُذ الفتوحات الإسلامية الأولى، فكان من الطبيعي أن تتجه أنظار صلاح الدين إلى ضمِّ مدنها للاستفادة من ثرواتها من جهة ، وبفضل موقعها الجيد في حماية حدود مصر الغربية من جهة أخرى لكونها نافذة البحر الأبيض المتوسط ترصد من خلالها تحركات سفن القوى الصليبية لذلك أرسل صلاح الدين عام 568هـــ/1173م قوة عسكرية إلى المغرب الأدني بقيادة شرف الدين قراقوش غلام المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، فدخل طرابلس وبرقة وبعض بلاد المغرب الأدنى حتى قابس ؛ انظر :سعيد عبد الفتاح عاشور،**تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام**، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1996، ص.46.

(4) المقري، المصدر السابق، ج.2،ص.245.

والأيوبيون و المماليك في إدارة أساطيلهم البحرية[1].

واستخدم صلاح الدين الأيوبي ـ من جهته ـ الملاحين المغاربة في أساطيله في إطار قيامه بالإصلاحات التي استهدفت تقوية الأسطول المصري[2] ،الذي لم يكن قادراً في نهاية حكم الدولة الفاطمية على التصدي للأسطول الإيطالي أو إلحاق الهزيمة به[3].

لهذا استجاب المغاربة لنداء صلاح الدين للعمل في مجال البحرية وهم الذين ساهموا في إعداد الأسطول المصري، فقد ذكر أن الأساطيل كانت وقفاً على المغاربة لمعرفتهم بمعاناة الحرب والبحر[4]،ولذا فقد ساهم البحار المغربي مساهمة فعالة في الحروب الصليبية واكتسب شهرة طيبة[5].

و كان البحريون منهم موضع احترام للناس وتبجيلهم ، فكان يقال لهم المجاهدون في سبيل الله والغزاة في أعداء الله ، ويتبرك الناس بدعائهم[6] ،وكان قد اشترك منهم عدد كبير في مهاجمة مراكب الصليبيين عند عند عيذاب[7] ،وقت تعرضها لعدوان أرناط،واستعان الحاجب حسام الدين لؤلؤ بجماعة من أنجادهم في مراكب عمرت من مصر والإسكندرية في مهاجمة مراكب الفرنج وحرقها وأسر من كان بها،تشير المصادر إلى أن المغاربة شاركوا إخوانهم بمصر في التصدي لما عرف في التاريخ بـ «حملة البحر الأحمر» في سنة 578 هـ/ 1182 م، ذلك بأن أحد القادة الصليبيين يدعى رينو الشاتيوني (Renaud de Chatillon)، صاحب حصن الكرك (جنوبي فلسطين)، والمعروف في المصادر الإسلامية باسم «أرناط»، جهز مراكب وشحنها بالرجال وآلات القتال، ومضى بها «نحو عيذاب[8]، فقطعوا طريق التجار وشرعوا في القتل والنهب والأسر، ثم توجهوا إلى

---

(1)هذا التمرس، وما ترتب عليه من شهرة بحرية للمغاربة، أشادت به المصادر التاريخية وكتب الرحلة ليس في الغرب الإسلامي فقط، ولكن في المشرق كذلك. فيذكر المقريزي مثلاً أن فقراء المغاربة الذين وجدوا في القاهرة قد أكرههم الفاطميون على الخدمة، دون تمييز، في الأسطول المصري؛ المقريزي(أحمد بن علي)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** ،محمد زينهم – مديحة الشرقاوي ،مكتبة مدبولى،ط.1،القاهرة،1998 م ، ج. 1، ص. 368؛احمد مختار العبادي ، دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربي ،ص.88 .

(2) المقريزي، نفسه، ج .1، ص. 45.

(3)كلـــود كاهـــن، المرجع السابق، ص.117.

(4) المقري، المصدر السابق، ج. 3، ص. 111.

(5) أنور عبد المنعم، **الملاحة وعلوم البحار عند العرب**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،يناير 1979، ع.13،ص.79.

(6) المقريزي ، نفسه،ج.3 ،ص.111 .

(7) ابن جبير ، المصدر السابق ، ص . 59 .

(8) عيذاب : ميناء على الساحل الغربي بالبحر الأحمر ، وهي ميناء تجارى يستقبل التجار القادمين من اليمن وهي الميناء الرئيسي الرئيسي للحجاج المغادرين من مصر إلى الأراضي المقدسة ، وكانت ذات نشاط تجارى كبير ، ومقصد التجار القادمين من الهند =

أرض الحجاز وتعذر على الناس وجه الاحتراز فعظم البلاء... وأشرف أهل المدينة النبوية منهم على خطر»[1] .

ويرى ابن جبير «أنهم كانوا عازمين على دخول مدينة الرسول ﷺ وإخراجه من الضريح المقدس»[2]،فلما وصل الخبر إلى مصر، أمر الملك العادل (أخو صلاح الدين ونائبه بمصر) الحاجب حسام الدين لؤلؤ، فعمر المراكب «بالرجال البحرية ذوي التجربة من أهل النخوة للدين والحمية»، مع أنجاد من المغاربة البحريين[3] ،وسار إلى أيلة، فظفر بالمركب الفرنجي عندها، فخرق السفينة وأخذ جندها، ثم عدّى إلى عيذاب وشاهد بأهلها العذاب ودل على مراكب العدو ،فتبعها فوقع بها بعد أيام فأوقع بها واقعة وأطلق المأسورين من التجار ،ورد عليهم ما أخذ لهم... ،وعاد إلى القاهرة ومعه الأسارى، فكتب السلطان إليه بضرب رقابهم وقطع أسبابهم، بحيث لا يبقى منهم عين تطرف ولا أحد يخبر طريق ذلك البحر أو يعرف[4] .

وبخصوص البحريين المغاربة، فإن أهمية مشاركتهم في التصدي لهذه الحملة تكمن في الحملة نفسها، لأنها تعتبر أول تدخل إفرنجي في هذا البحر[5]، وتزداد هذه الأهمية إذا ما اعتبرنا البعد الديني للحملة ومن خلاله شرف التصدي لحماية الأماكن الإسلامية المقدسة، وهو شرف سينضاف لمشاركتهم في حصار الصليبيين ببيت المقدس في سنة 583 هـ/ 1187 م

يذكر الرحالة ابن جبير أن الحملات البحرية التي قادها حسام الدين لؤلؤ ، قائد الأسطول المصري سنة 583 هـ/ 1187 م ضد الصليبيين في البحر الأحمر على عهد صلاح الدين الأيوبي ، كانت تضم عددا كبيرا من أنجاد المغاربة البحريين[6]،وبهذا الخصوص اهتم صلاح الدين بالملاحين المغاربة ، أورد العماد الكاتب الأصفهاني (ت 597 هـ) إشارة على قدر كبير من الأهمية تفيدنا في فهم الدور الذي أدّاه هؤلاء على الصعيد العسكري بصفتهم مقاتلين أشداء، مفاد هذه الإشارة أنه أثناء حصار الجيوش الإسلامية لمدينة عكا سنة 587 هـ/ 1191 م، جاء رسول من قبل أحد قادة الصليبيين ومعه أسير مغربي، فقدمه إلى السلطان

=

،

لمزيد من التفاصيل عن عيذاب ودرب الحج عبر وادي العلاقي، أنظر : السيد عبد العزيز سالم، **البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي** ، مؤسسة شباب الجامعة،دط،الإسكندرية ، 1993.ص.54.

(1) أبو شامة، المصدر السابق، ج. 3، ص. 88.

(2) ابن جبير، المصدر السابق، ص. 32.

(3) نفسه.

(4) أبو شامة، نفسه، ج. 2، ص ص. 88،89.

(5) احمد مختار العبادى، المرجع السابق ، ص.88.

(6) ابن جبير ، نفسه، ص. 34 ؛ ابن الأثير، المصدر السابق،ج.10، ص. 154.

صلاح الدين على سبيل الهدية، فاستُقْبل الأسير بحفاوة وتقدير[(1)]،فمن غير المستبعد أن يتعلق الأمر هنا بالرايس عبد السلام المغربي[(2)] الذي تم أسره أثناء حصار قوات صلاح الدين لصور في 583 هـ/ 1187 م، والذي ذاع صيته في مجال الجهاد البحري ، كل ذلك يدل على مدى إعجاب صلاح الدين بالمغاربة وتقدير جهودهم في الحرب ضد أعدائه[(3)].

و يذكر أن وحدات الأسطول المصري التي هاجمت أساطيل الصليبيين في مدينة صور أيام صلاح الدين ،كانت بقيادة قائد مغربي يدعى عبد السلام المغربي ، و كان موصوفا بالحذق في صناعته و شجاعته ،و توفي غريقا في حصار مدينة صور عام 583هـ/1187م[4].

و من أهم المؤشرات على اختصاص المغاربة بالأساطيل البحرية في ذلك الوقت هو ما ترويه المصادر من أن صلاح الدين أرسل سفيره عبد الرحمن بن منقذ إلى عاهل المغرب يعقوب المنصور الموحدي سنة 586 هـ/ 1190 م يطلب منه مساعدة بحرية لمنازلة ثغور الصليبيين بالشام لإنقاذ عكا ، لتحول بين أساطيل الأعداء وبين إمداد أساطيلهم في الشام ،و على الرغم مما قيل من أن المنصور رفض طلب صلاح الدين لأنه لم يلقبه في رسالته بأمير المؤمنين أي لم يعترف بخلافة الموحدين[(5)] ، فقد ذهب المؤرخ السلاوي الناصري إلى أن المنصور أرسل إلى صلاح الدين مائة و ثمانين سفينة حربية لمنع سفن الصليبيين من سواحل الشام إذ يذكر الناصري ولما "وقف عليه (الكتاب) المنصور ورأى تجافيهم فيه عن خطابه بأمير المؤمنين، لم يعجبه ذلك، وأَسَرَّهَا في نفسه، وحمل الرسول على مناهج البر والكرامة؛ وردَّه إلى مرسله ولم يجبه إلى حاجته. ويقال إنه جهز له بعد ذلك مائة وثمانين أسطولاً، ومنع النصارى من سواحل الشام. والله تعالى أعلم" [(6)] ، ويذكر عبد العزيز سالم أن المنصور الموحدي أمد صلاح الدين ببعض سفنه ، فلم يكن في إمكانه غير ذلك تلبية لداعي الجهاد، واعتذر لصلاح

(1) إشارة للعماد الأصفهاني أوردها ؛علي أحمد، المرجع سابق،ص.304.

(2)وقد تولى المغاربة أعلى المراتب في التنظيمات البحرية بمصر، حيث يتحدث كل من ابن الأثير عن المدعو «عبد السلام المغربي» الذي كان رئيساً للأسطول، وهي مهمَّةٌ ومسؤولية خطيرة تتمثل في تدبير أمر جِرية الأسطول بالريح أو بالمجاديف وأمر إرسائه في مرفئه. وكان عبد السلام المغربي هذا موصوفاً ــ في نظر ابن الأثير ــ بالحذق في صناعته وشجاعته. فقد اشتهر بمواجهة الصليبيين على سواحل مصر وبلاد الشام، وظهر دوره جلياً في الجهاد البحري أثناء حصار صلاح الدين لمدينة صور في سنة 583 هـ/ 1187 م؛ انظر : ابن الأثير، المصدر السابق؛ج.10 ،ص. 160.

(3) بينما يذكر عبد المجيد بهيني انه تم أسره ؛ عبد المجيد بهيني، **"المغاربة والجهاد البحري ضد الصليبيين"** ،مجلة التاريخ العربي ، ع. 15،المغرب، 2000 ،ص.149.

(4) ابن الأثير ،نفسه،ج.10،ص.160؛عبد المجيد بهيني، نفسه،ص.41.

(5)انظر نص الرسالة في ويتعلق الأمر هنا بالحملة الصليبية الثالثة؛أبو شامة،المصدر السابق، ج.4 ، ص.111فما بعدها.

(6) الناصري، المصدر السابق، ج.2 ،ص ص.162،163.

الدين عن عدم إمكانه مساعدته بأكثر من ذلك لتعرض سواحل بلاده هو الآخر لاعتداءات صليبية ضارية لا سيما من القوى الصليبية الوافدة في السفن من شمال أوروبا وغربها ، في طريقها إلى شرق البحر المتوسط ، وكانت مملكة البرتغال أكثر الممالك المسيحية في إسبانيا ضراوة في محاربة الموحدين وأكثر خطرا على الإسلام في الأندلس،وكان ألفونسو أنريكث وولده سانشو الأول ملك البرتغال يستعينان بالحملات الصليبية المارة بسواحل غرب الأندلس في محاربة المسلمين[1].

لا شك أن المغاربة لعبوا دورا كبيرا في هذه العمليات العسكرية بدليل ما ذكرته المصادر ،ففي سنة 1179م حيث تحرك الأسطول العربي من مصر لغزو فلسطين التي اعتصم فيها الصليبيون، و يذكر أبو شامة انه تم استخدام بحارة من بلاد المغرب سبق لهم غزو بلاد الإفرنج ، وقد استولى هذا الأسطول على عدة سفن كانت راسية في ميناء عكا[2].

إن البحريين المغاربة شاركوا إلى جانب حسام الدين لؤلؤ[3]، قائد الأسطول المصري سنة 583 هـ/ 1187 م، في تضييق الخناق على الصليبيين في بيت المقدس، وكانت مهمة الأسطول تتمثل في قطع الطريق بحراً على الإمدادات الفرنجية حيث كانوا «كلما رأوا لهم مركباً، غنموه؛ وشانياً، أخذوه»،وقد انتهى هذا الحصار باسترجاع القوات الإسلامية لبيت المقدس.[4]

وبعد وفاة صلاح الدين استمرت الدولة الأيوبية في سياسة استخدام المغاربة إلى أساطيلهم ، و قد لاحظ ذلك الرحالة الأندلسي ابن سعيد المغربي حينما زار مصر في ذلك الوقت ، أي في النصف الأول من القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي ، فذكر إن الحكومة المصرية لجأت إلى تجنيد المغاربة المقيمين في مصر للعمل في الأسطول استنادا إلى الفكرة الشائعة في المشرق عن اختصاصهم بهذا العمل[5].

---

(1) السيد عبد العزيز سالم ، **"سياسة صلاح الدين الدفاعية عن مصر في البر والبحر ضد قوى الصليبيين"**، مجلة التاريخ العربي ،ع.2،المغرب، 1997، ص. 23.

(2) أبو شامة ، المصدر السابق ، ج.3 ، ص.61.

(3) لم يكتب المؤرخون شيئا كثيرا عن نشأته يقال انه كان بهي الشيب نقي الجيب ، عاش عمر طويل ، وانه سمح في تعامله ، ما عرف عنه أن سنة591هـــ وقعت فيها مجاعة و غلاء للخبز فكان يخبز كل ليلة 12000رغيف يوزعها على الفقراء حتى دب الرخاء ؛ انظر :عبد الرحمن زكي، **الجيش المصري في العهد الإسلامي**،دط،مكتبة الانجلو المصرية ،مصر،دت، ص .130 .

(4) ابن الأثير، المصدر السابق، ج. 10، ص ص. 160،161.

(5) قال ابن خلدون «و الساكنون بسيف هذا البحر و سواحله من عدوتيه يعانون من أحواله ما لا تعانيه امة من أمم البحار فقد فقد كانت الروم و الافرنجة و القوط بالعدوة الشمالية من هذا البحر ، وكانت أكثر حروبهم و متاجرهم في السفن ،فكانوا مهرة في ركوبه و الحرب في أساطيله ، ولما أسف ما أسف منهم إلى ملك العدوة الجنوبية ،مثل الروم في افريقية و القوط إلى المغرب ،
=

و استمرت دولة المماليك في مقارعة الأعداء ، فواصلوا سياستهم الجهادية نحو إخراج الصليبيين من الشام و من جزر البحر المتوسط و لا سيما جزيرة قبرص التي تزعم ملوكها آل لوزجنان Lusignan مشروعات الصليبيين في الشرق العربي[1] ،و كان السلطان الظاهر بيبرس أول سلطان مملوكي اهتم بغزو هذه الجزيرة إذ أرسل أسطولا بقيادة جمال الدين مكي بن حسون لغزو قبرص ، ويذكر العبادي إن اسم حسون أندلسي لأنه من أصل حسن ،أما مقطع الواو و النون في آخر اسمه فليس إلا المقطع الاسباني On الذي يدل على التعظيم و التكبير [2] ،و تذكر المصادر إن هذا القائد حسون قام بغاراته على قبرص سنة 669هـ/1270م [3] .

ويروي المؤرخون أن هذا القائد ابن حسون حينما قام بغارته على قبرص سنة 669هـ/1270م لجأ إلى سلاح الحيلة و الخدعة لمباغتة العدو على حين غفلة ،و ذلك بأن طلى ظاهر السفن بالقار ،و رسم على أعلامها الصلبان كما كان يفعل الصليبيون في سفنهم ، و قد أنكر بعض المجاهدين على قائدهم هذا العمل ، ولكنهم اضطروا إلى تنفيذ أوامره بعد اقتناعهم بأن الحرب خدعة ،و أن من مصلحة المسلمين إيهام العدو بأن سفنهم مسيحية ، و على الرغم من فشل هذه الحملة بسبب العواصف ، وتحطم معظم سفنها على صخور ميناء ليماسول في جنوب الجزيرة[4]، لذلك كان كل مغربي وجد في مصر يرغم على الخدمة في الأسطول، بل وكانوا يسجنون حتى إذا حان وقت الحاجة إليهم أخرجوهم وأركبوهم الأسطول لرد أخطار الصليبية.[5]

كما أن أمير البحر الرئيس البطراني المغربي ،كان من بين قادة الحملة البحرية في سنة 702هـ/1302م التي أطبقت على جزيرة أرواد و استولت عليها[6].

و من خلال ما ذكرنا لدور البحارة المغاربة فان الأسطول المصري لم يستغن في أي وقت من الأوقات إبان العهدين الفاطمي والأيوبي عن المغاربة البحريين، وأنهم شاركوا مشاركة فعالة في الجهاد البحري. و استمروا في

=

أجازوا في الأساطيل وملكوها ،و تغلبوا على البربر بها ، وانتزعوا من أيديهم أمرها ، وكان لهم بها من المدن الحافلة مثل قرطاجنة و سبيطلة و جلولا و مرناق و شرشال و طنجة ، وكان صاحب قرطاجنة من قبلهم يحارب صاحب روما و يبعث الأساطيل لحربه مشحونة بالعساكر و العدد ، فكانت هذه عادة لأهل البحر الساكنين حفافية ، معروفة في القديم و الحديث » ؛ انظر: ابن خلدون ، المقدمة ، ص.313.

(1) احمد مختار العبادى، المرجع السابق ، ص.89.

(2) كقولهم خلدون على خالد ، حفصون على حفص و عبدون على عابد .. ؛ احمد مختار العبادى ، نفسه ، ص.91.

(3) للمزيد عن هذه الحملة انظر ، أحمد مختار العبادي ، في تاريخ الايوبيين و المماليك ، ص ص.195 ،196؛القلقشندي(أبو العباس أحمد) ،**صبح الأعشى** ،دار الكتب المصرية،دط،القاهرة،1430هـ/1922م،ج.14،ص39-51.

(4) وفيق بركات ، **فن الحرب البحرية** ،معهد التراث العلمي الغربي ،دط،حلب، 1416هـ/1995، ص.128.

(5) جواتياين، **دراسات في التاريخ الإسلامي، والنظم الإسلامية**، ترجمة عطية القومي، الكويت. ط.1 . 1980. ص.245.

(6) عمر عبد السلام تدمري، الأندلسيون والمغاربة في طرابلس الشام ، ص.39.

ذلك طوال فترة حكم المماليك بمصر والشام.

2 -دورهم في الذود عن الإسكندرية من الهجمة الصليبية:

انطلاقا من الموقع الجغرافي للإسكندرية فإنها كانت هدفا لواحدة من الحملات الصليبية التي تزعمتها جزيرة قبرص واحد من المشاريع الصليبية العدوانية بدافع المنفعة الاقتصادية[1] التي تجنيها من الحروب الصليبية باعتبارها مركز تجاري هام و سوق عالمية للممالك الصليبية الغربية في حوض البحر المتوسط ، و كل ذلك دفع بملوكها آل لوزجنان إلى تبني الفكرة الصليبية ومن أبرز ملوكها المتحمسين للإسهام في الصليبيات هو بطرس الأول لوزجنان و يرتبط اسم هذا الملك بالغارة الوحشية التي شنها على مدينة الإسكندرية [2]، ونشر فيها الفساد و الخراب في المحرم سنة767هـ.[3]

وقد كانت الإسكندرية على صلة وثيقة بالمغرب حتى عرفت بباب المغرب فقد بلغ عدد فقراء المغاربة في المدينة أكثر من ألف شخص يتقاضون جوامك من الحكومة المصرية ، وهذا دليل على أن عدد المغاربة كبيرا بالإسكندرية[4] ،في عام 767هـ/1365م قام مغاربة الإسكندرية بدور فعال في صد في الغزوة القبرصية على على المدينة في ذلك الوقت ،و كانت هذه الغزوة من أشد و أخطر الوقائع التي تعرضت لها المدينة طيلة العهد الإسلامي ، فقد قام المماليك لا سيا البحرية منهم باستخدام المغاربة الوافدين بالإسكندرية بالأخص في القوة البحرية المملوكية ، وبرز تحت قيادة الأمير يابغا الخاصكي عدد من القادة البحريين المغاربة ، ومنهم إبراهيم التازي ، والى جماعة المغاربة المقيمين تعود مشورة الحربية بعدم القتال على الشواطئ بدون سند يحمي ظهر المحاربين و ضرورة التحصن داخل المدينة و القتال و المناورة وراء الأسوار، و كان التاجر البنا هو

---

(1) عن مكانة قبرص الاقتصادية في عصر المماليك ؛ انظر ، أحمــد حطيــط ، **"دور قبرص في العلاقات بين المماليك والغرب الأوروبي في أواخر القرون الوسطى"**،مجلة تاريخ العربي، ع. 18،المغرب، 2001،ص. 309.

(2) قيام الملك بطرس الأول دي لوزينيان (Pierre I) ابن هوغ الرابع (1350 ــ 1369 م) بخطوة عسكرية جريئة ضد المماليك، في 10 تشرين الأول 1365 م/ 22 محرم 767 هــ، تمثلت بإرساله حملة بحرية إلى الإسكندرية، المحطة التجارية الهامة لسلع الشرق الأقصى المتجهة إلى أوروبا، واستولى عليها. إلا أن بطرس الأول وجد نفسه مرغماً على إخلاء المدينة، بعد ثلاثة أيام من نهبها، بضغط من الفرسان الأوروبيين المشاركين في الحملة، وذلك بعدما ترامت إليهم أخبار سد المنافذ الموصلة إلى القاهرة، والحشود العسكرية التي هبت لنجدة الإسكندرية، وأن طلائعها قد وصلت، بالفعل، إلى ضواحيها، فعاد الملك القبرصي إلى بلاده على عجل محملاً بالأسلاب والغنائم والأسرى ، وتلقى الملك بطرس لوزيان مصرعه على يد بعض رجاله سنة770هــ/1369م، إلا أن موته لم يغير من سياسة قبرص العدوانية نحو مصر و الشام ؛ ابتسام مرعي خلف الله ، **العلاقات بين الخلافة الموحدية و المشرق العربي** ، دار المعارف ،القاهرة ، 1405هــ/1985م، ص. 226 ؛ S.Atiya : op cit. pp.345-370.

(3) أحمــد حطيــط ، نفسه، ص. 22.

(4) نفسه ، ص. 92.

صاحب هذه النصيحة[1] التي لم يؤخذ بها حتى تتأذى مزارات الأولياء و الأربطة المقامة في شبه جزيرة المنار للاعتداء القبرصي[2].

كان القبارصة في حملتهم على الإسكندرية يتوقعون عملا حاسما من جانب المسلمين ، فلما اقتنعوا بعدم اكتراثهم للأمر ، انزلوا غرابا إلى الساحل ، فتصدى له جماعة من المغاربة المجاهدين ، خاضوا في الماء ، وناوشوا فيه القتال ، وتمكنوا من الإمساك بالغراب في أيديهم ثم طلبوا من الزراقين[3] ليزودوهم بالنار ليحرقوه ، لكن لم يهتم أحد بذلك ، وما زال المغاربة ينادون في طلب النفط النار ،و أمام صراخهم المتواصل رمى الزراقون بمدفع فيه نار كنار الحلفاء فوقع في النار فانطفأ ، وحدث خلاف بين المغاربة و سقط عدد كبير منهم موتى.[4]

و يؤكد النويري في كتابه الإلمام بالأعلام أن المغاربة دفعوا حياتهم ثمنا للدفاع عن المدينة عندما نزلوا إلى المياه ، و أمسكوا القبرصية ، و جعلوا أجسادهم عرضة للنيران[5] ،ومن بين القواد المغاربة المشهورين الذين اضطلعوا بمهام عسكرية بحرية هامة الرياس إبراهيم التازي الذي شغل منصب رئيس دار الصناعة بالإسكندرية في أيام السلطان المملوكي الاشرف شعبان الذي كلف رئيس دار الصناعة بالإغارة على جزر العدو[6] ، وفي 29 رجب 769ه /مارس 1368م،أقلع التازي من ثغر الإسكندرية في مركبين حربيين حربيين بها خمسمائة مقاتل متجها إلى جزيرة قبرص و ما يحيط بها من جزر ،فغنم سفينة للعدو أرسلها إلى الإسكندرية بعد أن حجز معه رجالها و استمر التازي في غاراته ثلاثة و عشرين يوما عاد بعدها محملا بالغنائم

---

(1) ابتسام مرعي خلف الله ، المرجع السابق ، ص.225.

(2) عندما أشار المغاربة و على رأسهم التاجر عبد الله بإخلاء الجزيرة و الانسحاب وراء الأسوار إلى أن تحضر النجدة من القاهرة ، لم يتبن لجنغرا صواب هذا الرأي ، وخاصة بعد أن احتج الربط المعترضون على هذا الرأي ، لأنهم لم يرغبوا في ترك ربطهم و أصروا على البقاء خارج أسوار المدينة للدفاع عنها ، واتهموا التاجر و عبد الرحمان و غيره من المغاربة بأنهم يريدون اخراب هذا الربط مثلما تسببوا في اخراب بلدهم طرابلس الغرب عندما استولى عليها الفرنج ويقول عن النويري السكندري و لو كان للمسلمين تركوا للقبرصي الجزيرة و تحصنوا بالسور ، وقاتلوا من وراءه كل رجس كافور ، لكان المسلمون بتحصينهم بالثغر ، سلموا من القتل و النهب و الأسر ، وما كان عليهم من اخراب الربط المبنية لسلامة الإسكندرية ،من أذى الملة النصرانية .. وعلى هذا ركن جنغرا لكلام أصحاب الربط ، وصم أذنيه عما أشار به التاجر عبد الله المغربي ؛انظر ، النويري السكندري ، المصدر السابق ،ج. 2، ص ص.145،146.

(3) الزراقون والمفرد زراق : و هم الذين يرمون النفط من الزراقة و هي انبوبة خاصة يزرق بها النفط ، سهير محمد نعينع ،المرجع السابق، ص.162 .

(4) عن تفاصيل بقية أخبار الحملة ، راجع النويري السكندري ، نفسه ،ج.3،ص.78-82 .

(5) نفسه ، ص.146.

(6) ابتسام مرعي خلف الله، نفسه ، ص.226.

و الأسرى فارتجت الإسكندرية لقدومه ، وخرج أهلها ابتهاجا لاستقباله ، ودخل الرايس إبراهيم التازي الإسكندرية و سار من خلفه أسارى الفرنج يتقدمهم راهب كهل،و هو راكب حمار و وجهه لذنبه ، وخلفه يسير خمسة و ثلاثون أسير حفاة الأقدام قد ربطت أعناقهم بالحبال و أيديهم بالخشب[1].

عندما قام الأسطول القبرصي بإعادة الكرة للمرة الثانية سنة 770هـ تصدت له المراكب بقيادة إبراهيم التازي حيث خاض معركة بحرية ضارية إذ استطاع إبراهيم التازي من إلحاق الأذى بالأسطول القبرصي الذي فقد عدد من سفنه و عدد كبير من رجاله[2]،وفي هذا الصدد يذكر عن النويري :«لان الفرنج ليس بقهرهم سوى المغاربة ، وذلك لمخالطتهم لهم بجزيرة الأندلس ، يعرفون طرق حربهم و طعنهم و ضربهم في بر و بحر ، فلو كان منهم بالإسكندرية من المغاربة جمعا كبيرا بجوامك مرتبة ،و غربان مجهزة بعددها و أزوادها ،كانوا يخربون جزر كثيرة ، وصارت الفرنج معهم في جزيرة »[3].

و خلال القرن التاسع الهجري /الخامس عشر ميلادي فان أخبارهم جاءت في شكل إشارات فقط إذ ورد دورهم في الأسطول المملوكي أيام السلطان الغوري :«..وكان العسكر الذي خرج في هذه التجريدة ملفقا ما بين أولاد الناس و بعض مماليك سلطانية ،و الغالب منهم مغاربة و عبيد سود رماة و تراكمة و غير ذلك ، وأرسل السلطان صحبتهم جماعة كثيرة من البنائين و النجارين و الفعلاء بسبب تلك الأبراج التي أنشأها السلطان جدة أنشأ الصور .. » ، أن قلة الإشارات المذكورة عن المغاربة مردها إلى ما حل بمدينة الإسكندرية من اضمحلال خلال الفترة المذكورة سلفا بسبب تحول الطريق التجاري إلى رأس الرجاء الصالح ، لذلك اهتم سلطان مصر الملك الاشرف قانصوه الغوري ببناء أسطول كبير في السويس ليتعقب به الفرنجة في البحر الأحمر والفرنجة[4].

3-براعة المغاربة في استخدم البارود والأسلحة النارية خلال الحروب الصليبية:

أن الجيش الإسلامي أول من استخدم البارود، وقد عرفه المسلمون قبل الغربيين، وليس كما يزعم بعض المستشرقين، أن الأوربيين قد استخدموه في حروبهم وعرفوه قبل المسلمين، فقد تمَّ استعماله لأول مرة في مصر، وذلك لتوافر مادة النطرون بكثرة فيها، وقد ذكر المقريزي في حوادث عام 727هـ أن البارود قد استُعْمِل بجوار النفط في حفل زفاف ابنة سلطان مصر الناصر محمد بن قلاوون، فقال: "وعمل جليس في القلعة برجًا من

(1)ابتسام مرعي خلف الله ، المرجع السابق ، ص.225.

(2) النويري السكندري،المصدر السابق ، ص.274.

(3)نفسه، ص.277.

(4) ابتسام مرعي خلف الله ، نفسه، ص ص.227، 228.

بارود ونفط[1].

فقد ذكر ابن خلدون أن المرينيين في المغرب استخدموه في حروبهم، خاصة في فتحهم لمدينة سجلماسة، فذكر أن سلطانهم يعقوب بن عبد الحق قد نصب على المدينةِ "هندام النفط القاذف بحصى الحديد، ينبعث من خزانة أمام النار الموقدة في البارود بطبيعة غريبة ترد الأفعال إلى قدرة بارئها"[2]،وكانت هذه الحادثة عام 672هـ، ،ومما يبدو أن المسلمين قد عرفوا "المدفع" في حروبهم-كما يذكر ابن خلدون هنا- منذ القرن السابع الهجري، فاستخدموا حصى الحديد (القنابل الصغيرة)، التي كانت تنطلق بقوة البارود المفزعة؛ ولذلك تعجَّب ابن خلدون من هذه القوة، وهو ما يبدو في وصفه السابق[3].

فقد أورد العبادى على لسان الدين الخطيب الغرناطي (1313-1374م)، الذي ذكر أن الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الثاني استخدم المدافع في أثناء حصاره لمدينة (بازة) الإسبانية بين 1323 و1325م، ففي وقائع شهر رجب من عام 724هـ /1324م) يذكر أن قوات المسلمين: "كانت تضرب المدينة نهاراً وليلاً بوساطة آلات ومخترعات تقذف بكرات نارية لها دوي هائل،ويقول في مكان آخر واصفاً حصار العرب المسلمين لمدينة (طريف (Tarifa)الإسبانية في عام1340 م: "كان العرب يستخدمون آلات ومخترعات ترمي كرات ضخمة من الحديد بوساطة النفط، وتسبب خراباً كبيراً في أسوار المدينة المحاصرة جيداً"[4].

كما اظهر المغاربة ما يجلب تقدير المشارقة لهم لفعالية المنجنيق المغربي في دك حصون الفرنج و قلاعهم المنيعة[5] ، ففي فتح حصن صفد على يد الظاهر بيبرس عام 663هـ /1265م ، فقال : «و رمى المنجنيق المغربي في هذا اليوم ، فأثر آثارا حسنة»[6] ،كما لفت السلطان صلاح الدين إلى تمرس المغاربة بمجاهدة أعداء الإسلام في رسالة بعث بها إلى الخليفة العباسي ببغداد ، يزف إليه فيها نبا استيلائه على حصن بيت الأحزان ، منوها بدور المغاربة في فتح الحصن المنيع ، بقوله : «و احتلت به الرجال الذين يعملون في البحر ، و يفتكون في البر ، و من هو معروف من المغاربة بغزو بلاد الكفر »[7].

و قد اعتمد المماليك على المغاربة في استعمال هذا النوع من السلاح لان المماليك كانوا فرسانا بطبيعتهم ، عشقوا الفروسية ،و لم يقبلوا عنها بديلا ، و لهذا لم يتجاوبوا مع الأسلحة النارية و المدافع التي

---

(1) المقريزي،المصدر السابق ،تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ،مكتبة دار الكتب ،دط،القاهرة ، 1971، ج.3، ص.101.

(2) ابن خلدون،المصدر السابق ، ج.7،ص.249.

(3) نفسه.

(4) احمد مختار العبادى ، دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربي ، ص.100.

(5) أحمد حطيط ، المرجع السابق، ص.275.

(6) نفسه

(7) أبو شامة، المصدر السابق، ج.3،ص.30.

أخذت تنتشر في ذلك الوقت ، وأقبل العثمانيون و البرتغاليون على استخدامها في البر و البحر ، بينما اعتبرها المماليك أسلحة منافية للرجولة و للإنسانية و اضطر سلاطين المماليك لإنقاذ دولتهم آخر الأمر ، إلى تكوين فرق غير مملوكية من المغاربة و العبيد السود لحمل هذا السلاح ، عرفوا باسم النفطية[1]، أو البارودية[2].

تذكر المصادر المغربية المعاصرة أن المغاربة و الأندلسيين توصلوا إلى اختراع المدفع قبل الأوربيين ، فالمعروف إن أول استعمال للمدفع في أوربا كان في موقعة كريسي Creasy بفرنسا سنة 1342 م حينما التقت جيوش ملك فرنسا فيليب دي فالوا مع جيوش ملك انجلترا ادوارد الثالث الذي كتب له النصر باستعماله للأسلحة النارية[3]، أما استعمال هذا السلاح الجديد في المغرب و الأندلس ، فكان قبل ذلك التاريخ المذكور أنفا بعشرات السنين ، طبقا لما ذكره ابن خلدون[4].

وهذا النص"هندام النفط القاذف بحصى الحديد، ينبعث من خزانة أمام النار الموقدة في البارود بطبيعة غريبة ترد الأفعال إلى قدرة باريها" يعتبر من أقدم النصوص التاريخية حول استعمال المدفع ،ويبدو أن هذا الاختراع الجديد لم يلبث أن انتقل إلى مملكة غرناطة الإسلامية في اسبانيا ، فقد أورد العبادي عن ابن خطيب وصفا هاما للمدفع الذي استعمله الغرناطيون عند احتلال قلعة اشكر huescar في جنوب الأندلس سنة 1324م ، وما أحدثه هذا السلاح من هدم و تخريب في الحصون ، وذعر في صفوف المقاتلين الأسبان ، وهذا الوصف يعتبر من أقدم النصوص التاريخية أيضا في هذا الموضوع ، و في ذلك يقول ابن الخطيب : «و نازل السلطان إسماعيل بن الأحمر قلعة اشكر ، ونشر الحرب عليها ، و رمي بالآلة العظمى المتخذة بالنفط كرة محماة ، طاقة البرج المنيع ، فعاثت عياث الصواعق السماوية ، ونزل أهلها قسرا

---

(1) أن كلمة نفط في العصور الوسطى ، أطلقت في بادئ الأمر على القذائف النارية الإغريقية الحارقة التي كانت تقذف نحو الهدف لإضرام النار فيه،ثم تطور معناها في أواخر القرن الثالث عشر ميلادي،بحيث صارت تعني المدفع أو الأسلحة النارية التي تحدث عند انطلاقها فرقعة و هديرا مثل الصواعق،وكانت قذائفها كورا معدنية تهدم و تحطم كما هو واضح في الأبيات الشعرية التي سيأتي ذكرها في الصفحة التالية ، ولعل السبب في إطلاق كلمة نفط عل هذين السلاحين المختلفين ،الحارق و الهادم،أن العنصر الأصلي في تركيبات النفط في الحالتين هو ملح البارود ،استعمل في بادئ الأمر للإحراق شأنه شأن المواد الأخرى الملتهبة كالفحم و الكبريت،ثم اكتشف فيما بعد أن له خاصية الانفجار فاستخدم كسلاح مدمر؛انظر:احمد مختار العبادي،المرجع السابق، ص.101.

(2) ابن اياس(محمد بن احمد) ، **بدائع الزهور في وقائع الدهور** ،مطابع الشعب ،دط، مصر ،1960،،ج.4،ص.84-308 .

(3) احمد مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص.81.

(4) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج.7 ،ص.249.

على حكمه[1].

و يذكر العبادي أن المصادر الاسبانية المعاصرة عند وصفها لأحداث هذه الحرب ، أيدت هذا الاختراع ، و أشارت إليه كسلاح جديد مبيد ،حيث تشير الحوليات ثوريتا الى العبارة الآتية :

Se extendia el Rumos en Alicante Que el Rey de granada Estaba en Posesion de Una Nueva Arma Mortifera.

و ترجمتها : « و انتشرت الإشاعات في مدينة لقنت (شرقي اسبانيا) بأن ملك غرناطة يمتلك سلاحا جديدا مميتا»[2].

و كان المغاربة من أوائل الدول التي عرفت الأسلحة النارية ،و استخدمتها في حروبها ، ولعل هذا هو السبب الذي جعل بعض السلاطين المماليك في أواخر عهدهم ، يعتمدون في استعمال هذا السلاح الجديد على العناصر غير المملوكية كالمغاربة و السودان ، كمحاولة أخيرة لإنقاذ دولتهم[3].

و تذكر المراجع أن دولة المماليك ، رغم كل هذا ، كانت قد هرمت و تحجرت على أنظمتها العتيقة التي تقوم على الفروسية و المبارزة بالسيف و رمي النشاب فلم يتقبل سلاطينها و أمراؤها هذا السلاح الجديد بسهولة ففي هذا الصدد يروى أن مغربيا عرض بندقية على سلطان مصر الملك الأشرف قانصوه الغوري ، واخبره بأن هذه البندقية جلبها من بلاد البندق (البندقية أو فينيسيا) و أن جيوش العثمانيين و المغرب قد استخدمتها ، عندئذ طلب السلطان الغوري من المغربي أن يدرب بعض المماليكه على استخدامها ، ففعل ذلك ، وبعد مدة جاء بهؤلاء المماليك إلى حضرة السلطان حيث قاموا بإطلاق النار من بنادقهم أمامه ، ولكن السلطان لم يعجبه هذا العمل وقال المغربي : نحن لن نترك سنة نبينا و نتبع سنة المسيحيين ، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز « أن ينصركم الله فلا غالب لكم »[4]،عندئذ عاد المغربي آسفا إلى بلاده ،و هو يقول :من عاش ينظر هذا الملك كيف يؤخذ بهذه البندقية[5].

وذكر أحمد مختار العبادي عن النويري خبرا طريفا وهو أن مجاهدا مغربيا عرض على أمير الإسكندرية سيف الدين الاكز سلاحا جديدا عبارة عن قدور كفيات صغيرة من الفخار ، ضيقة الأقمام ، مملوءة جيرا ناعما مطفيا بالبول ، وكانت الواحدة منها ملء الكف في حجم الرمانة Grenadeمسدودة الفم الضيق بمشاقة

(1) احمد مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص.99.
(2) نفسه ، ص.100.
(3) نفسه ،ص.101.
(4) سورة أل عمران ، الآية 160
(5)احمد مختار العبادي ، نفسه،ص.101 .

(فتيلة)(مثل القنبلة اليدوية اليوم)،ثم حكى له قصة استعمال هذا السلاح ،و مدى تأثيره على العدو فقال «بينما كنا مسافرين في البحر المالح (البحر المتوسط) بين سفاقس و طرابلس ، صادفنا مركب للإفرنج فيه مقاتلة و تجار ، فلما رأونا قصدونا ، فلما قربوا منا ، القوا الكلاليب بمركبنا ،و كانوا بأجمعهم عليهم سرابيل من الحديد ، و كنا قبل تكليبهم لمركبنا نرمى عليهم بالسهام فلا تؤثر فيهم فلما تكلبت المركبان ، و صار الجنب ملتصقا بالجنب قفز من مركبنا رجال حصلوا بمركبهم فصاروا يضربونهم فلا يؤثر فيهم ، وكانت قد أعدت بمركبنا هذه القدور الكفيات ، فأمرت من مركبنا من أصحابنا أن يرموا الفرنج بها ، و كانت الواحدة منها ملئ الكف ، فصار كل واحد يتناول واحدة و يرمي عليهم فتصكهم فيصعد الجير بعد انكساره في وجوههم و يدخل في أعينهم و يصعد في خياشيمهم ، و يفسد أنفاسهم و يعمي أبصارهم،و صار المسلمون يلقونهم في البحر فيغوص إلى قعر البحر لثقل ما عليه من الحديد ... فرمينا منهم نحو ستين علجا ، و هربت بقيتهم نزلوا في بطن المركب ، فعمدنا إلى باب بطنها سددناه عليهم و سمرناه بالمسامير ، و طلعنا من مركبهم إلى مركبنا ...... و كان انتصارنا عليهم بعون الله تعالى و بتلك القدور الكفيات المملوءة جيرا و بولا ، قال لما رآها الأمير الاكز أعجبه مرآها و استحسنها و أمر القرموسى[1] أن يصنع مثلها عدة كثيرة ، فعملوا عشرة آلاف واحدة ، ملئت جيرا ناعما مطفيا بالبول،ورفعت بقصر السلاح في المدينة حاصلا لوقتها المحتاج إليها ، وعملوا أيضا من القدور الكبار كثيرات صارت حاصلا لرمي المجانيق بما يعمل فيها من المكائد المضرة للفرنج الكفرة»[2].

بعد ذلك استخدم المماليك المدافع بكثرة في حروبهم، وجعلوا منها أنواعًا متعددة؛ فمنها المدفع أو المكحل الكبير، ومنها المدفع الصغير، وقد وصف لنا القلقشندي في "صبح الأعشى" مكاحل البارود، فقال: "وهي المدافع التي يُرمَى عنها بالنفط، وحالها مختلف، فبعضها يُرْمَى عنه بأسهم عظام، تكاد تخرق الحجر ببندق، وبعضها يَرْمِي عنه من حديد من زنة عشرة أرطال بالمصري إلى ما يزيد على مائة رطل، وقد رأيتُ بالإسكندرية في الدولة الأشرفية شعبان بن حسين في نيابة الأمير صلاح الدين بن عرام رحمه الله، بها مدفعًا قد صُنعَ من نحاس ورصاص، وقُيِّد بأطراف الحديد، رمي عنه من الميدان ببندقة من حديد عظيمة محماة، فوقعت في بحر السلسلة خـــارج باب البحر وهي مسافة بعيدة[3]،ومشاهدة القلقشندي هذه تمت في حدود عام 775هـ؛ مما يُدلل على أسبقية ابتكار المسلمين لآلات الحرب منذ فترة مبكرة جدًّا و إسهام المغاربة اكبر و دليل على ما للمغربي من بصمات التي تؤكد علو منزلته الحربية .

(1) القرموسى أو القرموصى كلمة دخيلة من أصل يوناني معناها الخزاف أو الفخاري

(2) أحمد مختار العبادى ، نفسه ، ص ص.96،97 .

(3) القلقشندي، المصدر السابق،ج.2،ص.153.

4-المشارقة و الاعتراف بجهود المغاربة خلال الحروب الصليبية في مصر و الشام

حفظ المشارقة لإخوانهم المغاربة جميل العمل واعتراف بفضل ، فأسس حكامهم و المترفون منهم المدارس لطلبة العلم من المغاربة مثل نور الدين زنكي و صلاح الدين الأيوبي و انشأوا الرباطات و الزوايا لإيوائهم ، و أوقفوا عليها الأوقاف الكثيرة.[1]

و اشترك جماعة منهم في الجهاد مع عساكر نور الدين محمود بن زنكي ضد الصليبيين ، لذلك عين المغاربة الغرباء الملتزمون زاوية المالكية بجامع دمشق أوقافا كثيرة ،و عرفانا بالجميل أن أحد أهم أحياء دمشق هو حي (المغاربة) الذي يعود إنشاؤه إلى تلك المرحلة ، كذلك كان يبذل جهده لافتداء الأسرى منهم لأنهم غرباء لا أهل لهم[2] ،حيث يذكر أن نور الدين محمود بن زنكي عين للمغاربة الغرباء أوقافاً كثيرة منها سبعة بساتين وأرض بيضاء، وأن المشرف عليها كان هو الآخر مغربيّاً يدعى أبو الحسن علي بن سردال الجياني.[3]

و زاد اهتمام نور الدين زنكي بأمر الأندلسيين والمغاربة القادمين إلى المشرق إلى حد وصل إلى أنه فضلهم على أهل البلاد المحليين، إذ يروي ابن جبير عنه، أنه اهتم بفك الأسرى منهم قبل أسرى الشام بقوله: "وكان نور الدين رحمه الله نذر في مرضة أصابته تفريق اثني عشر ألف دينار في فداء أسرى من المغاربة، فلما استبل من مرضه، أرسل في فدائهم فسيق فيهم نفر ليسوا من المغاربة، وكانوا من حماة من جملة عمالته، فأمر بصرفهم وإخراج عوض عنهم من المغاربة وقال: هؤلاء يفتكهم أهلوهم وجيرانهم، والمغاربة غرباء لا أهل لهم"[4] ،وكذلك فعل صلاح الدين الأيوبي ومن خلفه من أولاده وأقربائه ومن المماليك وكذلك فعلت بعض النساء، وبعض التجار من الأغنياء والأثرياء، نذكر منهم نصر بن قوام، وأبا الدر ياقوت مولى العطافي، وكانا من أشهر تجار الساحل الشامي، وقد قاما بافتكاك عدد كبير من أسرى المغرب والأندلس بأموالهم الخاصة، وأموال ذوي الوصايا، لأنهما اشتهرا بأمانتهما وثقتها وبذلها الأموال في هذا السبيل النبيل"[5] ،فقد ذكر ابن جبير أن نورالدين محمود عين للمغاربة الغرباء أوقافا كثيرة في دمشق ، منها طاحونتان و سبعة بساتين و ارض بيضاء ودكانان و كانت تلك الأوقاف تغل خمسمائة دينار في العام[6].

و لما اشترك المغاربة في الجهاد بالإسكندرية في بداية قيام الدولة الأيوبية ، أسس لهم صلاح الدين مدرسة و

---

(1) ممدوح حسين و مصطفى شاكر ، المرجع السابق ، ص.186.

(2) نفسه ، ص.245.

(3) نفسه،ص.251.

(4) نفسه، ص.280.

(5)ابن جبير ، المصدر السابق ، ص.281.

(6) نفسه، ص.257و هنا و هناك؛سعيد عبد الفتاح عاشور ،بحوث في تاريخ الإسلام و حضارته ، ص.392.

دارا و بيمارستانا[1]،عندما دخل الإسكندرية سنة 577ه، أنشأ بها داراً للمغاربة ،وفي ذلك قال تقي الدين المقريزي : ((في السابع عشر من شوال سنة 577 هـ سار السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى الإسكندرية فدخلها في الخامس والعشرين من شهر شوال وشرع في قراءة الموطأ ، وأنشأ بها بيمارستاناً ودار للمغاربة ومدرسة على ضريح المعظم توران شاه))[2].

كما اسقط صلاح الدين ما كان يعرف ب «مكس مكة »،و عوض أمير مكة غلالا تحمل إليه في كل سنة ، بعد أن «كان يؤخذ من حاج المغرب على عدد الرؤوس ما ينسب إلى الضرائب و المكوس ، فإذا دخل حاج حبس حتى يؤدي مكسه ...، و إذا كان فقيرا لا يملك فهو يحبس و لا يترك و تفوته الوقفة بعرفة»[3].

فقد ذكر ابن جبير «أن صلاح الدين قد عين (لأبناء السبيل من المغاربة خبزتين لكل إنسان في كل يوم بالغا ما بلغوا ، ونصب لتفريق ذلك كل يوم إنسانا أمينا من قبله،فقد ينتهي في اليوم إلى ألفي خبزة أو أكثر»[4].

وفي سنة 587هـ/1191م أثناء حصار العرب المسلمين لمدينة عكا، جاء رسول من قبل أحد قادة الصليبيين ومعه أسير مغربي، قدمه إلى السلطان صلاح الدين على سبيل الهديّة، فاستقبل الأسير بحفاوة بالغة وتقدير عظيم، الأمر الذي يدل على مدى إعجاب صلاح الدين الأيوبي بالمغاربة والأندلسيين وتقدير جهودهم في الحرب التي خاضها ضد أعدائه[5].

و كذلك يمكن النظر إلى الوظائف العالية، التي حصل عليها المغاربة والأندلسيون في القدس بعد تحريرها على أنها تثمين لدورهم نتيجة خدماتهم والرغبة في استمرار هذه الخدمات في الوقت نفسه، وقد عبر صلاح الدين الأيوبي عن ذلك، وسار ابنه الأفضل وغيره من الحكام الأيوبيين على الطريقة نفسها، فقد كانت صلة الأفضل بالقدس قوية منذ أن حررت[6].

---

(1) الصلابي، المرجع السابق ، ص.269.

(2) المقريزي ،المصدر السابق ،ج.3، ص.89.

(3) كان هذا الإجراء معمول به أيام الفاطميين؛أبو شامة ، المصدر السابق، ج.4، ص.300، ابن جبير ، نفسه،ص.154.

(4) ابن جبير ، المصدر السابق ، ص.16.

(5) العماد الأصفهاني،المصدر السابق، ص.502.

(6)لأنه كان الموكل من قبل أبيه بحفظ ما حرر منها، كما يستفاد من رسالته للعماد الأصفهاني على لسان صلاح الدين الأيوبي في في معرض ذكره لانتصاراته ،وما فتحه عام 583هـــ/ ،ومما ورد فيه: "والآن فقد خلص لنا جميع مملكة بيت المقدس وحدها في سمت مصر من العريش وعلى صوب الحجاز من الكرك و الشوبك. وتشتمل على البلاد الساحلية إلى منتهى أعمال بيروت. و لم يبق من هذه المملكة إلا صور... وأنه قد رتب الجانب القبلي والبلد القدسي. وشحن الثغور من حد جبيل إلى عسقلان بالرجال والأموال وآلات العدد والعدد المتواصل المدد. ورتب فيها ولده الأفضل علياً لحمايتها وحفظ ولايتها... أبو شامة ، المصدر =

وقد تجلت إنعاماته على الأندلسيين والمغاربة أيام سلطنته، عندما خلف والده عند وفاته بدمشق سنة 589هـ/1193م ليبقى على عرش السلطنة قرابة تسع سنوات، وفي أيام سلطنته منح الإقطاعات وقف على فقهاء المالكية المدرسة الأفضلية[1]، وبجوارها أوقف قطاعاً من المدينة يقع بجوار المسجد وسور الأقصى من جهة الغرب، ويخرج إليها من أحد أبوابه، علماً بأن المسجد الأقصى يقع في الجنوب الشرقي من مدينة القدس، وأضحى معروفاً باسم حارة المغاربة[2]، كانت وقفاً كما يقول صاحب الأنس الجليل: "على طائفة المغاربة على اختلاف أجناسهم ذكورهم وإناثهم، وكان الوقف حين سلطنته على دمشق ولم يوجد لها كتاب، فكتب محضراً بالوقف لكل جهة، وثبت مضمونه لدى حكام الشرع الشريف بعد وفاة الواقف[3].

وكان للمغاربة مسجد تقام فيه الصلاة على المذهب المالكي، و حي يتضخم مع الزمن ،ويكتظ بالمغاربة والأندلسيين الوافدين، منهم الميسورون ،ومنهم الفقراء أيضاً، [4]وقام الشيخ عمر بن عبد الله بن عبد النبي المغربي المصمودي المجرد بتعمير زاوية بأعلى الحارة أنفق عليها من ماله، ووقفها على الفقراء والمساكين سنة 703هـ/1304م ،وإذا كان عمل الأفضل هذا اتجاه المغاربة نوعاً من المكافأة على خدماتهم في جيش أبيه فإن ظروفه فيما بعد وفاة أبيه، تجعل الاعتقاد أنه فعل ذلك بدافع من الاستعانة بقوتهم العسكرية للدفاع عن القدس[5] ،ولم يكن الإفرنج على ما يبدو غافلين عن هذه القيمة أو المكانة التي يشغلها المغاربة عند حكام الشام

=

السابق،ج.3 ، ص.203.

(1) كانت تقع في حي المغاربة بجوار الحرم القدسي من جهة الغرب ، وتنسب إلى مؤسسها الملك الأفضل نورالدين أبي الحسن علي بن الملك الناصر صلاح الدين المتوفى سنة 622هـ/1225م، الذي كان قد تلقى العلم على كثير من العلماء بالإسكندرية و بلاد الشام ، وكان الملك الأفضل قد أنشأ هذه المدرسة ووقفها سنة 589هـ/1193م على فقهاء المالكية ، الذين قدموا إلى بيت المقدس و أقاموا فيها ، وكان أكثرهم من أهل المغرب ، وظلت قائمة طوال العصرين الأيوبي و المملوكي ؛ انظر ابن خلكان ، المصدر السابق ،ج.3،ص ص.421،420.

(2) انظر الملاحق

(3)استمر ابنه الملك الأفضل، الذي تولى شؤون الشام وفلسطين، في العناية بالقدس، فجعلها مكاناً يقيم فيه ويستقبل فيه ضيوفه، وأنشأ المدرسة الأفضلية في حي المغاربة، بعد أن أوقف لهذه الحارة، التي بجوار المسجد الأقصى من الغرب، إلى القادمين من المغرب العربي طلباً لجوار القدس، وهي الحارة التي هدمها الإسرائيليون عند احتلالهم القدس عام 1967، ومن آثاره المسجد العمري، جنوب ساحة كنيسة القيامة ؛ ص.49الحنبلي مجير الدين ،المصدر السابق، ج.2،ص.397؛ شمس الدين الكيلاني،رمزية القدس الروحية، منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق ،2005،ص.44.

(4) انظر الملحق الرابع

(5)فقد اعتاد الحجاج المغاربة استكمال حجهم بزيارة القدس، وبعضهم يقضي بقية حياته فيها، في جوار بيت المقدس قرب الزاوية الجنوبية الغربية لحائط الحرم، وعندما اتسع وجودهم، أوقف لهم الأيوبيون قريتي عين المكارم، وقنطره، باسم شيخ المغاربة المالكي، الشيخ أبو مدين، لتموين مصاريف الحياة المغاربية، وهذه الحارة مجاورة لحائط البراق"؛ شمس الدين الكيلاني

=

، فقد حدث في سنة 626هـ/1230م أن حمل عدد كبير من أسرى جزيرة ميورقة إلى الساحل العربي الشامي، حيث تم افتكاكهم وقدموا إلى دمشق، يقول أبو شامة في صدد حديثه عن سنة 627هـ/1230م: "في هذه السنة جاء الخبر بأن الفرنج استولوا على جزيرة ميورقة، وقتلوا خلقاً كثيراً وأسروا كذلك، وقدموا بعض الأسرى إلى ساحل الشام، فاستفك منهم طائفة، فقدموا علينا دمشق وأخبروا بما جرى عليهم[1] ،وهذا دليل على مدى التقدير ،و الإعجاب الذي أظهره الأيوبيون للأندلسيين والمغاربة، لما قدموه من أعمال تجسد الأخوة الإسلامية خلال الحرب ضد الصليبيين، يضاف إلى ذلك، أنهم قوة جديدة تضاف إلى الموجودين القدماء، وهذا يدل على مدى الإعجاب الذي أظهره الأيوبيون للأندلسيين والمغاربة، لما قاموا به من أعمال مميزة ومخلصة خلال الحرب ضد الصليبيين.[2]

إن الاهتمام بمسألة فك الأسرى المغاربة من قبضة الفرنج ، و الارتقاء بها إلى مستوى الواجب الديني ،و اعتبارها سبيلا للفوز بالثواب ، إذ يذكر أسامة بن منقذ في سياق إشارته إلى سعيه لفك نحو أربع مئة من المغاربة وقعوا في اسر الفرنج ، أن معين الدين أنر ، صاحب دمشق أصر على أن يسهم بنفقات فك هؤلاء الأسرى ، قائلا لأسامة : «لا،بل أنا أزن و الله ثمنهم ، وأنا ارغب الناس في ثوابهم »[3].

وفي عام 665هـ /1267م ، اشترط السلطان بيبرس على أسياد صور الفرنج أن يطلقوا أسارى المغاربة كي يوافق على عقد هدنة معهم لمدة عشر سنين ، لم يقتصر أمر افتكاك الأسرى المغاربة على الحكام، بل تغلغل في وجدان جمهور المسلمين المشرقيين الذين لم يترددوا في بذل أموالهم فداء لأسرى المغاربة ، حتى «أن كل من يخرج من ماله وصية من المسلمين، بهذه الجهات الشامية وسواها، إنما يعيّنها في افتكاك المغاربة... فملوك أهل هذه الجهات من المسلمين، و الخواتين من النساء، وأهل اليسار والثراء إنما ينفقون أموالهم في هذه السبيل»[4].

في ظل تعرض بلاد الإسلام لهجمة صليبية شرسة ساد مناخ تعبوي في مختلف الأوساط الإسلامية ، أن يبادر عامة المسلمين و خاصتهم إلى قتال الفرنج بوصفه جهادا ضد أعداء الدين ، في ساحتيه المشرقية و المغربية ، لذلك لم يكن غريبا ، أن يسهم المغاربة المرتحلون إلى المشرق في مجاهدة الصليبيين ، و أن يلقوا

=

،نفسه،ص.45.

(1) أبو شامة ،المصدر السابق، ج.4،ص.159.

(2) أحمد علي ، الأندلسيون و المغاربة في بلاد الشام ، ص.305.

(3) نفسه،ص.306.

(4) ابن جبير، المصدر السابق، ص. 280 ؛ ممدوح حسين ومصطفى شاكر ، المرجع السابق ،ص ص. 214 ، 215.

بذلك التقدير و الثناء من إخوانهم المشرقيين ، في مقابل ما تعرضوا له من المضايقة و الأسر على أيدي الصليبيين[1] .

و بهذا يكون المغاربة قد أسهموا في دعم المشارقة ضد العدو الواحد ، و قد تعددت أشكال مشاركتهم مما حفظت لهم الجميل من لدن المشارقة ،و ذلك رغم وجود الصليبيين في حالة حروب مع المغاربة في الأندلس لكنهم أبوا إلا أن يشاركوا إخوانهم و قد كانت مشاركتهم متميزة تميز عطائهم العسكري و الخدماتي.

(1) أحمد حطيط ، مكانة المغاربة الاجتماعية بدمشق في زمن الحروب الصليبية، ص.229.

الفصل الرابع

مقارنة بين يوسف بن تاشفين و صلاح الدين الأيوبي ،و الإستراتيجية الحربية في معركتي حطين و الأرك.

المبحث الأول : المبحث الأول : الخصائص العامة و الخاصة بالرجلين

المبحث الثاني : الاهتمامات المشتركة للرجلين من أجل النهوض بأوضاع المجتمع مشرقا ومغربا

المبحث الثالث : الإستراتيجية الحربية في معركتي حطين و الأرك.

المبحث الأول : الخصائص العامة و الخاصة بالرجلين .

1 ـ المولد والاسم

ولد يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن تورفيت بن وارتقطين ، وكنيته أبو يعقوب، حوالي عام 410 هـ ، في بيت بني وارتقطين زعماء قبيلة لمتونة، وهي إحدى قبائل ثلاث (لمتونة وجدالة ومسوفة) اختصت بالسيادة على قبائل صنهاجة التي يبلغ تعدادها حوالي سبعين قبيلة، وتعرف بـ «صنهاجة اللثام» ،وعرف رجالها بـ «الملثمين»، وفي فترة لاحقة بـ «المرابطين» [1] ، وكانت مضارب لمتونة تمتد على المحيط الأطلسي من «وادي نون» جنوب مدينة تارودانت حتى رأس موغادور، و في المناطق الشمالية حول المدينة مقرا لبني وارتقطين فهي مكان مولد يوسف بن تاشفين و ملاعب طفولته[2] .

صلاح الدين الأيوبي هو يوسف وكنيته أبو المظفر[3] ،وما صلاح الدين إلا لقبه، فهو يوسف بن أيوب بن شادي (أو شاذي)، ولد سنة 532 هـ الموافق 1137-1138م بقلعة تكريت على نهر دجلة شمالي سامراء بالعراق [4] ، وكان جده شادي، وهو أحد زعماء الأكراد في بلدة «دُوين» التي تقع في أطراف إذربيجان القريبة من إيران، قد قدم إلى بغداد، يصحبه ولداه أيوب و شيركوه، لصداقة قديمة تربطه بـ «مجاهد الدين بهروز»، شحنة «حاكم» بغداد، فبعثه هذا إلى قلعة تكريت محافظاً عليها، وعندما توفي شادي، عهد بالقلعة إلى ابنه أيوب،وهناك ولد يوسف بن أيوب،وتذكر المراجع التاريخية أن الترحيل تم في اليوم التالي لولادته[5].

أن اسم «يوسف» من الأسماء القليلة الشيوع في العراق ، ومن الممكن أن نجم الدين أيوب، وهو زعيم عسكري عز عليه سيطرة الصليبيين على الأراضي المقدسة ،ويهددون بحملاتهم الشرق الإسلامي، قد بلغته أنباء انتصارات يوسف بن تاشفين في الأندلس، فأثر فيه وخلع اسمه على ولده صلاح الدين[6] .

---

(1) ابن خلدون،المصدر السابق، ج. 6، ص. 241.

(2) سعدون عباس نصر الله ، **دولة المرابطين في المغرب والاندلس عهد يوسف بن تاشفين** ، دار النهضة العربية ، ط.1، بيروت ، 1985،ص.35.

(3) أبو المحاسن بن تغري بردي الأتابكي،**النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ،دار الكتب العلمية ،ط.1،بيروت ، 1992، ج.6 ، ص.3 ؛ كما هنأ احد الشعراء الأندلسيين صلاح الدين قائلا :

أبا المظفر أنت المجتبي لهدى أخرى الزمان على خبر بخبرته؛ أبوشامة ، المصدر السابق، ج.2، صص.105، 106؛علي القاسمي، **بين يوسف بن تاشفين وصلاح الدين الأيوبي**، مجلة التاريخ العربي ،ع.17 ،المغرب ،2001، ص.162.

(4) تكريت : بلدة مشهورة بين بغداد و الموصل ، ولها قلعة حصينة تطل على غربي دجلة ؛ ياقوت الحموي ،المصدر السابق ، ج.1،ص.81.

(5) احمد الشامي ،**صلاح الدين و الصليبين**، مكتبة النهضة العربية ،ط.1،القاهرة ، 1991، ص.75.

(6) علي القاسمي ، نفسه ،ص.162.

2 ـ نسب و انتماء الرجلين

يوسف بن تاشفين ينتمي ، إلى قبائل صنهاجة، وهي قبائل بربرية على الرغم من أنها تعود في أصولها إلى جزيرة العرب، ولكن كتب التاريخ المقربة من المرابطين تقول عنه «إنه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت بن وارتقطين بن منصور بن أمية بن واتملي بن تامليت الحميري الصنهاجي اللمتوني من ولد شمس بن وائل بن حمير»[1] ، ويعلق الأستاذ علي القاسمي ، على هذا النسب قائلاً: «نتجاوز هذا التعريف، لأنه مجال نقاش، مقتصرين على أن يوسف بربري لمتوني من بني وارتقطين، لأن هذا الثبت يعرض مزيجاً من الأسماء لا يتفق والسياق التاريخي عند كل من العرب والبربر»، ويضيف معلقاً: «إن عوامل سياسية تعاونت على إيراد مثل هذه الأنساب، فالأمراء شجعوا عليها إدراكاً منهم بأن القوة والواقع لا يكفيان وحدهما في نظر شعوبهم، أو على الأقل رأوا أن انتسابهم إلى أصل عربي يزيد في تشبث هذه الشعوب بحكمهم» .[2]

و بالنسبة لصلاح الدين الأيوبي، فقد سبق و أن ذكرنا أن جده من زعماء الأكراد[3]، ولكن بعض المؤرخين ممن عاصروه وأبناءه السلاطين أوردوا له نسباً عربياً ينحدر من أسرة عربية الأصل نزلت عند الاكراد ، وانه من ولد شادي شادي بن مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين الذي كانت أمه كردية[4] ، ويقول قاضي القضاة ابن خلكان أن أباه وأهله من "دوين"، وهي بلدة في آخر أذربيجان، وأنهم أكراد روادية، والروادية بطن من الهذبانية، وهي قبيلة كبيرة من الأكراد[5] ، ويرى المقريزي في كتابه "السلوك لمعرفة دول الملوك" أن نسبة صلاح الدين إلى أصل عربي هو من أقوال الفقهاء الذين أرادوا التقرب منه والحظوة لديه[6]،ثم يقول قلعجي أن أن أسرة صلاح الدين كردية الأصل و قد استعربت[7].

3 ـ التعليم واللغة:

كان كل من يوسف ابن تاشفين ويوسف بن أيوب متفقهاً متضلعاً من دراسة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأصول الدين متمكناً من اللغة العربية، فقد اكتسبا تعليماً إسلامياً متكاملاً.

---

(1) ابن عذارى ،المصدر السابق ، ج.4 ،ص.46؛مجهول ،الحلل الموشية ،ص.18 ؛ابن أبي زرع ، المصدر السابق، ص.75.

(2) علي القاسمي ، المصدر السابق، ص ص. 163 ،164.

(3) ابن ثغري بردي ، المصدر السابق،ج.6،ص ص.4،5.

(4) أحمد مختار العبادي ،في تاريخ الايوبيين و المماليك ،ص.42.

(5) ابن خلكان،المصدر السابق،ج.7،ص.139.

(6) المقريزي ،المصدر السابق ،تحقيق محمد مصطفى زيادة،ج.1،ق.1،ص.41.

(7) قدري قلعجي،**صلاح الدين الأيوبي** ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر،ط.1 ،بيروت ،1991،الهامش1، ص.152.

ولكن بعض المؤرخين شككوا في معرفة يوسف بن تاشفين باللغة العربية ،ومنهم ابن خلكان إذ ذكر في ترجمته ليوسف بن تاشفين أن «يوسف بن تاشفين لا يعرف اللسان العربي لكنه يجيد فهم المقاصد» .[1]

إن يوسف بن تاشفين كان يجيد اللغة العربية إجادة تامة لأنه ترعرع في بيت زعامة من قبيلة لمتونة التي اختصت بالسيادة في قبائل صنهاجة، التي قد حسن إسلامها في القرن الثالث الهجري حتى أخذت تنشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، ولاشك أن أبناء البيوتات الميسورة هم أسبق إلى التعلم الذي هو فريضة على كل مسلم ومسلمة، واللغة العربية هي لغة القرآن والتعليم آنذاك ، ثم إن قبيلة يوسف بن تاشفين (لمتونة) كانت تزاول التجارة بين شمال الصحراء وجنوبها، وكانت العربية هي اللغة المشتركة في المعاملات التجارية بين القبائل الإفريقية ،و كغيره من زعماء حركة المرابطين يتلقون إعدادهم العلمي والجهادي سنوات عديدة في الرباط الذي أنشأه عبد الله بن ياسين المعلم الروحي للمرابطين، وكانوا في الرباط يعكفون على دراسة العلوم الإسلامية والتدرب على الجهاد. وترتبط مكانة المرابط بمدى تضلعه من العلوم الإسلامية، خاصة القرآن والحديث، وهذا ما مكّن أبا بكر بن عمر ـ أميرهم ـ من جمع السلطتين الدينية والدنيوية بيده بعد وفاة عبد الله بن ياسين، وقد جمعها كذلك ابن تاشفين. ولو كان يجهل العربية، لما استطاع أن يفعل ذلك[2].

أما صلاح الدين، فنشأ في أسرة من القادة والأمراء وتعلم عن أبيه أيوب فنون السياسة و الحروب ،و في كنف هذه البيئة تشبع بالدهاء السياسي والروح الحربية، كما تعلم علوم العصر الدينية ،فحفظ القرآن ،ودرس الفقه والحديث ،وتعلم طرائق الخير ،وفعل المعروف والاجتهاد في أمور الجهاد[3].

4 ـ الصفات الخلقية:

يشترك اليوسفان في التحلي بالأخلاق الإسلامية الفاضلة، وفي مقدمتها الإيمان الصادق والنية الخالصة لله والعمل الدائب لصالح المسلمين، فقد نُقل عن ابن تاشفين دعاؤه عند عبوره إلى الأندلس: «اللهم إن كنت تعلم أن في جوازي هذا خيراً وصلاحاً للمسلمين فسهّل علي جوز هذا البحر، وإن كان غير ذلك فصعّبه حتى لا أجوزه[4]».

---

(1) ابن خلكان،المصدر السابق، ج. 7، ص. 114.

(2) علي القاسمي، المرجع السابق، ص.163.

(3) ابن خلكان،نفسه، ج.7 ،ص.129.

(4) ابن أبي زرع،المصدر السابق ، ص. 83؛ الناصري،المصدر السابق ، ج.2، ص. 21.

أما صلاح الدين الأيوبي، فقد «كان كثيراً ما يقصد لقاء العدو في يوم الجمعة عند الصلاة تبركاً بدعاء المسلمين والخطباء على المنابر»[1]، وكان يصلي قبل المعركة داعياً الله تعالى أن ينصره على الكافرين ويصلي بعدها شاكراً الله نعمة النصر،ومن الأمثلة على إيمان صلاح الدين العميق بقضيته وتفضيله المصلحة العامة على مصلحته الشخصية ما روي إبان استعداده لفتح القدس، قال له المنجمون: «تفتح القدس وتذهب عينك الواحدة»، فقال: «رضيت أن أفتحه وأعمى».[2]

من الملامح الواضحة في شخصية صلاح الدين شغفه بالجهاد، قال القاضي ابن شداد: "وكان رحمه الله شديد المواظبة على الجهاد، عظيم الاهتمام به، ولو حلف حالف أنه ما أنفق بعد خروجه إلى الجهاد دينارًا إلا في الجهاد، وفي الإرفاد لصدق، وبر في يمينه، ولقد كان الجهاد قد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاء عظيمًا ، بحيث ما كان له حديث إلا فيه، ولا نظر إلا في آلته، ولا اهتمام إلا برجاله، ولا ميل إلا إلى من يذكره، ويحث عليه، ولقد هجر في محبته الجهاد أهله وولده ووطنه وسكنه، وقنع بالدين بالسكون في ظل خيمة تهب بها الرياح يمنة ويسرة، وكان الرجل إذا أراد أن يتقرب إليه يحثه على الجهاد[3].

وكان صلاح الدين زاهدًا في الدنيا؛ ولذلك لم يخلف أموالاً ولا أملاكًا[4] لجوده وكرمه وإحسانه إلى أمرائه وغيرهم، وحتى إلى أعدائه، وكان متقللًا في ملبسه، ومأكله، ومركبه، وكان لا يلبس إلا القطن والكتان والصوف كما كان مهتمًا بالعلوم في اللغة والأدب وأيام الناس، وكان يحفظ ديوان الحماسة لأبي تمام ،وكان مواظبًا على الصلوات في أوقاتها في الجماعة، يُقال: إنه لم تفته الجماعة في صلاة قبل وفاته بدهر طويل، حتى ولا في مرض موته، كان يدخل الإمام فيصلي به، وكان يتجشم القيام مع ضعفه ،وكان رقيق القلب سريع الدمعة عند سماع القرآن الكريم، والحديث الشريف، وكان مع ذلك ضحوك الوجه كثير البشر، لا يتضجر من خير يفعله، شديد المصابرة على الخيرات والطاعات[5].

وقد وصفت جميع المصادر التاريخية اليوسفين بالعدل، و«العدل أساس الملك»، ويقول ابن الأثير عن يوسف بن تاشفين:«كان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام»[1]، وكان من تسامح يوسف بن أيوب صلاح الدين أنه لما آلت إليه السلطة في مصر، احترم عقائد الناس شيعيين فاطميين كانوا

---

(1) ابن خلكان،المصدر السابق، ج.7،ص. 174.

(2) عبد الكريم كريم، ، "**رضيت أن أفتح القدس وأعمى**"، مجلة التاريخ العربي،ع.1،المغرب، 1996، ص. 36.

(3) أبو شامة ،المصدر السابق ، ج.4،ص ص.221،222.

(4) لم يترك في خزائنه عند موته سوى سبعة و أربعين درهما فضة ، ودينارا واحدا ذهبا ، و لم يترك من بعده دارا أو عقارا أو أملاكا أو أرضا مزروعة أو غير مزروعة ؛ انظر : احمد شامي ، المرجع السابق ، ص.80.

(5) ابن كثير ،المصدر السابق،ج.16 ،ص.658.

أم سنيين، مسيحيين أقباطاً أم مسلمين، وأخص لهم العمل، وعدل بينهم، فأحبه الشعب حتى إن الأقباط المصريين وضعوا صورته في كنائسهم، ما استدعى دهشة الشاعر عبد المنعم الأندلسي- فسجل مشاعره في قصيدة ورد فيها:

فحطوا بأرجاء الهياكل صورة   لك اعتقدوها كاعتقاد الأقانم[2]

إن السلطان صلاح الدين أثناء دخوله للقدس فاتحا عامل الصليبيين معاملة عطف ورحمة وإحسان ، ليعطي الصليبيين النموذج الطيب، والقدوة الصالحة في السماحة والعدل والعفو عند المقدرة، فأعطى للنصارى العاجزين الذين تركهم أمراؤهم ،ولم يجدوا من يعينهم أعطاهم أموالاً ودواب لتحمل أثقالهم إلى ما يريدون وأذن السلطان صلاح الدين لرجال الدين والناس كافة أن يحملوا معهم ما شاءوا من المتاع والأموال، فأخذوا ما شاءوا دون أن يعترضهم معترض، تاركين ما لا قِبل لهم بحمله، فابتاعه المسلمون منهم[3] ،مما سجل عنه انه كريما كثير العطاء ، لدرجة أن نواب خزائنه كانوا يخفون عنه شيئا من المال خشية ان يفاجئهم أمر مهم ، لعلمهم بأنه متى علم بوجود مال في الخزينة أخرجه و أنفقه. [4]

والمؤمن يكون وسطياً في الإنفاق، فلا يبذر ولا يجعل يده مغلولة، ولهذا يقول ابن خلكان: «كان يوسف بن تاشفين مقتصداً في أموره غير متطاول ولا مبذر»[5]،والتعفف من صفات اليوسفين، فعندما جمعت الغنائم بعد معركة الزلاقة وقدمت إلى يوسف بن تاشفين، عف عنها وآثر بها المسلمين من أبناء الأندلس مؤكداً أن مقصوده الجهاد والثواب عند الله[6]،ويلخص الناصري أخلاق ابن تاشفين، حينما يقول إن أشياخ المرابطين أقروا ولاية ابن تاشفين «لما يعلمون من فضله ودينه وشجاعته ونجدته وعدله وورعه وسداد رأيه ويمن نقيبته» [7].

=

(1) ابن الأثير،المصدر السابق ،ج.9 ،ص. 99.

(2) قدري قلعجي، المرجع السابق ،ص. 201.

(3) أبو شامة ، المصدر السابق ، ج.3 ، ص.220 ؛ابن كثير، المصدر السابق ، ج.16 ،ص. 658.

(4) احمد الشامي ، المرجع السابق ، ص.78.

(5) ابن خلكان،المصدر السابق ، ج. 7، ص. 120.

(6) الناصري، المصدر السابق، ج. 2، ص ص. 52 ،54.

(7) نفسه، ج .2، ص. 23.

5ـ تولي السلطة:

ومن المصادفات أن كلاً من يوسف بن تاشفين ويوسف بن أيوب لم يطلب السلطة ،ولم يسع إليها، وإنما جاءته منقادة بصورة غير متوقعة، فهما لم يرثا الإمارة عن أبويهما، ولم يتم انتخابهما من قبل مجلس من المجالس ، وإنما كانا يعملان مساعدين لقريبين لهما فحصل عارض ما لهذين القريبين وآلت الإمارة لليوسفين.[1]

كانت لعبد الله بن ياسين الزعامة الدينية وليحيى بن إبراهيم الزعامة الدنيوية[2]، فقد «كان يتولى النظر في أمر حربهم وعبد الله بن ياسين ينظر في ديانتهم وأحكامهم» [3]، وعندما توفي يحيى بن إبراهيم، جمع عبد الله بن ياسين رؤساء قبائل صنهاجة وتشاور معهم وولى عليهم يحيى بن عمر اللمتوني، وعندما توفي هذا عام 447هـ ، تم اختيار أخيه أبي بكر بن عمر أميراً للمرابطين، وحدث أن توفي عبد الله بن ياسين متأثراً بجراحه في إحدى المعارك، فجمع أبو بكر بن عمر الزعامتين الدينية والدنيوية في يديه، وكان المرابطون آنذاك يستعدون لغزو بلاد السوس، فعهد الأمير الجديد، أبو بكر بن عمر، إلى ابن عمه يوسف بن تاشفين بقيادة الجيش، فأظهر بن تاشفين من الكفاءة و الحنكة والشجاعة والحكمة ما مكنه من فتح مدينة تارودانت[4]، قاعدة بلاد السوس، ثم توجه إلى مدينة أغمات[5]ففتحها[6].

و يذكر ابن أبي دينار أن أمير المرابطين أبا بكر بن عمر عزم عام 453 هـ على الخروج إلى الصحراء للجهاد ونشر الدعوة الإسلامية، فاستخلف لابن عمه يوسف بن تاشفين وأقر ذلك أشياخ المرابطين[7]، وعندما وعندما عاد أبو بكر بن عمر من الصحراء بعد بضع سنين ورأى النجاح الكبير الذي حققه ابن عمه، ارتأى أن

---

(1) علي القاسمي، المرجع السابق ، ص.164.

(2) كانت ليحيى بن إبراهيم الجدالي نزعة إصلاحية، فتوجه إلى القيروان وطلب من شيخ الفقهاء عمران الفاسي أن يبعث معه أحد تلامذته ليفقه الملثمين في دينهم، وذلك حوالي عام 428 هـــ، فرأى الشيخ أن يبعث معه خطاباً إلى تلميذه وجاج بن زللو اللمطي الذي ابتنى له رباطاً في قلب الصحراء الكبرى في نفيس، اعتكف فيه هو وتلامذته للعلم والمعرفة والتعبد. وجاء في الخطاب: «ابعث إلى بلده من تثق بدينه وورعه وكثرة علمه وسياسته ليعلمهم القرآن وشرائع الإسلام ويفقههم في الدين، ولك وله في ذلك الثواب والأجر العظيم. والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً» ؛ فانتدب وجاج الفقيه عبد الله بن ياسين الذي رافق يحيى بن إبراهيم إلى بلاده، وابتنى فيها رباطاً يعلم فيه أصحابه يفقههم في الدين ويدربهم على الجهاد وسموا بالمرابطين «للزومهم رابطته»؛انظر ابن أبي زرع،المصدر السابق، ص ص.76، 77؛ الناصري، المصدر السابق ، ج.2، ص.5.

(3) ابن أبي زرع، نفسه ،ص.80.

(4) قاعدة بلاد السوس ، كان بها طائفة من الشيعة البجليين نسبة إلى مؤسسا علي بن عبد الله البجلي ، وقتل المرابطون أولئك الشيعة و تحول من بقي منهم إلى السنة ؛ سعدون عباس نصر الله ، المرجع السابق ،ص.29.

(5) مدينة مزدهرة حضاريا اذ كانت إحدى مراكز النصرانية القديمة و مقرا للبربر المتهودين ؛ نفسه، ص.29.

(6) حسن علي حسن ، **الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس** ، مكتبة الخانجي مصر ، ط.1 ، 1980 ،ص.26.

(7) ابن أبي دينار ، المصدر السابق،ص.130.

يدعه يواصل العمل الجيد الذي هو فيه، وبعد أن استتب الأمر لابن تاشفين، استدعى أمراء المغرب وأشياخ القبائل عام 464 هـ لمبايعته ،ولقب بأمير المسلمين، وقد اجتمعت له الزعامتان الدينيّة والدنيوية[1].

وإذا نظرنا إلى الظروف التي وصل فيها صلاح الدين إلى السلطة مرغما ، فعندما ذهب مع عمه أسد الدين شيركوه إلى مصر التي وصلوها في 2 جمادى الآخر سنة 558هـ الموافق 1164م[2] ،وكان في السابعة والعشرين من عمره، وبدت مهارته العسكرية في السنوات التالية حين قام شيركوه بفتح مدينة الإسكندرية في جولته الثانية إليها 562هـ/1167م[3] وترك ابن أخيه صلاح الدين نائباً عنه فيها مع ألف جندي فقط، واتجه هو على رأس الجزء الأكبر من قواته إلى الصعيد[4] فوقف صلاح الدين موقفاً "قوياً" متماسكاً من ملك بيت المقدس الصليبي الذي حاصره في الإسكندرية وشدد عليه الحصار على الرغم من قلة المؤن والرجال داخل الإسكندرية[5] ،واستمر في تماسكه حتى وصل عمه أسد الدين شيركوه بجنده إلى الإسكندرية، فعقد صلحاً مع الصليبيين تم بنتيجته فك الحصار وتبادل الأسرى، وحين دخل أسد الدين للمرة الثالثة إلى مصر سنحت له الظروف أن يتسلم الوزارة ولقب بالمنصور[6]، لكنه ما لبث أن توفي بعد شهرين في 22 جمادى الثانية سنة 564هـ/آذار 1169م ،خلفه فيها ابن أخيه صلاح الدين ولقب بالناصر في عهد الخليفة الفاطمي العاضد بالله[7].

نهض صلاح الدين بأعباء الوزارة بهمة واقتدار فاستمال الناس بالبذل والعطاء، واستقرت له القواعد واستتبت الأحوال على أحسن نظام، "وهانت عنده الدنيا فملكها وشكر نعمة الله عليه فتاب عن الخمر وأعرض عن أسباب اللهو ،وتقمص بلباس الجد والاجتهاد وما عاد عنه ولا ازداد إلا جداً"[8]، و يذكر ابن خلكان فتولى فتولى قائد الجيش ومساعده ابن أخيه صلاح الدين منصب الوزارة ،ولقب بالملك الناصر سنة 564 هـ (أي بعد مائة سنة من تولي يوسف بن تاشفين السلطة رسمياً في المغرب)[9].

(1) للمزيد عن مبايعة يوسف ابن تاشفين و طريقة وصوله السلطة ؛انظر:عنان ،المرجع السابق، العصر الثالث،ص ص.39،40.

(2) بهاء الدين بن شداد،**النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية** ،تحقيق جمال الدين شيال ،مكتبة الخانجي ،ط.2 ،القاهرة ، 1410هـ/1994م ص.75.

(3) نفسه،ص.46؛وانظر Sir Hamilton Gibb,the Life of Saladin, Oxford,Clarendon Press,1973,p.05.

(4) أبو شامة ،المصدر السابق ،ج. 2 ،ص.9 .

(5) أبو المحاسن بن تغري بردي الأتابكي، المصدر السابق، ج.6 ، ص ص.3،4 .

(6) ابن قاضي شهبة،**الكواكب الدرية في السيرة النورية**، تحقيق محمود زايد ، دار الكتاب الجديد،دط، بيروت،دت، ص.178.

(7) ابن شداد ، نفسه ،ص.80.

(8) نفسه، ص.81.

(9) ابن خلكان، المصدر السابق ،ج.7، ص. 154.

6 ـ علي بن يوسف بن تاشفين وعلي بن يوسف بن أيوب

ومن المصادفات الأخرى أن يوسف بن تاشفين قد خلف سبعة أبناء من عدد من النساء، و أختار لخلافته ابنه «علياً» الذي كان قد ولد له من جارية إسبانية مسيحية تدعى «قمر» ،وتكنى بـ «أم الحسن» أو «فاض الحسن»، رغم أن «عليّاً» هذا لم يكن أكبر أولاده، ولكنه توسم فيه الخير، وهكذا تولى إمارة المسلمين في المغرب والأندلس بعد وفاة والده يوسف بن تاشفين عام 500 هـ[1].

و بالنسبة لصلاح الدين الأيوبي، فقد خلف سبعة عشر ولداً ذكرا[2] ،و ابنة واحدة أكبرهم أسماه «عليّا» ،ويكنى بنور الدين، وقد خلف أباه صلاح الدين عند وفاته سنة 589 هـ ،وحمل لقب الملك الفاضل[3]. الفاضل[3].

و يمكن أن نسأل هل كان صلاح الدين الأيوبي هو أيضاً معجباً بيوسف بن تاشفين وابنه علي، لمقارعتهما الصليبيين في الغرب الإسلامي، فسمى ابنه البكر «عليّا»، أم تعود لعامل المصادفة لاغير.

المبحث الثاني : الاهتمامات المشتركة للرجلين من أجل النهوض بأوضاع المجتمع مشرقا ومغربا .

1 ـ جهود الرجلين من اجل توحيد كلمة الأمة و لم شملها .

إن سياسة اليوسفين اتجاه القضايا الجوهرية للأمة المتمثلة في القرارات ،والأعمال التي يقومان بها تدل دلالة على إيمان الرجلين العميق بوحدة الأمة الإسلامية ،ووحدة مصيرها،وهذا ما يوضح لنا إرسال يوسف بن تاشفين بسفارة إلى الخليفة العباسي ببغداد، فقد بعث بوفد يضم عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي وابنه القاضي أبي بكر، اللذين أطلعا الخليفة العباسي المستنصر بالله على أحوال المغرب وجهاد يوسف بن تاشفين من أجل رفع راية الإسلام خفاقة، وطلبا منه تقليد بالبلاد التي فتحها، وعاد الوفد بتقليد الخليفة وعهده لابن تاشفين، ومعلوم أن سلطة الخليفة العباسي كانت شكلية فقط، ولم يكن يوسف بن تاشفين بحاجة لعهد من الخليفة العباسي لممارسة سلطاته[4]، ولكنها مسألة مبدأ عند يوسف بن تاشفين الذي كان يؤمن بوحدة الأمة ووحدة الشرعية فيها، وكان يريد لإيمانه هذا أن يشيع بين الناس ويؤثر في سلوكهم، ولهذا اختار لقب أمير المسلمين لنفسه (وليس الخليفة أو أمير المؤمنين)[5]، وأمر يوسف بن تاشفين أن يذكر اسم الخليفة العباسي في

---

(1) سعدون عباس نصر الله ، المرجع السابق، ص.38.

(2) احمد الشامي ، المرجع السابق ، ص.81.

(3) ابن الكثير ، المصدر السابق ، ج.16 ، ص.655.

(4) ذلك بأن علماء الأندلس قالوا أثناء وجوده فيها بأن طاعته ليست واجبة حتى يخطب لخليفة و يطلب منه التقليد ؛ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج.8 ، ص.161.

(5) علي القاسمي ، المرجع السابق ، ص.168؛ويذكر عنان أن يوسف قد ضرب السكة ، وأصدر الدينار المرابطي و في أحد =

خطبة الجمعة ويذكر اسم ابن تاشفين بعده، ويضرب اسمه على صفحة من النقود التي تضربها دور السكة المغربية، ويضرب اسم ابن تاشفين على الصفحة الثانية(1).

ويتجلى الفكر الوحدوي لدى يوسف بن أيوب صلاح الدين ، فعندما انتهى إليه منصب الوزارة (السلطة الحقيقية) في مصر في ظل الخلافة الفاطمية التي كانت تنافس الخلافة العباسية، حتى كانت الجمعة الأولى من المحرم سنة 567هـ/10 أيلول 1171م حيث أمر خلع ذكر الخليفة الفاطمي كتب سنة 567 هـ إلى سائر البلاد المصرية بالخطبة للخليفة العباسي المستضيء بالله(2)، وكان سقوط الخلافة الفاطمية في مصر بعد قرنين من الزمن حدثاً عظيماً له دلالته الكبيرة، إذ أصبح العالم الإسلامي موحداً من الناحية الروحيّة، يدين بالولاء لخلافة واحدة، كما دأب صلاح الدين على السعي إلى الحصول على تفويض الخليفة في كل ما يقدم عليه من الأعمال ضماناً للشرعية وتأكيداً للوحدة الإسلامية.(3)

على الرغم من أن الغاية التي سعى إلى تحقيقها كل من يوسف بن تاشفين ويوسف بن أيوب واحدة ، وهي محاربة الصليبيين وإبعادهم عن ديار المسلمين، فإنهما لم يبادرا إلى ذلك، وإنما عملا على توحيد الجبهة الداخلية أولاً قبل التوجه إلى العدو ومقارعته، وقد استغرق التوحيد حوالي ستة وعشرين عاماً من جهود يوسف بن تاشفين وسبعة عشر عاماً من يوسف بن أيوب، والسبب في قصر المدة بالنسبة للثاني هو أن عملية التوحيد كانت قد بدأها في المشرق قبله عماد الدين زنكي أتابك الموصل وبعده ابنه نور الدين زنكي(4).

ويوسف بن تاشفين جاهد قبل كل شيء من أجل توحيد المغرب الذي كان مقسما بين قبائل البرغواطيين والمغراويين والزناتيين و اليفرينيين ، فقام بفتح مدنه واحدة واحدة: تارودانت، أغمات، فاس، تلمسان، وهران، طنجة، سبتة، و اثر هذا المجهود تحولت البلاد من حكم القبيلي إلى حكم الدولة، وبعد أن نجح

=

وجهيه «لا اله إلا الله ، محمد رسول الله » وتحت ذلك «أمير المسلمين يوسف بن تاشفين »، ونقش في مداره «و من يتبع غير الإسلام دينا، فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين »و كتب في الوجه الآخر «الإمام عبد الله أمير المؤمنين العباسي»؛ عنان ، المرجع السابق ، العصر الثالث، ص.40.

(1) يرجع حسين مؤنس علاقة المرابطين بالدولة العباسية إلى أيام أميرهم الأول أبي بكر اعتمادا على قطعة نقود مرابطية ضربت سنة 451هـــ نقش عليها اسم الخليفة القائم العباسي ، فيكون يوسف ابن تاشفين بعد معركة الزلاقة قد جدد الاتصال و لم يكن البادئ به؛ انظر : حسين مؤنس ، **سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين** ،مكتبة الثقافة الدينية ،ط.1 ،دم،2000/1420، ص.36.

(2) ابن واصل، المصدر السابق ، ج.1، ص.174.

(3) حمدي عبد المنعم محمد حسين ،**دراسات في تاريخ الأيوبيين و المماليك** ،دط، دار المعرفة الجامعية ،2000،ص ص.40 ،41؛علي القاسمي ، المرجع السابق ، ص.168.

(4) سعدون عباس نصر الله ، المرجع السابق ، ص.46 فما بعدها.

في ذلك، انتقل إلى الخطوة البارزة التي ظلت تراوده ألا وهي التحول من وحدة البلاد إلى وحدة الأمة، فاتخذ من الأندلس محطته الثانية ،و لم يكن الأندلس أكثر حالا من المغرب فكانت تشتته الفرقة في عهد ملوك الطوائف الذين كانوا منشغلين بالصراعات الداخلية ، وانشغلوا عن مجاهدة العدو بخلافاتهم المستمرة ومحاربة بعضهم بعضا، بل كان كثير منهم يتحالف مع العدو على إخوانه المسلمين، أو يذعن للعدو فيدفع له الجزية[1] ،فاستنجد به الأندلسيون، وقد تحقق له ذلك بعد حوالي ربع قرن تقريباً من توليه السلطة؛ إذ ذاك عبر إلى الأندلس والتحم مع جيوش الأسبان، التي تدعمها قوات إيطالية وفرنسية بمباركة البابا [2]، في معركة الزلاقة الشهيرة عام 479هـ التي كُتب له فيها النصر المؤزر[3] .

وكانت الأوضاع التي واجهت صلاح الدين الأيوبي في المشرق تشنه إلى حد بعيد لتلك الأوضاع التي عاشها يوسف بن تاشفين في المغرب، فعندما ضعفت الخلافة العباسية، استقل الأمراء بما تحت أيديهم من البلاد، وأمست سلطة الخليفة الفعلية لا تتعدى أسوار قصره[4]،

فقد عمل عماد الدين زنكي على تحقيق إنجاز عظيم بوضعه لمشروع رائد وهو مشروعه الوحدي التحُّرري ، والذي حقق ابنه نور الدين جُزئه الأوَّل وحقَّق صلاح الدين قسماً مُهمَّاً من جُزئه الثَّاني بعد أن ولي الأمر في مصر عام 564 هـ فقام بفتح بلاد النوبة في جنوبي مصر سنة 568 هـ ، وفي العام نفسه أرسل حملة إلى برقة وطرابلس الغرب وأطراف من تونس، وفي عام 569 هـ، بعث بجيش لفتح اليمن التي كانت تتقاسمها دويلات متصارعة فأعاد الخطبة فيها للخليفة العباسي، وعندما توفي نور الدين زنكي سنة 569 هـ، هدد النزاع بين ورثته تلك الوحدة التي سادت الشام قبل وفاته، وعاد الأمراء إلى منازعتهم وخلافاتهم وتحالفاتهم مع الصليبيين أن عام 1186م/582هـ شهد الاتفاق مع عز الدين مسعود صاحب الموصل على أن يكون تابعاً له، ولذلك استطاع أن يخضع الأربعة مدن الإسلامية الرئيسية التي تحكمت في الظهير البري وهي القاهرة، ودمشق، حلب، الموصل، وجميعها سيكون لها شأنها البارز في مشروع الجهاد[5] ،ولذلك نرى انتصار صلاح الدين في حطين تتويجاً لمشروع عماد الدين الوحدوي التحرُّرى الذي قام على عقيدة الإسلام الصحيحة التي تدعو للوحدة الإسلامية و الإخوة في الله التي لم تفرق بين الأتراك والأكراد والعرب والفرس ولا غيرها من الأمم التي انضوت تحت راية الإسلام ، ولقد تفاعلت العوامل التي ساعدت على الوحدة في عهد صلاح الدين مع الزمن والوقت وخضعت

(1) انظر: الفصل الثاني، المبحث الأول

(2) الناصري، المصدر السابق، ج. 2، ص. 31

(3) انظر: الفصل الثاني ، المبحث الثاني.

(4) انظر: الفصل الأول ،المبحث الثاني .

(5)محمد مؤنس عوض ، الحروب الصليبية، ص. 215.

وأعطت ثمارها في معركة حطين وتوجت بفتح بيت المقدس ،لم تأت انتصارات صلاح الدين من فراغ لان صلاح الدين الأيوبي كان يدرك أهمية العمل المزدوج توحيد الجبهة الإسلامية وجهاد الصليبيين، نظراً للترابط المعقود بينها .[1]

و من ناحية أخرى قام استجاب يوسف بن تاشفين إلى الأندلس بدعوة من أهلها، ملوكاً وفقهاء ورعايا. وهكذا قام بالجهاد وانتصر في موقعة الزلاقة الشهيرة عام 479 هـ ، وقفل راجعاً إلى المغرب، ولم يدر بخلده أن يعزل ملوك الطوائف أو يضم الأندلس إلى ملكه، ولكن الأوضاع سرعان ما تدهورت، لأن ملوك الطوائف عادوا إلى سابق عهدهم من الخصومات والمناكفات والتآمر بعضهم على بعض والتحالف مع العدو، فاضطر يوسف ابن تاشفين إلى أن يعود ثانية إلى الأندلس مجاهداً سنة 481 هـ وثالثة عام 483 هـ، وأخيراً، تأكد له أن لا مناص من عزل ملوك الطوائف وتوحيد الأندلس داخلياً ومع المغرب. ويمكن تلخيص الأسباب التي دعته إلى اتخاذ قراره بما يلي:

أ ـــ كتب يوسف بن تاشفين إلى ملوك الطوائف يدعوهم إلى الجهاد سنة 481 هـ، فلم يستجيبوا إلا عبد العزيز صاحب مرسية، فقد كتب القائد المرابطي سير بن أبي بكر، الذي بقي في الأندلس على رأس جيش لحماية بلاد المسلمين، إلى ابن تاشفين يقول: «إن الجيوش بالثغور مقيمة على مكابدة العدو وملازمة الحرب والقتال في أضيق العيش و أنكده، وملوك الأندلس في بلادهم وأهليهم في أرغد عيش وأطيبه»[2].

ب ـــ كانت الخلافات مستعرة بين ملوك الطوائف، مما كان يفت في عضدهم ويضعف شوكتهم. وكان بعضهم يصالح ألفونس السادس، ويدفع له الجزية، ويظاهره على المسلمين، كما فعل عبد الله بن بلكين بن باديس صاحب غرناطة؛ وكما فعل المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية وقرطبة بعد أن طلب منه سير بن أبي بكر قائد المرابطين في الأندلس تسليم البلاد[3].

ومن المصادفات العجيبة أن قرار نور الدين زنكي بتوجيه جيشه، الذي كان يقوده شيركوه ويضم صلاح الدين، من الشام إلى مصر سنة 558 هـ، جاء استجابة لطلب من الوزير الفاطمي شاور الذي كان في صراع مع منافسه في الوزارة الضرغام، وكان شاور يعتزم الاستعانة بنور الدين زنكي للتخلص من الضرغام، وعندما يتم له ذلك، يستعين بالصليبيين في الشام للتخلص من جيش نور الدين[4]، وعاد شيركوه وجيشه إلى مصر مرة ثانية

(1) علي محمد الصَّلاَّبي ، المرجع السابق ، ص.613.
(2) المقريزي،السلوك، ج. 6، ص. 151.
(3) الناصري،المصدر السابق، ج. 2، ص. 52 - 54.
(4) ابن خلكان،المصدر السابق، ج .7، ص ص. 146 ، 147.

عام 562 هـ بعد أن علم نور الدين وقائده شيركوه أن شاور كاتب الإفرنج، فاصطدم الجيش بجيش الصليبيين في مصر، وتم الاتفاق على أن يعود كلا الجيشين من حيث أتيا، ثم عاد شيركوه وجيشه إلى مصر عام 564 هـ بعد وصول الصليبيين إليها، وبعد أن تغلب على الصليبيين، رأى ضرورة التخلص من شاور ،واستلام الوزاة بنفسه[1]، وهذا يذكرنا بعبور يوسف بن تاشفين المتكرر إلى الأندلس لنصرة المسلمين ومحاربة العدو، ثم اقتناعه بضرورة اجتثاث الداء من الجذور والتخلص من ملوك الطوائف.

إن الظروف السياسية التي واجهت المسلمين في المشرق خلال القرن السادس الهجري كانت شبيهة إلى حد ما بتلك الظروف التي أحاقت بإخوانهم في الغرب الإسلامي خلال القرن الخامس الهجري، فبعد أن ضعفت الخلافة العباسية في القرن الرابع الهجري، استقل العمال والولاة بما تحت أيديهم من المدن والأراضي ، وانشغلوا بانقساماتهم الداخلية وتدنت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في البلاد، ما شجع الأوربيين على شن حملات صليبية متلاحقة تحت ذريعة تحرير الأراضي المقدسة، فاحتلوا شواطئ الشام، وأسسوا ممالك متحالفة في بيت المقدس وبقية المدن الساحلية، وأخذت حملاتهم تهدد مصر- التي كانت فيها الخلافة الفاطمية في أضعف أطوارها[2] ،وكان لابد من إصلاح الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في البلاد وتوحيد الجبهة الداخلية قبل التمكن من مقارعة الصليبيين والتغلب عليهم وتحرير القدس، وهذا ما خطط له عماد الدين زنكي وابنه نور الدين الذي أرسل جيشاً إلى مصر ثلاث مرات للدفاع عنها في وجه الحملات الصليبية، وشاءت القدرة الإلهية أن يكون صلاح الدين الأيوبي في ذلك الجيش، ويؤول الأمر إليه في مصر، فيعمل على توحيد الخلافة في العالم الإسلامي ويسير على النهج المرسوم في توحيد مصر والشام والسودان وليبيا واليمن والحجاز، ويصلح الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية استعداداً لمنازلة الصليبيين والتغلب عليهم في معركة حطين الشهيرة سنة 583 هـ[3].

وسيرة هذا البطل الإسلامي ومنهجيته في مجابهة العدو تذكرنا بسيرة البطل في الغرب الإسلامي خلال القرن الخامس الهجري (قبل قرن تقريباً من صلاح الدين الأيوبي) ،هو أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الذي كان يؤمن بوحدة الأمة الإسلامية، فحرص على تلقي تفويض الخليفة العباسي والخطبة له وضرب النقود باسمه، ثم توحيد مناطق المغرب المختلفة في دولة واحدة، وإصلاح الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، وبناء جيش قوي قبل أن يلبي دعوة مسلمي الأندلس ،ويهب لنجدتهم ،ويوقف خطر الصليبيين هناك في انتصاره عليهم في معركة الزلاقة الشهيرة سنة 479 هـ، وعندما بقي خطرهم ماثلاً بعد ذلك بسبب الخلافات المستمرة بين ملوك الطوائف

(1) محمد نجيب عبد الوهاب ،**السياسة الداخلية لنور الدين محمود زنكي** ، رسالة ماجستير ،الجامعة الإسلامية ،غزة، 1430هـ/2009م،ص.47.

(2) محمد مؤنس عوض، المرجع السابق ، ص.90؛ علي القاسمي، المرجع السابق،ص.170.

(3) محمد نجيب عبد الوهاب ، نفسه ، ص.16.

في الأندلس وتحالف بعضهم مع العدو وتقاعس بعضهم الآخر عن الجهاد، تأكد ليوسف بن تاشفين أن الحل الأساسي يتمثل في التخلص من ملوك الطوائف وتوحيد الأندلس والمغرب في دولة قوية واحدة قادرة على درء خطر الصليبين[1].

2 ـ نشر التعليم وتقريب العلماء و الإستفادة من مشورتهم:

لقد تولى اليوسفان السلطة في ظروف تاريخية وسياسية واجتماعية متشابهة تقريباً على الرغم من الفارقين الزماني والمكاني بينهما، التي تتلخص في تدهور العالم الإسلامي و انشقاق صفه في ظرف كان الصليبيون يحتلون أجزاء واسعة من أراضيه و متفقون للانقضاض عليه، لذلك انتهجا جملة من الخطوات الهادفة إلى الرفع همم المسلمين لتحضيرهم تحضيرا يجعلهم يدركون التحديات الحقيقية التي أصبحت تواجه الأمة الإسلامية ، إن دراسة السياسات التي اتبعاها تدلنا على تشابهها وتقاربها ، فالعقول الكبيرة تلتقي والأفكار العظيمة تتوافق .[2]

وكان تقدم الأمة الإسلامية وازدهار حضارتها قائمين على العلم والمعرفة والبحث، فهي أمة «اقرأ»، وكان التعليم والتعلم فيها «إجبارياً أو إلزامياً»، بالمصطلح المعاصر، لأن «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» ، ومن هنا كان قيام حركة المرابطين[3] ،ووصول يوسف بن تاشفين إلى سدة الحكم أساسه العلم و المعرفة وكان حسن السيرة خيرًا عادلًا يميل إلى أهل الدين والعلم ويكرمهم، ويصدر عن رأيهم [4] ،ولهذا كان أول شيء بناه يوسف بن تاشفين في مدينة مراكش التي أسسها «مسجداً للصلاة، وقصبة صغيرة لاختزان أمواله وسلاحه»[5] ، وسلاحه»[5] ، ويقول الناصري إن يوسف بن تاشفين، بعد أن دخل مدينة فاس: «أمر ببنيان المساجد في شوارعها وأزقتها، وأي زقاق لم يجد فيه مسجداً عاقب أهله»[6] ،وكانت أن المساجد في تلك الفترة تقوم بدور المدارس القرآنية التي يتعلم فيها الأطفال القراءة والكتابة والحساب وأمور دينهم، ولهذا تسمى هذه المدارس

---

(1) علي القاسمي ، المرجع السابق، ص.175.

(2) نفسه ، ص.168.

(3) فعبد الله بن ياسين، مؤسس حركة المرابطين، كان يعدّ نفسه معلماً روحياً قبل كل شيء، يعلم أصحابه القرآن ويفقههم في أصول دينهم وأحكامه؛ وعندما شرعوا في الجهاد، فإنهم كانوا يجاهدون القبائل التي حرفت تعاليم الإسلام وتفشى فيها الجهل؛ سعدون عباس نصر الله ، المرجع السابق،ص.26.

(4) ابن الأثير، المصدر السابق، ج.8،ص.448.

(5) ابن أبي زرع،المصدر السابق ، ص. 138.

(6) الناصري، المصدر السابق ،ج. 2، ص. 29.

القرآنية في المغرب بـ «المسيد»، وهي كلمة محرفة من «المسجد»، فإقامة المساجد بصورة إجبارية يعني يوم ذاك تعميم التعليم الإلزامي[1].

ويتبع نشر التعليم وتعميمه، تقريب العلماء وتوقيرهم والإكثار من مشورتهم والأخذ بها، فكان من عادة يوسف بن تاشفين أن يحصل على فتاوى الفقهاء قبل كل عمل كبير يقدم عليه، يقول ابن عذارى المراكشي- عنه:«كان يفضّل الفقهاء ويعظم العلماء ويصرف الأمور إليهم، ويأخذ فيها برأيهم، ويقضي- على نفسه بفتياهم»[2]، أما يوسف بن أيوب صلاح الدين، فقد اشتهرت مقولته: «لم أفتح البلاد بسيفي، وإنما برأي القاضي الفاضل»، وكان اليوسفان يؤمنان، بل يعملان كذلك، بالحكمة التي لخصها المتنبي بقوله:

الرأي قبل شجاعة الشجعان   هو أول وهي المحل الثاني[3]

كان صلاح الدين يلازم العلماء، ويجالسهم ويستشيرهم في الحروب والإدارة ويستمع إلى نصائحهم ويقدرها ،وكان يعتمد على بعضهم في إدارة ممالكه وكان أكثرهم مرافقة له في السراء والضراء وفي حله وترحاله القاضي الفاضل ، تأمل حديثه وتحليله لأهم أسباب النصر بعد توفيق الله تعالى حين يقول : ما فتحت البلاد بالعسكر، وإنما فتحتها بكلام الفاضل[4].

المبحث الثالث: الإستراتيجية الحربية في معركتي الأرك وحطين، التخطيط و مجرى المواجهتين و نتائجها.

1-معركة حطين 583هـ/1187م.

بعد النجاح الذي حققه السلطان صلاح الدين في إتمام السيطرة على المناطق الممتدة من النيل إلى الفرات ، إذ شكل قوة يسحب لها ألف حساب على الصعيدين الداخلي و الخارجي ، فعلى الصعيد الداخلي سانده و وثق به سكان الأقاليم التابعة له ،و التي سيطر عليها ، وعلى رأس هؤلاء الخليفة العباسي في بغداد[5] ، الصعيد الخارجي سعى السلطان السلجوقي ببلاد الأناضول إلى كسب صداقته ، أما الإمبراطورية البيزنطية

---

(1) علي القاسمي ، المرجع السابق،ص.176.

(2) ابن عذارى، المصدر السابق ،ج.4، ص.46.

(3) علي القاسمي، نفسه،ص.180.

(4) أبوشامة ، المصدر السابق ، ج.4،ص.221؛علي محمد الصَّلاَّبي ، المرجع السابق،ص.311.

(5) للمزيد انظر ، ابن واصل ،المصدر السابق ، ج.1 ،ص.181؛ أبوشامة ،نفسه، ج.3 ، ص.164 ؛ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج.10،ص.134.

فلم يتخوف لأنها هادنته سنة 581هـ/1185م [1] ،لذلك فقد حان الوقت المناسب للقيام بإعلان الجهاد العام ضد الغزو الفرنجي الذي اجتاح البلاد منذ ثماني و ثمانين سنة ، فقد رأى صلاح الدين انه مستعد للقيام بهذه الخطوة سيما وان ثروة مصر بين يديه ، خضعت كلا من دمشق و حلب لحكمه المباشر ،و ثبت أقدامه على الثغور التي يصل منها إمدادات أوربية ، فأحكم سيطرته على طول البحر المتوسط و البحر الأحمر ، واستعد لذلك و حصن أسوار الموصل الشمالية[2].

و جاءت الفرصة المواتية للقضاء على الإفرنج ففي مطلع سنة583هـ/1183م ، ضعفت مملكة القدس اللاتينية بسبب المنازعات الداخلية في قضية ولاية العرش إذ اعتلى بلدوين الخامس (1185-1186م) العرش بعد والده بلدوين الرابع (1184-1185م) ،و ما لبث أن مات الملك بلدوين الخامس و تلاه غاي دي لوزنيان (1186-1187م)ملكا ،وهذا برأي الإفرنج لا يستحق المنصب ، لأنه كان مكروها و ليس له سلطة في بلده و لا الخبرة الكافية في تنظيم الأمور قبل أن يأتي إلى القدس و في ظل هذه الظروف المواتية لهجوم صلاح الدين[3] .

أولا/ أسباب المعركة :

كان صلاح الدين محافظا على شروط المعاهدة التي أبرمت مع ملكة بيت المقدس سنة518هـ/1186م وانتظر الذريعة لقتال النصارى و جاءت الفرصة مناسبة بالنسبة لصلاح الدين ذلك أن البرنس أرناط صاحب الكرك الذي يشرف على طريق التجارة و الحج بين مصر و الشام و الحجاز لوقوعه شرقي البحر الميت بالأردن ،استولى على قافلة كبيرة في طريقها من مصر إلى الشام و اسر من فيها 518هـ/سنة1186م رغم الهدنة المبرمة بينه و بين صلاح الدين ،الذي حاول أن يسترد الأموال و الأسرى عن طريق المفاوضة و لكنه لم ينجح[4] ،و كان رد أرناط على يتسم بسوء الخلق ،و الإصرار على استفزاز صلاح الدين و المسلمين ،حيث رد على صلاح الدين قائلا :((قولوا لمحمد يخلصكم))[5].

---

(1) مها علي احمد الداغش ، **الحرم القدسي خلال العصر الأيوبي** ،رسالة ماجستير ،كلية الدراسات العليا الجامعة الاردنية ،افريل 2002 ، ص. 25.

(2) نفسه، ص.24.

(3) نفسه، ص.24؛ Sir Hamilton Gibb , op-cit , p.51

(4) احمد مختار العبادى ، في تاريخ الأيوبيين و المماليك ، ص.52.

(5) اسمت غنيم ، **الدولة الأيوبية و الصليبين** ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية، 1990 ،ص.34.

ولهذا لم يكن لصلاح الدين عذرا لئن يبطئ في الهجوم على الفرنجة على الرغم من أنه تروى في فعلة أرناط الأولى[1] ،فقام بتذكير الملك بالهدنة المبرمة بينهما ، وطلب من الملك (غاي لوزنيان)(1186-1187م)إعادة ما سلبه أرناط ، وان يطلق سراح الأسرى ، إلا أن الملك لم يكن قادرا على ردع أرناط ، لذلك فقد أعان السلطان صلاح الدين الأيوبي الجهاد ضد الإفرنج وعمم ذلك على البلاد الإسلامية لجمع القوى المسلمة و الاستعداد لحرب أرناط[2] .

هذا ما يرويه المؤرخون عن دوافع هذا الهجوم و أن كان من المعروف أن حادثة أرناط لم تكن إلا القطرة التي أفاضت الكأس لان صلاح كان قد اعد مخططه سلفا و لم تحوله في التنفيذ إلا الاستعدادات

ثانيا/ الزعامات في المعسكرين:

1- في معسكر المسلمين:

*صلاح الدين الأيوبي كان صلاح الدين من القادة العباقرة العظام ، ذا شخصية فذة نفاذة،وإرادة قوية لا تقهر ،ومعرفة بفنون الحرب و السياسة لا تجارى،وكان ذا خلق متين ،يتميز بروح إنسانية عالية و نبل،وقد نال إعجاب أعدائه و خصومه و تقديرهم قبل أصدقائه،و قال في ذلك أحد المؤرخين (والذي أدهش المسيحيين من أمر صلاح الدين هو مروءته شهامته و كرامته و كرمه و حلمه و محافظته على العهود)[3].

2- في معسكر النصارى :

* **غي لوسينيان :** اعتلى مملكة الفرنجة في بيت المقدس بعد اضطراب أوضاعها الداخلية إثر وفاة ملكيها بلدوين الرابع و بلدوين الخامس سنة 1186م ،و كان غي لوسينيان هذا رجلا ضعيفا اتصف بالتردد و سوء التدبير[4] لم يستطع أن يحظى باحترام أمراء دولته ، و على رأسهم أرناط صاحب حصن الكرك حيث عجز الملك عن ردعه فاتضح لصلاح الدين ذلك ،مما دفعة إلى التحرك من أجل وضع حد لأرناط[5].

---

(1) لان أرناط لم يقف عند الحد ، إذ قرر أن يعترض قافلة الحجيج القادمة من مكة إلى بلاد الشام و هذه القافلة تذكر الكتابات أنها كانت تحمل أخت صلاح الدين يصف إبن الأثير تلك القافلة بأنها قافلة عظيمة ، غزيرة الأموال ، كثيرة الرجال ؛ابن الأثير ، المصدر السابق، ج.9 ، ص. 166 ؛ وتشيع المراجع الصليبية أنه كان من بين الأسرى في تلك القافلة أخت صلاح الدين ، وهو خطأ لا يوجد ما يؤيده في أخبار المؤرخين المسلمين ، ولو كان الأمر كذلك لأشار إلى ذلك هؤلاء المؤرخين المعاصرين ، ويتضح مما ذكره أبو شامة أن أخت صلاح الدين أتت في قافلة أخرى قادمة من مكة المكرمة ووصلت إلى دمشق في صيف 580 هـ/ 1187 م ، أبو شامة ،المصدر السابق ، ج. 3 ، ص.176؛ Sir Hamilton Gibb , op-cit , p.51

(2) الأصفهاني ،المصدر السابق،ص.136؛المقريزي ،المصدر السابق،ج.1،ق.1،ص.92.

(3) صالح زهر الدين ، **موسوعة معارك العرب** ، دار الندوة الجديدة ، ط.1 ،بيروت ،1420هـ/ 2000م، ص.293.

(4) عبد الفتاح عاشور ، الأيوبيين و المماليك ،ص.60.

(5) صالح زهر الدين ، المرجع السابق،ص. 295.

***أرناط :** (ريجنالد)ولد هذا الأمير في شاتيون ، وهي بلدة صغيرة في واد نهر السين حوالي 1127م من أسرة نبيلة التحق بحملة لويس السابع و لم يبلغ العشرين من عمره ،و اشترك في حصار عسقلان عام 1153م تحت إمرة بلدوين الثالث ،و عرف من ذلك الحين بشجاعته و تهوره و حماسته و تزوج من كونستانسة ،أرملة ريموند أمير أنطاكية[1] ، الذي مات في ميدان القتال كان الأمير أرناط متعجرفا وفحا كثيرا [2]، أمير و صاحب حصن الكرك اتبع سياسة استفزازية جعلت صلاح الدين يفكر في ضرورة اتخاذ إجراء ، و لم يكن أرناط من طراز الفرسان الذين مجدتهم العصور الوسطى لحرصهم على أزهى مبادئ الفروسية و هو التمسك بالشرف ، وإنما عرف عنه حبه للسلب و النهب و نقض العهود و الاعتداء على الأبرياء المسالمين ، وقد استغل موقع إمارته –حصن الكرك – لقطع الطريق على القوافل الإسلامية بين مصر و الشام و الحجاز، وفي سنة 1182م/578ه شرع في تنفيذ خطة استهدفت طعن المسلمين في أقدس مقدساتهم[3].

ثالثا / أهداف صلاح الدين من المعركة :

لمجرد تحقيق صلاح الدين لوحدة الأمة ، شرع في تحقيق الأمر الذي يمثل اهتمامه الأساسي ، وهو تدمير الجيش الميداني للملكة الصليبية في القدس و الاستيلاء عليها ، ويريد من خلال معركة حطين تحقيق الأول و ذلك بنشر قوة إسلامية كبيرة موحدة في الوقت الصحيح و المكان الصحيح ،و الأمر يتعدى هذه الغاية لان صلاح الدين ليس قائد عسكري فحسب ،بل أيضا رجل دولة يسعى للاستيلاء القدس كنتيجة لتدمير الجيش الميداني للفرنجة [4].

(1) أنطاكية : تقع أنطاكية على نهر العاصي (الأورنت) على مسافة 12 ميلاً من البحر ، فتحها المسلمون على يد أبي عبيدة عامر بن الجراح سنة 32 هـ/ 638 م أثناء فتح الشام ، وبقيت في يد المسلمين حتى استولى عليها الإمبراطور نقفور فوكاس سنة358 هـ/ 969م ، ثم عادت إلى يد المسلمين عندما فتحها سليمان بن قتلمش سنة 477 هـ/ 1085 م ، فلما مات انتقلت إلى حوزة السلطان ملكشاه فعين عليها ياغى سيان التركي، والذي حكمها 10 سنوات ،ثم سقطت في يد الصليبيين ، وتتمتع أنطاكية بجغرافيه فريدة ، ولعبت دوراً كبيرًا في الحروب الصليبية ، وكانت عزيزة على النصارى، فقد أقام بها بطرس أول أسقفية و بها العديد من الكنائس معمولة بالذهب ، والزجاج الملون والبلاط ، لمزيد من التفاصيل؛ أنظر : ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج. 8 ، ص.480.ص 126؛ ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج. 1، ص. 354.

(2) عبد الرحمن زكى ،**الجيش المصري في العصر الإسلامي** ،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ،دت،ص.134.

(3) عبد الفتاح عاشور ،المرجع السابق ،ص.60.

(4)ديفيد جاكسون ،**معركة حطين و الاستيلاء على القدس** ،ندوة بعنوان800عام حطين صلاح الدين و العمل العربي الموحد ، دار الشروق ،ط.1، القاهرة ، 1989،ص.89.

رابعا/ الاستعداد للمعركة (حشد القوى):

1- حشد المسلمين:

قدرت مصادر الفرنج فرسان المسلمين ب (12000)فارس إضافة إلى الكثيرين من المتطوعين الذين زادوا عدد جيش المسلمين حتى أوصلوه إلى (18000) مقاتل[1] ، أما أبو شامة فيذكر أن العدد هو 25000موزعين على الفرسان 12000 ، و المشاة 13000 عدا المتطوعين و هم كثر[2] ،و في يوم الجمعة 26خزيران 1187 أيام قليلة قبل حطين استعرض صلاح الدين جنده في حوران ، وتولى هو القلب ، وولى ابن أخيه تقي الدين قيادة الجناح الأيمن ، وكوكبرى قيادة الجناح الأيسر. و انتظر في الطرف الجنوبي لبحيرة طبريا خمسة أيام ،كانت طلائعه خلالها تجمع المعلومات عن الفرنج.[3]

بعد أن تمكن صلاح الدين من منع اعتداء أرناط على قافلة الحجاج بعد أن وصلت إلى مصر بسلام و عمم ذلك على البلاد الإسلامية لجمع القوى الإسلامية[4] ،و التي تتمثل في الموارد البشرية وعدة القتال و استعد لقتال أرناط ،بعدها اتجه من دمشق إلى بصرى ثم إلى عشترا ليحول دون اعتداء أرناط على قافلة الحجاج المذكورة سابقا ، وقد تمكن صلاح الدين من منع أرناط من الاعتداء على القافلة ، ثم اتجه إلى الكرك و معه اثنا عشر ألف فارس ، فحاصرها و افسد مزروعاتها ، وفعل نفس الشيء في الشوبك ، ثم التقى بابنه العادل القادم من مصر على رأس حملة كبيرة[5] ،وبرفقة العادل اتجه إلى حوران حيث الأفضل و قد تجمعت حوله حشود المسلمين و قد وصفهم الأصفهاني بمايلي :«...و الملك الأفضل ولده مقيم برأس الماء ،في جمع عظيم من العظماء ...و الجيش الجائش و الجنود (المجندة) و الفيالق الفوالق ....»[6].

---

(1) Steven Runciman . op cit, p.490.

(2) أبوشامة ، المصدر السابق ،ج.3 ،ص.176.

(3) Steven Runciman . Ibid.p.490؛ محمود إبراهيم،**حطين بين أخبار مؤرخيها و شعر معاصريها** ، دار البشير ، الطبعة الأولى،عمان،1987،ص.24 .

(4) كان صلاح الدين آنئذ بدمشق فأرسل إلى جميع الأطراف باستدعاء العساكر للسير لحرب أرناط ، انظر ؛ ديفيد جاكسون ،المرجع السابق،ص.90.

(5) ابن واصل ، المصدر السابق ،ج.2 ،ص ص.187، 188 ؛المقريزي ، المصدر السابق ،ج.1 ،ص.91.

(6) عماد الدين الكاتب الأصفهاني ،المصدر السابق، ص.140.

2- حشد النصارى:

بعد فتح طبرية من قبل صلاح الدين اصدر الملك جاي لوزنان قرار التعبئة العامة أعقبها انضمام الداوية[1] ،و الإسبتارية [2] بكل ما لديهم من فرسان و أموال.[3]

كان جند الفرنج يضم إضافة إلى المقاتلين الذين وفدوا من مختلف أقطار أوربية مختلفة ، مقاتلين من السكان المحليين الذين غالبا ما كانوا أبناء لأزواج مختلفي الديانة و قد كان يطلق عليهم التركبوليون [4] احتشد الإفرنج في صفورية و معهم صليب الصلبوت[5] ،و بلغ عددهم نحو ستين ألف ألف موزعين كالآتي : التركبوليين هؤلاء الجنود المحليين كانوا خيالة ، وبعضهم كانوا من الرماة ، وكثيرا ما كانوا يستخدمون للاستطلاع إلا أن القوة الضاربة الرئيسية في جيش الإفرنج كانوا الفرسان، وقد اختلفت التقديرات حول عدد رجال الجيش الفرنجي الذي تجمع تحت قيادة ملك القدس ، أورد ستيفن رنسمان أرقاما متباينة عنه ، منها انه كان يتألف من 1000 فارس من مملكة القدس ، و1200فارس دفع الملك هنري الثاني أجورهم 4000 تركبولي Turcopolis 32000 من المشاة بينما يقدر مصدر إفرنجي ثان أن مجموع جند الفرنج كان 20000جندي ، يقول مصدر آخر أن الجيش كان يتألف من 1000

---

(1) طائفة من فرسان الفرنج حبسوا أنفاسهم لقتال المسلمين ، و قد أطلق المسلمون هذا الاسم على فرسان المعبد (Templars)و هم الجماعة التي أسسها (Hugue de paynes) سنة513هـ /1119م لحماية طريق حجاج النصارى بين يافا و القدس ، ثم أصبحت هيئة دينية حربية لها شأنها في الحروب الصليبية ؛ انظر عاشور ،الحركة الصليبية ،ج1 ،ص.487؛ Henry treece , The Crusades , London , 1962 , pp.172-174

(2) جماعة من فرسان الفرنج ، تأسست بعد استيلائهم على بيت المقدس سنة492هـ/1098م، وكان هدفها الأول علاج المرضى ، وإيواء الحجاج و مساعدتهم ، انظر عاشور،نفسه،ج1،ص.486؛Henry treece,Ibid,pp. 171-172

(3) اتحاد المؤرخين العرب ،ملامح خطة صلاح الدين العسكرية لتحرير القدس ،800عام حطين صلاح الدين و العمل العربي الموحد ، ص.115.

(4) التركبوليين :التسمية الغربية لهذا النوع من الجند Turcopolis ، لا شك أن هذه التسمية توحي بأصول تركية لهؤلاء الجنود إذ أن نصارى ذلك الوقت الذين كتبوا عن الحروب الصليبية كانوا يسمون أعدائهم في بلاد الشام باسم الأتراك ، لان العنصر التركي كان هو العنصر الغالب في جيوش المسلمين لبان حكم السلاجقة للبلاد أثناء قدوم أول حملة صليبية ثم عهد الزنكيين و عهد صلاح الدين ؛ نفسه ،ص.181.

(5)هو قطعة من الخشب يعتقد الصليبيون بأن المسيح (عليه السلام)صلب عليه ، ولذلك أصبح هذا الصليب مقدسا ، وجاء به البطريرك من المقدس ليرفع في المركز ضد المسلمين ، اعتقادا منهم بأنه ينقذهم في أوقات الأزمات ؛ نفسه،ص.114.

، إضافة إلى 200فارس جهزهم الملك هنري الثاني و 50الى 60 فارس أتى بهم صاحب أنطاكية [1] ، ثم تتفاوت التقديرات الإفرنجية بعد ذلك تفاوتا كبيرا في تقديراتها لمجموع المقاتلين مابين 9000 و 40000 و 50000 مقاتل و بعد أن أورد رنسيمان هذه التقديرات رأى هو أن الجيش الإفرنجي لم يتعدى 15000 مقاتل و أن جيش المسلمين لم يتعدى 18000 بين فارس و راجل [2] ، ويفصل رانسيمان تقديراته عن جيش الفرنج بقوله انه في أواخر حزيران سنة1187 ، اجتمع للفرنج 1200فارس بكامل سلاحهم ، إضافة إلى عدد اكبر من الخيالة المحليين الخفيفي التسليح والتركبوليين و حوالي عشرة آلاف من المشاة ، إلا أن العماد الأصفهاني و جمال الدين ابن واصل يقدران جيش الفرنج بخمسين ألف أو ما يزيد على ذلك الرقم [3] ، وقد كان فرسان الفرنج أفضل تسليحا من أي جند للمسلمين إلا أن خيالة المسلمين كانوا أفضل من فرسان الفرنج. [4]

خامسا/ خطة المعركة

1- خطة المسلمين :

قام صلاح الدين بتأمين خطوط المواصلات بين دمشق و فلسطين ومصر و الجزيرة العربية ففي سنة 580ه/1184م أوعز إلى أمير عز الدين أسامة بن منقذ (واليه في دمشق) إليه الشروع في بناء قلعة بين دمشق في الجنوب و فلسطين في الشمال الغربي ، وذلك للحفاظ على طرق المواصلات و السيطرة على الأراضي الممتدة بين غور الأردن في الشمال و إقليم الشراه في الجنوب، و قد وقع اختيار الأمير عز الدين أسامة على جبل عوف ليبني على قمته قلعة عجلون [5]، وذلك لما تتمتع به هذه القمة من أهمية إستراتيجية ، تحقق

---

(1)Steven Runciman , Op.cit, p.490.
(2)Ibid,p.490

(3) انظر ، الأصفهاني ، المصدر السابق ، ص.143؛ ابن واصل ، المصدر السابق ،ص.189.

(4) Steven Runciman , Ibid, p.490.

(5) لقد بنيت القلعة بخصائص تناسب أهميتها الإستراتيجية و الدفاعية ، إذ أحيطت بخندق عميق يتراوح عرضه بين (10 -15 م)و عبأ بالماء ليحول دون وصول الغرباء إليها بسهولة و لا يمكن الدخول لبوابتها الوحيدة إلا بواسطة جسر خشبي ، وقد زودت بمخازن و غرف للقادة وآبار في طابقها الأرضي يبلغ طولها سبعين مترا ، وعرضها خمسين مترا ، هذا و قد أحيطت بست ابراج مربعة ، ثلاثة من الشرق و ثلاثة من الغرب ، وقد زودت بنوافذ للمراقبة و فتحات لإطلاق الأسلحة الدفاعية بالإضافة إلى احتوائها على محطات للحمام الزاجل الذي كان يتداول الرسائل بين القاهرة و دمشق ؛انظر ، أحمد علي الداغش،المرجع السابق ،ص. 26.

أهداف صلاح الدين الأيوبي التي تمثل بالإطاحة بمملكة اللاتين في بيت المقدس ثم الحيلولة دون توسعهم في جنوب الأردن ،و بالتالي إسقاط قلاعهم في كل من الكرك و الشوبك.[(1)]

و يمكن إجمال أهمية جبال عوف الإستراتيجية بأنها المكان الذي يمكن من خلاله مراقبة المنطقة المحاذية لوادي الأردن من طبرية حتى البحر الميت ، ثم مراقبة فلسطين ، إذ أن جبال عجلون تشرف على سلسلة جبال فلسطين الممتدة من القدس و حتى صفد[(2)] ،بهذا فقد كانت عجلون أمل السلطان صلاح الدين كونها مكانا لتركز المؤن و المقاتلين القادمين من الشام و مصر فكانت قاعدة للتخزين ، والإمداد ، التجهيز ، ومحطة للإنذار و مركزا للاتصالات و حلقة وصل مابين دمشق و فلسطين و مصر[(3)].

كان أمام صلاح الدين خطتان ، الأولى أن يقف أمام الصليبيين في معركة فاصلة ، والثانية أن يتابع الخطة القديمة من إغارات متكررة و نهب وسبي دون معركة فاصلة حتى يضعف الفرنج أولا ثم يضرب الضربة القاضية ،و لكنه فضل الخطة الأولى و لعل اكبر ما دفعه إلى اختيارها شدة حماسته ، قد قال مرة : أن الأمور لا تجري بحكم الإنسان و لا نعلم قدر الباقي من أعمارنا و لا ينبغي أن نفرق هذا الجمع إلا بعد جد الجد[(4)].

وهكذا تجمع اثنا عشر ألف من المقاتلين و اتجه بهم صلاح الدين يوم الجمعة 17ربيع الآخر 583ه/1187م، وتمركز في المنطقة المحيطة ببحيرة طبرية ، بعد أن رتبهم أطلابا [(5)]، حيث سهر صلاح الدين الأيوبي إلى أن عين مقدمي كل مجموعة من المجموعات عسكره حسب التشكيلات العسكرية التي كانت متبعة في ذلك الزمن (الطلب =الأمير)و قد عين قبل المعركة لكل أمير موقعا في الميمنة و الميسرة لا يتحول عنه ، وكان ما فرقه من النشاب أربعمائة حمل ،ووقف سبعين عجلة من العجلات التي تجرها الخيل[(6)].

وقد رأى صلاح الدين أن التخطيط العسكري السليم يقتضي احتلال مدينة طبريا قبل بدء المعركة مع الإفرنج[(7)] ،و لم يجد جنده صعوبة في احتلال المدينة إذ أنهم احتلوها بعد ساعة واحدة من القتال يوم 21 ربيع

---

(1) أبوشامة ، المصدر السابق ،ج.3،ص.135.

(2) سعد المومني ،**القلاع الإسلامية في الأردن الفترة الأيوبية والمملوكية** ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ،عمان ،1985،ص.81.

(3)نفسه،ص.82.

(4) عبد الرحمن زكى ، المرجع السابق ،ص.136.

(5) الأطلاب : جمع طلب و هي كلمة كروية معناها الأمير الذي يقود مائتي فارس في ميدان القتال ، وتطلق على قائد المائة أو السبعين ، وأول ما استعمل هذا اللفظ بمصر و الشام أيام صلاح الدين ثم عدل مدلوله و أصبح يطلق على الكتيبة ؛ انظر الأصفهاني ، المصدر السابق ، ص.143؛ اتحاد المؤرخين العرب ،المرجع السابق ، ص.113 .

(6) أبوشامة ، نفسه ،ج. 3 ،ص.178؛الأصفهاني، نفسه ،ص.144.

(7) تقع طبرية فوق جبل مطل على بحيرة طبرية ، وعليها صور حصين ، وبحيرتها لا تعيش فيها حيوانات ، كانت في أيدي =

الآخر 583هـ [1]، وبهذه الخطة استطاع المسلمين بقيادة صلاح الدين استدراج القوات الفرنجية نحو طبرية فتوجه بقواته باتجاه غرب طبرية في حين كان الإفرنج على سفح جبل طبرية (قرون حطين)، وبهذا سيطر المسلمون على ماء البحيرة و حالوا دون الفرنج و الماء وقد أنهكهم الحر و قلة الماء ، فقام بمحاصرتهم و الإحاطة بهم ، وأمر بإشعال النار لإنهاكهم ، وقد ساعدت حركة الرياح بتوجه الحرارة و الدخان نحوهم و أبادت أعداد غير قليلة من المقاتلين ،و انتهت هذه الأحداث باستسلام الملك غاي دي لوزنيان و حاشيته[2].

وتبدو أن سياسة صلاح الدين العسكرية تعتمد على إخراج أعدائه إلى ساحات القتال الواسعة بعيدا عن الظروف الملائمة ومما يدل على أن صلاح الدين كان يخطط لمثل هذا الأمر ، وانه كان ينوي القضاء على الصليبيين و تحرير أرض الشام من أيديهم ، مقاله لعسكره عندما سمع بمغادرة الصليبيين صفورية : هذا ما نريد و نحن أولو بأس شديد و إذ صحت كسرتهم فطبرية و جميع الساحل ما دونه مانع و لا عن فتحه وازع[3].

وفي الوقت الذي استعد فيه الصليبيون للهجوم ،كان صلاح الدين عن ذكر الأصفهاني –يسهر الليل ، ويعين مواضع القتال لأجناده ، ويأمر بملء الجعاب و كنائنها بالنبال ، حتى انه فرق من النشاب أربعمائة حمل ،كما عين سبعين موضعا ملأها بالنشاب ، ليقصدها من عسكره من خلت جعابه منها[4].

2- خطة النصارى :

كان الصليبيون بصدد دراسة إحدى الخطتين : إحداهما هجومية تقدم بها البرنس أرناط ، والأخرى دفاعية تقدم بها ريموند الذي نصح الملك والنبلاء بحكم معرفته بظروف المنطقة و صداقته لصلاح الدين بعدم مغادرة صفورية التي كانت مركز تجمع القوات الصليبية[5].

عمل الفرنج على أن يكون على جناحي جيشهم حواجز طبيعية ، وعلى أن يكون لهم احتياطي تعبوي (تكتيكي) ،و لذلك تجمع جيش الفرنج عند قرية صفورية ، وكانوا و هم هناك في وضع جغرافي طوبوغرافي جيد [6]، وكان من رأي الكونت ريموند أن يتخذ الفرنج موقفا دفاعيا قبل تبدأ معركة حطين ، و رأى كذلك عدم

=

المسلمين إلى أن ملكها الصليبيون سنة 492هـ و بقيت بأيديهم حتى استردها صلاح الدين سنة583هـ ؛ انظر :اتحاد المؤرخين العرب ،المرجع السابق ، ص.114، الهامش واحد.

(1) أبوشامة ، المصدر السابق ،ج.3 ،ص.188.

(2) ابن الأثير ،المصدر السابق ،ج.10، ص.145 ؛المقريزي ،المصدر السابق،ج.1،ص.92.

(3) أبوشامة ، نفسه ،ج.3،ص.179.

(4) نفسه ،ج.3، ص.180؛ اتحاد المؤرخين العرب ،المرجع السابق ، ص.116.

(5)نفسه ، ص.115.

(6) ابن شداد ، المصدر السابق ،ص.75 ؛ محمود إبراهيم ،المرجع السابق، ص.27.

الاستجابة لاستغاثة زوجته اسكيف لاستعادة طبريا ، بعد أن احتلها صلاح الدين ، ولم يبق فيها بيدها إلا القلعة ، و ذلك خوفا على جيش الفرنج ، ثم خوفا بعد ذلك على ضياع مملكة القدس ، إذا هزم هذا الجيش ، وهو برأيه هذا يسير على سياسة تقليدية عند الفرنج بعدم الدخول دخول معارك حاسمة مع جيش أكبر ، لكون أن هذا الجيش سوف يتفرق بعد انتهاء موسم الحملات[1] ، وتختلف هذه الرواية عن موقف الكونت ريموند ، إلا أن العماد الأصفهاني ذكر أن الكونت حرض الفرنج على منازلة جيش صلاح الدين بعد أن سمع باحتلال صلاح الدين طبريا[2] ،و تذكر المصادر الغربية أن بعض كتاب الفرنج اتهموا فرسان ريموند بأنهم أخبروا صلاح الدين عن الطريق الذي سوف يسلكه جيش الفرنج في زحفه نحو حطين ، وانه عندما حذر الكونت من الزحف إلى موقع المعركة في ظروف غير مواتية ، ومنها شدة الحر ، اتهمه جيرارد مقدم الفرسان الهيكليين Grand master Gerard ،و أرناط صاحب الكرك و الشوبك Renault of Chatillon بالجبن و انه باع نفسه للمسلمين.[3]

ومهما يكن من أمر فان الجيش الفرنجي الذي كان قد تجمع في صفورية في خمسين ألف مقاتل حسب تقديرات ابن واصل غادر معسكره بتحريض من جيرارد و أرناط على الرغم من نصيحة الكونت ريموند صباح الجمعة 24 ربيع الآخر 583/ 3 جويلية 1187 ، متجها إلى طبريا.[4]

3- تحليل الخطتين :

في صباح يوم الجمعة 24ربيع الآخر 583هـ/3جويلية1187 عسكر الصليبيون على جبل طبرية في منطقة تعرف باللوبيا[5] ،فأسرع صلاح الدين إلى التقدم نحوهم و الاصطدام بهم ، قبل أن ينتقلوا إلى موضع آخر يتحصنون فيه لان المنطقة التي وصل إليها الصليبيون كانت أرضا مكشوفة خالية من كل شيء عدا حرارة الشمس المحرقة و الحصى و الرمال ، وكان صلاح الدين قد ردم من هذه المنطقة صهاريج المياه ، ومنع الصليبيين

(1) محمود إبراهيم ،المرجع السابق ، ص.27.

(2)أشار عماد الأصفهاني على أن الكونت ريموند كان قد نصح قبل ذلك بالحذر و عدم التعجل في مواجهة صلاح الدين ؛ الأصفهاني ، المصدر السابق ، ص.165فما بعدها.

(3) Steven Runciman , op cit,pp.455-487

(4) ابن واصل ، المصدر السابق ، ج.2، ص.189؛ محمود إبراهيم ، نفسه ، ص.28.

(5) لأنه لم يستطع الوصول إلى طبرية إذ تعرض لوطأة الحر و تكاثف الغبار و شدة العطش و تعرضه لسهام خيالة المسلمين و لأجل التحضير للدخول في المعركة ؛ انظر :نفسه ، ص.28.

من القرب من المياه القريبة من طبرية لذلك وجد الصليبيون من العطش كبيرا ، و لما وجدوا أنهم لا يقوون على المسير بسبب الإنهاك و العطش قرروا المبيت فوق الهضبة بعيدا عن خطر المسلمين[1] .

و في صباح اليوم التالي السبت 25ربيع الآخر اكتشف الصليبيون أنهم محاصرون بعيدا عن الماء[2]،مما عرضهم للهزيمة التي لم تكن نتيجة لضعف أو فساد كان فيهم ،و إنما كانت قيادتهم ضعيفة وقابلهم جيش موحد من المسلمين له قائد محنك ، ولم تكن لقلة عددهم و عتادهم و إنما للخطة العسكرية الجيدة و السياسة الحكيمة التي اتبعها في إعداده للمعركة و مشاركته الفعلية فيها[3] ،فقد أحسن اختيار أرض المعركة وزمن وقوعها الذي كان في شهر تموز أشد أشهر السنة حرارة و أقله ماء في الصهاريج إضافة إلى انه عسكر بجيشه على طبرية ،و بذلك أصبح بجيشه حائلا بين الصليبيين و الماء ، و العديد من الصهاريج المنتشرة في المنطقة ،فأصبح العطش و الحر الناتج عن إشعاله للنار و حرارة الصيف ،هذه من بين الأسلحة التي استخدمها صلاح الدين ضد عدوه ، إضافة إلى أن وجوده وسط ساحة المعركة كان من العوامل المهمة التي دفعت بالجيش إلى الاستماتة في القتال حيث كان يصيح قائلا كذب الشيطان [4] ،فيعيد الثقة إلى نفوس أصحابه ،و يذكرهم بان الهزيمة من الشيطان وان المعركة إنما هي جهاد في سبيل الله و مضى كذلك حتى النهاية.[5]

سادسا/ سير القتال :

1- المرحلة الافتتاحية:

بعد أن قام صلاح الدين بحركة تعبئة شاملة ، استعد لحركة الجهاد الكبرى ، وقد اختار أن يقيم في تلك المرحلة بدمشق ، وعندما اكتملت استعداداته خرج صلاح الدين من دمشق في منتصف مارس 1187م/583ھ قصد الكرك أولا (ونازلها و قطع أشجارها ، ثم قصد الشوبك و فعل بها مثل ذلك) ومنها اتجه الى بانياس – قرب طبرية –لمراقبة الموقف.[6]

وفي ذلك الوقت جمع الملك جاي لوزجنان جيوشه في الناصرة ، فدارت المعركة الأولى بين المسلمين و الصليبيين قرب صفورية في ماي 1187م/583ھ وفيها سقط معظم الجيش الصليبي بين قتلى و جرحى

---

(1) أبو شامة ، المصدر السابق ،ج 3،ص176-179؛ ابن واصل ، نفسه ،ج.2، ص.192-194.

(2) ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج.10،ص.146؛ العماد الأصفهاني، المصدر السابق،ص.103-111؛ المقريزي ، المصدر السابق ،ج.1،ص.93.

(3) Ranil.W.H, Islam and The west ,Edink wah, London ,1966. p.246.

(4) ابن الأثير ، نفسه ، ج. 10،ص.146،ابن واصل ، المصدر السابق ،ج. 2،ص.191.

(5) اتحاد المؤرخين العرب ،المرجع السابق ، ص.119.

(6) المقريزي ، نفسه،ج.1 ص.93

و أسرى مما جعل ريموند الثالث ينقض عهده مع صلاح الدين و ينضم إلى الجيوش الصليبية التي تجمعت في صفورية استعدادا للانتقام.[1]

في يوم السبت عبر صلاح الدين بجيشه نهر الأردن جنوبي طبرية وبات برجاله تلك الليلة عند الاقحوانة ، و أرسل العيون لمعرفة مواقع العدو ثم سار إلى تل كفرسبت جنوبي غربي طبرية محاولا الاشتباك مع الفرنجة ، فلم ينهضوا لملاقاته ، فترك حينئذ في ذلك المكان نخبة من جيشه ، و زحف بالقسم الباقي منه إلى طبرية نفسها فاستولى عليها في 24 ربيع الثاني /2جويلية و لكن البارونة ايشيف زوج ريموند امتنعت في قلعة طبرية مع أولادها و حاشيتها ، و أرسلت إلى الملك غي في صفورية تدعوه إلى إنقاذها[2].

وما زال الفرنج حتى حملوا الملك على إصدار أمره للجيش بالزحف عند الفجر لملاقاة الأعداء ، فانحدروا نحو طبرية كالجبال المتحركة ، وعلم صلاح الدين في غداة اليوم الخامس و العشرين من ربيع الثاني 3 جويلية بتحرك جيش الفرنجة نحو طبرية و كان السلطان يريد استدراجهم إليه ليحاربهم في معركة مكشوفة و ارض خالية من كل شيء ،و كان قد ادخر جهده وجهد رجاله [3] ، فلما قيل له أنهم تركوا مواقعهم في صفورية لمهاجمته هتف فرحا : - الحمد لله.. هذا ما كنت أرجوه[4]،وما لبث إن أضرم النار في طبرية ، ورجع إلى حيث ترك نخبة نخبة جنوده غربي المدينة ، وأمرهم بالاستيلاء على موارد الماء لندرته في تلك الفلاة القفر فلما وصل الفرنجة إلى ذلك الأتون الذي استدرجهم إليه بين لوبيا وحطين ، بعد أن اجتازوا ستة عشر ميلا ، وقد أدركهم التعب و أجهدهم العطش ، لوعورة الطريق و حرارة الجو و قلة الماء ، تعذر عليهم الحصول على الماء لإرواء ضمئهم ،ولم يكن معهم منه إلا القليل الذي يحملونهم في جعبهم ، وهجمت عليهم جيوش المسلمين وهم على هذه الحال ، فنالت منهم منالا عظيم ، وهي تحمل تارة على طليعة الجيش الذي يقوده الكونت ريمون ، ثم ترتد قبل أن يتمكن الفرنجة من الالتحام معها ، وتلتف تارة لتهاجم مؤخرته حيث يسير فرسان الهيكل و فرسان المستشفى و فصيلة رين ودي شاتيون ، وتنقض تارة أخرى على القلب حيث يسير الملك ،و قد أحاط به كبار الأمراء [5].

و استولى التعب و الإعياء على الرجال و الجياد قبيل الغروب ، وصاح الجنود في قوادهم يطلبون الماء و ليس في المكان ماء و وقف الكونت ريمون أمام الملك يتوسل إليه لن يأمر بمواصلة الزحف ، كي يشق الجيش

(1) ابن الأثير ،نفسه ج.10،ص.148؛ عبد الفتاح عاشور ، الأيوبيين و المماليك ،ص.63 ؛ قدري قلعجي ، المرجع السابق ،ج.2 ، ص. 314.

(2) ابن شداد ، المصدر السابق ، ص.18 .

(3) أبوشامة ،المصدر السابق،ج.3 ،ص.177؛عبد الفتاح عاشور،الحركة الصليبية ، ج.2 ، ص.804.

(4) قدري قلعجي ، المرجع السابق ،ج.2 ،ص.316.

(5) نفسه ، ج.2 ،ص. 318.

المجهد طريقا إلى البحيرة ، فيجد الراحة و الطمأنينة ، ويستعيد نشاطه و عزيمته ، ولكن غي دو لوسيان أجاب و هو اشد ما يكون حيرة و قلقا ،انه لا يستطيع إصدار مثل ذلك الأمر،لان الجنود لا يريدون السير خطوة واحدة في هذا اليوم [(1)].

2-مرحلة القتال المتلاحم :

سارع الفرنجة إلى تلال حطين فلاذوا بها و باتوا فيها على أسوا حال ، وزحف السلطان بجيشه ليلا فأحاط بتلك التلال من جميع جهاتها ، ورتب نظام الجيش ، وأوقف كل جماعة في مكانها استعدادا للمصاف وفي فجر اليوم التالي الجمعة 26 ربيع الثاني 4جويلية كان صلاح الدين يتخير لحروبه هذا اليوم لتفاؤله به ، التحم الجيشين على بعد ميلين من حطين ، وكان المسلمين هم المبادرين بالهجوم إذ اخذوا يطلقون على العدو سهامهم فتجندل الفرسان و الجياد ، حتى عمت الفوضى في صفوف الفرنجة ، ثم انقضوا عليهم انقضاض الصخور المنحدرة من الجبال ،و هم يصيحون و يهللون ، و أخذوا يقاتلونهم وجها لوجه ، فالتحمت السيوف ،و اشتبكت الرماح ،و تقارعت العصي ، وارتفع الصليل و الهيل و الصراخ ، وصلاح الدين يكر تارة على هذه الجماعة ، ويغير تارة على تلك ، أو يعود إلى صفوف جنوده ينظمهم و يحثهم على الإقدام و الاستبسال[(2)].

لقد أبدى الفرنج ضروبا مدهشة من الشجاعة و الثبات ، وبالمقابل يقوم المسلمون بإشعال النار و بإلقائها على الفرنجة فيضاعف لهيبها و دخانها من اضطرابهم و تضعضعهم ،و قد اجتمع عليهم " نار الضرام ، و نار الأوام ،و نار السهام "[(3)]، و كان يوما قانطا ساكن الهواء تحرك الجيش الصليبي من بساتين صفورية باتجاه طبرية لنجدة الأميرة الصليبية في قلعتها ،و في الطريق تحالف الحر و العطش و مع مناوشات الجنود المسلمين و هجماتهم الخفيفة لإرهاق الصليبيين ، وبعد ظهر اليوم وصلت طلائع الجيش الصليبي إلى الهضبة التي تعلو حطين مباشرة و عندما رأى ريموند الموقع الذي اختاره الصليبيون صاح بأسى يا الهي لقد انتهت الحرب أن مصيرنا الهلاك و سوف تنتهي المملكة ... لقد أساء الصليبيون اختيار معسكرهم و لا بد أن صلاح الدين قد ابتهج تماما بما حدث فقد جاءت فرصته أخيرا.[(4)]

و قد أمضى الصليبيون ليلتهم ليلة حالكة السواد يؤرقهم اليأس و تضنيهم أصوات الصلوات و التكبيرات المنبعثة من معسكر المسلمين القريب ، وخرجت مجموعة صغيرة من الجنود يدفعهم اليأس للبحث عن الماء و يطلبون لأنفسهم الموت على أيدي المسلمين ، ولكي يزيد صلاح الدين من متاعب الصليبيين أمر بإضرام النار

---

(1) نفسه ، ج.2 ،ص. 318.

(2)قدري قلعجي ، المرجع السابق ، ج.2 ، ص.319.

(3) أبو شامة،المصدر السابق،ج.3 ،ص.177.

(4) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج.10 ،ص.149؛ احمد الشامي ، المرجع السابق، ص.128.

النيران في الحشائش الموجودة في المنطقة و تحت جنح الليل حرك صلاح الدين جيشه ليحاصر جيش الصليبيين ، وعندما لاحت تباشير فجر يوم السبت الرابع من جويلية كان الجيش الصليبي محاصرا بحيث لا تستطيع قطة أن تنفذ من هذا الحصار على حد تعبير الشامي(1) .

و سرعان ما بدأ الهجوم الإسلامي بعد شروق الشمس ،و كان هناك شيء واحد يشغل بال المشاة الصليبيين هو كيف يمكنهم الحصول على الماء فحاولوا أن يشقوا طريقهم بالقوة صوب البحيرة وفي الحال لقي كثيرون مصرعهم ، ووقع كثيرون في الأسر وفي خضم المعركة المحتدمة حاول ريمون أمير طرابلس أن يجد ثغرة يحطم بها الحصار الإسلامي ، ولكن تقي الدين عمر بن شاهنشاه ، ابن أخي صلاح الدين و قائد إحدى الفرق الإسلامية ، أحس بمحاولته فتظاهر بالهزيمة و أفسح لريمون طريق الخروج ثم احكم الحصار مرة أخرى حول الجيش الصليبي بحيث فصل جيش ريمون عن بقية الجيش الصليبي فسارع بالهروب إلى طرابلس ثم هرب اثنان آخران من قادة الجيوش الإسلامية(2) .

3- مرحلة الحسم و المطاردة و استثمار النصر :

شن المسلمون هجومهم الحاسم على الصليبيين و قتل أسقف عكا و استولى المسلمون على الصليبي الأعظم ،و لم تنج من خيول فرسان الصليبيين سوى قلة قليلة ، وعندما وصل المسلمون المنتصرون إلى أعلى التل كان الفرسان الصليبيون و ملكهم في المنتصف يرقدون متهالكين لا يكادون يقدرون على رفع سيوفهم لكي يستسلموا للمسلمين ، وسيق الملك الصليبي وقادة جيشه إلى خيمة السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب(3) ،وبذلك انهزم الصليبيون هزيمة نكراء حولتهم جميعا مابين قتيل و أسير ، وبلغ عدد قتلاهم عشرة آلاف و أسر ملك بيت المقدس و أرناط موقد شرارة هذه الحرب (4)، استمر نشاط صلاح الدين ضد الصليبيين ، ضمن خطة عسكرية اقتضت توجيه القوات الأيوبية نحو المدن الساحلية التي يحتلها الصليبيون و يرى الباحث أنها تهدف لتحقيق الأهداف التالية :قطع الطريق على الصليبيين في أوربا و منعهم تقديم الدعم للصليبيين في الشرق ، وفتح الطريق أمام القوات الأيوبية في مصر ، لضرب أية تحركات أوربية ،و للإسهام بالضغط على الصليبيين ، و استرجاع البلاد منهم ، ثم استكمال تطويق الكيانات الصليبية ، في ملكة بيت المقدس ،و أنطاكية

---

(1) نفسه،ص.129.

(2) أبوشامة ، المصدر السابق،ج.3،ص ص.189 ،190 ؛Steven Runciman , op cit,pp.191،192.

(3) قاسم عبد قاسم ، علي السيد علي ، **الأيوبيين و المماليك** ، عين للدراسات و البحوث في الإنسانية و الاجتماعية ،عين شمس،دت، ص ص.58،59.

(4) للمزيد حول استسلام الصليبيين ، انظر ، ابن واصل ،المصدر السابق ج.2 ،ص ص.194 ،195؛سعيد عاشور، الحركة الصليبية ،ج.2،ص.780.

، وطرابلس عن طريق البحر ، بعد أن تم تطويقها عن طريق البر، و في صورة ما وقع ذلك تتجه القوات العسكرية الأيوبية نحو بيت المقدس ، والمدن الداخلية في مملكة بيت المقدس، و الإمارات الصليبية لتصفيتها [1]، وعلى الصعيد الميداني فقد أثمرت الخطة بتحقيق أهداف كبيرة فقد تم تحرير عكا[2] ، وقيسارية ، ونابلس[3] ،ويافا[4] ، وصيدا[5] ، وحيفا ،وتبنين ،و بيروت[6] ،و جبيل ،و عسقلان[7] .

تمكن صلاح الدين من قتل عدد كبير منهم ، وأسر مقدميهم ، وكان منهم الملك جفري[8] الذي فقد كل فرسانه و لم يبق منهم إلا مائة و خمسون فارسا فالتف المسلمون حولهم و أسروهم كما أسروا البرنس أرناط و أخا الملك و ابن الهنفرى و ابن صاحبة طبرية و مقدم الداوية و الاسبتارية،و صاحب جبيل ولم ينج إلا الفونس الذي هرب إلى صور في بداية المعركة ، وقد أمر صلاح بقتل مقدمي الداوية و الاسبتارية كما هو قتل بيده البرنس أرناط لأنه كان قد نذر دمه لاعتداءاته المتكررة على قوافل المسلمين و تهجمه على النبي محمد ﷺ بينما أكرم الملك جاي و عومل بالإحسان[9].

لقد كان نصر حطين ساحقا بدرجة جعلت أحد المؤرخين المعاصرين لها يقول :و كان من يرى الاسرى من كثرتهم لا يظن هناك قتلى فإذا رأى القتلى حسب أنه لم يكن هناك أسرى أو بعبارة أخرى كانت حطين أفدح من مجرد كارثة حربية حلت بالصليبيين ، إذ تم فيها أسر ملك بيت المقدس و ضياع هيبته[10].

---

(1) عبير احمد عطاالله، **موقف العلماء و الأدباء من الصليبيين في العصر الأيوبي**، رسالة ماجستير ، جامعة مؤتة ،مؤتة، 2002، ص.120.

(2) اتجه صلاح الدين إلى عكا لتحقيق اتصال بحري بين مصر و بلاد الشام و دخلها بعد أن سلم جوساين الثالث حاكمها مفتاح المدينة ، بعد أن أمنهم صلاح الدين على أرواحهم ،و أنفسهم ، وممتلكاهم ، وفوض صلاح الدين الأيوبي أمر المدينة إلى ولده الأفضل نور الدين علي ؛ انظر ابن واصل ،المصدر السابق ،ج.2،ص.201؛ W.B.Stevenson ,op cit , p.204.

(3) فتح صلاح الدين نابلس بالأمان ؛ انظر :ابن واصل ، نفسه ، ج.2،ص.204

(4) هاجم العادل يافا ، وبعد مقاومة ، سقطت بيده ؛ انظر: نفسه ،ج.2،ص.204.

(5) دخلت صيدا تحت سيطرة صلاح الدين ، بعد أن استسلمت دون مقاومة ؛ انظر ، نفسه، ص.206.

(6) حاصر صلاح الدين بيروت لمدة ثمانية أيام ، و تسلمها بعد أن امن أهلها ، على أنفسهم و أموالهم ؛ نفسه .

(7) حاصر صلاح الدين عسقلان ، وظل أهلها من الصليبيين يقاومون حتى نفذت إمكانياتهم ، ودخلها بعد أن امن أهلها من الصليبيين بناء على طلبهم ؛ انظر: ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج.10 ، ص.153.

(8) ابن كثير ، المصدر السابق ،ج.12،ص.330-332.

(9) اتحاد المؤرخين العرب ، المرجع السابق ، ص.120.

(10) أبو شامة ، المصدر السابق ،ج.3،ص.187

2- معركة الأرك[1]:

سجل التاريخ الحافل للدولة الموحدية أحداث حافلة بالانتصارات تبرهن على القيمة العظمى للكيان العسكري الذي حرص خليفتهم الأول عبد المؤمن بن علي ،ومن جاء بعده الخلفاء الموحدون على إيجاده ،و بهذا الكيان العسكري حققوا انتصارات رائعا.

أولا/أسباب المعركة :

1-الموقف على الجبهة الموحدية

بعدما تولى الخليفة يعقوب المنصور مهام الخلافة هدأت الحرب في الأندلس لعدة أعوام نتيجة مرض أبي يوسف المنصور في مراكش لأنه كان يرغب في تولي أمر الجهاد بنفسه لولا الخلاف الذي وقع بين ملوك الأسبان في تلك الفترة[2] ،ثم انشغاله بثورات المغاربة في افريقية [3]، وعندما توجه المنصور لإخماد إحدى تلك الثورات في المغرب الأوسط ، قام ملك البرتغال سانشو الأول باحتلال مدينة شلب المسلمة -تعرف الآن باسم سلفش (Silves)- بمساعدة القوات الصليبية[4] ،وكان ذلك في عام 1191 م ،مما دفع بالمنصور إلى العبور إلى الأندلس استجابة لأهلها فاسترد مدينتي شلب و قصر أبي دانس من مملكة البرتغال ،و أثناء وجود قوات الموحدين خشي الفونسو من أن يتوجه الموحدون صوبه فأسرع للخليفة الموحدي يعرض عليه معاهدة

---

(1) الأرك: حصن على بعد عشرين كيلومترا إلى الشمال الغربي من قلعة رباح، على أحد فروع نهر وادي آنه ، وهي نقطة الحدود بين قشتالة والأندلس في حينه . تجهز الفونسو الثامن ملك قشتالة للقاء الجيش الإسلامي منذ سمع بعبور الموحدين وطلب العون من ملكي ليون وونبارة ؛انظر الحميري ، المصدر السابق ، ص.12 ؛ الصلابي ، دولة الموحدين، ص.174 ؛ شوقي أبو خليل ،**الأرك بقيادة يعقوب المنصور الموحدي** ، دار الفكر،ط.1 دمشق و بيروت ، 1979 ،ص.49.

(2) للمزيد حول الخلاف الذي وقع بين ملوك الأسبان في تلك الفترة ؛ انظر :محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ،عصر الموحدين ،ج.5 ،ص.40 -45 .

(3) حيث قام بنو غانية و هم فلول من المرابطين بميورقة و نزلوا في بجاية و استولوا على الجزء الشرقي من بلاد المغرب و تحالفوا مع قراقوش الغزي و بعض القبائل العربية بافريقية ، توجه أبو يوسف على رأس حملة كبرى لمحاربتهم و بعد هزيمة مبدئية للموحدين ، الحق أبو يوسف بالثائرين هزيمة كبرى أكتوبر 1187، إلا أن هذه الهزيمة لم تقض على بني غانية و ظلوا شوكة تقض مضاجع دولة الموحدين زهاء نصف قرن ؛ للمزيد انظر : ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص.287 ؛ محمد عبد الله عنان ، نفسه ،ج.5، ص.165؛ هشام أبو رميلة ،**علاقة الموحدين بالممالك النصرانية و الدول الإسلامية في الأندلس** ، دار الفرقان ، ط.1،عمان،1404هـ/ 1984م ،ص.143.

(4) في صيف 1189 رسا في لشبونة أسطول صليبي كان يضم محاربين من فلاندرز ،و انجلترا أبرموا اتفاقا مع ملك البرتغال شانجة الأول لمهاجمة مدينة شلب في 20رجب 585ه/3سبتمبر 1189م، ونزح سكانها عنها ، وتوجه معظمهم إلى اشبيلية ،و استغاثوا بالمنصور ، الذي استنفر الناس للجهاد ؛ انظر فتحي زغروت ،**الجيوش الإسلامية و حركة التغيير في دولتي المرابطين و الموحدين** ، دار التوزيع و النشر الإسلامية ،الطبعة الأولى ،القاهرة ، 2005،ص.324 ؛ الصلابي ، نفسه ، ص. 51.

صلح [1]،وهكذا سلكت مملكة قشتالة مع الدولة الموحدية سياسة ذات شقين الأول طلب الود و الصلح معها ، و الثاني القيام بعدة غزوات فقامت منذ 585هـ/1189م بثلاث غزوات متوالية ،فكانت الأولى و الثانية بقيادة مطران طليطلة [2]،و قادة جمعية فرسان قلعة رياح ، أما الغزوة الثالثة فكانت بقيادة الفونسو نفسه ، و استولى النصارى خلال هذه الغزوات الثلاث على بعض الحصون ، وقتلوا الرجال و سبوا النساء و الأولاد ، فعم الفزع و الخوف جراء ذلك [3] ، وتذكر المصادر لما انقضت مدة الهدنة أرسل ألفونسو جيشا كثيفا إلى بلاد المسلمين بلغ الجزيرة الخضراء فنهب وعاث فسادا في أراضيهم ،وكانت هذه الحملة استفزازية وتخويفية أتبعها ألفونسو بخطاب للسلطان يعقوب المنصور يهدده ، و يتوعد ، و يطلب منه التنازل عن بعض الحصون الأندلسية المتاخمة يدعوه فيه إلى مواجهته وقتاله فلما قرأ السلطان المنصور الخطاب ، استفز المنصور و عزم على تأديب الفونسو في تماديه على المسلمين.[4]

2- الموقف على الجبهة النصرانية :

لقد حرص الفونسو الثامن طوال مدة الهدنة على إيقاف الحرب بالأندلس ، وعدم إثارة المسلمين ضده ليتفرغ إلى فض النزاع بين ملوك النصارى في تلك الآونة وبتعيين مارتن دي سيرجا مطرانا لطليطلة خلفا للمطران جونزالو ،راح المطران الجديد يثير حربا صليبية ضد المسلمين ، وشكلوا حملة كبيرة ضد مسلمي الأندلس هاجمت البلاد إلى أقصى الجنوب تخرب و تدمر و تسيء النساء والأطفال.[5]

ولم يقنع بذلك بل حرض الفونسو الثامن ملك قشتالة على القيام بخرق الهدنة و الإعداد لحملة صليبية كبرى فانصاع له و كتب إلى الخليفة المنصور كتابا يدعوه فيها إلى القتال و يتحداه بأسلوب يفيض غرورا و غطرسة ، فلما وصل هذا الكتاب إلى المنصور اشتد غضبه و استعد للحرب و أمر بإذاعة الخطاب على عامة المسلمين ،وعندئذ مزق المنصور الكتاب و كتب على ظهر قطعة منه

---

(1) فاستجاب المنصور فعقد مع سفراء الملك القشتالي معاهدة صلح مدتها خمس سنوات 586هـ/1190م،وانتهز الفونسو فرصة عبور المنصور عائدا للمغرب ،و راح يغزو الأندلس ناقضا بذلك المعاهدة؛ عنان ، نفسه ،ج.51، ص.65.

(2) حرص الملك ألفونسو على عدم إثارة المسلمين ضده حتى لا يغريهم بالسير إلى غزوه ولكن بعد وفاة المطران (جونزالو) وتعيين "مارتن دي بسيرجا" مطرانا لطليطلة ، شرع الأخير في زرع الحقد والبغض وتأجيج صدور النصارى الأسبان ضد المسلمين وعمل على إعداد حملة كبيرة في الأندلس ، انظر: يوسف أشياخ ،المرجع السابق ،ج.2،ص.81؛الصلابي ، دولة الموحدين، ص.176.

(3) ابن خلكان، المصدر السابق ،ج.7 ،ص.4؛هشام أبو رميلة ، المرجع السابق ،ص.258.

(4) ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج.12 ،صص.47،48؛ هشام أبو رميلة ، نفسه ،ص.261.

(5) يوسف أشياخ ، نفسه،ج.2، ص.81.

[ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ](1) .

مجاوبا بقوله: الجواب ما ترى لا ما تسمع ، ثم ذكر هذا البيت

ولا كتب إلا المشرفية(2) عنده　　　ولا رسل إلا الخميس(3) العرمرم(4).

ثانيا الزعامات في المعسكرين

1-في معسكر المسلمين:

* **الخليفة يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن** : قائد المعركة و خليفة المسلمين ، يتحلى بالصبر و الشجاعة الفائقة ، قوي العقيدة ، راسخ الإيمان ،كان حريصا على استشارة قواده بعكس أبيه يوسف بن عبد المؤمن الذي كان من أكبر أخطائه انفراده برأيه و عدم استشارة الناصحين فهلك عند أسوار شنترين و فشل في أكثر من معركة(5).

* **أبو عبد الله بن صناديد** : من أعظم قواد الأندلس و أكثرهم خبرة بمكايد العدو في الحروب ، وقد ساهم في وضع خطة المعركة برأي وجيه ،فضله المنصور و عمل به لأنه أعرف الناس بطرق النصارى ومكائدهم(6).

* **أبو يحي بن أبي حفص** : كبير وزراء الخليفة المنصور ، وقد امتاز بسداد الرأي و الفطنة و الشجاعة في كثير من الحروب ، وقد ولاه المنصور القيادة العامة لجيش الموحدين في هذه المعركة(7).

2-في معسكر النصارى:

* **الفونسو الثامن** : ملك قشتالة اعتلى العرش و هو في سن الثالثة عندما توفي شانجه الثالث سنة1158 م و لما بلغ الفونسو الثامن سن الحادية عشر بويع بالملك ، و هو قائد جيش النصارى في معركة الأرك ، يعده

---

(1)سورة النمل ، الآية 37.

(2) المشرفية :المشرفي هو سيف يجلب من بلاد المشارف ،و ينسب إليها ، انظر مصطفى إبراهيم ،المرجع السابق ،ج . 1، ص . 480.

(3) الخميس : هو الجيش الجرار ؛ سمي لذلك لأنه يتكون من خمس فرق : المقدمة و القلب ، والميمنة ،و الميسرة ،و الساق ؛انظر: نفسه ، ج.1،ص.256.

(4) ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج.12، ص ص.47، 48، ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص.430، ابن أبي دينار ، المصدر السابق ،ص ص.115، 116؛ ابن خلكان ،المصدر السابق،ج.7، ص.6؛الحلل الموشية ،ص.43.

(5) ابن خلكان ،نفسه ، ج.7، ص.4.

(6) فتحي زغروت ،المرجع السابق،ص.325 ؛ الصلابي ، المرجع السابق ، ص.174.

(7) فتحي زغروت ،نفسه ،ص. 326؛ شوقي أبو خليل ، المرجع السابق ، ص.55.

المؤرخون من أبطال حركة الاسترداد الكبرى لمالك الأندلس بعد الفونسو السادس ، وقد مني بهزيمة ساحقة في هذه المعركة [1].

* **مارتن دي بسيرجا** [2]: مطران طليطلة كان وراء اشتعال تلك الحرب بما بثه في نفس الفونسو الثامن و إثارة النصارى ضد المسلمين ،و كان يقوم بدور معنوي بين صفوف الجيش النصراني لحثه على الثبات و مواصلة القتال ضد الموحدين ، كان يخطط لشن حرب صليبية كبيرة ضد المسلمين في الأندلس ، و قد جسد حقده على المسلمين عندما كان يدمر كل ما يمر عليه بالنار و السيف ، حتى لا تقم للمسلمين قائمة بعد ذلك[3].

ثالثا أهداف الطرفين:

1- المسلمون:

كان المسلمون يهدفون إلى الدفاع عن الأراضي الإسلامية و الذود عن أهلها اللآمنين ضد عبث القشتاليين و اعتداءاتهم المتكررة [4]، ثم لتأديب الفونسو الثامن الذي نقض الهدنة المبرمة بينه و بين المسلمين فلم يراع عهدا و لم يصن ذمة ، وصار أكثر إعراضا ، فتطاول على المسلمين و على خليفتهم ومن ثم لا بد من كسر شوكته[5].

---

(1) فتحي زغروت ، المرجع السابق ،ص.326؛ بطرس البستاني ، **معارك العرب في الأندلس** ، دار مارون عباد ،دط،بيروت، 1987، ص.86.

(2) شرع مارتن دي بسيرجا في زرع الحقد والبغض وتأجيج صدور النصارى الأسبان ضد المسلمين وعمل على إعداد حملة كبيرة في الأندلس مع التنسيق مع القوة السياسية والعسكرية والنصرانية الحاكمة وبالفعل تم للنصارى ما خططوه وقاد ذلك المطران الحاقد حملة دمرت كل شيء في طريقها بالنار والسيف ، وشرعت تلك الحملة الحاقدة في تدمير مدن وقرى المسلمين القريبة منهم ، وقطعت أشجار الزيتون ، وسيقت الماشية ، وسُبي المسلمون العُزل رجالا ونساء ، وقتل قسمٌ كبير منهم، وزحفت قوى من فرسان النصارى إلى أقصى جنوب الأندلس ؛ انظر :يوسف أشباخ ، المرجع السابق ، ج.2،ص.81.

(3) شوقي أبو خليل، المرجع السابق ،ص.49 .

(4) أشباخ ، نفسه ،ج.2 ،ص.81؛ شوقي أبو خليل ،نفسه ، ص.50.

(5) صالح زهر الدين ، المرجع السابق، ص.51.

2- النصارى:

كان النصارى يرمون إلى إنزال الهزيمة بالجيش الموحدي ، وضياع هيبته و السيطرة على شبه الجزيرة الأندلسية بحملة صليبية كبرى على غرار الحملات التي يواجهها صلاح الدين الأيوبي بالمشرق الإسلامي ، هادفين من ذلك إضعاف المسلمين في الأندلس حتى يتمكنوا من استردادها بلدا بلدا [(1)].

رابعا/الاستعداد للمعركة (حشد القوى):

لم تذكر الروايات العربية عدد قوات المسلمين المشتركة في هذه المعركة ، بينما أفاضت القول في ذكر أعداد قوات النصارى فابن أبي زرع ذكر عددهم بثلاثة مائة ألف فارس و راجل ، ويبدو أن فيها من المبالغة الشيء الكثير ،أما رواية الضبي [(2)] أوردت بان الجيش القشتالي ضم 25000فارس، و300000 راجل وكان مع الجيش جماعات من التجار اليهود لشراء أسرى المسلمين و أسلابهم ،و الرأي الثاني اقرب إلى صواب بالنظر إلى خسائر القشتاليين في المعركة التي قدرها صاحب نفح الطيب 146000قتيل ، و30000أسير [(3)] ،وفي رواية ابن الأثير 146000قتيل و 13000أسير [(4)] ،وقد استطاع الفونسو من هذه الأعداد الهائلة من مملكته الصغيرة ، وما قدم إليه من فرسان قلعة رياح ،و فرسان الداوية ، كما طلب العون من ملكي ليون و نافار و دعاهم إلى تناسي الخصومات ،فوعداه بالعون و السير إليه،و قد يكون الدافع من ذلك تحريض الكنيسة على المسلمين ليس إلا[(5)].

كما تشير معظم الروايات أن عد قوات النصارى أكبر بكثير قوات المسلمين و تحديدا بستمائة ألف مقاتل و هذا الرقم مبالغ فيه فذكر شوقي أبو خليل انه كان يساوي عدد جيش النصارى و لا أدل من ذلك أن جيوش المسلمين تتألف من جنود المغرب والأندلس فقط بينما كانت جيوش النصارى تتكون من حشود هائلة جاء ت من ممالك غرب أوربا ،مما اكسبها الصبغة الصليبية ،هذا وان كانت جيوش النصارى تتفوق على المسلمين في العدد إلا أن روح الجهاد العالية التي تحلى بها المسلمون كانت عوضا عن ذلك النقص ، فليس العبرة في الكم

---

(1) فتحي زغروت،المرجع السابق ،ص. 327.

(2) الضبي ، احمد بن يحي بن احمد ، **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس** ،تحقيق إبراهيم الابياري،دار الكتاب المصري و دار الكتاب اللبناني ، القاهرة و بيروت ، 1989/1410، ج.3 ، ص.35.

(3) المقري ، المصدر السابق ، ج.1 ،ص. 443.

(4) ابن الأثير ، المصدر السابق ج.10 ، ص.237.

(5) شوقي أبو خليل، المرجع السابق ،ص ص. 57،56.

و إنما في إعداد المقاتل و قوة إيمانه[1] ، وهذه النقطة تجعل معركة الأرك تتوافق إلى حد مع بعيد مع معركة حطين.

1- حشد المسلمين

دوت صيحة الجهاد في جميع أنحاء المغرب من مدينة سلا غربا حتى برقة شرقا ،وهرع الرجال والشباب من مكان للانضمام إلى ألوية الجهاد في الأندلس ، وعند مدينة القصر الصغير بدأ الخليفة يعقوب المنصور ينظم جيوشه ويوفر لها تموينها[2].

ففي 20رجب 591هـ اجتاز الخليفة البحر بجيوشه إلى الجزيرة الخضراء بالأندلس بالترتيب التالي قبائل العرب ثم قبائل زناتة ثم المصامدة ثم غمارة ثم المطوعة ثم الموحدين ثم العبيد ،وأخيرا عبر الخليفة في حشد أشياخ الموحدين و الزعماء و الفقهاء ،و لم يسترح في المدينة غير يوم واحد ،متعجلا السير بالجيوش الزاحفة إلى قشتالة ، رغبة في استغلال حماسة الجند قبل أن تتراخى عزائمهم وبعد ذلك استأنف جيش الموحدين سيره إلى اشبيلية[3] ،و هناك مكث الخليفة عدة أيام يستكمل أهبته ، أجرى تمييزا لجيشه ، فأستعرض الجند صفاصفا ، قبيلا قبيلا ، ثم أخرجت الرواتب و البركات ووزعت على سائر الحشود[4].

ثم بادر الخليفة بالسير نحو قشتالة و عندما بلغته الأخبار بأن ملك قشتالة قد حشد قواته شمال قلعة رياح على مقربة من قلعة الأرك معتزما أن يلقي المسلمين بها و لا يسمح لهم بعبور الحدود إلى داخل أراضيه وجه المنصور جيشه إلى هذا المكان ، وقريبا من جيش النصارى ضرب معسكره في يوم الخميس الثالث من شعبان 591هـ/1195م ، ثم عقد مجلسا من القادة و الأشياخ لبحث الخطة التي يجب أتباعها في خوض المعركة[5] .

2-حشد النصارى

رأى الفونسو الثامن ملك قشتالة أن يتأهب للقاء الجيش الإسلامي منذ أن سمع بعبوره إلى الجزيرة الخضراء ، ثم طلب العون من ملوك النصارى(ليون و نافار) ويبدو أن ملك ليون قد تأخرفترة من الزمن ،و انتظر الفونسو الثامن أياما في طليطلة حتى وافته حشود النصارى و عندما أكمل استعداداته غادرها مسرعا مخترقا نهر وادي يانة متجها نحو أراضي قلعة رياح حتى وصل إلى حصن الأرك ، في هذا المكان عسكر الفونسو

---

(1) فتحي زغروت ، نفسه ، ص.327؛ شوقي أبو خليل، نفسه ،ص. 58.

(2) شوقي أبو خليل، المرجع السابق ،ص.52.

(3) يشير المؤرخ الألماني أشباخ إلى عامل ثان كان يدفع المنصور إلى تعجل السير نحو خصمه ،وهو خشيته من نفاذ المؤن قبل أن يوجه الضربة الساحقة إلى عدوه ؛ انظر :يوسف أشباخ ، المرجع السابق،ج.2 ،ص.333.

(4) فتحي زغروت ، المرجع السابق ، ص.326.

(5) شوقي أبو خليل، نفسه ،ص.53.

الثامن بجيشه المتألف من جميع الأجناد و الفرسان و المشاة بالإضافة إلى فرسان قلعة رياح و فرسان الداوية ، فتوفر له أكثر من مائة ألف مقاتل حسبما يقول أشباخ[1] ، وهو عازما على لقاء المسلمين فيه بالنظر للرسالة التي هدد فيها المنصور.

خامسا/خطة المعركة

1- خطة المسلمين

فلما صار المنصور على مسافة يومين من الفونسو عقد مجلسا للشورى من كبار القواد و أصحاب الرأي هذا ما ميز خطة المسلمين بالروح الاستشارية الذي كان بمثابة مجلس استشاري حربي على مستوى عال من قادة الأندلس و المغاربة و كبار الوزراء ، و استمع المنصور إلى آراء الجميع ، وبعد مشاورات استقر الرأي على تنفيذ رأي كبير قواد الأندلس أبي عبد الله بن صناديد لما له من خبرة كبيرة بمعرفة أساليب العدو و مكائده و وسائل خداعه و كانت خطة المسلمين فأشار عليه بتوحيد القيادة و خطة القتال[2] .

يكون الوزير القائد أبو يحي بن أبي حفص قائدا عاما للمعركة ، وان تنطوي تحت رايته جميع الفرق من المغاربة و الأندلسيين ، و أن يعهد في قيادة العسكر الأندلسية إلى عساكرهم ، لأنهم لا يحسنون الحرب ، ولا يتحمسون لها إذا أقيم عليهم قواد غرباء و على ذلك أسندت قيادة فرق الأندلس قائد أندلسي معروف بشجاعته فأختبر عبد الله بن صناديد لقيادة هذا الجناح على أن يخضع بدوره للقائد الأعلى أبي يحي بن أبي حفص في كل أوامره[3] وتقوم القوة الرئيسية(النظاميون) المكلفة بلقاء العدو المتكونة من جند الأندلس و المغاربة النظاميين و على هذه القوة مواجهة الهجمة الأولى لجيش العدو[4]، أما بقية الجيش و هي القوة المؤلفة من قبائل البربر و معظمهم من غير النظاميين ، وجمهرة المتطوعين فتكون قوات احتياطية تقوم بالعون و الإمداد يدفع بها إلى المعركة عندما يتحرج موقف المسلمين ، و فيما يخص الخليفة و معه قوات حرسه فيرابط وراء التلال منتظرا الفرصة لينقض فجأة إذا ما ظهر الأعيان فيرجح كفة النصر للمسلمين[5].

---

(1) يوسف أشباخ ، المرجع السابق ،ص ص.333، 334؛ هشام أبو رميلة ، المرجع السابق ، ص.260.

(2) صالح زهر الدين، المرجع السابق ، ص.90.

(3) فتحي زغروت ، المرجع السابق ، ص.329.

(4) نفسه ، ص.330؛ الصلابي ، المرجع السابق ، ص.175.

(5) شوقي أبو خليل، المرجع السابق ،ص. 56.

و كان أعظم ما في هذه الخطة ذلك التمويه العجيب الذي أشار به ابن صناديد حيث رأى أن يرابط الوزير أبو يحي بن أبي حفص في قلب الجيش بدلا من الخليفة ، وان يرفع فوق قبته الأعلام الخليفية ، بينما رابط الخليفة بقوات الحرس الخليفي وراء التلال ، حتى لا يكون هدفا للقشتاليين ينالون منه [(1)].

2- خطة النصارى :

رأى الفونسو الثامن أن يترك أساليب القتال القديمة في الحرب و رسم خطته بطريقة اشتملت على حلين حسبما تمليه طبيعة الموقف.

الأول : تجنب الاشتباك مع المسلمين في معركة حاسمة و إبعادهم عن التحصن بالقلاع ليرغمهم عن الانسحاب لنفاذ المؤن و تفشي الأمراض أو لحلول الشتاء.

الثاني: أن يقوم فرسانه بتوجيه الضربة الأولى لقلب الجيش الموحدي الذي يقوده الخليفة –كما يظنون –معتمدين في ذلك تسليحهم الثقيل الذي لم تألفه فرسان الموحدين من جهة و هبوطهم السريع من أعلى ربوة الأرك كالسيل الجارف من جهة أخرى .

- ادخر الفونسو بعض القوى ليدفع بها إلى ساحة القتال كلما تفوق عليهم الموحدون في القتال[(2)].

3-تحليل الخطتين

مما لا شك فيه أن خطتي الطرفين كانتا دقيقتين و منتظمتين للغاية فكل منهما احكم خطته لينتصر على الآخر ، بالنسبة للفونسو الثامن فقد وفق في نقل المعركة إلى بلاد المسلمين و توسيع دوائر الصراع على حسابهم ، و نجح في اختيار مكان محلته حيث رابط بها على هضاب قلعة الأرك ليتسنى له احتلال موقع استراتيجي [(3)] ، فإذا كانت الدائرة عليه توزعت جنوده ووجدت لها مسالك نحو بلاده و قلاعا يعتصمون بها كقلعة رباح المجاورة لهم ،هذا من جهة و من جهة أخرى يضمن استمرار تموين جنوده بالمؤن اللازمة له، لذا كان مقدوره أن يتحمل حربا طويلة الأمد ، هذا في الوقت الذي لا تستطيع فيه جيوش الموحدين الاستمرار في حربا طويلة خوفا من نفاذ المؤن .

أما خطة الموحدين فقد تميزت أيضا بالدقة و الإحكام فقد كانت خطة جماعية التي استندت إلى الشورى تعاونت فيها مختلف الفرق و القيادات بصفوة روح الفريق الواحد ، فالأندلسيون تسند

---

(1) للمزيد عن الخطط المسلمين؛ انظر: عنان ،المرجع السابق، ج.5 ،ص.202 .

(2) فتحي زغروت ، المرجع السابق ، ص.330.

(3) صالح الأشتر ، **معركة الأرك** ،دار الشرق العربي ،بيروت،1988، ص.64.

قيادتهم إلى قائد منهم فكانوا أكثر استجابة و طواعية للأوامر،ومن مزايا خطة الموحدين بالإضافة إلى القيادة الجماعية ذلك التمويه الذي صدم كل آمال القشتاليين ، فقد ركزوا هجومهم على القلب ظانين أن الذي يقوده هو الخليفة بينما اقتضت الخطة تغيير مكان الخليفة و رفع الأعلام الخليفية على القلب لتضليل العدو فضاع أمل القشتاليين في التركيز على القلب و أن جاء هجومهم عنيفا و قاسيا(1).

سادسا/سير القتال

كان القشتاليون يشرفون من مواقعهم العالية على وصول قطعات الجيش الإسلامي إلى ميدان المعركة تحت أعلامها الخضراء – وهو لون الموحدين - وقد بثو من حولها العيون لتنقل إليهم أنباءها،وظهر نشاط طلائع المسلمين و فعاليتها في جمع معلومات دقيقة عن العدو و في إيهامها لأكثر من سرية استطلاع تابعة للقشتاليين(2).

ثم عبئت الجيوش تعبئة حرب وعقدت الرايات لسائر القبائل و الطوائف و شقت حملة النبال طريقها تحت أعلامها الخضراء إلى مقدمة الجيوش لتفتح القتال مع العدو ثم أمر الخليفة يعقوب المنصور جيوشه بالزحف نحو محلة النصارى إلى أن اقتربت من محلاتهم(3) ، وخرجت بعض قطع الجيش القشتالي لملاقاة الموحدين ولكن لم يحدث اشتباك بينهما ، لان المنصور فضل خوض المعارك في اليوم الموالي ، فلما رأى النصارى جمود الموحدين خشوا من رسم الكمين أو استطرادهم فعادوا إلى محلتهم فوق ربوة الأرك و قد أثقلتهم أسلحتهم الحديدية(4).

1-المرحلة الافتتاحية

وفي ضحى اليوم التالي التاسع من شعبان سنة591هـ/1194م أمر الخليفة الموحدي جيوشه بالزحف و اندفعت جنوده تحاول اقتحام سفح التل الذي يحتله ملك قشتالة ، و إذا بفرسان الأعداء تهبط كالليل الدامس و البحر الزاخر أسرابا، وأمواجا تعقب أمواجا و قد هبط في الدفعة الأولى ما بين سبعة ألاف ،و ثمانية آلاف فارس كلهم قد احتجب بالحديد ،و البيضات و الزرد ،و اندفعت

(1) فتحي زغروت ، المرجع السابق ، ص ص.330، 331؛ صالح الأشتر ، المرجع السابق ،ص.58.

(2) ابن عذارى، المصدر السابق ، ج.3 ، ص.219؛هشام أبو رميلة ،المرجع السابق ،ص.147.

(3) ابن عذارى ، نفسه ، ص ص.219،220؛ شوقي أبو خليل، المرجع السابق ،ص.58؛ صالح الأشتر، نفسه، ص.60 .

(4) ابن أبي زرع، المصدر السابق ،ص ص.147، 148؛ فتحي زغروت، نفسه ،ص.332 ؛ انظر محمد عنان ، المرجع السابق ،ج.5، ص ص.202، 203.

هذه القوة حتى لطمت خيلها أطراف رماح المسلمين ثم تقهقرت قليلا و عادت للاقتراب من جيوش الموحدين و تهيأت للهجوم الفعلي[1].

2- مرحلة القتال المتلاحم

ركز القشتاليون هجومهم على القلب التي يقودها القائد العام أبو يحي بن أبي حفص ظانين أنها القوة التي يقودها الخليفة ،فقاتل أبو يحي و جنوده أشد قتال و لكن الصدمة كانت عنيفة والهجمة كانت قاسية فقتل أبو يحي و معه جماعة من رجاله ، و اعتقد النصارى أن النصر قد لاح لهم بعد أن حطموا قلب جيش الموحدين عندئذ تقدمت قبائل العرب و المطوعة و الأغزار[2] و الرماة و أحاطوا بالنصارى من كل جانب ،ثم دفع القائد ابن صناديد قائد الميمنة بجيوش الأندلس إلى المعركة ،و زحفت معه قبائل زناتة و سائر قبائل الأمازيغ ،واندفعت الجيوش الإسلامية بجملتها نحو قلب جيش القشتاليين واشتد القتال بين الفريقين و وكثر قتلى القشتاليين في مقدمة جيشهم بقيادة ملك قشتالة نفسه التي اضطلعت بالهجمة الأولى حتى اضطرت إلى التقهقر و الفرار نحو الربوة التي تحتلها محلتهم ، وأسفرت الجولة الأولى عن تحطيم قلب الجيش الموحدي ،و تمزيق مقدمة جيش النصارى[3].

ويقدم لنا صاحب الروض وصفا تفصيليا لدوران المعركة بعد القشتاليين في الجولة الأولى ، فقد كان الفونسو معتصما مع باقي قواته بربوة و يستمدون العون من ملكهم لكي ينظموا أنفسهم و يعاودوا الهجوم ثانية على المسلمين ، دار الموحدون في السهل و حاصروا تلك القوة و حالوا بينها و بين الصعود إلى الربوة ثم ارتدوا ثانية نحو السهل ، فحملت عليهم سائر قوات المسلمين بسيوفهم و رماحهم[4].

3- مرحلة الحسم

و دارت معركة حاسمة أبدى فيها الموحدون ضروبا شتى من الشجاعة و الإقدام ، وبدا على القشتاليين التعب و الإرهاق رجح ميزانها زحف المنصور في قواته الاحتياطية تحت لوائه الأبيض ليجهز على البقية الباقية

---

(1) الناصري،المصدر السابق، ج.2 ،ص ص.169، 170؛ ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ص.194، 195 ؛ عنان ، المرجع السابق ،ج.5،ص.205؛شوقي أبو خليل، المرجع السابق ،ص.59.

(2) الأغزار : هم جنس من الترك ، ويبدو ان الجيش الموحدي كان يضم أجناسا أخرى الذين بعث بهم صلاح الدين الأيوبي لقتال أبي يعقوب المنصور الموحدي وعندما فشلت تلك الحملة توزعوا في المغرب العربي ؛ انظر المراكشي ، المعجب ،ص.160؛ فتحي زغروت ، المرجع السابق ،ص.333.

(3) شوقي أبو خليل، نفسه ،ص.60.

(4) ابن أبي زرع ،المصدر السابق ،ص ص.147، 148.

وأجبرها على الفرار [1] ، وكانت ملحمة مروعة التحم فيها الفريقان تحت سحب كثيفة من الغبار ، وأرجاء المكان تدوي بوقع سنابك الخيل التي نفرى القتلى ،و قرع الطبول ،و أصوات الأبواق ،و صليل السلاح،و صياح الجند و أنين الجرحى و انفرجت الشدة و لاحت تباشير النصر أمام المسلمين و تساقطت فرسان النصارى [2] أمام ضربات الموحدين مهزومة [3].

ونفذ المنصور بقواته إلى قلب الجيش القشتالي الذي يقوده الفونسو الثامن بنفسه يحيط به عشرة آلاف فارس – وهي البقية الباقية من القشتاليين –تساقطوا جميعا صرعى إزاء هجمات الموحدين ، ولم يشأ الفونسو بالرغم من اشتداد ضغط المسلمين ،و مواجهته لخطر الهلاك و السحق المحقق أن ينقذ نفسه بالفرار ، ويتحمل عار الهزيمة ، ولكن عندما رأى رجاله استحالة الوقوف أمام ضغط المسلمين تضرعوا إلى ملكهم أن يحتفظ بحياته حيث أن الله قد تخلى عنه ، فرفض أن يستجيب لهم فجذبوه رغم انفه، وارتدوا نحو طليطلة و قلوبهم تقطر أسا و حزنا لما لحق بهم الهزيمة ، تأييد الله بالنصر لجنود المسلمين [4].

4- مرحلة المطاردة و استثمار النصر

إثر انتهاء المعركة، قام الموحدون بمطاردة لفلول الجيش القشتالي المنهزم التي اعتصمت بحصن الأرك ، فحاصر المسلمون هذا الحصن حيث اعتقد المنصور أن الفونسو الثامن قد التجأ إليه ثم اكتشف انه لاذ بالفرار إلى طليطلة فأقتحم المسلمون الحصن أسروا منه 24000أسير نصراني حسب رواية الناصري، و قد اختلفت الروايات الإسلامية في مصير هؤلاء الأسرى فيروي صاحب نفح الطيب أن المنصور فدى بهم 5000

---

(1) و يذكر عبد الله عنان ،أن ملك قشتالة نفسه قاد الهجوم على ميسرة الجيش الموحدي فتقهقر المطوعة و أخلاط السوقة ، فلما رأى الخليفة المنصور ذلك تقدم بنفسه دون ساقته و أخذ يحث جنده على الثبات و الهجوم و استمر القتال طوال النهار طوال النهار فحلت الهزيمة بالنصارى و قتل أكثرهم بينما تمكن ملك قشتالة من الفرار في عشرين فارسا من رجاله حينما خيم الظلام فسار إلى طليطلة و التجأ بقية جيشه إلى حصن الأرك ؛ عنان ، المرجع السابق ،ج.5،ص ص.208، 209.

(2) تذكر رواية نصرانية إن الاضطراب والفوضى حلت بمعسكر النصارى حين تقدم نحوهم المسلمون في صباح يوم المعركة ، فاندفع النصارى بلا نظام نحو المسلمين و اشتبكوا معهم في موقعة استمرت ناشبة حتى منتصف النهار فبدت الهزيمة على النصارى ، فحين شاهد ذلك ملك قشتالة و هو في معسكره بسفح التل ، اندفع ببقية جنده إلى ميدان المعركة يضرب يمينا و شمالا ، ولكن أكثر جنده سقط قتيلا في ميدان المعركة ، ثم أدرك بعض قادة النصارى استحالة استمرار القتال و التغلب على المسلمين فناشدوا ملكهم بالانسحاب و الفرار خوفا على حياته و لكنه رفض مما جعلهم يخرجوه بالقوة من ميدان المعركة و عادوا به إلى طليطلة ،؛ يوسف أشباخ ، المرجع السابق ،ج.2،ص ص336،337.

(3) هشام أبو رميلة ؛ المرجع السابق ، ص. 263؛ شوقي أبو خليل ، المرجع السابق ، ص.61 ؛ فتحي زغروت ، المرجع السابق ، ص.334.

(4) المقري ، المصدر السابق ،ج.1 ،ص.443 ؛ فتحي زغروت ، نفسه ، ص.335.

أسير مسلم بينما يروي ألف صاحب الروض القرطاس بان المنصور من عليهم جميعا بالإفراج ، و أطلق سراحهم ، وان هذا التصرف قد اغضب قادة الموحدين بل ندم عليه الخليفة المنصور نفسه [(1)].

استولى الخليفة يعقوب المنصور بعد انتهاء القتال على بعض القلاع القريبة من ميدان المعركة ، ثم هاجم الموحدون قلعة رباح ذاتها و اقتحموها بعد قتال عنيف و انتزعوها من أيدي فرسان جمعية قلعة رباح المتولين للدفاع عنها ، وهكذا استرد المنصور هذه القلعة المنيعة [(2)]،و لم يكتف المنصور بمطاردة القشتاليين في أراضي قلعة رباح و استيلائه على بعض حصونها بل انه واصل سيره إلى الأراضي القشتالية و اخترقها شمالا حتى وصل إلى طليطلة فحاصرها و ضربها بالمجانيق و الفونسو معتصم بها مكسور الجناح لهبوط معنوياته ، ولكن المنصور لم يفلح في اقتحام أسوار المدينة فعاد منسحبا إلى الجنوب بعد أن اكتفى بإبرام هدنة مع القشتاليين ، وربما كان دافعه وراء ذلك خشية نفاذ التموين أو تفشي الأمراض في جيوشه ولا سيما انهم مقبلون على فصل الشتاء ،و بعد أن انتهى المنصور في توزيع الغنائم على الجنود و أودع نصيب الدولة في بيت المال سار بجيشه المظفر إلى اشبيلية و أقبلت عليه الوفود مهنئة بالنصر [(3)].

سابعا/نتائج معركة الأرك

1- على الصعيد السياسي :

تعتبر معركة الأرك من المعارك الإسلامية الفاصلة التي خاضتها دول الإسلام في المغرب والأندلس ضد حركة الاسترداد الكبرى التي اضطلع بها ملوك النصارى في غرب أوربا ، فقد استطاعت هذه المعركة أن تكبح نشاط النصارى إلى حين و قضت على قوة قشتالة و جعلتها بحاجة إلى عدة سنوات لتنهض من كبوتها ، وتوقف زحف الصليبيين على أرض المسلمين ثماني عشر سنة بعدها استأنف الفونسو الثامن مع ملوك النصارى لاسترداد البلاد، و أنزلت الهزيمة بالموحدين في موقعة العقاب 609ه/ 1212 فمحت كل أثر لنصر الأرك العظيم ، لان الموحدين لم يحاولوا استثمار النصر العسكري ،ولم يربطوه بإستراتيجية سياسية فكان بإمكان الموحدين تغيير الخارطة السياسية للأندلس لان ظروف الممالك النصرانية عقب هزيمتهم في موقعة الأرك كانت مهيئة حيث انعدم التنسيق بين تلك الممالك النصرانية ،و أصبحت كل منها تخطب ود الموحدين بمفاوضات سرية بعدما استشرى النزاع بينها [(4)] ، كما ضيع المنصور الفرصة حينما فك الحصار على طليطلة معقل الداء و عاد إلى

---

(1) المقري ،المصدر السابق، ج.1 ، ص.443 ؛ابن أبي زرع ، المصدر السابق ،ص. 151؛الناصري ؛المصدر السابق ج.2،ص.171-173.

(2) الحميري ، المصدر السابق ، ص.469؛ المراكشي ،المصدر السابق ،283؛ عنان ، المرجع السابق ، ج.3،ص.214.

(3) المراكشي ، نفسه ، ص.165-167.

(4) هشام أبو رميلة ؛ المرجع السابق ، ص ص.267 ،268؛فتحي زغروت ، المرجع السابق ، ص.338.

المغرب هذا هو الخطأ الفادح الذي وقع فيه المنصور ، حيث منحهم فرصة استعادة الأنفاس و تنظيم صفوف جيوشهم و من ثم الأخذ بالثار في موقعة العقاب ، وقد روى عن الفونسو الثامن عقب هزيمة الأرك انه حلق رأسه و لحيته و نكس صليبه أقسم ألا ينام على فراش و لا يقرب نساء و لا يركب فرسا و لا دابة حتى يأخذ بالثأر (1) .

2- على الصعيد العسكري:

أبرزت معركة الأرك مجموعة من النتائج

-تميزت القيادة العامة بروحها الاستشارية الجماعية فأكسبت القائد العام قوة التأثير في رجاله ، وقد انعكس ذلك في ظهر الروح المعنوية العالية بين الجنود ، وسادتهم روح الفريق مما كان له أكبر الأثر في رفع الكفاءة القتالية للمسلمين و إحراز النصر ..

-أظهرت تلك المعركة مدى ما يتمتع به الخليفة المنصور دماثة الخلق و التحلي بآداب الحرب الإسلامية و حسن المعاملة مع الأعداء ، فانه لم يبدي قسوة لا مبرر لها في معاملة الأسرى ، فقد اسر المسلمون عشرين الفا بل اثر ان يمنحهم الحرية دون افتداء ،وقد ساء وقع هذا الجود لدى الموحدين ، واعتبروه خطأ(2) .

- قام المنصور 592هـ/1196م بغزوة جديدة في قلب الأراضي النصرانية و اخترق ولاية استرامادورة و عبر النهر الكبير في اتجاه نهر التاجة ، وبعد ان فتح عدة حصون و قلاع حاصر أبو يوسف المنصور طليطلة عاصمة قشتالة عشرة أيام لكنه لم ينجح من اختراقها فعاد منسحبا ووقع هدنة مع الفونسو في نفس العام(3) .

- أبانت المعركة عن أهمية المواجهة والتمويه على مسرح العمليات حيث اقتضت خطة الموحدين نقل الخليفة إلى الاحتياطي ورفع أعلامه الخليفية على القلب الذي يقوده أبو يحي ابن أبي حفص فركز القشتاليون على القلب قاصدين قتل الخليفة فضاع جهدهم هباء ، ثم لعبت المفاجئة دورها الحاسم عندما زج بقوته الاحتياطية إلى أتون المعركة و بددت شمل من بقي من القشتاليين (4) .

هذه إحدى معارك دولة الموحدين الذين بذلوا جهودا فادحة في سبيل الاضطلاع بحركة الجهاد في غرب أوربا و صد عدوان النصارى عن الأندلس الإسلامية طوال عصر الخلفاء العظام من حكامها الذين ما فتئت جهودهم متظافرة في تدعيم الكيان العسكري لدولتهم الإسلامية حكومة و شعبا ، مسخرين في سبيل ذلك كل مواردهم الاقتصادية و البشرية في تعبئة حربية دائمة .

(1) المقري ،المصدر السابق ، ج.1،ص.443؛ فتحي زغروت ، المرجع السابق ،ص.338.
(2) شوقي أبو خليل ، المرجع السابق ، ص.63.
(3)نفسه ، ص.64.
(4) فتحي زغروت ، نفسه ، ص.339.

مما لا ريب فيه أن هاتين المعركتين تعتبران من المعارك الإسلام الهامة التي افتخر بها فقد خاضتهما قوى الإسلام في المغرب و المشرق من مغاربة و أندلسيين و مصريين و شاميين و أتراك ،دفاعا عن الإسلام و ذود عن ميادينه ،ووقوفا ضد الحملات الصليبية و حركة الاسترداد التي اضطلع بها ملوك النصارى في ارض الشام و الأندلس ،فغنم الإسلام حياة جديدة امتدت إلى حين و هيأت الأندلس لتكون ولاية مغربية تابعة للموحدين فكان نصر حين و الأرك تدعيما لقوى المسلمين و تحطيما لسيل النصارى الجارف و سدا له .


الخاتمة

توصلنا بفضل من الله و عنايته و حفظه إلى وضع خاتمة هذه المذكرة التي نوردها في شكل جملة من النتائج المتوصل إليها ، و قد اهتدينا لها على ما مر بنا من فصول و صفحات هذه المذكرة .

شكلت الحروب الصليبية خطرا حقيقيا حدق بالعالم الإسلامي و تحديدا في شرق المتوسط و غربه على أيدي الفرنج و بقدر ما كان الطموح السياسي و الخلافات الطافية على سطح العلاقات في العالم الإسلامي كانت الحملات الصليبية فرصة لتقليص هوة الخلاف و شبه القطيعة السياسية من خلال المراسلات بين حكام المسلمين أنفسهم ، بغرض استطلاع الأخبار أو لطلب النجدات ، أو تلك الموجهة من الحكام المسلمين إلى أسياد الفرنج لتحذير الأخيرين من مغبة التمادي بالاعتداء على المسلمين .

لم تكن الحروب الصليبية مجرد حركة استرداد الأراضي المقدسة و حماية حجاج الغرب القاصدين لتلك الأراضي ، واستعادة الأندلس و لكنها أوسع من ذلك ، لأنها كانت تنمو عن رغبة في التوسع و الاستعمار فضلا عن كونها تعبر عن الحماسة الدينية ، وثورة عن الأوضاع الفكرية و الاجتماعية والاقتصادية التي سادت أوربا ، والأهم من ذلك كله أن الحركة الصليبية لم تكن حركة محدودة الميدان أو المجال ، و إنما تشتعل نارها أينما عثر الصليبيون على المسلمين لذلك امتدت في افريقية و المغرب و الأندلس .

إن الاحتكاك الحضاري بين المغاربة و المشارقة كان له دور مؤثر في تطور حركة الفكر والاجتماع في المشرق والمغرب، فعلاقات التثاقف والتواصل التي قامت، منذ أمد طويل، بين قطبي العالم العربي الإسلامي ، أفضت إلى حالة حراك فكري ثري، أسفرت عن تلاقح ثقافي واجتماعي، كان له، ولا يزال حضور و دينامية في النتاجات العربية ـ الإسلامية، في مختلف الميادين، وتأثيرات متبادلة ،جدير بنا أن نمعن النظر فيها بحثاً ودراسة وتمحيصاً.

إن مفهوم الأمة على المستوى السياسي لم ينتظم حول سلطة سياسية وروحية معينة إبان هذه الفترة بسبب التوترات السياسية، إلا أن الشعور بوحدة الأمة الإسلامية وبضرورة المحافظة عليها والوقوف صفاً واحداً أمام المخاطر و التهديدات، كانت ماثلة في أعين المغاربة ، وهو ما تجسد في رغبتهم الملحة بالمشاركة، إلى جانب إخوانهم بالمشرق، في المعارك البرية والبحرية من أجل تحرير رمز هذه الوحدة، ألا وهي البقاع الإسلامية الطاهرة.

إن العلاقة بين المغرب و الأندلس كانت قديمة ، فكل طرف ظل سندا للآخر ، و لان المجال الديني و التاريخي و الجغرافي متواصل بين الاثنين ، فان كليهما يتأثر بما يحدث للآخر و على ذلك فان الاستقرار يلعب أهميته بالنسبة للاثنين ، بمعنى وجوب تكاملها و تعاونهما و بقائهما على وفاق دائم خاصة مع تربص القوى النصرانية ، كما شكل ذلك دافعا لأهل المغرب و الاندلس بمعالجة ما يطرأ من فتنة أو نزاع بينهما .

إن من بين عوامل نجاح المرابطين بالأندلس هو الموقع الاستراتيجي الذي سمح بسرعة الاتصال والعبور و مكنهم من ضمان التموين و النجدة و بذلك فانه أسهم في مد عمر الإسلام في الأندلس و أخرت زوال دولته لعدة قرون

إضطلع المغرب بدور مزدوج في محاربة الصليبيين فمن جهة تطلبه الواجب التدخل لمناصرة إخوانه في الأندلس الذين تكالبت عليهم القوى الصليبية من كل حدب و صوب ، ومن جهة أخرى كانت روابطه مع المشرق حركت مشاعر التضامن اتجاه ما يحدث في المشرق بطرق عبر فيها عن تضامنه بمشاركة مباشرة لمغاربة في معارك الجيوش الإسلامية مع صلاح الدين أو نور الدين زنكي ، و بالانتقام من المسيحيين كصورة من صور التكافل بين شقي العالم الإسلامي في مواجهة المد الاستعماري المسيحي.

أن وجود المغاربة بكل من مصر والشام لم يرتبط في غالبيته بحدث محدد (الحملة الصليبية الثالثة وتوجيه الرسالة إلى يعقوب المنصور الموحدي)، بل يعود إلى فترات سابقة؛ الأمر الذي يستوجب التمييز بين المغاربة المستقرين، الذين أدوا أدوار طلائعية في الجهاد البحري، وبين الوافدين والمتطوعين الذين شاركوا في الجهاد ضد الصليبيين، فإن مشاركتهم كانت متنوعة تبعا لتخصصهم.

عبر المغاربة عن عميق مشاعرهم لذلك لبوا النداء للمجاهدة في سبيل الله و نصرة لأخواهم المسلمين و لدرء الأخطار عن الديار المقدسة و الوقوف في وجه الأعداء بمختلف الأشكال و هذا دليل على تعلق المغاربة بالإسلام و حمية عنه و الذود عن دياره و لا نستدل إلا بمساهمات المغاربة في الجيوش الإسلامية المحاربة للصليبيين في بلاد الشام و مصر بشتى أنواع الخدمات ، التطبيب ، الحمامات ، ....

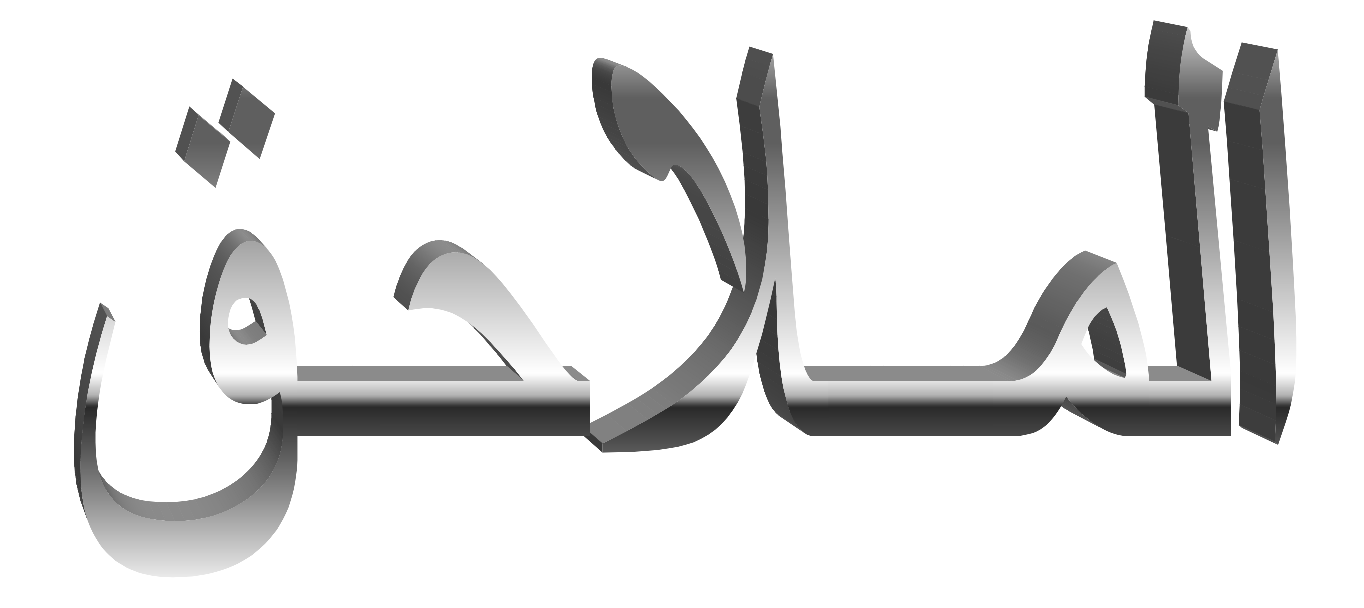
حفظ أهل الشام و مصر الفضل للمغاربة فأحسنوا ضيافتهم و أكرموهم أيما إكرام و يظهر ذلك اهتمام المشارقة بتحرير الأسرى المغاربة قبل أي فئة أخرى ، وتخصيص المدارس لأهل المغرب كرمز اعتراف للجميل من لدن المشارقة.

إن مشاركة المغاربة مع إخوانهم في بلاد الشام الجهاد ضد الصليبيين قد جرّت عليهم عداءهم لذلك عمدوا إلى فرض إجراءات عقابية إزاء المغاربة تمثل في ضريبة مضافة نضير ما قدموه لمساعدة أشقاءهم في تلك القضية المقدسة

أن دور المغاربة في مؤازرة أخوانهم المشارقة ضمن الغزو الصليبي يدل على قضية الجهاد ضد ذلك الغزو ، لم تكن قضية مشرقية فقط بل كانت مغربية أكثر .

إن دور المغاربة الجهادي مشرف، فقد كانوا دائماً متواصلين مع إخوانهم في المشرق في السراء والضراء في ميادين العلم وفي ساحات الجهاد وقد قدموا خبراتهم القتالية لإخوانهم المشارقة في عهد الزنكيين والأيوبيين ولم يبخلوا بقدراتهم العسكرية على الأيوبيين بل وظفوها من أجل التصدي للأساطيل الصليبية وهذا يبين لنا أن

الشعوب الإسلامية دائماً تتفاعل مع بعضها وتنضوي تحت راية الإسلام الجهادية عندما تتعرض الأمة للخطر ومن الدروس المهمة أن المسلمين تغلبوا بعقيدتهم ودينهم على دعاوى الوطنية الضيقة والقوميات فنور الدين تركي ، وصلاح الدين كردي ويوسف بن تاشفين بربري والخليفة العباسي عربي وكلهم كانوا في جبهة واحدة تحت راية أهل السنة والجماعة.


الملاحق

ملحـــــق الأول

خطابات البابا أوربان الثاني في الدعوة إلى الحرب الصليبية،نقلاً عن: قاسم، الحروب الصليبية، ص89–92

أ– خطاب البابا أوربان الثاني إلى كل المؤمنين في الفلاندرز في ذي القعدة 488هـ/ديسمبر /1095م:

((إننا نعتقد، أيها الأخوة، أنكم علمتم منذ زمن طويل من مصادر عديدة بالأخبار المحزنة عن أن البرابرة، في هياجهم، قد غزوا ونهبوا كنائس الرب في الأقاليم الشرقية والأسوأ من ذلك أنهم استولوا على مدينة الرب المقدسة التي ازدانت بعذابه وقيامته، وأنهم – وهذا قول فيه تجديف – باعوا كنائسها في عبودية مقيتة. وإذا فكرنا بإخلاص في هذه المصيبة، وخزنا بسببها، فإننا زرنا بلاد الغال وحرضنا السادة والرعايا بحمية في هذا الإقليم على تحرير الكنائس الشرقية. وفي مجمع عقد في أوفرني، كما هو معلوم، فرضنا عليهم التزامات بأن ينجزوا مثل هذا المشروع العسكري لمحو كافة خطاياهم. وعينا نائباً عنا قائداً لهذه الحملة وهذا العمل، وهو أبننا العزيز أدميار، أسقف لي بوي. ويترتب على هذا أن كل من يقرر أن يذهب في هذه الرحلة يجب أن يطيع أوامره كما لو كانت صادرة منا، ويجب أن يخضع لسلطانه تماماً في الحل والعقد في أية قرارات به ومتصلة بعمله .وإذا نادى الرب أو الرجال من بينكم لآخذ هذا القسم، فأنهم يجب أن يعلموا أنهم سوف ينطلقون، بعون الرب في عيد صعود مريم العذراء (15 أغسطس) وأن ينضموا إلى رفاقهم في هذااليوم)).

ب – خطاب أوربان الثاني إلى أتباعه في بولونيا في 27 ذي الحجة490 هـ/15 سبتمبر /1096م:

((نقدم شكرنا إلى نيافتكم، لأنكم على الرغم من وجودكم بين الانشقاقيين والهراطقة، وقف بعضكم دائماً بصلابة في الدفاع عن العقيدة الكاثولوكية، على حين أنَّ الآخرين ممن تجلت لهم الحقيقة برحمة الرب تركوا سبيل الخطأ، وهم الآن حكماء في مذاهب العقيدة الكاثولوكية، ومن ثمَّ فإننا نشجعكم با أحباء الرب على أن تواصلوا بشجاعة السير على درب الحقيقة، وأن تحاولوا إنهاء ما بدأتموه على هذا الشكل الطيب، في نهاية أفضل، لأنه ليس ذلك الذي يبدأ، وإنما ذلك الذي يواصل حتى النهاية هو الذي سينال الخلاص. وقد عينا خاصة لمحبتكم أخانا المبجل الأسقف برنارد، الذي تناسب رعايته المقدسة، نيابة عنا، جماعتكم كرعية. وإذا كنتم تحبون الرب، فإنكم يجب أن تظهروا هذا الحب لنائبه، لأن المسيح نفسه قال عن مثل هذا الشخص: أن من يسمعكم يسمعني. وقد سمعنا أن كثيرين منكم قد هاجمهم الشوق للذهاب إلى أورشليم، وهو ما يجب أن تفهموا أنه قد سرنا كثيراً. ويجب أن تعلموا أيضاً أنه إذا ذهب أي رجال منكم إلى هناك، لا لرغبتهم في المكاسب الدنيوية، وإنما فقط لخلاص أرواحهم لتحرير الكنيسة، فإننا بمقتضى سلطتنا، وسلطة كل كبار الأساقفة، وكل أساقفة بلاد

الغال، بفضل رحمة الرب العظيم وصلوات الكنيسة الكاثوليكية، نعفيهم من التكفير المفروض عليهم لقاء خطاياهم التي اعترفوا بها اعترافاً كاملاً؛ لأنَّهم خاطروا بأملاكهم وحياتهم في حب الرب وحب جيرانهم. ولكننا لا نسمح للرهبان أو القساوسة بالذهاب ما لم يحصلوا على إذن من أساقفتهم ومقدمي أديرتهم. كذلك يجب على الأساقفة أن يحرصوا على عدم السماح لرعايا أبرشياتهم بالذهاب بدون النصيحة وبدون علم القساوسة المسبق، كما يجب أن تراعوا أن الشباب المتزوجين لا يجب أن يندفعوا في رحلة طويلة كهذه دون موافقة زوجاتهم. وليساعكم الرب العظيم. في خشيته وفي حبه، وليقودكم هو وقد تحررتم من الآثام والأخطاء، وليرشدكم إلى أن تفهموا كيف تحبونه فوق كافة الأشياء، وتبدون له الإخلاص الحقيقي.))

جــ– خطاب أوربان الثاني إلى جماعة دير فالومبروسا في 17 رمضان 490هـ /7 أكتوبر/1096م:

((لقد سمعنا أن بعضكم يريدون الانطلاق مع الفرسان الذاهبين إلى القدس بقصد طيب لتحرير المسيحية. وهذا نوع من التضحية الحقة، ولكن خطته جاءت من أشخاص غير مناسبين؛ لأننا كنا نستفز أذهان الفرسان للذهاب إلى هذه الحملة، لأنهم قد يكونون قادرين على كبح وحشية المسلمين بسلاحهم ويعيدون للمسيحيين حريتهم السابقة: ونحن لا نريد لأولئك الذين هجروا العالم ونذروا أنفسهم للحرب الروحية أن يحملوا السلاح أو يذهبوا في هذه الرحلة، بل إننا نمنعهم من عمل ذلك. كما أننا نمنع المتدينين – من القساوسة والرهبان من أن ينطلقوا في هذه الصحبة دون إذن من أساقفتهم أو مقدمي أديرتهم وفقاً لحكم القوانين الكنسية المقدسة. فإن سلامة التقدير في مهنتكم الدينية يجب أن تمنعكم من المخاطر بإهانة الكرسي الأسقفي أو تعريض أرواحكم للخطر. وقد سمعنا أن زميلكم، مقدم دير سان ريبارتو، يفكر في ترك جماعتكم وترك نظامكم الديري بأسره، وهكذا، فإننا في هذا الخطاب نرسل له أمراً، و به نعني أننا نمنعه من أن يجرؤ على حكم نفس الدير بعد ذلك دون إذن من رئيسكم العام، الذي تسمونه المقدم الأسمي، وإذا لم يمتثل بالطاعة، هووكل من يجرؤ على ترك جماعتكم، يجب قطعه بسيف الحرمان الرسولي.

حرر في كريمونا في السابع من أكتوبر. ونحن نريد منكم قراءة هذا الخطاب على الرهبان المجتمعين والأخوة العلمانيين،ولتعلم الأديرة الأخرى بمحتواه.))

د- خطاب أوربان الثاني إلى كونتات بيسالو، وامبورياس، وروسيللون، وسردانيا وفرسانهم ما بين محرم 490 هـ إلى 9 رمضان 493 هـ/ يناير 1096م إلى 29 يوليو/1099م:

((إننا نتوسل إلى سيادتكم بحرص شديد لصالح المدينة أو لصالح كنيسة تراجونا، ونأمركم أن تبذلوا جهداً حماسياً لاستعادتها بكل وسيلة ممكنة لمحو خطاياكم لأنكم تعلمون كم ستكون دفاعاً عظيماً لشعب الرب وكيف ستكون ضربة مرعبة للمسلمين، إذا ما شاءت رحمة الرب، إذا ما تمت استعادة موقع هذه المدينة الشهيرة. وإذا

كان الفرسان في ولاية أخرى قد قرروا جميعاً أن يذهبوا لمساعدة الكنيسة الآسيوية وأن يحرروا إخوانهم من طغيان المسلمين، فكذلك يجب عليكم جميعاً وبتشجيعنا أن تبذلوا قصارى جهدكم لمساعدة كنيسة قريبة منكم هكذا لمقاومة غزوات المسلمين. ولا ينبغي لأحد أن يشك في أنه لو مات في هذه الحملة حباً في الرب وفي إخوانه، فإن خطاياه سوف تغتفر، وسوف ينال بالتأكيد نصيبه في الحياة الخالدة بفضل رحمة الرب الواسعة. ولذا، فإذا كان أحكم قد قرر أن يذهب إلى آسيا، فأنه يجب أن يفي بقسمه هنا وليس هناك، لأنه ليس من الخير في شيء أن تنقذ المسيحيين من المسلمين، فقط لكي تعرضهم في مكان آخر لطغيان المسلمين واضطهادهم. فليوقظ الرب العظيم في قلوبكم حب إخوتكم ويكافئكم على بسالتكم بالنصر على الأعداء.))

الملحق الثاني

رسالة قاضي سرقسطة والجمهور إلى الأمير أبي الظاهر تميم بن يوسف بن تاشفين عام 512هـ/1118م نقلاً عن: حسين مؤنس، الثغر الأعلى الأندلسي، ص.132–137

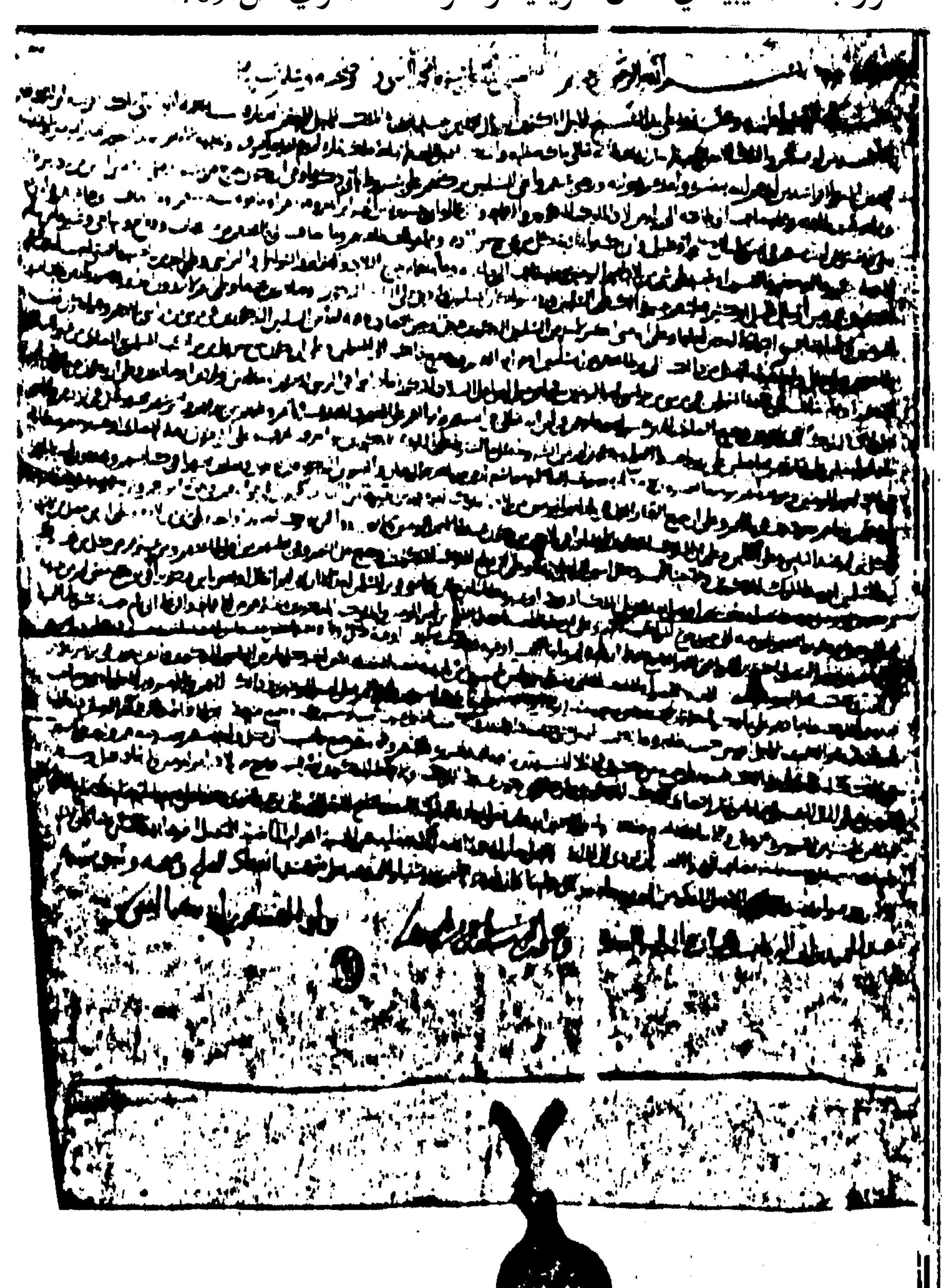
((من ملتزمي طاعة سلطانه، ومستنجديه على أعداء الله، ثابت بن عبد الله، وجماعة سرقسطة من الجمل فيها من عباد الله.أطال الله بقاء الأمير الأجل، الرفيع القدر والمحل، لحرم الإسلام يمنعه، ومن كرب عظيم على المسلمين، يزيحه عنهم ويدفعه.كتابنا أيدك الله بتقواه، ووفقك، ووفقك لاشتراء دار حسناه، بمجاهدة عداه، يوم الثلاثاء السابع عشر من الشهر المبارك شعبان، عن حال قد عظم بلاؤها، وادلهمت ضراؤها، فنحن في كرب عظيم، وجهد أليم، قد جل العزا والخطب، وأظلنا الهلاك والعطب، فيا غوثاه، ثم يا غوثاه إلى الله، دعوة من دعاه، وأمله لرفع الضرر ورجاه، سبحانه المرجو عند الشدائد، الجميل الكرم والعوايد، ويا لله، ويا للإسلام، لقد أنتهك حماه، وفضت عراه، وبلغ المأمول من بيضته عداه، ويا حسرتاه على حضرة قد أشفت على شفى الهلاك، طالما عمرت بالإيمان وازدهت بإقامة الصلوات وتلاوة القرآن ترجع مراتع للصلبان ومشاهد ذميمة لعبدة الأوثان، ويا ويلاه على مسجد جامعها المكرم، وقد كان مأنوساً بتلاوة القرآن المعظم، تطؤه الكفرة الفساق بذميم أقدامها، ويؤملون أن يدنسوه بقبيح آثامها، ويعمروه بعبادة أصنامها، ويتخذوه معاطن لخنازيرها، ومواطن لخماراتها ومواخيرها، ثم يا حسرتاه على نسوة مكنونات عذارى، يعدن في أوثاق الأسارى، وعلى رجال أضحوا حيارى، بل هم سكارى، وما هم بسكارى، ولكن الكرب الذي دهمهم شديد، والضر الذي مسهم عظيم جهيد، من حذرهم على بنيات قدكن من الستر نجيات الوجوه، أن يروا فيهن السوء والمكروه، وقدكن لا يبدون للنظار، فالآن حان أن يبرزن إلى الكفار، وعلى صبية اطفال قد كانوا نشئوا في حجور الإيمان، يصيرون في عبيد الأوثان، أهل الكفر وأصحاب الشيطان، فما ظنك أيها الأمير بمن يلوذ به بعد الله الجمهور، بأمة هي وقايد هذه العظام الفادحة، والنوائب الكالحة، هو المطالب بدمائها: إذا أسلمها في آخر بدمائها، وتركها أغراضاً لأعدائها، حين أحجم عن لقائها، فإلى الله بك المشتكى، ثم إلى رسوله المصطفى، ثم إلى ولي عهده أمير المسلمين المرتضى، حين ابتعثك بأجناده، وأمدك بالجم الغفير من أعداده، نادباً لك، إلى مقارعة العدو المحاصر لها وجهاده، والذب عن أوليائه المعتصمين بحبل طاعته، والمتحملين السبعة الأشهر الشدائد الهائلة في جنب موالاته ومشايعته، من أمة قد نهكهم ألم الجوع، وبلغ المدى بهم من الضر الوجيع، قد برح بهم الحصار، وقعدت عن نصرتهم الأنصار، فترى الأطفال بل الرجال جوعاً يحرون، يلوذون برحمة الله ويستغيثون، ويتمنون مقدمك بل يتضرعون، حتى كأنك قلت أخسأوا فيها ولا تكلمون. وما كان إلا أن وصلت وصل الله برك بتقواه، على مقربة من هذه الحضرة، ونحن نأمل منك بحول الله أسباب النصرة، بتلك العساكر التي أقر العيون بهاؤها، وسر النفوس زهاؤها، فسرعان ما

أثنيت وما أنتهيت، وأرعويت، وما أدنيت، خابياً عن اللقاء، ناكصاً على عقبيك عن الأعداء، فما أوليتنا غناء، بل زدتنا بلاء وعلى الداء داء، بل أدواء، وتتاهت بنا الحال جهداً والنواء، بل أذللت الإسلام والمسلمين، واجترحت فضيحة الدنيا والدين، فيا لله ويا للإسلام، لقد اهتضم حرمه وحماه أشد الاهتمام، إذ أحجمت أنصاره عن إعزازه أقبح الأحجام، ونكصت عن لقاء عدوه وهو في فئة قليلة، وملة رذيلة، وطائفة قليلة يستنصر بالصلبان والأصنام، وانتم تستنصرون بشعار الإسلام، وكلمة الله هي العليا ويده الطولى، وكلمة الذين كفروا السفلى، وأن من وهن الإيمان، وأشد الضعف، الفرار من الضعف، فكيف عن أقل من النصف، فما قبح من رضى بالصغار وسيم خطة الخسف، فما هذا الجبن والفزع، وما هذا الهلع والجزع، بل ما هذا العار والضيع ، أتحسبون يا معشر المرابطين، واخواننا في ذات الله المؤمنين، ان سبق على سرقسطة القدر، بما يتوقع منه المكروه والحذر، إنكم تبلغون بعدها ريقاً، وتجدون في ساير بلاد الأندلس عصمها الله، مسلكاً من النجاة أو طريقاً، كلا والله ليسو منكم الكفار عنها جلاء وفراراً، وليخرجنكم منها داراً فداراً، فسرقسطة حرسها الله، هي أسد الذي إن فتق، فتقت بعده أسداد، والبلد الذي إن أستبيح لأعداء الله، استبيحت له أقطار وبلاد، فالآن أيها الأمير الأجل، هذه أبواب الجنة قد فتحت، وأعلام الفتح قد طلعت، فالمنية ولا الدنية، والنار ولا العار ، فأين النفوس الأبية، وأين الأنفة والحمية، وأين الهمم المرابطية، فلتقدح عن زنادها بانتضاء حدها، وامتضاء جدها واجتهادها، وملاقاة أعداء الله وجهادها، فإن حزب الله هم الغالبون، وقد ضمن تعالى لمن يجاهد في سبيله أن ينصره، ولمن حامى عن دينه ان يؤيده ويظهره، فما هذا أيها الأمير الأجل، ألا ترغب في رضوانه، وأشتراء جناته، بمقارعة حزب شيطانه، والدفاع عن أهل إيمانه، فاستعن بالله على عدوه وحربه، وأعمد ببصيرة في ذات الله إلى أخوان الشيطان وحزبه، فأنهم أعراض للمنايا والحتوف، ونهز للرماح والسيوف، ولا ترض بخطة العار، وسوء الذكر والصيت في جميع الأمصار، ولا تكن كمن قيل فيه:يجمع الجيش ذا الألوف ويغزوولا يرزأ من العدو قتيلا ،ولن يسعك عند الله، ولا عند مؤمن، عذر في التأخر والأرعواء، عن مناجزة الكفار والأعداء ، وكتابنا هذا أيها الأمير الأجل، اعتذار تقوم لنا به الحجة في جميع البلاد، وعند سائر العباد، في إسلامكم إيانا ، إلى أهل الكفر ولإلحاد، ونحن مؤمنون، بل موقنون من أجابتكم إلى نصرتنا، وإعدادك إلى الدفاع عن حضرتنا ، وأنك لا تتأخر عن تلبية ندائنا ودعائنا، إلى استنقاذنا من أيدي أعدائنا، فدفاعك إنما هو في ذات الله، وعن كلمة (الدين وربه) ومحاماتك عن الإسلام وحزبه، فذلك الفخر الأنبل لك في الأخرى والدنيا، ومورث لك عند الله المنزلة العليا، فكم تحيى من أمم، وتحلى من كروب وغمم، وأن تكن منك الأخرى، وهي الأبعد عن متانة دينك وصحة يقينك، فأقبل بعسكرك على مقربة من سرقسطة عصمها الله، ليخرج الجميع عنها، ويبرأ إلى العدو وقمة الله منها، ولا تتأخر كيفما كان طرفة عين، فالأمر أضيق ، والحال أزهق، فعد بنا عن المطل والتسويف، قبل وقوع المكروه والمخوف، وإلا فأنتم المطالبون عند الله بدمائنا وأموالنا، والمسؤولون عن صبيتنا

وأطفالنا، لأحجامكم عن أعدائنا، وتثبطكم عن إجابة ندائنا، وهذه حال نعيذك أيها الأمير الأجل عنها، فأنها تحملك من العار ما لم تحمله أحداً، وتورثك وجميع المرابطين الخزي أبداً، فالله الله أتقوه، وأيدوا دينه وانصروه ، فقد تعين عليكم جهاد الكفار، والذب عن الحريم والديار، قال الله: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ))( )، وقد برئتم بإسلامنا للأعداء من نصر الإسلام، وعند الله لنا لطف خفي، ومن حرمته ينزل الصنع الخفي، ويغنينا الله عنكم، وهو الحميد الغني. ومن متحملي كتابنا هذا، وهم ثقاتنا، تقف من كنه حالنا على ما لم يتضمنه الخطاب ولا استوعبه الإطناب بمنه، وله أتم الطول في الإصغاء إليه واقتضاء ما لديهم إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.))

الملحق الثالث:

وثيقة صلح بين المستنصر الحفصي و الصليبيين ،من كتاب ممدوح حسين و مصطفى شاكر ، الحروب الصليبية في شمال افريقية و أثرها الحضاري،ص.709.



بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد النبي و آله و صحبه و سلم تسليما .

هذا ما اتفقوا عليه وعقدوه على يد الشيخ الأجل الأكرم أبو زيان محمد بن عبد القوي : الملك الأجل

المعظم المختار فليب بنعمة الله تعالى ملك افرنسة ابن الملك الأجل الأقدم لويس : و الملك الأجل المعظم جارل بنعمة الله تعالى ملك صقلية ، و الملك الأجل المعظم يبلط ملك نفارة ، أمدهم الله تعالى لتوفيقه ، والخليفة الإمام المؤيد المنصور أمير المؤمنين أبو عبد الله محمد بن الأمراء الراشدين أيدهم الله بنصره و أمده بمعونته و رضي عنهم و أبقى للمسلمين بركتهم ،على شروط يأتي ذكرها وهي : أن يكون جميع من يتردد من المسلمين الذين من بلاد أمير المؤمنين و مما هو تحت طاعته و مما ينضاف إلى طاعته إلى بلد من بلاد الملوك المذكورين و الاقماط و الزعماء ، أو الى الجزيرة من الجزاير المعروفة بهم ،أو ما هو تحت طاعتهم ، في أمان الله تعالى لا يعترض احد منهم في نفس و لا في مال كثير أو قليل وأن يكفوا عادية كل من يخرج من بلادهم و مما هو تحت طاعتهم ، وما ينضاف الى طاعتهم من مسطحات و قطع و شياطي و غيرها من ساير الأجفان كبيرها أو صغيرها ،لضرر أو تعدي عن شيء من بلاد أمير المؤمنين و مما ينضاف إلى طاعته و ما بينها من جميع البلاد و الجزاير و السواحل و المراسي ،أو على أحد من ساكنيها ، فمتى أصيب أحد من المسلمين المذكورين في نفس أو مال قليل أو كثير فعليهم جبر ذلك على المسلمين و رده ، سواء كان المسلمون واردين على البلاد المذكورة أو صادرين عنها ،و أنهم لا يمدون أحدا يريد ضرر بلد من بلاد أمير المؤمنين و لا ما ينضاف إليها ولا أحد من أهلها ، و على انه متى انكسر لأحد من المسلمين المذكورين جفن ،أو جفن للنصارى وفيه أحد للمسلمين المذكورين في مرسى من مراسي بلادهم وفيما يكون تحت طاعتهم من المسلمين ،فعلى كل واحد منهم حفظ ما يصل من ذلك إلى بر طاعتهم من المسلمين أو من أموالهم ورد جميع ذلك إلى المسلمين ، وعلى أن يكون جميع ما يحل من مراكب المسلمين و النصارى من غير البلاد المذكورة و مما ينضاف إلى طاعة المسلمين في مرسى من مراسي أمير المؤمنين في أمن مثل أمن أهل البلاد المذكورة ما داموا في المرسى المذكور أو مقلعين واردين أو صادرين ، و على أن يكون جميع من يصل من تجار أهل بلاد الملوك المذكورين ، و جميع النصارى الذين هم أصدقاؤهم ، في أمن الله تعالى في أنفسهم و أموالهم على المعهود المتعارف فيما لهم و عليهم من بيوعهم و أشريتهم ، محفوظين في ترددهم و اقامتهم ،ماداموا مقبلين على تجارتهم محافظين على ربوط هذا الصلح ، ويكون لهم من الشروط مثل مثل ما اشترط على الملوك المذكورين سوا حرف بحرف ، وعلى ان يكون رهبان النصارى أو قسوسهم سكان في بلاد أمير المؤمنين ، وهو يعطيهم موضعا يعمرون فيه دياره و بيوت الصلاة ،و مواضع لدفن موتاهم ، والرهبان و القسوس المذكورين يعظون و يصلون مجهرا في كنايسهم ، يخدمون بما يلزم شريعتهم و بما هم معودون في بلدهم ، على ان جميع جميع التجار الذين في بلد أمير المؤمنين من بلاد الملوك المذكورين و غيرها من النصارى يكونون على عوايدهم في جميع أمورهم ، ويرد لهم كل شيئ عند الناس و على الناس ،و على ان يكون الملوك المذكورين لا يبلوا في بلادهم من يكون عدوا لامير المؤمنين ، ولا بنجدوا لمن يتحرك لضرر أو لتعدي على شيء من بلاده ، وعلى أن من حصل من الاسرى ببلد المسلمين أو بيد الملوك المذكورين و بقي حيا فيرد كل اسير

إلى أهل دينه ، و على ان يقلع الملوك المذكورين و جميع من اليهم و في محلتهم من أهل طاعتهم و من غيرهم من كل من تحرك بحركتهم أو وصل في صرختهم أو معونتهم أو يصل بعدهم مثل الملك إدوار أو غيره كائنا ما كان ، و لا يبقى في بر المسلمين أحد الا إن بقي لهم أثقال أوبعض ناس فيكونوا في موضع معين لهم من جمة أمير المؤمنين ، و يكونوا محفوظين منه إلى حين رجوع المراكب اليهم، و على ان مدة انعقاد الصلح بين امير المؤمنين و الملوك المذكورين و غيرهم من الاقماط و الزعماء الى تمام خمسة عشر عاما شمسية ، أولها شهر نوفمبر المتصل بأكتوبر الموافق لشهر التاريخ ، و على ان يعطي لهم مايتا ألف أوقية ذهب و عشرة آلاف أوقية ، وكل أوقية منها يقبض عنها من الفضة ما قدره خمسون درهما من دراهمهم في الوزن و الطيب ،يعجل لهم منها نصف العدد محضرا و، والنصف الثاني مقسط بين عامين شمسيين من تاريخه ،نصف المقسط يقبض آخر كل عام من العامين المذكورين،و الذين يبقون في بر أمير المؤمنين بعد سفر الملوك و أجنادهم على ما ذكرناه يكونون محفوظين من جمة أمير المؤمنين رد ذلك اليهم ،الانبرور الأجل بادوين صاحب قسطنطينية و الكمت الأجل ألفوس كمت طلوزة ، الكمت الأجل كي كمت دافلندر ، والكمت الأجل هري كمت لوسنبرك ، وجميع من حضر من الاقماط و الزعماء و الفرسان الداخلون في ذلك كله و لازم لهم ذلك .شهد على الجميع من ذكر في الأعلا المشهودين بما فيه بعد تقريرهم عليهم و فهمهم جميع ما نسب الى كل واحد منهم بمحضر الجميع ، وليعطي أمير المؤمنين على المال المتبقي ضمانا من تجار النصارى للملوك المذكورين إن وكل من يكون عدوا للملوك و الاقماط المذكورين يصرف و يخرج من بلاد أمير المؤمنين ، ويعاد يقبل ، وشهد أيضا من حضر من القسوس و الرهبان والاساقفة بجيع ذلك ، وامير المؤمنين أيده الله تعالى ، وولده المبارك الاسعد ، والشيخ الأجل أبو زيان بن عبد القوي ،و عدوا على دينهم و أمناتهم لتمام ذلك ، بتاريخ الخامس لربيع آخر عام تسعة و ستين و ستمائة ، ويضاف الى هذا العقد أن يؤدي الملك الأجل جارل بنعمة الله ملك صقلية عن خمسة أعوام الماضية المتصل آخرها بهذا التاريخ ما كان يودي للانبرور سوا ، و يودي للملك الاجل المذكور من اليوم رجاء في كل عام ماكان يودي للملك الاجل المذكور من اليوم رجاء في كل عام ماكان يودي للانبرور مثنيا

و الحمد لله تعالى ، شهد بانعقاد الصلح و صحته و ثبوته عبد الحميد بن أبي البركات بن عمران بن أبي الدنيا الصدفي ، و علي التميمي بن ابراهيم بن عمر ، و أبو اقاسم بن أبي بكر التجيبي

الملحق الرابع

وثيقة وقفية الملك الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين الأيوبي –تأكيد وقفية حارة المغاربة –666هـــ1227م، من كتاب :نكبة حارة المغاربة في صور أربعون عاما تحت الاحتلال الإسرائيلي، مؤسسة الأقصى لاعمار المقدسات الإسلامية 2007 ، ص.9 .



وثيقة وقفية الملك الأفضل نور الدين علي ابن صلاح الدين الأيوبي
لحارة المغاربة في القدس

الوثيقة التاريخية

نص الوثيقة

بسم الله الرحمن الرحيم ، يشهد من أثبت اسمه و شهادته أخر هذا المحضر و هم يومئذ من الشهود الأمناء الأحرار العقلاء المسلمين الذكور الأخيار من أهل علم و مخبرة بما يشهدون به شهادة عرفوا صحتها و تحققوا معرفتها ...لا يشكون فيها و لا يرتابون ..و يلقون الله بأدائها أنهم يعرفون جميع الحارة المعروفة المسماة بحارة المغاربة الكائنة بمدينة القدس الشريف و إلى الطريق المسلوكة إلى عين سلوان ، و الحد الثالث و هو الشمالي ينتهي إلى القنطرة المعروفة بقنطرة أم البنات ، والحد الرابع و هو الغربي وينتهي إلى دار الأمير عماد الدين بن موسكي ، ثم إلى قاضي القدس الشريف ، ثم إلى دار الأمير حسام الدين قايماز.

ويشهد شهوده إن هذه الحارة المعينة أوقفها السلطان الملك الأفضل نور الدين على بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي ، رحمها ، على جميع المغاربة على اختلاف أوصافهم وتباين حرفهم ذكورهم و إناثهم كبيرهم و صغيرهم فاضلهم و مفضولهم ، ويسكنوا فيها في مساكنها و ينتفعوا بمرافقها على قدر طبقاتهم و ما يراه الناظر عليهم و على وقفهم من ترتيب ذلك و تفضيل من يفضله و تقديم من يقدمه ، بحيث لا يتخذ شيء من المساكن ملكا و لا احتجازا و لا بيعا ، وقفا مؤبدا شرعيا ، ماضيا جاريا على هذه

الطائفة المغاربة ... .

و يشهد شهوده أن النظر في ذلك و في كل جزء منه ، وفي ترتيب أحواله ووظائفه و أموره ، راجع إلى من يكون قدوة من المغاربة المقيمين في كل عصر و أوان بالقدس الشريف ، يتولى ذلك بنفسه ، وله أن يولي من اختار و آثر ، ويستنيب عنه من يقوم مقامه ، وله عزله إذ أراد... .

و يشهدون به و بذلك كتبوا شهادتهم في اليوم الرابع و العشرين من شهر الله رجب الفرد سنة ست و ستين و ستمائة _12-6-م1262.

الملحق الخامس :

جدول يوضح تواريخ أهم المعارك الحربية مع النصارى من كتاب محمد بن إبراهيم أبا خليل ، جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين و الموحدين ص.511.

المعركة و تاريخها	نوعية المعركة	القوة النصرانية التي اشتبك معها المسلمون
وشقة489هـ/1096م	هجوم نصراني على مدينة وشقة الإسلامية	أرغون
أقليش501هـ/1108م	حملة إسلامية خرجت لمواجهة العدو	قشتالة
طلبيرة أوائل سنة503هـ/1110م	حملة إسلامية خرجت لمواجهة العدو	قشتالة
سرقسطة أواخر سنة503هـ/1110م	هجوم نصراني على مدينة سرقسطة الإسلامية	أرغون
البورت 508هـ/1114م	حملة إسلامية خرجت لمواجهة العدو	برشلونة
كتندة514هـ/1120م	حملة إسلامية خرجت لمواجهة العدو	أرغون
كولية 522هـ/1128م	حملة إسلامية خرجت لمواجهة العدو	أرغون
المرية542هـ/1147م	هجوم نصراني على مدينة المرية الإسلامية	مجموعة من القوى النصرانية
بطليوس556هـ/1147	غارة نصرانية على مدينة بطليوس الإسلامية	البرتغال
شربة561هـ/1165م	غارة نصرانية على مدينة شربة الإسلامية	البرتغال
وبذة 567هـ/1172م	حملة إسلامية خرجت لمواجهة العدو	قشتالة
لرية 575هـ/1180م	غارة نصرانية على مدينة لرية الإسلامية	أرغون
شنترين 580هـ/1184م	حملة إسلامية خرجت لمواجهة العدو	البرتغال
الأرك 591هـ/1195م	حملة إسلامية خرجت لمواجهة العدو	قشتالة
شلبطرة608هـ/1211م	حملة إسلامية خرجت لمواجهة العدو	قشتالة
العقاب 609هـ/1212م	حملة إسلامية خرجت لمواجهة العدو	قشتالة
أبذة609هـ/1212م	هجوم نصراني على مدينة أبذة الإسلامية	قشتالة
قصر أبي دانس 614هـ/1217م	هجوم نصراني على مدينة قصر أبي دانس الإسلامية	مجموعة من القوى النصرانية
لوشة 622هـ/1225م	هجوم نصراني على مدينة لوشة الإسلامية	قشتالة
ميورقة 627هـ/1229م	هجوم نصراني على مدينة ميورقة الإسلامية	أرغون
أنيشة 634هـ/1237م	حملة إسلامية خرجت لمواجهة العدو	أرغون

الملحق السادس :

جدول يوضح تواريخ سقوط عدة مدن تم جمعها من مصادر و مراجع معتمدة في هذه المذكرة

المدينة	تاريخ سقوطها	المدينة	تاريخ سقوطها
Pmpalone بمبلونة	**130 هـ \ 748 م**	**Denia** دانية	**636 هـ \1238 م**
Barcelona برشلونة	**374 هـ \ 985 م**	**Cartagena** قرطاجنة	**640 هـ \1242 م**
Santiago سانتياغو	**387 هـ \ 997 م**	**Denia** دانية	**641 هـ \1243 م**
Leon ليون	**392 هـ \1002 م**	**Murcia** مرسية	**641 هـ \1443 م**
Salamanca سلمنقة	**446 هـ \1055 م**	**Jaen** جيان	**644 هـ \ 1244 م**
Colambra قلمرية	**456 هـ \ 1064 م**	**Lisbaana** لشبونة	**645 هـ \ 1245 م**
Barbastro بربشتر	**457 هـ \ 1061 م**	**Jativa** شاطبة	**645 هـ \1247 م**
Madrid مدريد	**476 هـ \1084 م**	**Sevilla** إشبيلية	**646 \ 1248 م**
Toledo طليطلة	**477 هـ \ 1085 م**	**Lerida** لاردة	**647 هـ \ 1249 م**
Huesca وشقة	**489 هـ \ 1087 م**	**Huelva** ولبة	**661 هـ \ 1262 م**
Tudela تطيلة	**507 هـ \1114 م**	**Nibela** لبلة	**661 هـ \ 1262 م**
Zaragoza سرقسطة	**512 هـ \1119 م**	**Cadis** قادس	**661 هـ \1262 م**
Cuonca قونقة	**543 هـ \1177 م**	منورقة(بقيةجزرالباليار) **Menorca**	**686 هـ \1287 م**
Silves شلب	**585 هـ \ 1179م**	**Giraltar** جبل طارق	**702 هـ \ 1302 م**
Merida ماردة	**619 هـ \ 1222 م**	**Ceuta** سبتة	**818 هـ \1415 م**
Badajos بطليوس	**627 هـ \ 1229 م**	**Ronda** رندة	**890 هـ \ 1484 م**
ميورقة (من جزر الباليار) **Mallorca**	**628 هـ \ 1230 م**	**Malaga** مالقة	**893 هـ \ 1487 م**
Ibza يابسة	**632 هـ \1235 م**	**Cudix** وادي آش	**894 هـ \ 1488 م**
Cordoba قرطبة	**633 هـ \1236 م**	**Almeria** المرية	**894 هـ \1488 م**
Tolavera طلبيرة	**633 هـ \ 1236 م**	**Granada** غرناطة	**898 هـ \ 1492 م**

الملحق السابع:

رحلة رامون لول الى افريقية و ثوران المسلمين بسبب استفزازاته من كتاب
J.N.Hillgarth,Ramon lull and lullism in Fourteenth Century France,p.514



الملحق الثامن:

رجم رامون لول في بجاية من كتاب ممدوح حسين و مصطفى شاكر، الحروب الصليبية في شمال افريقية و أثرها الحضاري،ص.746.



الملحق التاسع:

حي المغاربة عام 1930من كتاب نكبة حارة المغاربة في صور أربعون عاما تحت الاحتلال الإسرائيلي، مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية 2007 ، ص.7 .



حـــي المغاربـــة - عامر بالســـكان والعقارات لمئات السنين

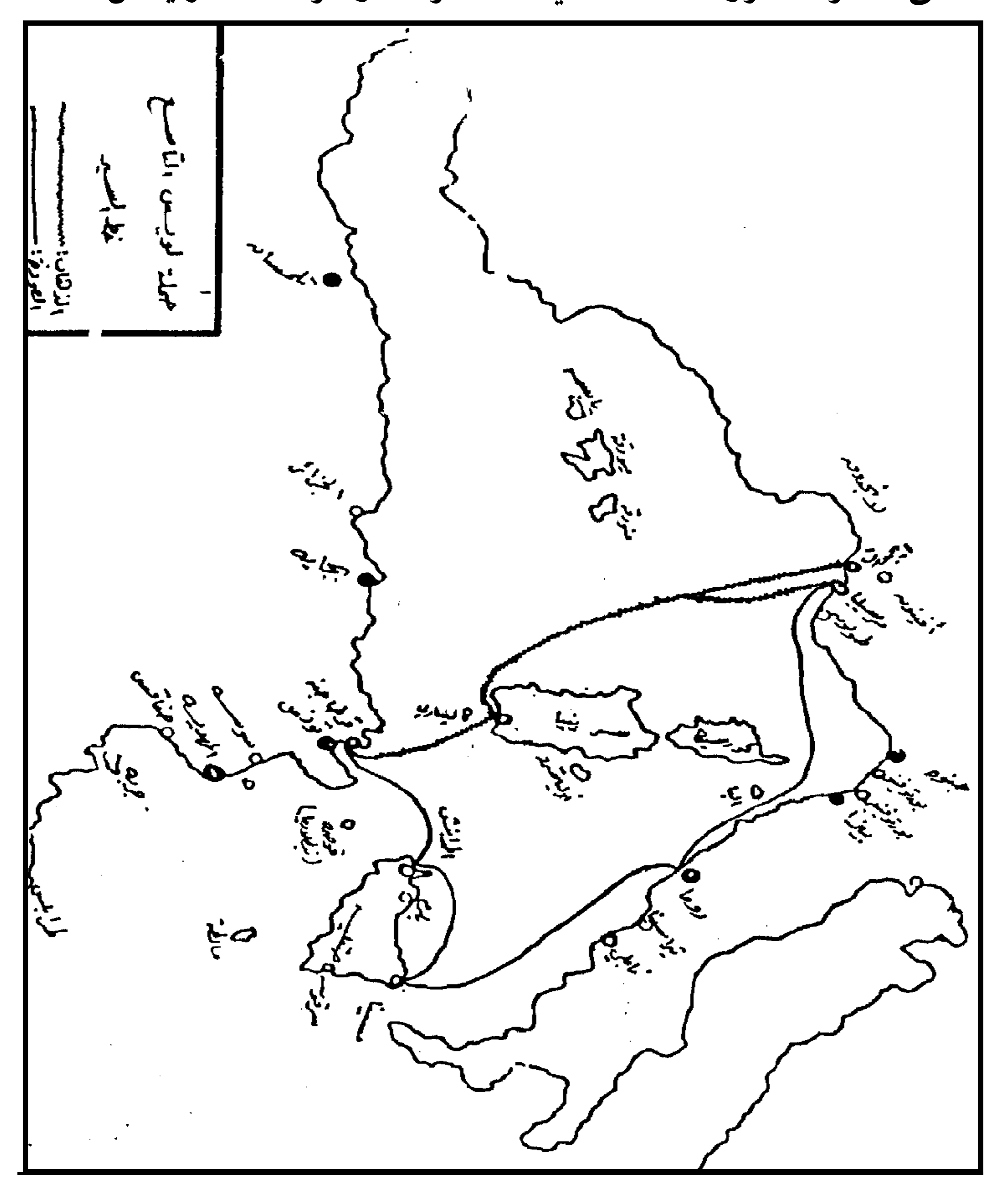
شارك متطوعون من بلاد المغرب العربي (شمال أفريقيا- الجزائر، المغرب، تونس، ليبيـــا) في جيش صلاح الدين الأيوبي عنـــد تحريره بيت المقدس ٥٨٣هـــ / ١١٨٧م، وحباً في المسجد الأقصى ودفاعاً عنه استوطن المتطوعون المغاربة فـــي الجهة الجنوبية الغربية من المســـجد الاقصى، وأوقف لهم الملك الأفضل علي ابن صلاح الدين الأيوبي عام ٨٥٨هـــ /١١٨٩م البقعة الملاصقة للمسجد الأقصى وحائط البراق، وســـميت بحارة أو حي المغاربة وســـمي الباب باب المغاربة، وعلى مدار مئات السنين كان الحي عامراً بالســـكان والحياة، فقد اشتملت على الكثيرمن العقارات والأوقاف الإسلامية.

الملحق العاشر

باب المغاربة : نقلاً عن ، رشاد عمر المدني: الحياة العلمية في فلسطين في مرحلة الصراع الصليبي الإسلامي ،ص.257.

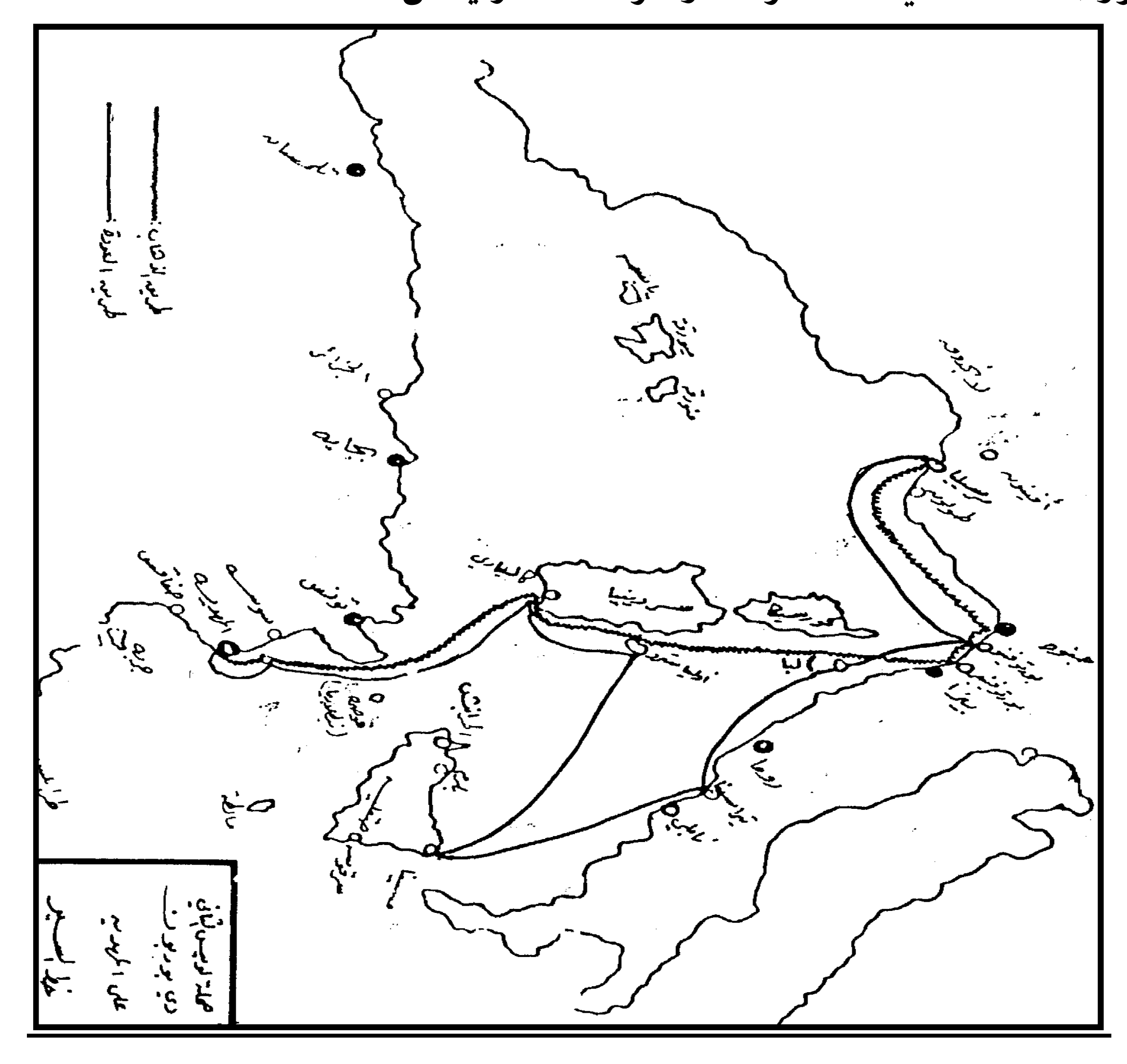


<u>الملحق الحادي عشر</u>: خريطة لخط سير حملة لويس التاسع ،من كتاب ممدوح حسين و مصطفى شاكر ، الحروب الصليبية في شمال افريقية و أثرها الحضاري،ص.754.



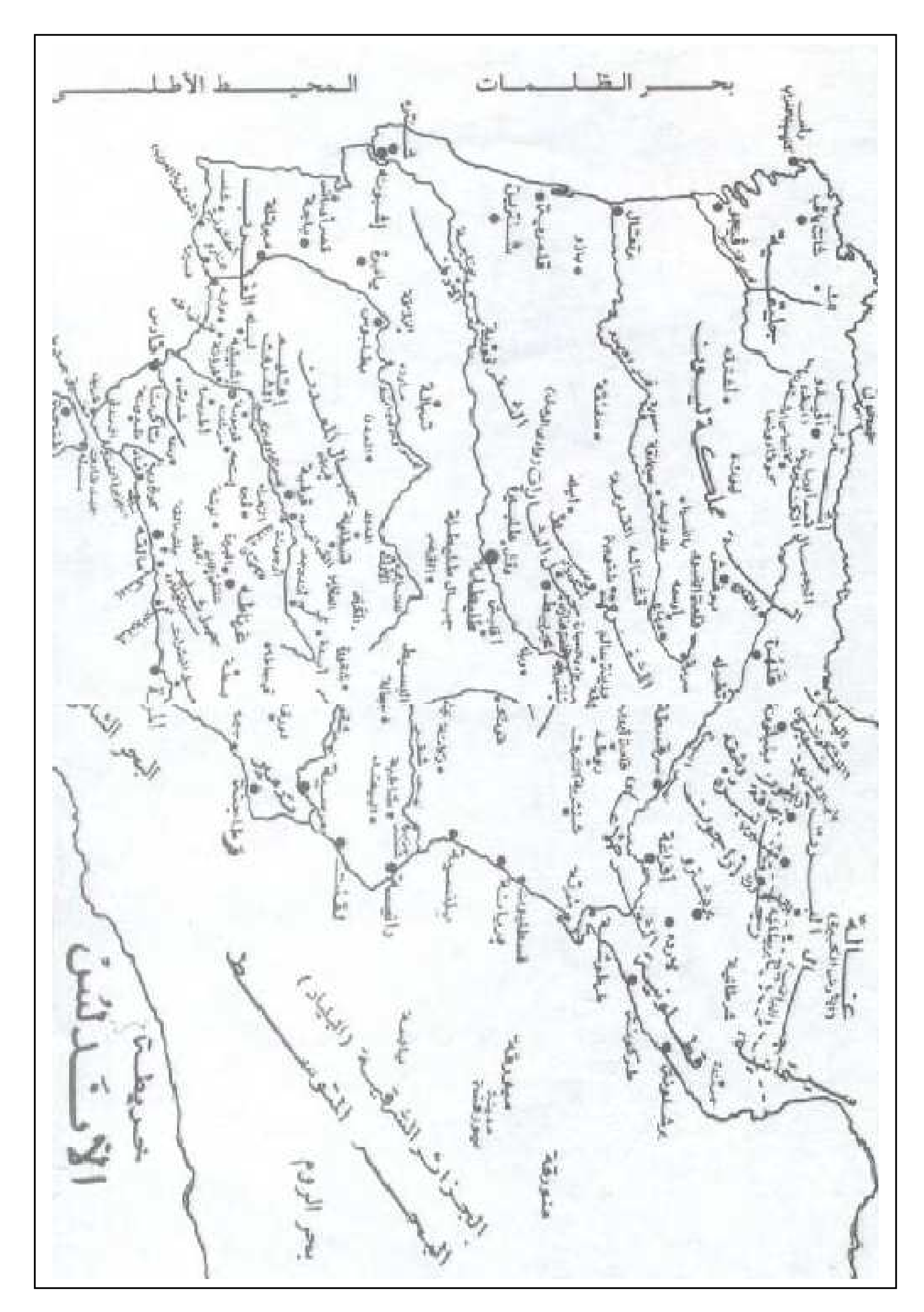
الملحق الثاني عشر:

حملة لويس الثاني دي بورمون ، من كتاب :ممدوح حسين و مصطفى شاكر ، الحروب الصليبية في شمال افريقية و أثرها الحضاري،ص.755.



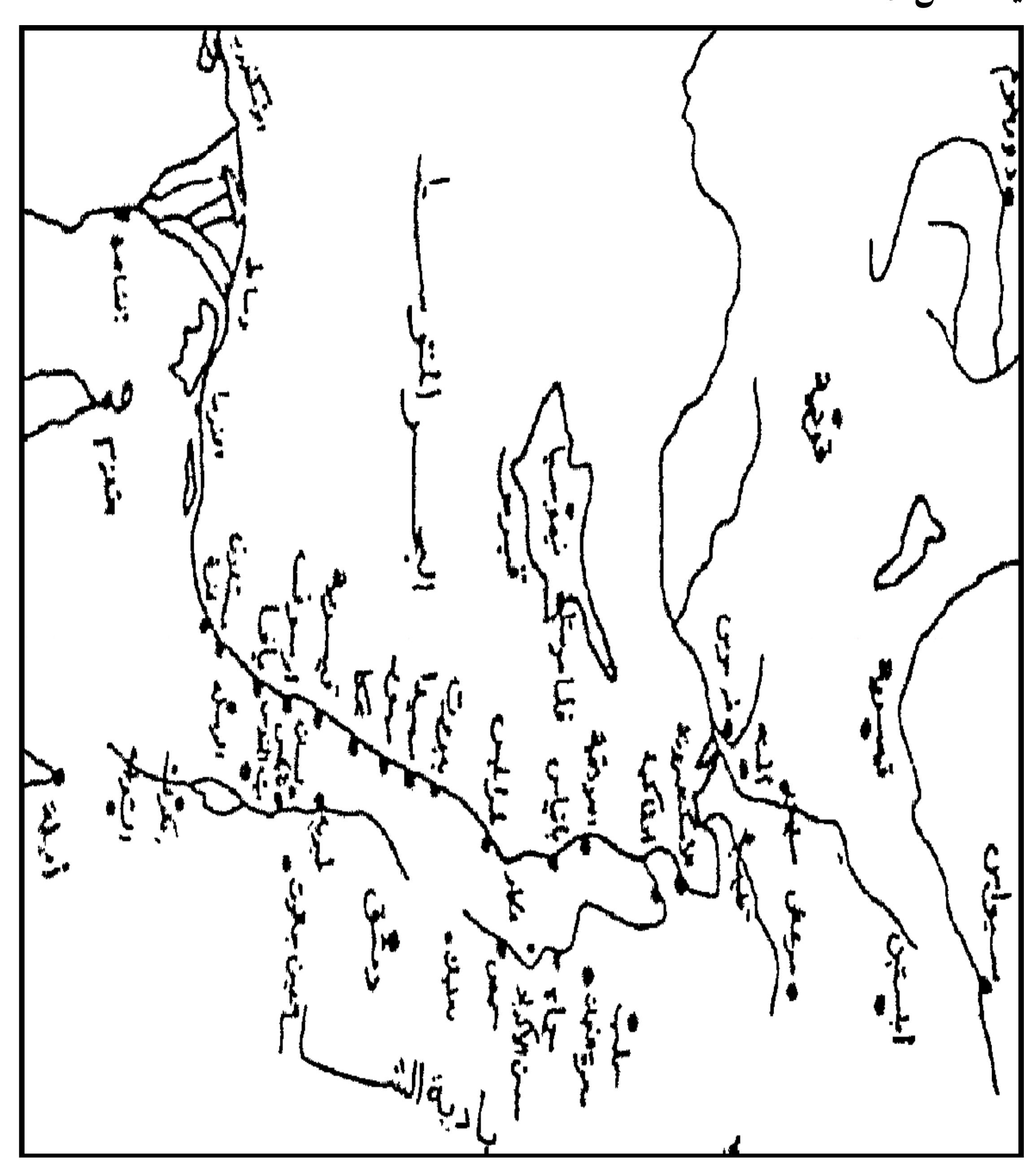
الملحق الثالث عشر :

مواقع المدن الأندلسية من كتاب :حسين مؤنس معالم تاريخ المغرب و الأندلس ،ص.509.



الملحق الرابع عشر

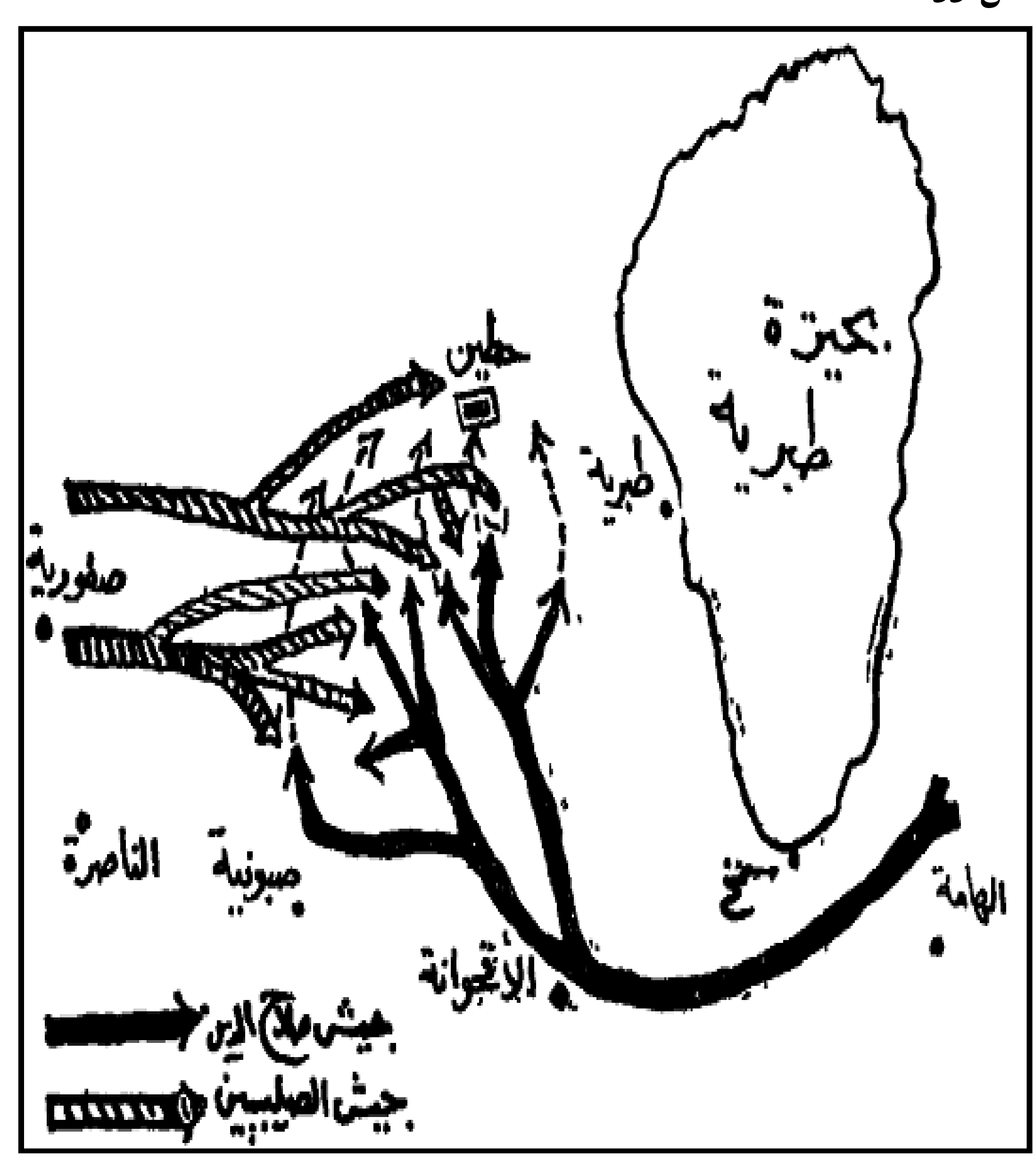
مدن الشام في القرن الثالث عشر ،من كتاب أحمد مختار العبادي ، في تاريخ الأيوبيين و المماليك ،ص.267.



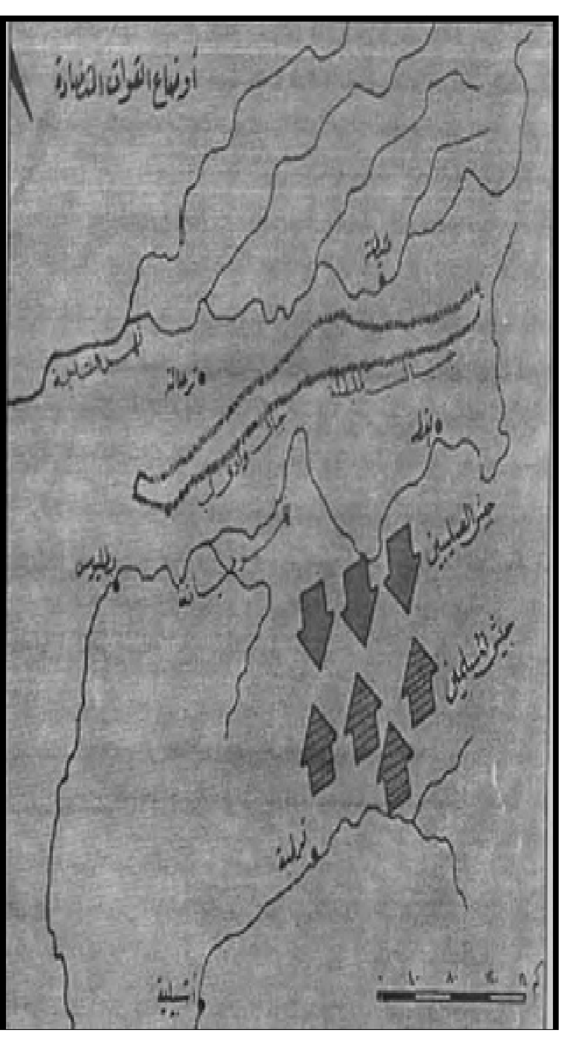
الملحق الخامس عشر

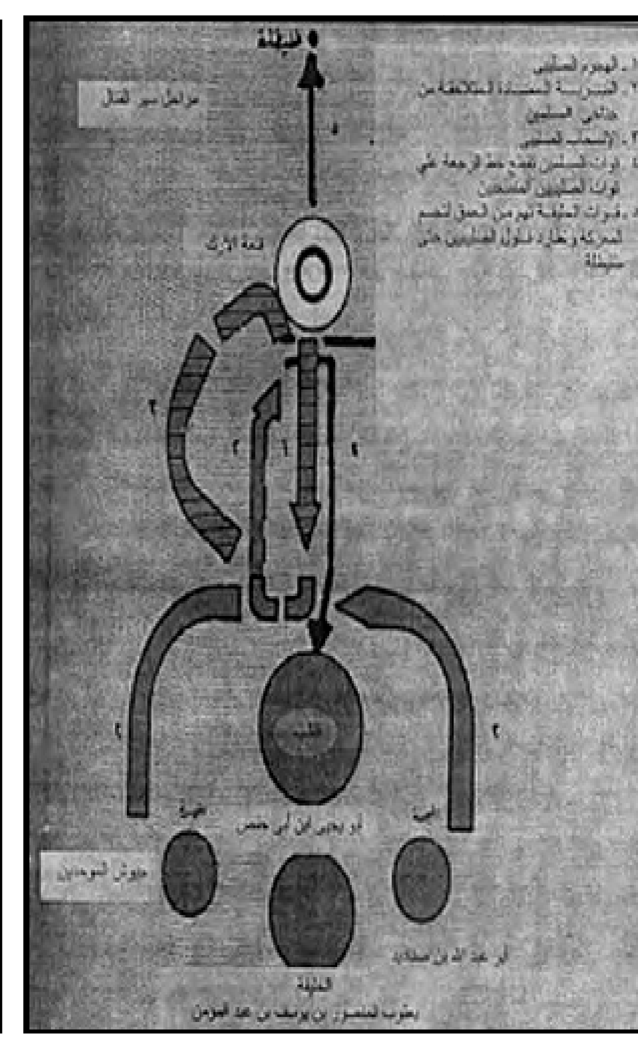
الإستراتيجية الحربية في معركتي حطين و الأرك

1/خطة معركة حطين: عبد الرحمن زكى ،الجيش المصري في العصر الإسلامي ،ص.133.



2/خطة معركة الأرك من كتاب فتحي زاغروت ،الجيوش الاسلامية و حركة التغيير،ص.336.





المصادر و المراجع

المصادر والمراجع

القـــرآن الكـــــريم

أولاً: المصادر العربية

- **بن أبي اصبيعة** موفق الدين ابي العباس احمد (ت.668هـــ/1229م).

1. عيون الأنباء في طبقات الأطباء ،تحقيق نزار رضا ،منشورات مكتبة الحياة ،بيروت ، 1965.

- **ابن اياس**(محمد بن احمد)،

2. بدائع الزهور في وقائع الدهور ،مطابع الشعب ،دط، مصر ،1960.

- **ابن الابار** أبو عبدالله محمد بن عبد الله أبي بكر القضاعي .

3. الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف ، ط.2،1985.

- **البلاذري** (أبي العباس أحمد بن يحي بن جابر)،

4. فتوح البلدان ،تح عبد الله أنيس الطباع ،مؤسسة المعارف ، دط ، بيروت ، 1407هــ/1987.

- **ابن الأثير** أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري الملقب بعز الدين(ت 630هــ/1232م).

5. الكامل في التاريخ، تحقيق يوسف الدقاق ،دار الكتب العلمية ،ط.1،بيروت ، 1987.

- **الإدريسي** أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس، (ت 560هـــ/1164م)،

6. المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1415هـــ/1994م.

- **البكري** أبي عبيد (487هـــ)،

7. المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب ، مكتبة المثنى ،دط،بغداد ،دت

- **الأتابكي** أبو المحاسن بن تغري بردي ،

8. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،دار الكتب العلمية بيروت ،الطبعة الأولى ، 1992.

- **ابن جبير**محمد بن أحمد (ت 614هـــ/1217م)،

9. الرحلة المسماه تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار، دار صادر،دط ،بيروت،دت.

- **ابن حزم** أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي،

10. جمهرة أنساب العرب، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف ،دط،مصر ، د.ت.

- **الحموي** شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله: (ت626هـــ/1228م)،

11. معجم البلدان، دار صادر،دط، بيروت ،1398هـــ/ 1977م ،

1416هـ/1995م.

●**الحميدي** (ابي عبد الله محمد بن ابي نصر فتوح بن عبد الله الازدي)(ت.488)،

12. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس،الدار المصرية للتأليف،دم،1966

●**الحميري** محمد بن عبد المنعم ،

13. الروض المعطار في خبر الأقطار ،تحقيق إحسان عباس ،دار العلم ، بيروت ،1975 .

●**الحنبلي** مجير الدين العليمي (ت867 هـ) ،

14. الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل ، تحقيق : عدنان يونس عبد المجيد نباتة،مكتبة دنديس،عمان،1420هـ/1999م.

●**بن حوقل** أبو القاسم النصيبي،

15. كتاب صورة الأرض ، ط.2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ، 1996.

●**ابن خرداذبة** أبو القاسم عبد الله بن عبد الله (ت. 380هـ/993م)،

16. المسالك والممالك، تحقيق دي جويه، مطبعة بريل،دط، ليدن، 1889م.

●**ابن خلدون**، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت. 808هـ/1405م)،

17. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر ،دط، بيروت، 2001م.

18. المقدمة، دار الفكر ، بيروت ، 2001م.

●**الدباغ** (عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسدي)،

19. معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تحقيق شبوح إبراهيم ،مكتبة الخانجي، مصر ،1968.

●**الذهبـــــي** شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1347م).

20. دول الإسلام ،تح حسن إسماعيل مروة،دار صادر ،ط.1، بيروت ،1999.

●**ابن الخطيب** لسان الدين محمد بن الخطيب(ت 776هـ)،

21. الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي ،ط.2،القاهرة،1393هـ/1973م.

22. أعمال الأعلام ،تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المكشوف ،ط.2 ، بيروت ، ،1956.

●**ابن خلكان** أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت 681هـ/1282)،

23. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس ،دار صادر ،دط، بيروت،

.1970

●**الإدريسي** الشريف.

24. نزهة المشتاق في اختراق الأفاق،مطبعة بريل،ط.2،ليدن،1906.

●**ابن أبي دينار** محمد بن ابي القاسم الرعيني.

25. المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، الطبعة الثالثة،دار المسيرة ،دط، بيروت ، 1993.

●**الزركشي** محمد بن إبراهيم ،

26. تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تحقيق محمد ماضور ، نشر المكتبة العتيقة ، ط.2،تونس ، 1966.

●**السخاوي** شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، (ت 902هـ/1496م)،

27. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار جيل ،ط.1 بيروت ،1996.

●**السيوطي**جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمّد(ت. 911 هـ/ 1605م)،

28. تاريخ الخلفاء، تحقيق إبراهيم صالح، دار صادر، ط. 1،بيروت، 1417 هـ/ 1997 م

●**أبو شامة** شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، (ت.665هـ/ 1266م)،

29. الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية،ط.1، ، بيروت، 1422هـ/2002م.

●**ابن شداد** بهاء الدين يوسف (ت. 632هـ/1234م)،

30. "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية"، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، مكتبة الخانجي ،ط.2 ، القاهرة ،1410هـ/1994م .

●**شهبة** ابن قاضي ،

31. الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق محمود زايد ، دار الكتاب الجديد،دط، بيروت،دت.

●**الإصطخري**أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (توفي في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)،

32. مسالك الممالك مطبعة إبريل، ليدن، 1937م.

- **الأصفهاني** (عماد الدين الكاتب الاصفهاني)(ت.597هـ)،

33. الفتح القسي في الفتح القدسي ، تحقيق محمد محمود صبح،دار المنار، دم، 2004م

- **الصنهاجي** أبو عبد الله محمد،

34. أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق وتعليق جلول أحمد بدوي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1984.

- **الضبي** احمد بن يحي بن احمد (599هـ-1203م)،

35. بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس ،تحقيق ابراهيم الابياري، دار الكتاب المصري و دار الكتاب اللبناني ، القاهرة و بيروت ، 1989/1410.

- **ابن عبد الحكم** أبو القاسم عبد الرحمن بع عبد الله القرشي (ت .257هـ/ 871م)،

36. فتوح مصر و المغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر ،الهيئة العامة لقصور الثقافة،دط، القاهرة، د.ت.

- **ابن عذارى** المراكشي،

37. البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس،تح، ج.س كولان وليفي بروفنسال،دار الثقافة ،ط.3،بيروت،1983.

- قسم الموحدين ,تحقيق محمد إبراهيم الكتاني و آخرون،دار الغرب الإسلامي و دار الثقافة ط.1،بيروت و الدار البيضاء ،1406هـ/1985م

- **العسقلاني** ابن حجر الدين أحمد (ت852هـ/1448م)،

38. الدرر الكامنة في أعيان المئة الثانية ، دار جيل ،ط.1، بيروت، 1414 هـ/1993م.

- **الأصفهاني** العماد عماد الدين بن عبد الله محمد بن محمد الكاتب (ت. 597هـ/ 1201م)،

39. الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبح، القاهرة، 1965م.

- **ابن الفرضي** (ت.1013/403م)،

40. تاريخ علماء الأندلس ،تحقيق إبراهيم الابياري ،، دار الكتاب المصري و دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الثانية،القاهرة و بيروت ، 1410هـ/1989م.

- **ابن القلانسي** أبي يعلي حمزة (تـ 555هـ/1160م)،

41. ذيل تاريخ دمشق، ،تحقيق سهيل زكار ، دار حسان، ط.1 ، دمشق

،1403هـ/1983م.

- **القلقشندي** أبي العبّاس أحمد بن علي بن أبي اليمن القاهري الشافعي (ت.821ه/1418م)،

42. صبح الأعشى،دار الكتب المصرية،دط،القاهرة،1340هـ/1922م

- **الرقيق القيرواني** ،

43. تاريخ افريقية و المغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ،دار الفرجاني ،ط.1 ، 1996.

- **ابن كثيــر** عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي (ت774هــ/1372م)،

44. البداية والنهاية، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، مكتبة المعارف، ط.2، بيروت، 1411 هــ/ 1990 م

- **ابن الكردبوس**(أبو مروان عبد الملك التوزري)،

45. تاريخ الأندلس ،تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية ،دط،مدريد،1966

- **المراكشي** أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأوسي الأنصاري ،

46. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1965 .

- **مجهول**،

47. الحلل الموشية ،تحقيق سهيل زهير و عبد القادر زمامة ،دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ،ط.1 ،1979.

- **مجهول**،

48. أخبار مجموعة في فتح الاندلس و ذكر أمرائها، تح ابراهيم الابياري،دار الكتاب المصري و اللبناني، ط.2، القاهرة و بيروت، ،1410هــ/1989م.

- **المقدسي** محمد بن أحمد(ت 390هــ/999م)،

49. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق، غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1980م.

- **المقري** أحمد بن محمد التلمساني،

50. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ،دط،بيروت 1988،

- **المقريزي** تقي الدين أحمد بن علي ، (ت. 845هـ/1441م)،

51. السلوك لمعرفة دول الملوك، نشره محمد مصطفى زيادة ، دط،دم،دت.

52. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية،تحقيق محمد زينهم و مديحة الشرقاوي ، ط.1، مكتبة مدبولى ،القاهرة، 1998 م.

- **القيرواني** الرقيق ،

53. تاريخ افريقية و المغرب ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ،دار الفرجاني ،ط.1،دم، 1996.

- **المسعــودي** أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ)،

54. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق يوسف البقاعي ،دار إحياء التــراث العــربي ، ط.1، بيروت ، د.ت

- **ابن منظور** محمد بن مكرم (ت 711هـ/1311م)،

55. لسان العرب ،تحقيق عبد الله علي الكبير و آخرون ، ط.1، دار المعارف، القاهرة.

- **ابن منقذ** مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي الكناني الشيرزي (ت 584هـ/1188م)،

56. كتاب الاعتبار، كتاب الاعتبار" ،تحقيق فيليب حتي،مكتبة الثقافة الدينية،دط،القاهرة،دت

- **الناصري** أحمد بن خالد،

57. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى, تحقيق المؤلف جعفر ومحمد الناصري, دار الكتاب ،دط،الدار البيضاء, 1954.

- **نعمان** القاضي ،

58. رسالة افتتاح الدعوة ،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ،بيروت ، 2005.

- **النويري** شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت 733هـ/1332م)،

59. نهاية الأرب في فنون الأدب، 31جزء،تحقيق مفيد قمحية، دار الكتب العلمية،ط.1 ، بيروت، 1424هـ/2004م.

- **النويري** الاسكندراني ، محمد بن القاسم بن محمد ،

60. كتاب الإلمام،تحقيق عزيز سوريال عطية ،دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ،دط، 1970.

- **ابن واصل** جمال الدين محمد بن سالم (ت697هـ/1298م)،

61. مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج1-3، تحقيق جمال الدين الشيال ، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1957م.

- **ابن وردان** ،

62. تاريخ مملكة الأغالبة ، تحقيق محمد زينهم محمد عزت، ط.1 ، مكتبة مدبولي ،القاهرة، 1988.

- **ياقـــوت** أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت626هـ) ،

63. معجم البلدان، بيروت، دار صادر،1397هـ 1977م.

- **اليعقوبي**(أحمد بن أبي يعقوب)،

64. البلدان،مطبعة بريل،دط،ليدن،1860.

ثانياً:المصادر الأجنبية:

1. **Hayton,**

Flos Historiarum Terre Orientis , dans Recueil des historiens des Croisades, ,Volume 14, Gregg Press, Académie des inscriptions & belles-lettres,France,1967.

65.



1 **إبراهيم محمود** ،حطين بين أخبار مؤرخيها و شعر معاصريها ، دار البشير ، عمان ، الطبعة الأولى ، 1987.

2 **أحمد حسن خضيري** ، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب العربي ، مكتبة مدبولي ، ط.1 ،دم،دت

3 **احمد عزيز** ، تاريخ صقلية الإسلامية ،ترجمة أمين توفيق طيبي ، الدار العربية للكتاب ،دم،1980

4 **احمد محمود حسن واحمد إبراهيم الشريف** ،العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي ،ط.5،دم،دت.

5 **أرسلان شكيب**: ،تاريخ غزوات العرب،دار الكتب العلمية،دط،بيروت،دت

6 **أزرقي فراد محمد** ، القوى المغربية في الأندلس ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1999.

7 **بدوي احمد** ،الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ،دار نهضة مصر ، ط.2 ،القاهرة،دت.

8 **بركات وفيق** ، فن الحرب البحرية ،معهد التراث العلمي الغربي ،دط،حلب، 1416هـ/1995.

9 **البستاني بطرس** ، معارك العرب في الأندلس ، دار مارون عباد ،دط،بيروت، 1987.

10 **التازي :عبد الهادي** ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، مطبعة فضالة،دط، المحمدية، 1986.

11 **تدمري عمر عبد السلام** ،لبنان من السقوط بيد الصليبيين حتى التحرير، دار الإيمان، طرابلس، 1997.

12 **ديفيد جاكسون** ،معركة حطين و الاستيلاء على القدس ،ندوة بعنوان800عام حطين صلاح الدين و العمل العربي الموحد ، دار الشروق ،ط.1، القاهرة ، 1989.

- **الحريري محمد عيسى** ،

13 الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي ، حضارتها و علاقتها الخارجية بالمغرب و الأندلس "، ط.3 ،دار القلم ، الكويت، 1987.

14 تاريخ المغرب و الأندلس في العصر المريني ، دار القلم ،ط.2، الكويت ،،1987

15 **حسن إبراهيم حسن** ، تاريخ الإسلام ،دار الجيل ،ط.14، بيروت،1996.

16 **حسن علي حسن** ، الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس ، مكتبة الخانجي، مصر

، ط.1 ، 1980.

17 حسين : **ممدوح و مصطفى شاكر**،الحروب الصليبية في شمال افريقية،دار عمار،ط.1، عمان،1998.

- **حمدي عبد المنعم محمد حسين ،**

18 التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس ،دار المعرفة الجامعية ،دط،الازاريطة،1997.

19 دراسات في تاريخ الايوبيين و المماليك ، ،دط، دار المعرفة الجامعية ،2000

20 **الحويري محمود محمد** ، بناء الجبهة الإسلامية المتحدة و أثرها في التصدي للصليبيين ،دار المعارف ، ط.1 ،القاهرة، 1992.

21 **خلف الله ابتسام مرعي** ، العلاقات بين الخلافة الموحدية و المشرق العربي ، دار المعارف ،القاهرة ، 1405هـ/1985م

- **أبو خليل شوقي ،**

22 الأرك بقيادة يعقوب المنصور الموحدي ،دار الفكر بيروت ، دار الفكر دمشق ،ط.1، 1979.

23 الحروب الصليبية ، دار الفكر ،دمشق، 2009

24 **الدهبي ادوار غالي** ، معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، مكتبة غريب ، الطبعة الأولى ،القاهرة،1993.

25 **الربيعي عبد الله بن عبد الرحمن** ، أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوروبي خلال الحروب الصليبية، دن، الرياض، 1994.

26 **رمضان عبد العظيم** ،الصراع بين العرب و أوربا ، دار المعارف،دط، القاهرة، 1983.

27 **رمضان عبد المحسن طه** ، الحروب الصليبية في الأندلس ميلادها وتطورها، مكتبة الانجلو المصرية،دط،القاهرة، 2001.

28 **أبو رميلة ، هشام** ،علاقة الموحدين بالممالك النصرانية و الدول الإسلامية في الأندلس ، دار الفرقان ، عمان،1404هـ/ 1984م

29 **زغروت فتحي** ،الجيوش الإسلامية و حركة التغيير في دولتي المرابطين و الموحدين ، دار التوزيع و النشر الإسلامية، الطبعة الأولى، القاهرة ، 2005

30 **زغلول عبد الحميد سعد** ، تاريخ المغرب العربي ،الإسكندرية، دار المعارف ، ج.1.

31 **زكي عبد الرحمن** ،الجيش المصري في العصر الإسلامي ،مكتبة الأنجلو المصرية ،دط،القاهرة،دت.

32 **زكار سهيل:** حطين مسيرة التحرير من دمشق الى القدس، دار حسان، ط.1، دمشق، 1986م.

33 **زيتون محمد محمد** ، المسلمون في المغرب و الأندلس ، دار الوفاء ،دط،القاهرة، 1984 .

34 **عز الدين عمر احمد موسى** ، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ، دار الشروق ، الطبعة الأولى،بيروت، 1983.

- **سالم السيد عبد العزيز،**

35 العصر العباسي الأول ،مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ،1993 ، ج.3

36 طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية،دط، 1386هـ/1966م.

37 البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة،دط،الإسكندرية ، 1993.

38 المغرب الكبير ،دار النهضة العربية ،بيروت،، ج.2، 1981.

39 **سالم عبد الرحمن احمد** ،المسلمون و الروم في عصر النبوة ،دار الفكر العربي ،دط،القاهرة،1997

40 **سعدون عباس نصر الله** ،دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين ، دار النهضة العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى، 1985.

41 **شاكر مصطفى**،الأندلس في التاريخ ، منشورات وزارة الثقافة ،دط،دمشق، 1990.

- **الشامي احمد ،**

42 صلاح الدين و الأيوبيين، مكتبة النهضة العربية ،القاهرة ،ط.1، 1991.

43 تاريخ العلاقات بين الغرب و الشرق في العصور الوسطى ،دار النهضة العربية ،ط.1،دم، 1985.

44 **الأشتر ،صالح** ، معركة الأرك ،دار الشرق العربي ،دط،بيروت،1988

45 **الشطشاط علي الحسين** ، تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة ،دار قباء، القاهرة ، 2001

46 **شلبي أحمد** ،التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية ،ط.1 ،القاهرة،1963

- **الصلابي علي محمد ،**

47 دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزوالصليبي ، دار الكتب والوثائق القومية ، الطبعة الأولى ،القاهرة، 2006/1427 .

48 –صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الأفريقي دولة الموحدين،دار الكتب و الوثائق القومية ، ط.1 ،القاهرة، 1996.

49 –صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس،دار المعرفة ،دط، بيروت ،1988

50 **الطرخان إبراهيم علي**،دولة القوط الغربيين،مكتبة النهضة المصرية،دط،القاهرة ،1958.

- **عاشور سعيد عبد الفتاح،**

51 الحركة الصليبية، الجزء الأول ،مكتبة الانجلو المصرية، ط.2 ، القاهرة،1981،ج.1 و الثاني:ط.2، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة 1418هــ/1978م.

52 بحوث في تاريخ الاسلام و حضارته"،عالم الكتب،ط.1،القاهرة،1987 .

53 أضواء جديدة على الحروب الصليبية،دار القلم ،دط،القاهرة،أكتوبر 1964.

54 تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام، دار النهضة العربية ،دط، القاهرة ، 1996.

55 عاشور سعيد عبد الفتاح و غنيم اسمنت ، تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، دار النهضة العربية،دط، القاهرة 1976.

- **العبادى أحمد مختار،**

56 في تاريخ المغرب و الأندلس ، دار النهضة العربية ، د ط، بيروت ،د ت

57 في تاريخ الأيوبيين و المماليك،دار النهضة العربية ،دط، بيروت، 1995.

58 في التاريخ العباسي و الفاطمي ،دار النهضة العربية ،دط، بيروت ،دت

59 ضمن بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية ، دور المغاربة في الحروب الصليبية في

المشرق العربي ، مؤسسة شباب الجامعة،دط ،الإسكندرية ، 1976 .

60 **عبد الحميد سعد زغلول** ،الأثر المغربي و الأندلسي في مجتمع الإسكندرية ،ضمن ندوة تاريخية مجتمع الإسكندرية عبر العصور ،الإسكندرية ،مطبعة جامعة الاسكندرية،الاسكندرية، أفريل 1973.

61 **عبد العظيم رمضان** ،الصراع بين العرب و أوربا، دار المعارف القاهرة، 1983.

62 **عبد المنعم أنور** ، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،يناير 1979.

63 **عز الدين عمر احمد موسى** ، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ، دار الشروق ، ط.1،القاهرة، 1983

64 **علي محمد** ، الأندلسيون و المغاربة في بلاد الشام ، دار طلاس ،ط.1 ، دمشق ، 1989.

65 **عمران محمود سعيد** ، "تاريخ الحروب الصليبية" ، دار المعرفة الجامعية ، 2000

66 **عنان محمد** ، دولة الإسلام في الأندلس،مكتبة الخانجي ،ط.4،القاهرة،1417 هـ/1997.

- **عوض محمد مؤنس:**

67 -"الحروب الصليبية"، دراسات تاريخية ونقدية، ط.1، دار الشروق، عمان، 1999م.

68 الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق و الغرب ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ،ط.1 ،عين شمس، 1999.

69 **غنيم اسمت** ،" الدولة الأيوبية و الصليبين" ، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية، 1990.

70 **فرحات يوسف شكري**،غرناطة في ظل بني نصر، المؤسسة الجامعيَّة للدراسات والنشر،دط، بيروت، 1982.

71 **الفغالي بولس و أنطوان عوكر** ،العهد الجديد ،مؤسسة الدكاش للطباعة ،ط.1،الدكوانة،2003.

- **قاسم عبده قاسم:**

72 -ماهية الحروب الصليبية، الإيديولوجية- الدوافع- النتائج" ،عين للدراسات

والبحوث الإنسانية والاجتماعية،ط.6،عين شمس، 2002م.

73 –الحملة الصليبية الأولى نصوص ووثائق، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ،ط.1 ،عين شمس،2001.

74 **قاسم عبد قاسم** ، **علي السيد علي** ، الأيوبيين و المماليك ، عين للدراسات و البحوث في الإنسانية و الاجتماعية ،عين شمس،دت.

75 **قلعجي قدري** ،صلاح الدين الأيوبي،شركة المطبوعات للتوزيع و النشر،ط.1،بيروت ،1991.

76 **لقبال موسى** ، المغرب الإسلامي ، الجزائر ، الشركة الوطنية للكتاب، ط.2 ،الجزائر،1981.

77 **محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين** ،جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى ،دار اصداء المجتمع ، الطبعة الأولى ، القصيم ،1419هـ/1998م.

78 **مخلوف محمد بن محمد** ،شجرة النور الذكية في طبقات المالكية،المطبعة السلفية ،دم،دت، 1350هـ

79 **مرمول محمد الصالح** ، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،1983 .

- **المطوي محمد العروسي**

80 الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار المغرب الإسلامي،ط.2،بيروت، 1982.

81 السلطنة الحفصية،تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي ،دط،،بيروت، 1986.

- **مؤنس حسين**،

82 فتح العرب للمغرب ، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،دت،

83 معالم تاريخ المغرب والأندلس ، دار رشاد ،دط،دم، 2004

84 موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافية الدينية ، ط.1 ،القاهرة، 1996،ج.1.

85 –"سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين"،مكتبة الثقافة الدينية ،ط.1،دم،2000/1420.

86 **الناظور شحادة ،و آخرون** ،الخلافة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري ، دار الثقافة للطباعة و النشر ،ط.1،الأردن، 1990.

87 **نصر الله سعدون عباس** ، دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين ، دار النهضة العربية ، ط.1، بيروت ، 1985

88 **النعنعي عبد المجيد** ،تاريخ الدولة الأموية في الأندلس ، دار النهضة العربية،دط، بيروت ،دت .

89 **نعيم أحمد سمير** ، النظرية في علم الاجتماع ، القاهرة ، دار المعارف, ط.2 , 1979 .

90 **نعينع سهير محمد** ، الحروب الصليبية المتأخرة، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، الطبعة الأولى ، مصر،2002.

91 **وهبة مصطفى** ، موجز تاريخ الحروب الصليبية ،مكتبة الإيمان ،الطبعة الأولى ،المنصورة ، 1997.

- **يوسف جوزيف نسيم**:

92 -الوحدة وحركات اليقظة العربية إبان العدوان الصليبي، دط،الإسكندرية، 1966م.

93 الإسلام و المسيحية ، دار الفكر الجامعي ، ط.1،الازاريطة ،1986

رابعاً: الكتب الأجنبية المترجمة

94 **أشباخ يوسف** ، تاريخ المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان ، ط.2،مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، 1377هـ/1958م.

95 **باركر آرنست**: الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، ط.2، دار النهضة العربية، بيروت 1967م.

- **بروفنسال ليفي**،

96 تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة. 92 ــ 798 هــ/ 711 ــ 1039 م، المجلس الأعلى للثقافة، مدريد، 1967.

97 حضارة العرب في الأندلس ، ترجمة ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت ،دت

98 **برنشفيك روبار** ، تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، بيروت، 1988.

99 **جب هاملتون**، صلاح الدين الأيوبي، دراسات في التاريخ الإسلامي، حررها يوسف ايبش، بيسان للنشر و التوزيع ، ط.2، بيروت، 1996م.

100 **جواتياين**، دراسات في التاريخ الإسلامي، والنظم الإسلامية، ترجمة عطية القومي، الكويت. ط.1 . 1980

101 **جوليان شارل أندري** ، تاريخ افريقية الشمالية، تعريب محمد مزالي البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر ،1969.

102 **ديوارنت وول وابرايل**، قصة الحضارة، ترجمة عبد الحميد يونس ،دار الجيل ،دط، بيروت، 1988م.

103 **فيشر**، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : أوروبا (العصور الوسطى) ،نقله إلى العربية : محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني ، دار المعارف ،ط.4، القاهرة 1966م.

104 **رنسيمان ستيفن**، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني،دار الثقافة، بيروت، 1969م.

105 **سميث جوناثان ريلي**

الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ترجمة محمد فتحي الشاعر، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م.

106 **الصورى وليم** ، الحروب الصليبية ، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،دط، 1994

- **عطية عزيز سوريال**،

107 الحروب الصليبية و تأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة فيليب صابر سيف، دار الثقافة ،ط.2، القاهرة،دت.

108 العلاقات بين الشرق و الغرب ،ترجمة فيليب صابر سيف ، دار الثقافة ،ط.1 ، مصر ، 1972.

109 **كاهن كلود** الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، سينا للنشـــر، ط. 1، القاهرة، 1995.

110 **رنجال مارمول** ، إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف، دط، الرباط، 1984.

111 **موريس لمبار**، الإسلام في مجده الأول ،ترجمة إسماعيل العربي ،دار الأفاق الجديدة ،ط.3،المغرب ، 1990.

112 **لوبون غوستاف** ، حضارة العرب،ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الثانية، القاهرة، 1367هـــ-1948م.

113 **لويس ارشيبالد** ،القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط 500 – 1100، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،دت.

114 **ميتز آدم** ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريد ، دار الكتاب العربي ، ط. 5 ، بيروت ،1957 .

115 **نورمان كارتون** ، التاريخ الوسيط ،قصة حضارة ، ترجمة قاسم عبده قاسم ،عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، ط.5 ،عين شمس،1998.

خامساً: المراجع الأجنبية

1. Atiya(Aziz S.),

- The Crusade in the Later Middle Ages, Second Edition, London , Great Britain , Butler and Tanner LTD , 1938.

2. Boase(T.S.Ross),

- Kingodoms and Stronghlds of The Crusaders, Thames Press , London . 1971.

3. Constable(Giles) ,

- Crusaders and Crusading in the Twelfth Century, England , Ashgate Publishing ,2008.

4. David R.(Blanks) ,

- Western views of Islam In Medieval and Early Modern Europe : Perception of Other , St. Martin's Press , New York , 1999.

5. E. Lévi- Provençal,

- L'Espagne Musulmane Aux Xéme Siécle : Institutions et vie Sociale , Maisonneuve et Larose, Paris, 1996.

6. G.A. (Loud) ,

- Norman Sicily in The Twelfth Century , In New Cambridge Medieval History , Great Britain, Vol. IV. Part II, Chapter XV, 2008.

7. **Grousset (René),**
Histoire Des Croisades et du Royaum franc de Jerusalem, Paris, 1936 .

8. **Henry (Lorens) ,**
- l'europe et l'islam Quinze Siécles d'histoire , Odile Jacob Press , Paris , 2009 .

9. **Henry treece,**
The Crusades, London,1962.

10. **Herbert M. J. Loewe ,**
Muslim Civilisation During the Abbasid Period , In Cambridge Medieval History, Great Britain , Vol. IV , 1923.

11. **J.N.Hillgarth**,
-Ramon lull and lullism in Fourteenth Century France,Oxford.1971.

12. **John V. (Tolan),**
- Saracens: Islam in the Medieval European Imagination New York , Columbia University Press , 2002.

13. **Lamb (Harold),**
The Crusades, Doubleday Doran & Company, INC, New York , 1931.

14. **Paul (Rousset),**
La Croisade, Histoire D'une IdÉologie , l'age D'homme Editions ,Lausanne,Suisse,1983.

15. **Ranil.W.H,**
Islam and The west ,Edink wah, London

16. **Rodriguez(jarbel),**
Captives and Their Saviors in The Medieval Crown Of Aragon,CUA press,2007.

17. **Runciman(Steven),**
Runciman (Steven), A. History of The Crusades, Cambridge University Press, ,vol. 1,1951.

18. **Setton(Kenneth M.),**

- A History of the Crusades, The University of Wisconsin Press , vol.l ,1975 .

19. Sir Hamilton Gibb ,

- The life of Saladin , Oxford , Clarendon Press , 1973 .

20. Stevenson (W.B.),

- The Crusaders in The East, Cambridge University Press Warehouse, London, 1907.

21. William B. Stevenson,

The First Crusade , in Cambridge Medieval History, Vol. 5, Great Britain,1923.

سادساً: الموسوعات العربية و المعاجم

1. **إبراهيم مصطفى** , وآخرون ، المعجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية,دط، إستانبول، 1960
2. **الخطيب مصطفى عبد الكريم** ،معجم المصطلحات والألقاب ، مؤسسة الرسالة ،الطبعة الأولى ،دم، 1996.
3. **زامباور**، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ،ترجمة زكي محمد حسن بك و حسن احمد محمود ، دار الرائد العربي ، بيروت، 1400هـ/ 1980م.
4. **الزركلي (خير الدين)** ، **الأعلام**، دار العلم للملايين،ط.15، ،بيروت، لبنان ،ماي2002
5. **زهر الدين صالح** ، موسوعة معارك العرب ، دار الندوة الجديدة ، الطبعة الأولى،بيروت، 2000،
6. **شلبي احمد** ، موسوعة الحضارة الإسلامية ،ط.8 ،القاهرة،1994.
7. **الغنيمي عبد الفتاح مقلد** ، موسوعة المغرب العربي ،مكتبة مدبولي القاهرة ،ج.5-6،ط.1، 1994.
8. **كولان ج.س،الاندلس**،ترجمة إبراهيم خورشيد و آخرون ، كتب دائرة المعارف الإسلامية (الأندلس) ، دار الكتاب اللبناني و دار الكتاب المصري ، ط.1 ، بيروت و القاهرة، 1980.

9. **المسيري عبدالوهاب** ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق ،د ط ،بيروت، د.ت ،ج.16.

سابعاً :الموسوعات الأجنبية :

1. **Encyclopidia of Islam**
Edited by C,E, Bosworth , Ee.Van Donzel , B.Lewis and Ch.Pellat- vol.I , Leiden E.J.Brill, 1979
2. **Key Figures in Medieval Europe an encyclopedia ,**
- Richard K. Emmerson , Routledge Taylor & Francis Group , 2006 .
3. The Crusades: An Encyclopedia
Edited by Alan V Murray in (4 Vol. Set) , ABC-CLIO, Oxford , 2006.

ثامناً: الدوريات و الجرائد العربية.

2. -**اتحاد المؤرخين العرب** ، ملامح خطة صلاح الدين العسكرية ،منشور في كتاب 800عام حطين صلاح الدين و العمل العربي الموحد ،دار الشروق القاهرة ،الطبعة الأولى 1989
3. -**البشيري سعد عبد الله** ،"الدور الفرنسي في الحروب الصليبية ضد مسلمي الأندلس " مجلة جامعة أم القرى، ع.4، مكة المكرمة(السعودية)،1411هـ .
4. **هيني عبد المجيد** ، "المغاربة والجهاد البحري ضد الصليبيين" ،مجلة التاريخ العربي ، ع.15،المغرب، 2000.
5. **تدمري عمر عبد السلام** ،" الأندلسيون والمغاربة في طرابلس الشام "، مجلة التاريخ العربي ، ع. 12، المغرب ، 1999.

- -**حطيط أحمد** ،

6. "مكانة المغاربة الاجتماعية بدمشق في زمن الحروب الصليبية"،مجلة التاريخ العربي ، ع.25،المغرب، 2001.
7. "دور قبرص في العلاقات بين المماليك والغرب الأوروبي في أواخر القرون الوسطى"،مجلة

تاريخ العربي، ع. 18،المغرب، 2001

8. **الحمداني خالد إسماعيل نايف** ،" العلاقة بين أموي الأندلس والخلافة العباسية "، مجلة التاريخ العربي، ع.18،المغرب، 2001
9. **زنجبير محمد رفعت** ، العلاقات التاريخية و الإستراتيجية بين الإسلام و المسيحية ، العدد 34 مجلة التاريخ العربي،المغرب، ربيع 2005 ،ص.169.
10. **زيادة نقولا** ، إشكاليات الاستشراق والإسلام ، بحث مقدم إلى مؤتمر الاستشراق، "حوار الثقافات" ، عمان الجامعة الأردنية، 22-2002/10/24.
11. **زين العابدين سهيلة** ،"الحروب الصليبية "، مجلة المنار ، العدد 70 ،القاهرة، جمادى الأولى1424 هـــ.
12. **الطحاوي حاتم** ، "الإسلام و أوربا ،جريدة الحياة ،بتاريخ 2004/7/3.

- **علي أحمد،**

13. "ظهور حركة الاسترداد بالأندلس وتطورها حتى نهاية القرن التاسع الهجري ودور المغاربة في كبح جماحها" ،مجلة التاريخ العربي ،ع. 21،المغرب، 2002 .
14. "العاملون في ميدان الاقتصاد والخدمة في المشرق العربي من الأندلسيين والمغاربة منذ نهاية القرن الخامس حتى نهاية القرن التاسع الهجري"، اتحاد الكتاب العرب ، ع. 41، دمشق 1990،
15. " مساهمات الأندلسيين والمغاربة في الحروب الصليبية في مصر والشام"، مجلة التراث العربي، ع.67،دمشق، ماي1997.
16. " بلاد الشام في نظر المغاربة والأندلسيين منذ بداية القرن السادس حتى نهاية القرن التاسع الهجري"، مجلة التاريخ العربي ،جمعية المؤرخين المغاربة ،ع.15،المغرب، 2000
17. **سالم السيد عبد العزيز** ، "سياسة صلاح الدين الدفاعية عن مصر في البر والبحر ضد قوى الصليبيين"، مجلة التاريخ العربي ،العدد. 2،المغرب،ربيع 1997.
18. **شاخت جوزيف و كليفورد بوزورث** ،تراث الإسلام ،ترجمة محمد زهير السمهوري و آخرون، عالم المعرفة ، العدد 233، ماي 1998
19. -**الشاهري مزاحم علاوي** ،" المغرب العربي في مواجهة تحديات الغرب تلو سنة 668هـــ / 1369هـــ "،مجلة التراث العربي ، العدد 22 و 23 ،دمشق،السنة الثامنة،

.2005

20. **شحلان أحمد** ، "مكونات المجتمع الأندلسي و مكانة أهل الذمة فيه" ، مجلة التاريخ العربي ، ع.1 ،المغرب ،نوفمبر2006.
21. -**طه عبد الواحد ذنون** ،القدس وعلماء الغرب الإسلام عشيةالاحتلال الصليبي وفي أثناء التحرير ، مجلة التراث العربي، العدد86 –87، دمشق، ، ربيع الآخر 1423 هـ،أوت 2002.
22. **العبادى احمد مختار** ،" دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربي" ، بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1976.
23. **عبد المنعم أنور** ، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، سلسة عالم المعرفة، ع.13،يناير 1979.
24. **عُطْبَة عبد الرحمن** ،"العلاقات المسيحية اليهودية والعلاقات المسيحية الإسلامية تاريخياً ولاهوتياً"،مجلة التاريخ العربي ، ع. 39،المغرب، 2007 .
25. **العمري حسين عبدالله** ،" الحروب الصليبية وأثرها التاريخي في تشويه صورة الإسلام"،صحيفة 26سبتمبر، ع.1437 ،اليمن، 2003،
26. **القاسمي علي** ، بين يوسف بن تاشفين وصلاح الدين الأيوبي، مجلة التاريخ العربي ، ع.17 ،المغرب، 2001،

- **كريّم عبد الكريم** ،

27. "صلاح الدين الأيوبي ويعقوب المنصور الموحدي" ،مجلة التاريخ العربي ، ع.2،المغرب، 1997.
28. "رضيت أن أفتح القدس وأعمى"، مجلة التاريخ العربي، ع.1،المغرب، 1996
29. **لقبال موسى** " الأسطول الفاطمي وحركة الجهاد في جنوب إيطاليا حتى موقعة المجاز في القرن 4 هـ/ 10 م "مجلة التاريخ العربي ، ع. 22 ،المغرب ، 2002.
30. **محمد قاسم محمد** ، ماهية الحروب الصليبية ،سلسلة عالم المعرفة ، ع. 149، الكويت،ماي 1990.

31. **المنوني محمد** ،"نماذج من مساهمات الغرب الإسلامي في الحروب الصليبية بالشام و ما إليه" ، مجلة كلية الآداب العدد 12-22 ، المغرب،السنة1997/1996

32. **بن مامي محمد الباجي** ، "حملة لويس التاسع على تونس (فصل من الحروب الصليبية)"، مجلة التاريخ العربي ، مجلة التاريخ العربي ، ع. 7،المغرب،1998

33. **مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية.** حي المغاربة عام 1930من كتاب نكبة حارة المغاربة في صور أربعون عاما تحت الاحتلال الإسرائيلي ،أم الفحم(فلسطين)، 2001.

34. **النقيب أحلام حسن مصطفى و مزاحم علاوي الشاهري**، "العلاقات السياسية والاقتصادية بين غرناطة وأرغون" ،مجلة التاريخ العربي ، العدد 16، المغرب خريف 2000.

35. **اليوزبكي توفيق سلطان** ،"اثر الحضارة العربية في أوربا"، مجلة آداب الرافدين ،بغداد، ع.13 ، 2003.

تاسعاً :الدوريات الاجنبية :

1. Dora M. BELL.
Etude sur le « Songe du Vieil Pèlerin » de Philippe de Mézières (1327-1405), Après le Manuscrit Français Bibl. nat. 22542. Document Historique et Moral du Règne de Charles VI. Genève, E. Droz, 1955. Bibliothèque de l'école des Chartes, Année 1956, Volume 114, Numéro 1.

عاشراً: الرسائل العلمية

1. **بكاي عبد المالك** ، التجارة في عهد بني زيري362-543هـ/972-1148م ،رسالة ماجيستير ، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2006.
2. **البياتي بان علي محمد** ، "النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري" ،رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، 2004.
3. **الحساني فايزة بنت عبدالله** ،"تاريخ مدينة سرقسطة منذ عصر الخلافة الأموية حتى سقوطها" ،رسالة ماجستير ،جامعة أم القرى ،مكة المكرمة السعودية، 1430هـ .

4. **الداغش مها علي احمد** ، "الحرم القدسي خلال العصر الأيوبي" ، رسالة ماجستير ،كلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية ،افريل 2002.
5. **الدسوقي احمد إسماعيل سرور** ، "التعبئة الإعلامية في الحروب الصليبية "، رسالة ماجستير ، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، 1403.
6. **السلمي إبراهيم بن عطية الله بن هلال السلمي** ، العدوة الأندلسية منذ ملوك الطوائف إلى سقوطها في أيدي الأسبان ، أطروحة دكتوراه ،جامعة أم القرى ،مكة(السعودية)،1430.
7. **عبد الوهاب محمد نجيب** ،"السياسة الداخلية لنور الدين محمود زنكي" ، رسالة ماجستير ،الجامعة الإسلامية ،غزة، 1430هـ/2009م.
8. **عطاالله عبير احمد** ، "موقف العلماء و الأدباء من الصليبيين في العصر الأيوبي"، رسالة ماجستير ، جامعة مؤتة ،مؤتة، 2002
9. **المحاسنة عبير أحمد عطا الله** ،موقف العلماء و الأدباء من الصليبيين في العصر الأيوبي ، رسالة ماجستير ،جامعة مؤتة، مؤتة،2002.
10. **المدني رشاد عمر**، الحياة العلمية في فلسطين في مرحلة الصراع الصليبي الإسلامي،رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية ،غزة،1426هـ/2005م
11. **المومني سعد** ،"القلاع الإسلامية في الأردن الفترة الأيوبية والمملوكية" ، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية ،عمان، 1985.


الفهارس

1-فهرس الأعلام

-أ-

-ت-

2–فهرس الأماكن

3-فهرس القبائل والشعوب:

-ك-

فهرس المحتويات